الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية. قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم العقيدة ومقارنة الأديان
التخصص : ديانة مسيحية

الرقم التسلسلي:.............
رقم التسجيل:.............

موضوع البحث:

المسيحية في فكر روجيه غارودي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب:
بوساحة بشير

إشراف الدكتور:
د.لمير طيبات

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب		الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
1-بشير كردوسي	رئيسا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر
2-لمير طيبات	مقررا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر
3-كمال معزي	عضوا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر
4-مسعود حايفي	عضوا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر

السنة الجامعية: 1429-1430هـ / 2008-2009م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

إلى من يخفق قلبه حبا وتقديرا تجاه محب مقصر

وإلى من ربى فينا القيم والأخلاق السمحة ولقننا همة تناطح السحاب

إلى كل من علمنا حرفا وأرشدنا إلى طريق الصواب

إلى كل من رفع راية للحق يبتغي بها رحمة للعالمين.

أهدي ثمرة جهدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير:

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إتمام هذا البحث، وعلى رأس هؤلاء الدكتور المشرف "لمير طيبات" الذي كان الموجه والناصح، وجميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علي بتوجيهاتهم القيمة، كما أبعث من الجزائر عبارات الامتنان والعرفان إلى طاقم مجمع كفتارو بسورية الذي فتح لي كل الأبواب للحصول على مصادر هذا البحث ومراجعه، دون أن أنسى كل أفراد الأسرة الكريمة الذين أخذوا بيدي في كل لحظة من محطات هذا العمل، وكذلك جميع الزملاء، وعلى رأسهم الأستاذ عبد القادر مباركية...ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول جزاكم الله عنّي كلّ خير وجعل الله ما قدمتموه في ميزان الحسنات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

بعد التقدم العلمي وخاصة التقني الذي وصلت إليه البشرية، تفطنت إلى أنها لم تصل إلى ما كانت تصبو إليه من وراء المساعي الحثيثة وكل هذا التقدم، فقد كان المأمول في هذا التقدم أن يحقق للإنسان حياة أكثر راحة بعيداً عن مشقة القرون الوسطى وما سبقها، إلا أنه وبعد زوال المشقة البدنية وقع الإنسان في مشقة المخاطر التي أصبحت تحاصره في كل مكان وحين، كما أنه صاحب هذا التقدم تعقيد في أنماط الحياة وكثرة الضروريات والأعباء، فبقيت المشقة تصاحب الإنسان وإن إختلف نوعها. كما أن فضاعة الواقع العالمي للإنسانية الذي يُشاهد صباح مساء في ظل انحصار العالم إلى قرية صغيرة مع التطور المذهل لوسائل الإعلام والاتصال، فانتبه الجميع إلى الصراع العالمي من أجل امتلاك وسائل هذا التقدم الذي أصبح غاية بعد أن كان يُعد وسيلة. وأدى هذا الانحراف بطريقة أو بأخرى إلى ما نراه من حروب لم تنج منها بقعة من بقاع العالم، وصراعات للسيطرة والاستحواذ على الأملاك والذمم، فانقسم العالم إلى شطر يمتلك كل شيء إلى حد التخمة وشطر يعاني الحاجة إلى حد المجاعة، ومن ثمّ كثُرة الاضطرابات الداخلية والدولية واختلت الموازين. كل هذا الواقع جعل الجميع يرى أن الحل في العودة إلى الأخلاق والقيم الروحية والدينية، فبدأت في نهايات القرن الماضي ظاهرة العودة إلى الدين دراسةً والتزام، حتى قال أحد المفكرين أن القرن الواحد والعشرين سيكون قرن التدين أو لن يكون.

ويُعتبر غارودي ممن تفطنوا لهذا الواقع ووقفوا عند مشكلات الإنسان المعاصر. فقد كان مفكرا وفيلسوفا من ناحية ومناضلا سياسيا من ناحية أخرى. كما أنه عايش هذه المشكلات فهو ابن أسرة أوربية بسيطة تسعى وراء توفير لقمة العيش وتحصيل الوسائل فكانت تلك هي حدود غاياتها، حتى أنه وصفها بلادينية على الرغم من كونها مسيحية كحال الغالبية من الأسر الأوربية. ونظراً للظروف التي عاشها في بدايات حياته فقد أصبح ماركسيا يبحث عن الحل في المشروع الماركسي، إلا أنه لمح فقر هذا المشروع وتأكد من حاجته إلى الروح والحقائق الدينية،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فبدأت مساعيه لحوار ماركسي مسيحي، وكانت نتائج هذا الحوار الأساس لمشروعه الحضاري البديل، وبعد زمن من البحث لبلورته وقف على إشكالات رأى أن حلها لن يكون إلا بحوار عالمي مع باقي الحضارات غير الغربية، فانطلق في هذا الحوار الذي اكتشف فيه كنوز لا حدود لها في هذه الحضارات، لم يكتشفها الغرب بعد أو أنه تم إهمالها عن قصد أو عن غير قصد. وعند دراسة غارودي لهذه الحضارات وجد أن الأديان هي أساس هذه الحضارات وروحها وفيها الحل لإشكالات الحضارة الغربية . فاهتم بدراستها والبحث عن حقيقة رسالتها ولِمَا هو مُشترك في دعوتها، ومنها عاد لدراسة المسيحية فأيقن بتحريفها وانحرافها عن رسالتها والغاية التي جاءت من أجلها.

وقد درس غارودي المسيحية كونها في كل الحالات ديانة الحضارة الغربية رسمياً في دساتيرها ومحافلها، وأنه ليس بالإمكان تفعيل بُعد الإيمان الديني كبُعد إنساني عند الفرد الغربي إلا انطلاقا منها. ذلك أن غارودي موقن بأن المشكلات الإقتصادية والسياسية أينما كانت تستند في نهاية الأمر إلى مشكلة الغائيّة أي إلى مشكلة دينية. لذلك يسعى غارودي إلى تحديد الفوارق بين رسالة عيسى المسيح وبين الدخيل عنها، والكشف عن آثار تحريف هذه الرسالة عبر تاريخ الغرب وعلى حضارته، وتدارك ما بقي فيها وتفعيله لحل المشكلة الدينية ومن ثمَّ حل مشكلة الغائية في الغرب التائه، الذي يراه يتجه آخذاً معه الإنسانية جمعاء نحو انتحار كوني.

الإشكالية:

وكانت الإشكالية التي أثارت البحث في هذا الموضوع هو التميز الذي ظهر جلياً في دراسة غارودي للمسيحية، وآرائه غير المسبوقة بين الباحثين و خاصة المعاصرين في الغرب حول ما يُطرح مع المسيحية من قضايا، وقد تجلى هذا التميز في ربطه المستمر بين ما وقع للمسيحية من تحريف وانحراف عن رسالة المسيح وبين آثار ذلك على واقع العالم الغربي عبر التاريخ منذ عهد المسيح، وحتى بعد إسلامه لم يأخذ بالمواقف والآراء الواضحة لعلماء الإسلام تجاه المسيحية، بل

فبدأت مساعيه لحوار ماركسي مسيحي، وكانت نتائج هذا الحوار الأساس لمشروعه الحضاري البديل، وبعد زمن من البحث لبلورته وقف على إشكالات رأى أن حلها لن يكون إلا بحوار عالمي مع باقي الحضارات غير الغربية، فانطلق في هذا الحوار الذي اكتشف فيه كنوز لا حدود لها في هذه الحضارات، لم يكتشفها الغرب بعد أو أنه تم إهمالها عن قصد أو عن غير قصد. وعند دراسة غارودي لهذه الحضارات وجد أن الأديان هي أساس هذه الحضارات وروحها وفيها الحل لإشكالات الحضارة الغربية . فاهتم بدراستها والبحث عن حقيقة رسالتها ولِمَا هو مُشترك في دعوتها، ومنها عاد لدراسة المسيحية فأيقن بتحريفها وانحرافها عن رسالتها والغاية التي جاءت من أجلها.

وقد درس غارودي المسيحية كونها في كل الحالات ديانة الحضارة الغربية رسمياً في دساتيرها ومحافلها، وأنه ليس بالإمكان تفعيل بُعد الإيمان الديني كبُعد إنساني عند الفرد الغربي إلا انطلاقا منها. ذلك أن غارودي موقن بأن المشكلات الإقتصادية والسياسية أينما كانت تستند في نهاية الأمر إلى مشكلة الغائيّة أي إلى مشكلة دينية. لذلك يسعى غارودي إلى تحديد الفوارق بين رسالة عيسى المسيح وبين الدخيل عنها، والكشف عن آثار تحريف هذه الرسالة عبر تاريخ الغرب وعلى حضارته، وتدارك ما بقي فيها وتفعيله لحل المشكلة الدينية ومن ثمّ حل مشكلة الغائية في الغرب التائه، الذي يراه يتجه آخذاً معه الإنسانية جمعاء نحو انتحار كوني.

الإشكالية:

وكانت الإشكالية التي أثارت البحث في هذا الموضوع هو التميز الذي ظهر جلياً في دراسة غارودي للمسيحية، وآرائه غير المسبوقة بين الباحثين و خاصة المعاصرين في الغرب حول ما يُطرح مع المسيحية من قضايا، وقد تجلى هذا التميز في ربطه المستمر بين ما وقع للمسيحية من تحريف وانحراف عن رسالة المسيح وبين آثار ذلك على واقع العالم الغربي عبر التاريخ منذ عهد المسيح، وحتى بعد إسلامه لم يأخذ بالمواقف والآراء الواضحة لعلماء الإسلام تجاه المسيحية، بل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بقيت له آراؤه الخاصة التي دافع عنها، رغم ما كان يتبع ذلك الإصرار من اتهامات نحوه، وصلت حد الشك في إسلامه وفي نواياه تجاه الإسلام والمسلمين. وفي ظل مشروعه الذي أسس له بحوار للحضارات، بغية الاستفادة مما عند الغير، وضع رؤاه ومفاهيمه الخاصة في المسيحية حتى تؤدي الدور الذي يُنيطه بها.

وكل هذا طرح عندي جملة من الأسئلة: ما هي حقيقة المسيحية عند غارودي؟ وما هي الآثار التي يُحصيها لتحريف المسيحية في الغرب؟ وما هو الدور الذي يحدده لها بمذاهبها ومؤسساتها لتدارك الإنسانية من الانتحار؟

ويُضاف إلى هذه الإشكالية أسئلة تفرض نفسها عند الكلام عن غارودي والتي لها ارتباط وثيق بموضوع الدراسة وهي تحديداً: ما هي حقيقة العقيدة أو الإيمان الإبراهيمي الذي يتكلم عنه غارودي؟ وما علاقة مشروع غارودي البديل و حوار الحضارات بنظرته للمسيحية؟.

ولذلك كان موضوع هذه الدراسة إجمالا موسوم ب: المسيحية في فكر روجيه غارودي.

أسباب اختيار الموضوع:

الأسباب الذاتية:

إن الهم الذي يحمله غارودي وهذه الأهداف السامية والنبيلة التي يعيش لها كما هو واضح من خلال مسيرته النضالية السياسية والعلمية، كل هذا دافع قوي للبحث في أغوار هذه الشخصية الغربية، هذه الأخيرة التي تميزت بروح نضالية نقدية تحررية، جعلته ينتقد الواقع الذي يعيش فيه، حتى أنه عُرف بصاحب الردات المتكررة، فبعد يأسه من الواقع الاجتماعي الهش لأسرته التي تميزت بتدين مسيحي موروث تتجنب الالتزام به، توجه غارودي بعدها إلى الماركسية وجمع معها البروتستانتية بعد زمن، ومنها انتقل إلى حوار ماركسي مسيحي، والذي عممه إلى

حوار للحضارات اعتقد من خلال نفحاتها الصوفية فيما يسميه بالعقيدة الإبراهيمية، ومنها دخل الإسلام. ولذلك كانت له دراسات أكاديمية وعلمية موسوعية تضمنت معارف وحقائق هامة وجديدة في كل المجالات، دفعتني لاختيار دراسات غارودي للاستفادة مما جُمع فيها من حقائق تاريخية وعلمية ودينية، وثقافية وفنية، خاصة وأنها تميزت بقدر كبير من الموضوعية.

كما أن كل هذا الموروث الفكري والديني الذي لم يقتصر غارودي على دراسته فحسب بل تبناه واعتنقه قبل ذلك ثم تعمق فيه، جعله مفكر وفيلسوف موسوعي يجلب الاهتمام لفكره، فهو يُجمل في دراسته للقضية الواحد بين جميع الجوانب وأوجه المعرفة والعلوم المختلفة. وينطلق في دراسته مما هو كائن ومن الواقع لا مما يجب أن يكون في عالم المُثل، وقد يكون ذلك لكونه مناضل في الميدان، كما أنه يَعتبر أن الفكرة دينية كانت أو علمية أو غيرها تتطور عبر الزمن وعلى مراحل تاريخية. ولذلك تميزت دراسته بأنها ذات طابع تاريخي يعتمد فيها على الوثائق الرسمية والتاريخية، وكانت منهجية دراساته هي التحليل الفلسفي المدعم بالبرهان والدليل العلمي، وبهذا ربط غارودي بين التفكير الفلسفي العلمي وواقعه التاريخي. كما تميزت دراسته في الموضوع الواحد بين التحليل والتأريخ والفلسفة والنقد والتنظير، فكانت رغبتي ملحة لاكتساب هذه المنهجية وهذه الطُرق والأساليب والوسائل في البحث والتفكير.

وقد تعرض غارودي لكثير من القضايا الحساسة والتي حُرِّم الخوض فيها أحيانا عند بعض الأطراف، كما أنه يلغي عنه كل الخطوط الحمراء والطابوهات المتعارف عليها، فقد انتقد وهو ماركسي الحزب الشيوعي السوفيتي واتهمه بانحرافه عن الماركسية، واتهم المسيحية الغربية بأنها مسيحية بولس لم يقل بها يسوع، واتهم الصهيونية بما لا يُقبل في الغرب وفي بلده فرنسا بالخصوص، عند دراسته للقضية الفلسطينية التي أنصفها حتى أنه اتُهم بمعاداة السامية وحُوكم لأجل ذلك، ومنعت مؤلفاته من النشر، كما اتهم الواقع الإسلامي بالجمود، وانتقد الأنظمة الحاكمة فيه، وفضح في مؤلفاته الأخيرة السياسة الأمريكية والغربية فاتهمها بالإرهاب المُنظم،

وتوجيهها للإنسانية نحو الانتحار الكوني. فكل هذه المواقف لمفكر غربي تثير اهتمام كل باحث. وتجعله يهتم بدراسة هذه الشخصية وفكرها، للنظر في مواقفه التي أثارت الكثير من الردود على المستويين الغربي والإسلامي.

الأسباب الموضوعية:

ويُضاف إلى الأسباب الذاتية في اختيار موضوع هذه المذكرة، أن دراسة غارودي للأديان عموماً وللمسيحية خصوصاً تنطلق من اهتمامه بالبعد الديني كبُعد من أبعاد الإنسان، ولما له من أهمية في كل مشروع حضاري للأمم. حتى أن دراسة غارودي للمسيحية لم تكن كغيرها من الدراسات تلتزم النقد لمجرد النقد والكشف عن العيوب والنقائص و الخلل، أو لمجرد الدفاع والمنافحة، وإنما تعدى غارودي ذلك إلى محاولة إدراج المسيحية كرسالة ومن يتبناها كمؤسسات ومذاهب، للإسهام في حل مشاكل الإنسان المعاصر. هذه المشاكل التي أصبحت تُشكل الموضوع الغالب على معظم الدراسات الحديثة.

ومن الأسباب الموضوعية كذلك اهتمام غارودي بموضوع حوار الحضارات بما فيها الأديان والمذاهب الروحية وهو موضوع الساعة، والذي تجاوز فيه غارودي مجرد البحث النظري والمجاملات إلى وضع نقاط عملية كتأسيسه لمركز الحوار ومتحف للأديان السماوية الثلاث بقرطبة وكثير من المبادرات الجريئة بغض النظر عما قيل عنها من صواب أو خطأ. حتى أنه قال بالإبراهيمية وبحث عما يُعضدها في الأديان السماوية الثلاث، وهو الموضوع الذي جلب له النقد الواسع والتشكيك في نواياه وأهدافه، وهو ما جعلنا كذلك نبحث في فكر هذا الرجل.

أهداف هذه الدراسة:

وقد كان الهدف الأول لهذه الدراسة هو إبراز وتحديد موقف غارودي كمفكر غربي من المسيحية ودوره في نقدها، فالمعلوم أن دراسة غارودي للمسيحية ومواقفه مما يُطرح فيها من

إشكالات تناثرت في كتاباته ومؤلفاته دون إفراد المسيحية تحديداً بأحد المؤلفات حتى أن كتابه الموسوم ب: "نحو حرب دينية؟ جدل العصر" كانت دراسة نقدية لما يسميه بالأصولية المسيحية. فالأكيد أن تطرق غارودي للمسيحية وغيرها من مجالات البحث يدخل في إطار مشروع علمي يسميه غارودي مشروع الأمل لصناعة المستقبل.

ونصبو إلى الوقوف مع غارودي على آثار تحريف المسيحية على الحضارة الغربية، كونها تمثل جانبها الديني الملازم وأحد مصادرها التاريخية باعتراف الغرب الذي يعتبر أنها واليهودية إضافة إلى اليونانية والرومانية المصادر والموروث الذي بُنيت عليه حضارتهم. ونلمح مع غارودي ما كان بالإمكان أن تؤديه المسيحية لولا تحريفها، للحيلولة دون وصول الإنسانية إلى هذا الانهيار أو ما يسميه غارودي الاتجاه نحو انتحار كوني.

ومن الأهداف كذلك التعرف على حقيقة هذه الشخصية التي قيل عنها الكثير والتي اتسمت بالوضوح والغرابة في آن واحد، وأنها تعتمد ما ترفضه عند الآخرين أحيانا. كما نبتغي متابعة مسار غارودي من الشك إلى اليقين ومن الإلحاد إلى الإيمان كما يقول البعض، وكيف خرج هذا المفكر عن سياق الفكر الغربي وانتقده في المفاصل والأساس وفي مصادره، بل اعتبره عَرض في التاريخ. ومن ثمّ يمكننا تحديد وسائل الغرب، بأنظمته ومؤسساته خاصة الكنيسة وطرقها لصياغة فكر الفرد الغربي، وتسييجه داخل أُطرها حتى لا يحيد ولا يرتد عنها ويبقى خاضعا لهيمنتها. ومن ثمّ الوقوف على إشكالية إعراضهم عن الإسلام.

الدراسات السابقة:

وقد توفرت بين أيدينا دراسات عربية سابقة لفكر غارودي نذكر منها:

1ـــ دراسة الطيب تيزيني: روجيه غارودي بعد الصمت، التي حللت فلسفة الرد عند غارودي ومبرراته لها، وبيان عثرات غارودي داخل المنظومة الفكرية النظرية والمنهجية للماركسية، وتقييم آفاق النموذج الاشتراكي الذي يطرحه غارودي للوطن العربي.

2ـــ دراسة أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف: جارودي والحضارة الإسلامية، التي تطرقت إلى مقابلة بين الفكر الأوربي والإسلام وتحديد القضايا التي أدت إلى إسلام عباقرة أوربيين. وتتبعت رحلة غارودي من الشك إلى اليقين وعرضت ذلك من خلال كتبه، ثم أبرزت انتقادات غارودي للماركسية، وكشفه للقناع المزيف للصهيونية، ثم الوقوف عند دراسة غارودي للفكر الإسلامي.

3ـــ دراسة محسن الميلي: روجيه غارودي والمشكلة الدينية، التي حاول فيها بيان تطور الفكر الديني لدى غارودي وتحديد بُنيته ومكانة المشكلة الدينية في فلسفة غارودي ومجمل المسائل التي تتفرع عنها، كالقراءة المادية التاريخية للدين وعلاقته بالفلسفة الماركسية والروابط بين الإيمان الديني والتغيير بالعمل الثوري، وصولا إلى إسلام غارودي وما وجده فيه من حلول لمشكلات الإنسان المعاصر، ورأيه في كيفية تفعيل هذه الحلول ليأخذ بها المجتمع الدولي.

3ـــ دراسة عادل التل: فكر جارودي بين المادية والإسلام، التي حاول فيها نقد كتابات غارودي والذي يعتبره أنموذج للمدرسة المادية التغييرية المعاصرة التي تعمل تحت غطاء التجديد والاستنارة. وحاول بيان فساد المناهج الفكرية الفلسفية وكشف قُصورها وتناقضها.

4ـــ دراسة خيرية السقة: الإسلام والعروبة في فكر الصادق النيهوم وروجيه غارودي، والتي حاولت المقابلة بين مفكر عربي(ليبي)ومفكر غربي فيما إعتبراه إنقاذ للإسلام من عبودية التاريخ والفلسفة ضد الإقطاع والأصولية، ورؤية كل منهما لما يمكن أن يمده الإسلام لإخراج الإنسانية من التدني على جميع الأصعدة، وموقفهما من بعض قضايا العصر.

5ـ دراسة خديجة بن هني: فلسفة الحضارة لدى روجيه غارودي، والتي أبرزت فيها جوانب فقدان الحضارة الغربية لتوازنها، خاصة تفريقها بين العلم والحكمة، حيث يؤكد غارودي ومن واقعه أمثلة تَحَكُم هذه الحضارة في الوسائل دون النظر إلى الغايات، الشيء الذي جعلها تنساق نحو فلسفة ميتة تسيطر عليها العلموية والتكنوقراطية، فعجزت عن تمثل أبعاد التسامي والتعالي، وهو ما انعكس على الأواصر الاجتماعية والنظم المختلفة، وفي توجه العلوم والتقنيات. ووقفت على البديل الذي يطرحه غارودي للإنسانية.

6ـ دراسة ذهبية كباهم: الحقيقة الدينية في فكر روجيه غارودي، وحددت ما تشمله الحقيقة الدينية، التي يَعتبر غارودي أنها موجودة في كل الديانات السماوية والتجارب الروحية المختلفة التي عرفتها الإنسانية.

ويُضاف إلى هذه الدراسات ما كان تجميع لمقالات غارودي ولقاءاته المختلفة، كما هو شأن كتاب يحي عريضي، ورامي كلاوي وشاكر نوري.

ومن الدراسات الأجنبية لدينا، دراسة سيرج بيروتينو: غارودي، التي تعرض فيها لشخصية غارودي الذي أُعتُبر من أعلام الفكر الغربي، ثم بين فيها تفسيرات غارودي لفكر ونظريات ماركس وانجلز وانتقاداته لمن تبنوا الاشتراكية في الغرب.

منهجية الدراسة:

وللإجابة عن الأسئلة السابقة والوصول للأهداف المرسومة لهذه الدراسة اخترت المنهج الإستقرائي تتبعت به أقوال غارودي في المسيحية والاعتبارات والتبريرات التي يأخذ بها، وذلك من خلال استنطاق وتحليل النصوص من مؤلفاته المترجمة، والحوارات التي أُجريت معه، وكل ذلك لتحديد نظرته للمسيحية وآرائه ومواقفه منها، كما اعتمدت أحيانا على منهج المقارنة، حيث تمت مقابلة آراء غارودي ومفاهيمه مع ما جاء عن غيره من المفكرين والعلماء والباحثين الغربيين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أو المسلمين في القضية الواحدة، بغية تمييز مواقف غارودي من بين مواقف غيره، وأضفت إلى ذلك بعض ما جاء من نقد لفكر غارودي وآرائه في مجال هذه الدراسة.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من كتب غارودي المترجمة ومجموعة أخرى من المصادر والمراجع التي اهتمت بموضوع هذا البحث ومصادر و مراجع أخرى تخدمه. وتجدر الإشارة إلى أنني لم أركز كثيراً على مجمل ما يقوله غارودي من أحداث وتفاصيل تاريخية وحقائق مختلفة سياسية أو اقتصادية أو غيرها فلم أرجع إلى مصادرها للتأكد منها خشيه التوسع الذي يُنسي آخره أوله، ويؤدي إلى الانحراف عن أهداف هذه الدراسة، وذكرت تلك الأحداث والحقائق لبيان الارتباط الذي يُشير إليه غارودي بينها وبين واقع المسيحية وأثرُه على هذه المجالات. ولنتمكن من تحديد مواقف غارودي وآرائه من كل ذلك، تركتها في ظل السياق الذي طرحها فيه، فكما أشرت سابقاً فقد تطرق غارودي للمسيحية في ظل تأسيسه لمشروعه البديل.

الصعوبات:

وإذا كان كل عمل لا بد وأن تعتري صاحبه صعوبات، فإن ما يجدر ذكره من صعوبات وجدتها عند البحث في هذا الموضوع، هي أولاً صعوبة اللغة والأسلوب الذي يطرح به غارودي آراءه ويؤلف به، وهو المفكر والفيلسوف الذي أعتبر من أعلام فلاسفة الغرب، وقد يزيد من ذلك كون كتبه التي اعتمدت عليها مترجمة، فالترجمة قد لا تنقل لنا آراء غارودي ومفاهيمه بالضبط. وكذلك المنهجية المميزة التي يكتب بها غارودي، مع تطرقه لقضايا متعددة في الدراسة الواحدة. إلا أن ما خفف من حدة هذه الصعوبة الرغبة في اكتساب هذه المهارات وهذه المنهجية. ومن الصعوبات كذلك كون شخصية غارودي وآرائه لها مؤيدوها ممن يؤكدون على قوتها وصحة توجهاتها ومواقفها، ولها في المقابل من يعارضها ويفند آراءها ويتهمها بالردة، وهو ما يجعل التزام الموضوعية في هذه الدراسة أمراً صعباً، ومع ذلك حاولت التقيد بالموضوعية دائماً.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعد تجميع المادة العلمية لموضوع الدراسة من مؤلفات غارودي بالأساس، ومراعاة للأهداف المسطرة لها، رأيت أن أتبع خطة الدراسات الكلاسيكية للديانة المسيحية في تصنيف هذه المادة العلمية لتحديدها والتمكن من بلورة رأي غارودي في كل قضية من قضايا المسيحية والإشكالات المطروحة فيها، فبعد الفصل الأول والذي تطرقت فيه لترجمة شخصية غارودي وعصره، والذي بينت فيه واقع البيئة(السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية)التي عاش فيها غارودي وواقع عصره وأثر كل ذلك على فكره وتوجهاته(خاصة قضية العقيدة الإبراهيمية التي يقول بها غارودي)وتحديد مشروعه العلمي وعطاءاته العملية ونضالاته السياسية.

وتطرقت في الفصل الثاني بالتفصيل للمصادر المسيحية(الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد)في فكر غارودي وانتقاداته لما جاء فيها، وآثار تحريفها على مسار الحضارة الغربية ووقائع تاريخها، وما استنبطه منها فيما يراه حقيقة دينية قالت به هذه المصادر والتي مكنته من تمييز رسالة يسوع من مسيحية القديس بولس. وأوردت في طيات ذلك آثار هذه المصادر المحرفة على الفكر الغربي وسياسات أنظمته ومؤسساته عبر التاريخ.

أما الفصل الثالث فتطرقت فيه إلى الإيمان المسيحي وآراء غارودي في الألوهية وقضية المسيح والروح القدس، ومعتقدات المسيحيين ورؤيته في ذلك، وأفردت مبحثا لما يجده غارودي في التشريع المسيحي ورسالة يسوع كمُقتضى للإيمان به، من خصائص وأحكام، وأشرنا هنا لما حدث في المسيحية من تحريف وإبعاد عن الحقائق، وآثار ذلك على الغربيين وفكرهم. وحددت هنا التصورات والمفاهيم التي يضعها غارودي للإيمان المسيحي بكل ما فيه، والتي يراها الأصوب للإسهام فيما يسميه بصناعة المستقبل والأمل للإنسانية.

وجاء الفصل الرابع عن الكنيسة وتاريخ هذه المؤسسة منذ أيام المسيح إلى عصرنا الحالي، وفي المبحث الثاني تطرقت إلى المجامع المسيحية وما حدث فيها وفي مبحث ثالث تطرقت إلى اللاهوت المسيحي ومساره عبر تاريخ المسيحية إلى يومنا هذا، وأثره على الفكر الغربي

والحضارة الإنسانية. وتتبعت خلال كل ذلك مواقف غارودي وآرائه في هذه القضايا، والدور الذي يراه منوط بالكنيسة، وهذه المجامع وهذا اللاهوت، ولا بدا لها من تداركه قبل فوات الأوان وانتحار الإنسانية. وختمنا هذه الدراسة بإحصاء لنتائج هذا البحث.

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر الأستاذ المشرف جزيل الشكر، على توجيهاته ونصائحه القيمة والشكر موصول لجميع أساتذتنا الكرام على ملاحظاتهم ونصائحهم ونسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد في ميزان الحسنات، وأن نكون قد أسهمنا ولو بالقليل في إثراء البحث العلمي. ونعتذر عما قد يكون في هذا البحث من خطأ وحسبنا في ذلك أن هذا عمل إنسان يصيب ويخطئ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

ترجمة لعصر غارودي وحياته.

المبحث الأول: ترجمة لعصر غارودي ونشأته.

المبحث الثاني: حياته الدينية.

المبحث الثالث: حياته الفكرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: ترجمة لعصر غارودي وحياته.

لقد كان لزاما علينا قبل الدخول في موضوع هذه الدراسة عن المسيحية في فكر روجيه غارودي، أن نترجم لهذه الشخصية ولفكرها والبيئة التي نشأت فيها، وأن نحيط بالبحث عن كل ما يتعلق بها وبالعصر الذي ظهرت فيه، لما في ذلك من أهمية بالغة في فهم آراء هذا المفكر وتحديد المفاهيم التي يأخذ بها، ومعرفة خلفية المواقف التي يتبناها. فكيف كان واقع عصر غارودي؟ وما أثر ذلك على هذا المفكر؟

المبحث الأول: ترجمة لعصر روجيه غارودي ونشأته.

إذا كانت نشأة كل إنسان لا تنفك ترتبط ببيئته ويكون لها أثرها على شخصيته، ويؤثر فيها كذلك زمن هذه النشأة، فإن هذا التأثير يكون متبادلاً بالنسبة للمفكرين، ويكون لفلسفة حياته صلة وثيقة بعصره، وكذلك الشأن بالنسبة لروجيه غارودي، حتى ان المفكر الغربي سيرج بيروتينو الذي كتب عن غارودي قال عن هذا التأثير وهذه العلاقة، "نعجز عن فهم المعضلة التي تسود كل فكر غارودي، وكل أعماله، والحلول التي يوجدها لها، والحقيقة الهاربة أبدا التي يجهد في البحث عنها، إن نحن أهملنا العودة إلى الوضع التاريخي الذي طرح هذه المشاكل، هذا الظرف التاريخي الذي يدفع الفيلسوف إلى إيجاد الحلول لهذه المشاكل بإجباره(قسرا)على إعادة النظر في أهداف وغايات الحياة نفسها"[1].

وقد نشأ غارودي في بيئة أخذت إرثها الحضاري عن الإغريق، وعاشت ردحا من الزمن تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية، وقد تميز العصر الذي عاش فيه غارودي بالخصوصية فقد كان عصر تحولات في جميع المجالات وانعطاف على جميع المستويات، وتغيير ونقد للقيم والأهداف السائدة، فما هي طبيعة هذا الواقع السياسي، الاجتماعي والاقتصادي؟، وكيف كانت نشأة غارودي ومساره النضالي والسياسي في ظل هذا الواقع؟.

[1] ـ سيرج بيروتينو، غارودي، المؤسس العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981م، ص 19.

المطلب الأول، الحياة السياسية في فرنسا.

لقد استمر النظام الملكي في فرنسا إلى غاية العصر الحديث، وتزايد رفض الفرنسيين لهذا النظام لتزايد فساده وتجلى ضعف رجاله من الملوك الذين حكموا بالحكم المطلق الإقطاعي، مما أدى إلى استهزاء حكام الأقاليم بالسلطة المركزية فأصبح همهم الثراء على حساب مهامهم. واضطراب القضاء وغيره من الإدارات التي فشلت في حل مشاكل الفرنسيين، من فقر وظلم اجتماعي وضرائب متعددة أثقلت كاهل الشعب، وفروق طبقية تقسم من خلالها الامتيازات. إضافة إلى الهزائم الفادحة التي منيت بها الجيوش الفرنسية. ومع تسجيل بذخ الملوك واشتراك فرنسا في الثورة الأمريكية، وقع الارتباك المالي[1].

كل هذه العوامل أدت إلى تزايد الرغبة في الانعتاق من قيود النظام الملكي لأسرة البربون المتمسكة بنظرية حق الملوك الإلهي، وبدأت سلسلة الأحداث التي عرفتها فرنسا مع نهاية القرن الثامن عشر، فبعد أن ازدادت الحالة المالية ارتباكا ونشر الوزير نكر لتفاصيل الميزانية الفرنسية(compt rondu) تم إبعاده ووضعت الملكية الفرنسية مقاليد الأمور في يد أحد أتباعها كالون الذي اتبع سياسة القروض التي زادت في سوء الحالة المالية، فلم يجد الملك والوزير كالون من حل غير إشراك الشعب لمعالجة هذه الحالة، ولما رفض النبلاء تحمل المسئولية وحدهم تم استدعاء مجلس طبقات الأمة، الذي لم يجتمع منذ 1614م، فاستدعي الوزير نكر لوضع قانون لانتخاب المجلس، واستبدلت وزارة كالون بوزارة دي بريين الذي عمم الضرائب على طبقتي الأشراف ورجال الدين كحل للأزمة، فلما فشلت سياسته عزله لويس السادس عشر وعين نكر الوزير الذي يرضى عنه الشعب، وتم استدعاء مجلس الأمة في 5مايو 1789م وقد علق عليه الشعب آمالاً كبيرة رغم غياب أي سلطة لهذا المجلس، وقد أُعتبر فرض عودة هذا المجلس سنة1789 بداية الثورة، هذا الأخير الذي أعاد النظر في نظام التمثيل البرلماني وحق المناقشة ومتابعة التنفيذ،ونظرا لنفوذ الطبقة العامة المتحملة لعبئ الضرائب والمسئولية، أصبحت تهدد بالإضراب ونظم لها جمع من الأشراف ورجال الدين، وفي 16يونية1789م أعلن عن تأسيس

[1] ــ شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1، 1993م،ص75ــ81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الجمعية العامة التي تجتمع فيها كل الطبقات وفرضت على الملك فرضا ووضع دستور جديد وظهر جيش من الشعب الباريسي الذي نجح في إسقاط الباستيل 14يوليه1789م، وأنشئت الصحف والنوادي لمناقشة أفكار الثورة، وفي دستور 1791 تم إعلان حقوق الإنسان وأصبح الملك يجلس على العرش بعون الله ورغبة الشعب، والوزارة مسئولة أمام المجلس وبقي للملك حق الفيتو معها. وبدأت الإصلاحات تتوإلى [1].

وبعد تأسيس الجمعية الوطنية(1789ـــ1791)تطورت الأحداث بسرعة فأصبحت الملكية مقيدة في ظل الجمعية التشريعية (1791ـــ 1792)، جاء بعدها عهد الجمهورية الأولى(1792ـــ 1795)، ثم الجمهورية الثانية وحكومة الإدارة (1795ـــ1799)، وجاء بعدها حكم نابليون بونابرت قنصلا وإمبراطورا(1799ـــ1804،1804ـــ1814) [2]. وانتهت أطماع نابليون التوسعية عندما أراد السيطرة على أوربا فساءت علاقات فرنسا مع جاراتها ومع التذمر الداخلي لعودة نابليون بفرنسا إلى الحكم الفردي المطلق الدكتاتوري وأسباب داخلية أخرى انهارت إمبراطورية نابليون رغم الإصلاحات التي قام بها على مستوي الإدارة والنّظم.

وكانت ثورة 1830م في عهد شارل العاشر والتي لم تتمخض عن حكم جمهوري كما كان ينتظر منها، فالحكم الملكي انتقل من أسرة البوربون إلى أسرة الأورليان وقد نتج عن هذه الثورة انتقال قدسية الحكم من البيت المالك إلى حقوق الشعب، وأصبح لويس فليب يحكم فرنسا بإرادة الشعب، ورغم ما سجله التاريخ من مزايا لحكم هذا الأخير إلا أنه كانت سياسته الخارجية كعدم التدخل في شؤون الغير التي رأى فيها الفرنسيون تضييع لفرص مهمة وكذلك السياسة الداخلية كالاعتماد على الطبقة الوسطى التي كان لها الحق وحدها في الانتخاب، مع إهمال الثوريين والديمقراطيين والبقية من الأحزاب، كل ذلك أدى إلى قيام ثورة 1848م. أعلنت بعدها الجمهورية في باريس وأصبح لويس بونابرت بعد الانقلاب الحكومي سنة 1850م إمبراطور على فرنسا. ونظرا لسياسته الجريئة التي أثارت حفيظة الأحزاب في فرنسا كانت النهاية

[1] ـــ فاروق عثمان أباظة، الفكر الفرنسي المعاصر ، دار المعارف الجامعية، إسكندرية،1995م، ص287ـــ300.

[2] ـــ شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص84.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عام 1870م وقيام الجمهورية الثالثة، رغم أن لويس(نابليون الثالث) حاول الحفاظ على حكمه وذلك بتحويل الحكم من إمبراطورية أوتوقراطية إلى إمبراطورية ليبرالية 1860م[1].

وقد استقر الواقع السياسي مع الجمهورية الثالثة، ثم عاشت فرنسا ما بين الحربين منقسمة إلى أحزاب لا يؤلف بينها غير تعلقها بفرنسا وهي تمثل مدارس الفكر السياسي التي أصبحت تسيطر على الحياة الفرنسية، وقد تعاقب على الوزارة العديد من الوزارات التي لم تكن تدوم أكثر من ثمانية أشهر فقد عجزت عن تحقيق ما كانت تحتاجه فرنسا من استقرار وإصلاح ومجابهة قوية للمشكلات[2]. لتسقط باريس سنة 1940م أمام ألمانيا وإيطاليا[3].

ورغم أن الأزمة الإقتصادية وصلت فرنسا متأخرة سنة1931م إلا أنها كانت فرصة لاضطرابات سياسية، فبعد فشل حكومة آندريه تارديو في تطبيق سياسة الرفاهة جاءت المفاجأة في انتخابات أيار1932م التي نجح فيها حلف كارتل اليساريين (الردكاليين والاشتراكيين والشيوعيين)، رغم عدم اتفاقهم في تدابير تقويم الحالة المالية العامة. ولذلك كان البرلمان عاجزا، فقامت ضده حملة مناوئة، ويرجح البعض أن الفاشية حرّكت المظاهرات داخل فرنسا فسقطت على إثرها وزارة دالاديه وحلت محلها حكومة الإتحاد الوطني برئاسة غاستون دوميرغ التي لم تدم طويلا لتعود حركات العصابات التي تم معارضتها بتأليف الجبهة الشعبية، وقامت بأول مظاهرة كبرى لها في 14تموز 1935م.[4]

وهكذا أصبح التيار اليساري صاحب الوزن الثقيل في الحياة السياسية الفرنسية العامة في مرحلة الجمهورية الثالثة، ليتفرد الشيوعيون بهذا التنامي مع قيام الجمهورية الرابعة سنة 1946م.

[1] ــ زينب عصمت راشد، تاريخ أوربا الحديث في القرن 19، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1،2000، ص257ــ268،278.

[2] ــ شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص233.

[3] ــ المرجع نفسه، ص245.

[4] ــ بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، تر: نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980، ص328.

الذين دعوا إلى تميز النموذج الاشتراكي الفرنسي في نظرية ماركسية حديثة، وكان من بين من دعا إلى هذه الفكرة روجيه غارودي، بل تعداها إلى محاولة التجديد في الفكر الماركسي.

قامت بعدها الجمهورية الخامسة سنة 1958م، مع دكتاتورية ديغول الذي أستطاع أن ينظم اليمين المعتدل ويجعل منه القوة السياسية في فترة الستينيات. وأصبحت فرنسا منشغلة باضطراباتها الداخلية والتجاذبات السياسية بين الأحزاب الفاعلة في ساحة العمل السياسي، خاصة مع تجذر البورجوازية وبروز صراع الطبقات، يضاف إلى ذلك أن المسار السياسي لفرنسا الذي ذكرناه كان متأثر في جملته بالواقع الإقتصادي والاجتماعي.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

يكشف لنا التاريخ الفرنسي أن حياة فرنسا الاجتماعية اتسمت بصراع حاد وعنيف بين مختلف الطبقات، جرّاء تباين شُروط الحياة لدى هذه الطبقات. فلقد عاش المجتمع الفرنسي خلال العصور الوسطى ببنية تقليدية، أساسُها التركيب الطبقي، حيث "تأكد ذلك التفريق بين أولئك الذين يصلون للمناصب، والذين يحاربون، والذين يعملون لإعاشة الآخرين. فكانت طبقة الإكليروس أقدم الطبقات. وكان لها منذ البدء وضع خاص ينظمه الحق القانوني، وتوضحت فيما بعد طبقة النبلاء الاجتماعية، وكان من ليس من الإكلركيين، ولا من النبلاء يؤلفون طبقة الفلاحين، التي ولدت الطبقة الثالثة. لكن قيام هذه الطبقة الثالثة كان بطيئا. فقد تمثل فيها بادئ الأمر البرجوازيون وحدهم(وهم رجال المدن)ثم دخل شعب الأرياف فيها"[1].

وستتمايز طبقات هذا المجتمع عند قيام الثورة الفرنسية، فبعد أن كان المجتمع أرستقراطي(أي يقوم على الفلاح)، يتحول بعدها إلى مجتمع بورجوازي(يقوم على الصناعة والتجارة) حيث سيبرز العمال والصناع والحرفيين كفئات فاعلة في الحياة الاجتماعية . وبقي المجتمع الفرنسي محافظ على نظامه و هذا الأسلوب في العمل، بل كان الصراع على أشده بين دعاة التوجه إلى التقنيات واعتماد الوسائل و المخترعات الجديدة وبين دعاة العودة إلى الماضي. الشيء الذي أبرز نزاع إيديولوجي بين القوى السياسية الشيوعية ، الاشتراكية و الردكالية (الممتدة

[1] ـــ ألبير سوبل، تاريخ الثور الفرنسية، تر: جورج كوسي، منشورات عويدات، بيروت ـــ باريس، ط3، 1982م، ص18

لطبقة العمال)، والديمقراطيين المحافظين (الممثلين للرأسمالية المتحررة)، هذا النزاع الذي سبب حركة متكررة من الإضرابات[1].

ومن هنا بدأ كفاح البرولتاريا ضد أرباب العمل لتحصيل حقوقهم، هذه الطبقة التي "تعاني الحرمان من كل ثراء، ومن كل تمتع بمركز أو حرفة، فهي مجرد أيدي عاملة، تأثرت أحوالها بالصراع الذي قام بين أرباب الصناعة، لتخفيض تكاليف الأنتاج، فحرمها كل ذلك من فتات العيش، الذي كان كل ما تملك، فأضطرت إلى الدخول في صراع دائم ضد سادتها الظالمين"[2].

هذا الصراع الذي قامت عليه النظريات الأساسية للشيوعية، التي أدت إلى انتظام العمال في فيدراليات واتحادات عمالية دولية، كان ذلك مع مطلع القرن العشرين، لتدخل فرنسا بعدها الحربين العالمتين، التي أثرت بشكل كبير على أسس الحياة، فبعد أن كانت فرنسا بلد متزن اقتصاديا أصبحت بعد الحرب العالمية الأولى "منهارة اقتصاديا، منهوكة بشريا، مدمرة عمرانيا. مضطربة احتماعيا، مختلة تجاريا..كما تمخض عن تلك الحرب ظهور أزمة الضمير الأخلاقي. ومراجعة أساسية للقيم التي تبنى عليها الحضارة الغربية"[3].

خرجت فرنسا من الحرب وقد تكبدت خسائر بشرية كبيرة(8%من سكانها أغلبهم من الشباب)وخسائر مادية بالغة، أثر كل ذلك على مجرى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية والفكرية كذلك[4].

---

[1] ـــ موريس دو فرجيه، في الدكتاتوريات، تر: هاشم متولي، منشورات عويدات، بيروت ـــ باريس، ط2، 1977م، ص43.

[2] ـــ ا.ج.جرانت وهارولد تمبولي، أوربا في القرن 19والقرن 20،تر: محمد علي أبو درة ولويس إسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط6، 1978م، ج2، ص291.

[3] ـــ عبد الحميد زوزو، تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية(1914ـــ1945م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، رقم النشر4074165، ص73.

[4] ـــ فرنسوا جورج ديفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام ج3، منشورات عويدات، بيروت ـــ باريس، ص385

ونسجل كذلك الأزمة الإقتصادية سنة 1929، التي كانت الحدث الرئيسي والبارز بين الحربين، وكان لها الأثر البالغ على أوضاع أوربا بأسرها، ورغم أن فرنسا " الدولة الليبرالية الوحيدة، التي أظهرت مناعتها في وجه هذه الأزمة ...غير أن فترة صمودها لم تدم طويلا، إذ سرعان ما أخذت حصونها الإقتصادية تتساقط مع بداية 1932، فتساوت في ذلك مع بقية شقيقاتها من الدول الأوربية "[1]، ومن الخسائر انخفاض الإنتاج الصناعي، وانهيار النظام النقدي والتجارة الدولية، واستفحال ظاهرة الفقر والجوع، التي أثرت سلبا على الوضع الاجتماعي الأوربي و الفرنسي، خاصة وان فرنسا تواجه مشاكل مالية متعلقة بنفقاتها الحربية، و إعادة تعميرها بعد الحرب[2]، هذه الأزمة التي كشفت عن الفوضى التي قاد إليها النظام الإقتصادي الرأسمالي .

ومن الأحداث العالمية الخطيرة خلال هذه الفترة، نجد صعود هتلر إلى الحكم في ألمانيا، وتحكم النظام الفاشي في زمام الأمور في إيطاليا، فكشفت النازية والفاشية عن خطر الإرهاب الذي تمدد به الأنظمة السياسية الكليانية(الاستبدادية)، هذا الواقع الذي كانت تعيشه أوربا أصبح ينبئ بتوجه العالم إلى كارثة، في هذا الواقع ولد الفيلسوف روجيه غارودي، وقد كان لكل تلك الأحداث الأثر البالغ على نشأة غارودي وتوجهاته الفكرية والسياسية والدينية كذلك. فقد تبنى الشيوعية لأنه رأى فيها الحل للأزمة الإقتصادية العالمية، وفيها الرفض القاطع للملكية والفكر الإقطاعي، والنظم الاستبدادية، كما جعله هذا الواقع المزري يتشبث إلى حد ما بمسيحيته.

المطلب الثالث: الاسم و المولد .

هو روجيه جان شارل غارودي، وبعد إسلامه سمي برجاء، حسب وثيقة شهادة إسلامه، بالمؤسسة الثقافية بجنيف. ولد روجيه غارودي في مارسيليا(التي تعد من أغنى الأقاليم الصناعية بجنوب فرنسا)، في 17 تموز من عام 1918م. وهو ينتمي بأصوله الطبقية إلى عائلة عُمالية من جهة أخواله(المهتمين بنجادة الأثاث والمفروشات)، وعائلته من البحارة لجهة عمومته. و كانت

---

[1] ـــ موسوعة تاريخ اوربا العام، مصدر سابق، ص258.

[2] ـــ تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، مرجع سابق، ص281.

والدته تعمل في فبركة وصناعة القبعات، وكان والده محاسبا بسيطا[1]. وفي مقدمة ترجمة كتابه محاكمة الحرية يذهب المترجم إلى أنه ولد سنة 1913م، وهو يعتبرُه شيخ المُشاغبين وإمامهم، لكثرة ما خاض غارودي من المعارك الفكرية والنضالية، ويشير إلى أنه تعرض للمحاكمة بتهمة معاداة السامية في المحكمة الفرنسية وقد كان له من العمر حينها84 سنة[2].

وهكذا يكون غارودي قد نشأ بين أبرز طبقات المجتمع الفرنسي، وهي الطبقة العمالية(البروليتاريا) الشيء الذي جعله يلمس واقع هذه الطبقة وسيستميت للدفاع عن حقوقها، والبحث عن الحلول لمشاكلها.

المطلب الرابع: دراسته.

بدأ غارودي دراسته في مدرسة مرسيليا، ثم انتقل إلى مدرسة هنري الرابع في باريس، ثم درس في كلية الآداب في أكس حيث استمع إلى محاضرات موريس بلونديل الأخيرة ودرس أخيرا في كلية الآداب بستراسبورغ في الفترة الممتدة بين عام 1935ــ 1936. وقد عاش فيها بين لاهوت (كارل بارت و كيركغار)[3] وعلماء لاهوت الحلقة الإنجيلية. وقد تحصل غارودي على منحة دراسية، بعد أن اعتبر والده من مشوهي الحرب العالمية الأولى، أين تكفلت به الدولة طوال فترة دراسته حتى حصوله على إجازة الفلسفة عام 1936، حصل بعدها على شهادة التبريز. وعُين في السنة نفسها أستاذا لتعليم الفرنسية في مدرسة ألبي(وقد خلف فيها منصب جوريس، فدرس كل مؤلفاته).[4].

وفي عام1953حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السربون على دراسته (النظرية المادية في المعرفة). وكان أعدها تحت إشراف الإبستمولوجي الأستاذ غاستون باشلار. حصل عام 1954 على درجة الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو(أكاديمية العلوم)بعد أن

[1] ــ سيرج بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص5.

[2] ــ غارودي، محاكمة الحرية، تر: محمد لعقاب، دار هومة، الجزائر، ص5.

[3] ــ يترجم له في مبحث مصادر فكر غارودي.

[4] ــ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص5- 6.

ناقش رسالة دكتوراه ثانية تحمل عنوان(الحرية)[1]. وفي العام نفسه زار كوبا من أجل المساعدة في تنظيم دروس الماركسية في التعليم العالي. كما زار الولايات المتحدة عام 1955[2].

المطلب الخامس: نضالاته ومساره السياسي.

في الوقت الذي كان العالم يختنق تحت وطئة الأزمة الإقتصادية لسنة 1929م من ناحية، ويعيش مأساة النازية من ناحية أخرى انضم غارودي إلى الحزب الشيوعي، الذي رأى فيه الحل للأزمة التي خلقتها الرأسمالية، وبإمكانها صناعة المستقبل الأفضل لملايين الكادحين في مجتمع شيوعي تتحقق فيه العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية والحياة الإنسانية الكريمة. وقد كان الحزب الشيوعي في مقدمة المقاومين للنازية، هذه الأخيرة التي ارتكزت على نظرية عنصرية محدودة الأفق، فظهرت الماركسية في المقابل إنسانية تحررية[3].

ورغم أن غارودي كان رئيس جمعية الشبان المسيحيين البروتستانت إلا انه أصبح عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي سنة1933م[4]، ورغم استهجان الشيوعيين لهذه الازدواجية خاصة مع ردكاليي الفكر الإلحادي من الشيوعيين فقد كان غارودي يرى أن هذه المزاوجة أمر عادي، ومن هنا بدأ تميز فكر غارودي وفلسفته للحياة. أنتخب سنة1937م عضو في المكتب الفدرالي في فدرالية تاران الشيوعية، ففتحت له فرصة الالتقاء بموريس توريز(الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي)، فكان له الناصح والناقد والمدافع كذلك تُجاه الهجوم المتعصب الضيق الأفق ضد غارودي، وقد طاف في هذه الفترة منطقة تاران مطلعا على واقع الفلاحين فيها[5].

---

[1] ـــ محسن الميلي، روجيه غارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1993م، ص27.

[2] ـــ عادل التل، فكر غارودي بين المادية والإسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م، ص 26.

[3] ـــ أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة، جدة، ط2، 1985م، ص31ـــ 32.

[4] ـــ مجلة الأمة، لسنة 1983، قطر، ع29، ص66.

[5] ـــ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وجُنِد غارودي في عام1939م وأُلحق بفصيلة المشاة الإفريقية الشمالية جنديا من الدرجة الثانية عند إعلان الحرب(بسبب ملفه المثقل، فهو الداعي الثوري)، وقد كسب في جبهة السوم وسام الحرب مع تنويهين. عاد بعد تسريحه إلى منطقة تاران لتأسيس الحزب الشيوعي سريا، فأُوقف عام 1940 لخطورته على الدفاع الوطني والأمن العام. وأمضى 33 شهرا في السجن فكانت تجربة عاشها مع العمال المساجين، فعلمهم دروس في التاريخ والفلسفة، ودرس فيها كتابين:التوراة وعلم المنطق لهيغل[1].

أُنتخب غارودي نائب في البرلمان عن منطقة تاران من عام1945إلى غاية عام1962. وقد أصبح رئيسا للجنة التربية الوطنية خلفا لهنري فالون ، ثم أُنتخب نائبا عن باريس عام 1956، انتخب نائب لرئيس الجمعية العامة إلى غاية 1958. وقد انتخب عام 1959 عضو في مجلس الشيوخ كممثل لمنطقة السين لمدة تسعة سنوات. وقد استقال من هذا المنصب سنة 1962. ثم إن عضوية غارودي في اللجنة المركزية جعلته يكتشف أن الفكر الذي يرفض الدين في قداسته ويحارب الكنيسة في تمجيدها للمسيح ورجال الدين هو نفسه الذي يضفي القداسة على رجال الماركسية ويمجدهم ويطالب الجميع بالولاء التام والطاعة العمياء، بل ويمارس قياداته الإرهاب ضد من يخالفهم الرأي، أو يجرؤ على التفكير في غير الماركسية. فخاب أمل غارودي فيها وبدأ يبحث عن انتماء آخر، فدرس الوجودية والبنيوية والفوضوية (الرأسمالية) ومذاهب أخرى وراح ينتقدها إضافة إلى الاشتراكية[2].

ولما شارك غارودي في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، كعادته كعضو بارز مهتم لشؤون حزبه، أين قدم(نيكا خروتشوف) بيانه حول سياسة ستالين في فترة سياسته وحكمه وكيف كان تعامله مع معارضيه من الثوريين المتطرفين، وكيف مارس معهم سياسة قمعية من قتل وإعدام وعزل..، هذه المواقف التي استهجنها غارودي وتفاجأ أن تصدر عن ستالين مثله الأعلى(الذي تأثر بفكره وفلسفته وظهر ذلك في دراسته "النظرية المادية للمعرفة" التي نشرت ثم مَنع طبعها بعد اكتشافه لهذه الحقائق)، هذه الحقائق التي جعلت غارودي يُعيد النظر في كل ما

[1] ــ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص6ــ 7.

[2] ــ أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، المرجع السابق، ص32ــ33.

كان يعتبره من قَبيل اليقين، دخل غارودي بعدها في مرحلة مراجعة ونظر في مساره، وبقي على قناعة بمنهج ماركس، لذلك توجه إلى مرحلة جديدة اصطلح على تسميتها بمرحلة "تجديد الماركسية".

بعدها بدأ غارودي يُعدّ المشروع البديل، انطلق فيه من ماضيه، وبناه على أساس حوار للحضارات مع الحضارات جميعا، وركز اهتمامه من ناحية أخرى على فرنسا، وتجدر الإشارة إلى انه لما خاب أمله في التغيير على مستوى المجالس النيابية التي لا سلطة لها والحكومات الخاضعة للجماعات الضاغطة والأحزاب التي لا مشروع إنساني لها والأمم التي لا رسالة لها والدول التي لا وجه لها، لذلك رأى غارودي أن سلطة واحدة باقية لتعديل اتجاه المستقبل، هي رئاسة الجمهورية، وقرر الترشح لها[1].

المبحث الثاني: حياته الدينية.

ولد روجيه غارودي بين أبوين ملحدين، كما ذكر في الحوار الذي أجرته معه مجلة الأمة القطرية، أين قال عن هذا الإلحاد أنه:" ليس بسبب ارتباطهما بالشيوعية، أو أي مذهب أخر، ولكنهما كانا من الأجيال التقليدية "[2]، فبين غارودي هنا زهد الأوربيين في التدين، وتخليهم عن مورثهم الديني، حيث انساقت الغالبية العامة مع التيارات التي أفرزها عصر النهضة، وفلاسفة التنوير. إلا أن غارودي لم يكن من هؤلاء بل كانت له نظرة المتأمل لما يجري حوله، أين كان يربط الأحداث والظواهر بأسبابها و خلفياتها ويتنبأ بمآلها.

المطلب الأول: غارودي مسيحيا.

بعد أن نشأ غارودي في صغره في بيئة ملحدة يقول عنها: "ولقد نشأت في أسرتي على إلحاد جردني من كل المفاهيم التي تخص الله، حجبني من كل تدين قبلي يدَّعي الاحتفاظ لنفسه

---

[1] ــ غارودي، نداء الى الحياء، تر: ذوقان قرقوط، دار دمشق، سوريا، 1981م، ص241.

[2] ــ مجلة الأمة القطرية، ع29، 1983، قطر، ص66.

باحتكار المطلق ويفرض علينا أساطيره وشعائره وعقائده، كما لو كانت متسامية مثل أسطورة شعب الله المختار. وتلك مفاهيم العقل المنغلق الذي لا يعي بديهياته وحدوده. وعندما أدركت أن هذه الحدود كانت هي حدود الثقافة والفلسفة التي تعلمتها في المدرسة أحسست بالحاجة إلى الهروب من السجن العلموي(والعلموية هي مذهب يقرر الاكتفاء بالعلم من حيث قدرته على بحث المسائل الدائرة على المعرفة البشرية)"[1].

اعتنق المسيحية التي اختارها برغبة لا عن كراهية، وها هو يقول، "ففي عام1933، هجرت اللادينية(حيث كانت أسرتي لا دين لها)وكان عمري خمسة عشر عاما... ودخلت المسيحية. وذلك جراء امتداد الأزمة الأمريكية (1929) إلى أوربا .. فأُحرِق القمح ونُحرت الأبقار الحلوب.. وارتفع عدد العاطلين عن العمل إلى70مليونا وانتشر الجوع وبالتالي وصل هتلر إلى السلطة ..وقتذاك بلغت سن النضج، وشاهدتُ نهاية العالم، وعشتُ الكارثة.. وشهدتُ نور الشمس، في عائلة لا دينية، وتقليدية من حيث الالتزام السياسي.. فاخترت المسيحية ديناً .."[2]. ومن خلال ما قاله غارودي هنا نجده رغم حداثة سنه يربط هذه الأحداث وغيرها بغياب الوازع الديني في المجتمعات الغربية ، الشيء الذي جعله يرجع للتعلق بدين أجداده.

وعن اختياره للمسيحية يشير محمد عثمان الخشت إلى ملاحظة هامة كون غارودي وهو الطالب، في هذه السن المبكرة لم يكن بإمكانه إلا أن يختار المسيحية، إذ لم يكن له فرصة التعرف على غيرها من الأديان، ويذكر مقالة غارودي: "أتخذ مثلا على ذلك من نفسي، فأنا البارز في الفلسفة، اجتزت امتحاناتي دون أن اعرف كلمة واحدة من فلاسفة الهند والصين والإسلام"، منتقدا بذلك برامج التربية القومية الرسمية[3].

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، تر: داليا المنطوخي وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة، ط1،2004. ص17.

[2] ــ رامي كلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق،ط 3،1994، ص189- 190.

[3] ــ محمد عثمان الخشت:روجيه جارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مكتبة القرآن، القاهرة، ص28

ويبين غارودي حقيقة تدينه وإيمانه فيقول:" كنت في شبابي مسيحيا مؤمناً بالاختيار لا بالوراثة. وكنت رئيسا للطلبة المسيحيين البروتستنت. وآمنت بالدين على أنه عمل وفعل وتحرك والتزام. ثم تحت تأثير قراءاتي تحولت فكريا إلى الماركسية. كان تحولا فكريا. أما في الشعور القلبي فقد بقيت مؤمناً، وكان همي في الحزب الربط بين الإيمان المسيحي والفكرة الماركسية، على أساس أن الماركسيين يناضلون في الأرض ليجد المسيحيون بداية السماء..."[1]. فكان هم غارودي تحقيق التكامل بين من يعملون للتحسين والارتقاء بمستوى حياتهم الدنيوية ومن تعلقت قلوبهم بملكوت السماوات، وتحرير الإنسان (الذي هو كائن سلبي في الفلسفة الشيوعية وعند معتنقي المسيحية لا إرادة له إزاء قوة المادة والاقتصاد من ناحية أو قوة اللاهوت من ناحية أخرى)، وكان بذلك موقن بأن لكلى الطرفين نقص لا بد أن يكمله من عند الآخر، ولم يكن ارتباطه بأحد الطرفين تعصبا فيُغفل نظرة التقييم للواقع الذي ينتمي إليه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن غارودي كان يؤمن بالمسيحية ولكن بخلفية الفهم الماركسي للدين، وهذا ما ذهب إليه في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه(النظرية المادية للمعرفة): "ففي زمن كان فيه الإنسان عاجزا حيال قوى تجابهه وتسيطر عليه، كانت هذه القوى غامضة بالنسبة إليه، وكان يعطيها صفة فائقة للطبيعة، كانت هذه القوى قبل كل شيء قوى الطبيعة، ثم أضيف إليها قوى المجتمع، فالتمثيلات الدينية هي انعكاس خيالي ومشوه لهذه القوى في حياة الناس."[2]. وفي هذا السياق يقول محسن الميلي صاحب دراسة المشكلة الدينية عند غارودي: " والواقع أننا عندما نعود إلى مؤلفاته الأولى، نرى غارودي يتعامل مع الدين بوصفه ظاهرة إنسانية تاريخية في نشأتها وتطورها وانحلالها و زوالها مستبعدا كل وحي إلهي متعالي عن التاريخ. ولم يكن هذا الموقف إلا صدى للتفسير الماركسي للدين لذلك نراه يكتفي بتحليله دون إخضاعه للتحليل النقدي مما يدل على انخراطه فيه دون تحفظ"[3].

---

[1] ــ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص 121- 122.

[2] ــ غارودي، النظرية المادية في المعرفة، تعريب، إبرهيم قرنيط ، دار دمشق، ص455.

[3] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص71.

إلا أن غارودي وبعد أن اكتشف حقيقة السياسة الستالينية الإرهابية في السوفيت وصدرت هذه الرسالة(رسالته حول النظرية المادية للمعرفة التي كان فكر ستالين بارزا فيها)في كتاب أمر بمنع طبعها ثانية، بل اعتبرها أسوأ مُؤلّف في حياته، لتراجعه أو تحفظه على الأقل لما جاء فيها من الأفكار، من ذلك تصوره للدين، وبعد صدمة هذه الحقيقة التي إكتشفها عن ستالين تفطن لإيمان مخدر بداخله لما أصبح يبحث عن البديل، وقد كتب في خاتمة كتابه البديل قائلا: "إنه لانقلاب رهيب في حياة إنسان من الناس أن يكتشف، بعد طول ما جاهر بإلحاده. المسيحي(يتكلم غارودي عن نفسه)الذي يحمله بين جنباته والذي ربما لم يكفّ قط عن حمله بين جنباته، وأن يتحمل مسؤولية هذا الرجاء"[1].

وعاد غارودي إلى التزامه بالمسيحية وها هو أصبح يقول: "لقد تساءلت طوال حياتي عما إذا كنت مسيحيا، وطوال أربعين عاما أجبت بالنفي. وهذا لأن المشكلة كانت تطرح على غير وجهها الصحيح، فكأن الإيمان يتناف وحياة المناضل. وإني لواثق من الآن فصاعداً بأنهما شيء واحد، وبأن رجائي كمناضل لن يكون له أساس بدون هذا الإيمان. وإذا كنت الآن أتردد في الإجابة بالإيجاب فهذا لأسباب أخرى، فمثل هذا الإيمان يبدوا لي قوة تفجيرية هائلة لا يستطيع الإنسان أن يزعم أنه يمتلكها قبل أن يتحقق منها في العمل المثير للأسئلة وللقلق، اللهم إلا إذا كان دعيا مغرورا. وهذا التحقق لن يتاح للمرء إلا في نهاية حياته لا في منتصفها، أي بعد أن يكون قد أنجز نصيبه من الخلق كاملا. ولست أعتقد أن هذا الوعي شخصي، فهذا التساؤل هو على اختلاف أشكاله، تساءل الملايين من البشر في هذه اللحظة من انعطاف التاريخ. إنه علامة من علامات الزمن، لحظة من ثقافتنا ومن أزمة الحضارة .."[2]

ويُعد لقاء غارودي مع كيركغارد محطة لرد الاعتبار لكل معنى إلهي وها هو يقول: "عندما قابلت مصادفة كيركجارد البروتستانتي، أدركت بأن هناك(بعيدا عن منطقنا الضعيف وأخلاقنا التافهة)تضحيات مشابهة لتضحية إبراهيم(عليه السلام) والتي تبدوا في ظاهرها غير عاقلة،

[1] ــ غارودي، البديل، تر: جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، ط2، 1988م، ص230.

[2] ــ المصدر نفسه، ص113.

لأنها انقطعت عن كل المعايير القبلية"[1]. و كان لهذا التحول أثره البالغ على مشروع غارودي بعد ذلك، فقد قال: "لقد قادتني حكمة الحكماء، وفي مقدمتهم(كيركغارد)إلى العقيدة الإبراهيمية التي تبدأ حيث ينتهي التفكير العقلي...فالهدف أو الغاية هي العالم الخالي من البؤس والاضطهاد.. عالم يمكن لكل إنسان فيه أن يُظهر طاقاته الإنسانية الكامنة(على صورة الله)المثلى.. فهذا هو الجانب اللاهوتي"[2].

أما عن ذهاب غارودي إلى الماركسية فذلك لأنه رأى فيها الأسلوب الأمثل لمعالجة المشكلات الإنسانية المستعصية، يأخذ على عاتقه مهمة إصلاح الجماهير وقد جاهر بدعوته قائلا: "المادية الديالكتيكية تتيح لنا استبعاد كل ما يشكل عقبة في طريق البحث، ويجعله عقيما. وهي أداة العمل الذي لا غنى عنها لكل عالم يهتم بأن لا تنضب خصوبة فكره أو بحثه، بسبب أي وهم مسبق، مضاد للعلم"[3]. من هذا المنطلق جمع غارودي بين المسيحية والماركسية، وقد سجل له التاريخ في سنة1964 موقفه من تقرير القائد السوفياتي ايلليتشيف، كأمر مناقض للماركسية، إذ يعلن فيه هذا القائد انه لم يكن في وسع الشيوعية أن تبنى طالما بقيت المسيحية، الأمر الذي كان يرى فيه غاودي أنه يعكس حدود النظرية الماركسية في الاستلاب[4].

المطلب الثاني: غارودي والإسلام.

وبعد مساعي غارودي الجادة للتوفيق بين المسيحية والشيوعية لإيجاد حلول لمشاكل المجتمع الفرنسي أولا والأوربي والعالم كذلك، خابت آمال غارودي في هذه المحاولة عندما اكتشف حقيقة الاشتراكية السوفيتية وأعمال ستالين الدكتاتورية في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، و لم يجد ما كان ينتظره في المجمع الفتكاني الثاني سنة1965م، فعلم أن جذور الإشكال تمتد إلى أكثر من ذلك، الأمر الذي أدى بغارودي إلى مواصلة رحلته الفكرية و اتجه إلى

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص17.

[2] ــ رامي الكلاوي:روجيه غارودي، من الإلحاد الى الإيمان، مرجع سابق، ص190.

[3] ــ محمد عثمان الخشت، روجيه غارودي، لماذا اسلمت.؟، مرجع سابق ،ص32.

[4] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص57.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدراسة والبحث في الحضارات جميعا، وبدأ الرجل بدراسة الأديان وأبدا اهتماما خاصا بالإسلام: "ليجد فيه الإنسان الإيجابي له إرادة خاضعة بطبيعة الحال لإرادة الله تعالى الذي يقول في كتابه الكريم، (سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[الجاثية:13]فيقرر أن الإنسان هو القوة العليا في الأرض، وأن القوى المادية والاقتصادية مسخرة لإرادته، وليس هو المسخر لإرادتها، ومصداق ذلك الإسلام ذاته، فهو لا يسير حسب التطور الحتمي الذي يرسمه مبدأ المادية الجدلية، وحين كان الناس مسلمين في صدر الإسلام لم يشعروا أن التطور الإقتصادي قوة جبرية تخضعهم لها وهي(مستقلة عن إرادتهم)كما يقول كارل ماركس وإنما أحسوا أنهم الذين يصنعون الإقتصاد كما وجههم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله الكريم(صلى الله عليه وسلم)، وهم ينشئون العلاقات الاجتماعية على هدي الإسلام، فيحررون الرقيق بغير موجب اقتصادي يحتم عليهم تحريره، ويحولون دون الإقطاع مع أنه ظل قائما مئات السنين في أوربا في غير العالم الإسلامي"[1]، فألف فيه عدة كتب جعلته يتعرف عليه من الداخل، ووجد فيه كثير من الحقائق التي كان يبحث عنها، وبين نظرة الإقصاء والتهميش للإسلام التي يحيطه الغرب بمجتمعاته من كل جانب ليبعدهم عن هذا الدين، وكشف عن قدرة الإسلام وإمكاناته في حل مشاكل العصر ولم يكن قد أسلم بعد.

وفي الثاني من جويلية 1982أشهر غارودي إسلامه بسويسرا التي كان يزورها لإلقاء بعض المحاضرات الجامعية، وأصبح اسمه، محمد رجاء غارودي . ويذكر غارودي انه كانت له مواقف مع مسلمين كان لها الأثر البالغ في حياته، من ذلك انه لما كان معتقلا(اعتقل غارودي بسبب مواقفه ضد حكومة فيشي الفرنسية إبان الحرب، أين أعتبر مهددا للأمن العام) حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في معسكر بالجلفة بالصحراء الجزائرية، وقع له حادث تعجب له كثيرا، حينما قاد تمردا في معسكر الاعتقال، وأجرى الكوماندور الفرنسي قائد المعسكر محاكمة سريعة، وأصدر حكما بإعدامه رميا بالرصاص، وأمر الجنود الجزائريين بقتله، فرفض هؤلاء تنفيذ حكم إطلاق النار، ولما استفسر عن الرفض علم بأن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق الرصاص على إنسان أعزل، فكانت هذه أول مرة يتعرف فيها غارودي على الإسلام، بل ذهب إلى حد أنه

1 ــ أمينة الصاوي، غارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة ،جدة، ط2، 1985،ص105ــ106.

قال: "وقد علمني (هذا الموقف)أكثر من دراسة عشر سنوات في السربون..."ثم إن غارودي بقي مدة عام في الجزائر بعد إطلاق سراحه، إلتقى بالشيخ البشير الإبراهيمي (رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أنذاك) أين زاره بصحبة عمار اوزيجان (صاحب كتاب الجهاد الأفضل)، وفي مقر الشيخ الإبراهيمي وقف غارودي على صورة الأمير عبد القادر الجزائري(عدو فرنسا) والذي عرفه الشيخ الإبراهيمي على أنه البطل المحارب والعابد الناسك واعتبره غارودي من أعظم أبطال القرن العشرين...ويُعتبر هذا الدرس الثاني الذي يلتقي فيه غارودي بالإسلام[1].

ثم يقول غارودي الباحث عن الحقيقة: "ما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني والشعري بالعمل السياسي العقدي، وقد مكنني الإسلام من بلوغ نقطة التوحيد بينهما، ففي حين أن الأحداث في عالمنا تبدو عمياء متطاحنة وقائمة على النمو الكمي والعنف، يروضنا القرآن الكريم على إعتبار الكون والبشرية وحدة واحدة، يكتسب فيها الدور الذي يسهم به الإنسان معنى، في حين أن نسيان الله يجعل منا عبيدا هامشيين خاضعين لضرورات وصدف خارجية، فإن ذكر الله في الصلاة يكسبنا وعيا بمركزنا وبموردنا الذي هو أصل الوجود..."[2].

وفي سياق آخر يقول غارودي لجريدة تشرين: "وعليه رأيت أن رسالة محمد تُدير حياتنا كما تدير العلاقات الاجتماعية بمجملها. وهذا ما ابحث فيه طيلة نصف قرن. أي أن هذه العقيدة لا يأخذ فيها(الخضوع)معنى(الاستسلام)بل الرد الحر والمسئول. مستبعدة كل قدرية.. كما تنفتح على العقائد السماوية كلها، وترغب في تصفية نقاء وطهارة الرسالة، ضد التحريفات العنصرية لنبوة اليهودية والصهيونية العالمية والتلويث المقصود. فالإنسان خليفة الله على الأرض، والمسئول عن تاريخه وعن البحث عن الهدف الإلهي، وعن تحقيقه.."[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ــ رامي الكلاوي، روجيه غارودي، مرجع سابق، ص130ــ131.

[2] ــ المرجع نفسه، ص135.

[3] ــ رامي الكلاوي، المرجع السابق، ص191ــ192.

وعن سبب إسلامه يقول غارودي: "هي قصة طويلة مرتبطة بحياتي كلها، حيث إن شغلي الشاغل طوال حياتي كان محاولة العثور على معنى للحياة.. ووجدت في الإسلام دين التفتح والعمل والجمال... هو دين التفتح لأنه يختلف عن اليهودية التي انغلقت على مفاهيم التعصب العنصري، وهي الأفكار التي تتبناها اليوم إسرائيل.. فالإسلام منفتح على باقي الحضارات، وهذا ما يجذبني إلى الحضارة الإسلامية، كما أن الإسلام قد بعث الحياة في الثقافات المختلفة... والإسلام دين الجمال كما نراه في الأعمال التي تركها من المساجد العظيمة التي لا يشك أحد في أنها تعبر عن عقيدة واحدة تجدها ذات معمار مختلف تمام الاختلاف، وتُعبر عن ثقافات مختلفة. ولكننا نشعر بأننا في مجال روحاني إسلامي.. أقول ذلك بحكم أنني كنت أقوم بتدريس علم الجمال في الجامعة.(..)لقد وجدت في الإسلام التوافق بين العمل السياسي والإيمان.. وأعتقد أن الإسلام سيكون له مستقبل باهر، كما كان في ماضيه أمام انهيار وإفلاس الغرب الرأسمالي والشيوعية الشمولية.. كما أن الإسلام دين الأخلاقيات والعمل، ولذا فإنني أعتقد أن الإسلام هو الدين الوحيد اليوم القادر على حل مشاكلنا، ولهذا أسلمت بسعادة وحماسة"[1].

المطلب الثالث: غارودي والارتداد.

وهكذا انتشر خبر الرجل، واشتهر اسمه خاصة في الأوساط العربية والإسلامية، فكتبت عليه وسائل الإعلام، واستقبله الرؤساء(جمال عبد الناصر، بن بلة ثم هواري بومدين والقذافي، وكذلك الخميني وغيرهم، وقد يكون هو من شجعهم لبناء نماذج جديدة للاشتراكية، فقد نادى غارودي بذلك في الكثير من المناسبات)، وقد استدعته الهيئات والمؤسسات مدرسا ومحاضرا فلم يدخر جهدا لتلبية تلك الدعوات، وفي ظل تسابق الجميع على هذه الشخصية العالمية، ذهب البعض إلى إقحام الرجل في مواضيع توقّف فيها أهل الاختصاص، فكان المفكر والفيلسوف الغربي يعطي رأيه فهو الذي اعتاد الكلام دون أن تحده القيود أو الطابوهات، فكان يصيب أحيانا ويخطأ في أخرى، وبعد مسار فيه الكثير من العطاءات بدأت أقاويل تحوم حول الرجل بين الارتداد

[1] ـــ محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ج1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995، ص84ــ85.

والكفر، إلا إن المتتبع لمن رموه بهذه التهم كانوا هم السباقين إلى الإعلاء من شأنه (على اعتبار أن الرجل كان يتخلى عن رأيه إذا وجد فيه خطأ).

وفي هذا الإطار يقول الشيخ البوطي في كتابه(شخصيات استوقفتني)والذي يقف فيه مع بعض الشخصيات التي أثير حولها جدل في الأوساط الإسلامية، فكان من بينهم غارودي لمَ شُكِكَ في إسلامه : "غير أني اطلعت، منذ حين، على حوار أجرته معه مجلة (المجلة)، استوقفني فيه آراء وأفكار نسبت إليه، ليس لها أي وجه من الصحة، ولا تتفق مع ما أعرفه من صدق إسلام الرجل، كما لا تتفق مع ما رأيته من سلوكه!...لقد داخلتني الريبة في أن يكون الرجل قد آل أمره فعلا إلى أن ينتكس في فهمه للإسلام وتعامله معه وتطبيقه له إلى هذا الحد!...ثم إن الريبة تحولت فداخلتني من أمر هذا الحوار كله عندما علمت أن روجيه غارودي أعلن أنه لا علم له بكثير مما نسب إليه...ثم إن الريبة ازدادت لدي عندما تبين أن توقيت هذا الحوار جاء متزامنا مع مواقف غارودي المعلنة من الصهيونية العالمية وإسرائيل، والتي أفرزت كتابه (الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية). المهم أن شائعة سرت، بعد موقف غارودي هذا، في أوساط كثيرة، بأنه قد ارتد عن الإسلام!..وقال قائلون إن الرجل تظاهر بالإسلام ليفسده من داخله، وكأن موقفه العدائي المعلن من الصهيونية العالمية، هو الدليل على رغبته في أن يفسد الإسلام من داخله!.. ولقد راجت أخيرا سوق الأحكام الغيبية بالردة. اعتمادا على أي تهمة، أو اعتمادا على أي قال أو قيل، دون أن يكون للإسلام وشرعته أي وجود مهيمن في هذه الأسواق الرائجة. إنني لا أنكر أن تعامل غارودي مع الإسلام، صاحبه كثير من الأخطاء ، ربما في فهمه.. ولكن المسلمين الذين بالغوا في الاهتمام بإسلامه والاحتفاء بفكره الديني، يتحملون مسؤولية كثير من هذه الأخطاء !.. ذلك لأن الرجل ما إن أعلن إسلامه، حتى أخذت كثير من المؤسسات والجهات الإسلامية ينظر إليه على أنه تحول فجأة من منظر ماركسي إلى منظر إسلامي كبير..وللحقيقة أقول: إن غارودي لم يكن ينظر إلى نفسه على هذا الاعتبار..بل لقد كانوا يدعونه معلما ومحاضرا، فيستجيب دارسا ومتعلما.. غير أنه كان مضطراً في الوقت ذاته، إلى أن يتحدث عن أفكاره ووجهات نظره من خلال ما قد يُكلف به من محاضرات ومحاور ونحوها.. ومن جهة أخرى فقد رأت بعض المحاور السياسية المتنافسة في منطقتنا العربية والإسلامية أن الرجل باسمه العالمي وتوجهه الإسلامي الجديد، يمكن أن يكون مبعث كسب سياسي، ومصدر سمعة إعلامية مفيدة لها، لو تم استغلال

توجهه الإسلامي بدقة متناهية .. فكانت النتيجة التي أعقبت خيبة الآمال المصلحية التي كانت منوطة به، أن عاد أصحاب تلك الآمال، فاتخذوا منه موقف المستهين بشأنه، ثم المعادي له، ثم المشكك في إسلامه، وراحوا يتلمسون له الأخطاء والعثرات..وكأنهم يستردون بذلك الثقة التي كانوا قد منحوها إياه!..والذي أجزم به، أنه لا الاهتمام الأول بشأنه كانت نتيجة صدق إسلامه، ولا تهوينهم من شانه بعد ذلك، كان نتيجة شكوك ساورتهم بصدق إسلامه... وإنما هو الانقياد في الحالتين وراء مصالح أطمعتهم به في بادئ الأمر، ثم أيستهم منه فيما بعد.. ثم إن مواقفه المعلنة عن إسرائيل، وكتابه الوثائقي الذي أصدره عنها حرَّك الدوائر الصهيونية في أوربا ضده، وحرك عملائها في العالم العربي والإسلامي لتحطيم سمعته، ولبعث أسباب الريبة في إسلامه"[1].

ولما تكلم غارودي عن التزمت(يهوديا كان أو مسيحيا أو إسلاميا)، ومثل للفسق السياسي ببعض الأنظمة العربية، وكشف عن عدم وقوفها مع ثلاثية التي وجدها في الإسلام وهي أن: الملك لله وحده أولاً(ففي هذه الدول وجد البذخ واستعباد البنغاليين والفلبينيين)وأن الأمر لله وحده ثانيا(فقد وجد في هذه الدول الملكية المطلقة هي التي تخلق القوانين والدساتير)وأن العلم لله وحده ثالثاً(فقد وجد هذه الدول تفرض عقائد دغماتية من بعض شيوخهم). وتكلم غارودي عن سياسة دول عربية أخرى واعتبرها عميلة لأمريكا(كالتي خُفضت لها الديون مقابل دخول الحرب ضد العراق)، فلما كان هذا موقفه منهم، قال، أنه لهذا السبب وجهوا انتقاداتهم إليه[2].

وفي المقابل نجد عادل التل في كتابه(فكر جارودي بين المادية والإسلام) يذكر مفاهيم غارودي في العقائد الإسلامية ويبين وجه مخالفتها للكتاب والسنة، إلا أنه لا يذهب إلى حكم محدد تجاه إسلام غارودي، وهو يؤكد على بطلان منهج غارودي(المنهج المادي التاريخي)وعدم صلاحيته لدراسة القضايا الإسلامية، فهو ينتقد مفهومه للإيمان الذي يجعله مماثل للنظرية السياسية التي هي مهمة لا بد من إنجازها(ص45)[3]، إلا أن غارودي الذي يتبنى فلسفة الفعل التي تدعو

[1] ــ محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات إستوقفتني ،دار الفكر،2001،ص214ــ217.

[2] ــ غارودي، هذه وصيتي للقرن21،إعداد، شاكر نوري،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2007،ص40.

[3] ــ عادل التل، فكر جارودي بين المادية والاسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م، ص45.

للعمل والخلق والإبداع، لا يرضى بالتوقف عند الإقرار بالقلب بل يرى ضرورة تحقق الإنسان بالإيمان، فيربط الإقرار القلبي بعمل الجوارح، وهو يعتبر هذا الأمر مهمة لا بد من إنجازها.

أما عن مسئولية الإنسان وعلاقته بربه والطبيعة، فيرى عادل التل أن غارودي متأثر في تفسيرها بالموروث الروماني اليوناني ورواسب المعتقدات اليهودية والمسيحية، أين تجلى في التفكير الغربي لمعنى الإله الغائب والإنسان الحاضر، وكيف أصبح الإنسان وريث الإله المتعب، وأصبح هو الحاكم في الأرض(ص47ــ48)، إلا أن غارودي يرى في حقيقة الأمر وخاصة بعد إسلامه أن الإله متعالٍ ومحايث، وهو متأثر في هذه العلاقات برأي المتصوفة وهو ما يقر به عادل التل.

وعن اليوم الآخر والبعث والحساب يقف عادل التل على مخالفة غارودي للتصور الإسلامي الذي لا خلاف فيه، وقد فصلت فيه الآيات والأحاديث الشريفة(ص49ــ50 من كتاب عادل التل)، ويأتي هذا الفهم عند غارودي لهذه المسائل وغيرها لمغالاته في اعتبار الرمزية في الوحي الإلهي، وقد فاق في ذلك حتى المتصوفة فانه يذهب إلى القول بأن البعث ممكن كل يوم، وأنه ليس بظاهرة كيماوية يُنشر فيها البشر (لحما ودما)، وأن اعتبار الحساب يعقِب هذه الحياة يخالف كون الإله خارج مفهومنا للزمان وتعاقب القبلي والبعدي. فالحساب عند غارودي ليس إلا الحياة بصفاء مع الله في كل آن[1]

إلا أن هذا الغموض حول حقيقة إسلام غارودي له ما يبرره في أقواله فهو من قال: "دخلت الإسلام وبإحدى يدي الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس، ولست مستعداً للتخلي عن أي منهما"[2].

ويقول: "عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي، ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً أو مبتدعاً"[3] .

---

[1] ــ أنظر مقدمة غارودي لكتاب المشكلة الدينية ، مرجع سابق، ص7.

[2] ــ محسن الميلي، مرجع سابق، ص279.

[3] ــ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص200.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويقول أيضاً: "أنا جئت للإسلام بعد مسيرة طويلة تنقلت فيها بين الفلسفة المحضة والمسيحية والماركسية، وانتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية؛ **لأن انتقالي إلى الإسلام لا يعتبر انقطاعاً من ماضٍ؛ بل هو تواصل لذلك** الماضي الطويل الذي **عشت فيه** تجارب كثيرة، والدين الذي **أنا عليه اليوم هو توفيق بين الإسلام وما سبقه من ديانات...** وكوني أصبحت مسلماً **فهذا لا يعني أني تخليت عن اعتقاداتي الدينية** والفلسفية **السابقة.** لذلك فأنا عندما أنشأت **متحف قرطبة للحضارة الإسلامية قبل** ست سنوات في إسبانيا؛ **قمت في هذه** المناسبة **بعقد مؤتمر** ديني **إبراهيمي، أسندت رئاسته بالتساوي إلى ثلاث** شخصيات **إسلامية ومسيحية** ويهودية"[1].

وفي **سؤال** عن الازدواجية التي يمارسها **غارودي عند إيمانه بأديان** متباينة، وفلسفات **متناقضة، وكيف يمكننا** أن نفهم غارودي المسيحي، **وغارودي** الماركسي، وغارودي المسلم؟ **أجاب: "لقد قادتني** حكمة الحكماء، **وفي مقدمتهم** "كيركغارد" **إلى العقيدة** الإبراهيمية... وعليه **فإنني لا أرى تناقضاً في اختياري هذا،** أي في الازدواجية، **بل على العكس** إني أرى تكاملاً بين **الغايات والوسائل... إن إيماني** بالإسلام هو إنجاز وليس انشقاقاً، **في الوقت الذي لا أنكر فيه المسيح ولا ماركس..** أنا سعيدٌ الآن وأنا في السبعين من عمري لأنني بقيت مخلصاً لأفكاري"[2].

ويقر **غارودي** بإيمان واحد شامل لجميع الأديان والمعتقدات، هذا الإيمان يستطيع من **خلال ثقافات مختلفة: "إنجاب ديانات متعددة، وإن هذا التعدد هو غني؛ لأنه يتيح لنا فرصة تعميق إيماننا وإدراك تميزه، يتيح لنا فرصة التخلص من وهمنا القائم على اعتبار** ديانتنا الديانة الحقيقية **الوحيدة لأننا نجهل الديانات الأخرى" ويقول أيضاً:** "ليس الأمر تسامحاً... بل إنه إحترام **التجارب المختلفة عن تجاربنا احترام الوجود الذي يتجاوزنا"** [3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ــ مجلة المجلة، العدد (839) ، شوال 1416ه.

[2] ــ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص188ــ193.

[3] ــ غارودي، حفارو القبور، تر: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م، ص159،160.

ويلزم من إحترام التجارب المختلفة عند غارودي: "عدم الطلب إلى المسيحي بأن يصبح بوذياً، أو إلى المسلم بأن يصبح مسيحياً بل مساعدة البوذي على أن يصبح بوذياً أفضل. والمسيحي مسيحياً أفضل، والمسلم مسلماً أفضل. الأفضل يعني، القادر على تعميق إيمانه وإدراكه لله"[1].

يقول غارودي: "لقد حان الوقت للقول بوضوح، إن المرء يكون هندوسياً أو بوذياً، أو يهودياً، أو مسيحياً، أو مسلماً، ليس بما يعتقد، وإنما بما يفعل وانطلاقاً من هنا، أن نقدر ما تقدمه كل عقيدة دينية لتأنيس الإنسان"، ثم يستشهد على ذلك بقوله تعالى: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ" [المائدة، 48].

ومن خلال كل ما سبق يتجلى الغموض في إسلام غارودي، وزاد على ذلك أنه من دعاة العقيدة الإبراهيمية. فما هي حقيقة هذه العقيدة؟

المطلب الرابع: العقيدة الإبراهيمية (أو وحدة الأديان).

تعد هذه الفكرة من الأفكار المعقدة التي يصعب فهم غارودي فيها، هذه الأخيرة التي أخذها عن كيركغارد، وقد تكلم عنها غارودي كثيرا حتى إنه لما سئل مرة عن اتهامه بالارتداد عن الإسلام أجاب مندهشا: "لا أدري أي ارتداد في حالتي، إنني في هذا العمر، بقيت مخلصا لأحلامي عندما كنت في العشرين، يعني ذلك ربط الإيمان الإبراهيمي(اليهودي، المسيحي، الإسلامي)بالفعل السياسي، وفي أحسن تحليلاته هو التحليل الماركسي.."[2]. فنلمس من هذا الكلام أن غارودي لا يعبأ كثيرا لاتهامه بالارتداد، هذه التهمة التي تعد ثقيلة وثقيلة للغاية على المسلم، فهل يكون ذلك لتعود غارودي على هذه التهمة وهو الذي تميز بالتحولات الجذرية في حياته ؟ وربما لأنه لا يخشى عواقبها لأنه لا يعيش في ديار الإسلام. وينتقل غارودي بعدها مباشرة لربط هذا الإيمان بأحلامه ومشروعه الداعي إلى الوحدة الإنسانية، وإيجاد حل لأزمة الحضارة،

1 ـــ غارودي، نداء إلى الأحياء، مصدر سابق، ص220

2 ـــ غارودي، هذه وصيتي ، مصدر سابق، ص32.

فربط الفعل السياسي بالإيمان و رأى أن منهجية العمل الناجعة، لا نجدها إلا في تحليلات ماركس. فماذا يقصد غارودي بالإيمان الإبراهيمي؟.

ولما سُئل غارودي عما إذا كان تطور الإنسان في الغرب قد يؤدي إلى تدهور الحضارة الغربية ما جعله ينتسب إلى للحضارة العربية الإسلامية؟، أجاب: "إنه ليس نسبا ولا انتسابا إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدوا هذا متناقضا أو مبتدعا.."[1]. وهذا يحاول غارودي تجاوز الأسماء إلى المسميات، والمعلوم أن الرجل دخل الإسلام من باب التصوف، وحُبه لابن عربي معروف، هذا الأخير الذي عُرف بتجاوز كل المسميات والمفاهيم والحدود إلى المعاني والحقائق، ويقف غارودي مع أبياته الشعرية الشهيرة، في كتابه نداء إلى الأحياء ص222:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي *** إذا لم يكن ديني إلى دينه دان

فأصبح قلبي قابل كل صورة *** فمرعى لغزلان وبيت لأوثان

ودير لرهبان وأستار كعبة *** وأوراق توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت *** ركائبه فالحب ديني وإيماني.

وفي كتابه هذا يقف مع مقولات وشعر كبار متصوفة الإسلام(كالجنيد ورابعة العدوية) ويسرد كلام للرومي(الشاعر الصوفي الفارسي العظيم في القرن13)لا يختلف فحواه عما قاله غارودي سابقا: "لست مسيحيا ولا يهوديا ولا فارسيا مجوسيا ولا مسلما. لست لا من الشرق ولا من الغرب. مكاني هو إنني من دون مكان. واثري هو ما ليس له أثر ... لقد أبعدت الثنائية و رأيت أن العالمين لا يشكلان إلا عالما واحدا. أبحث عن الأحد أعرف الأحد أرى الأحد أتضرع إلى الأحد، هو المبدأ، وهو النهاية ، هو الخارج وهو الداخل"[2].

---

[1] ـــ رامي كلاوي، مرجع سابق، ص200.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص222.

هذه الفكرة نفسها يطرحها غارودي في كثير من كتبه وبنفس المنطلق وها هو يقول في كتابه(وعود الإسلام): "وبعد وفاة النبي بقرن واحد، بدا أن هذا الهدف الكبير آيل إلى تحقيق جماعة عالمية موحدة بعقيدة واحدة، تستوعب عقيدة وثقافة الجميع، سواء كانت عقيدة السلسلة الإبراهيمية، من عظام الأنبياء موسى ويسوع ومحمد، أو حكم الهندوس وبوذا والمزديين...إن هذا الانفتاح على العالم وهذا الرجوع إلى ينابيع كل الديانات التي كان كل منها مرحلة من الملحمة الإنسانية، ومن خلق الله المستمر للإنسان الذي يحيا فيه، جعلا من الإسلام أكبر قوة للتكامل الروحي."[1]

وقد وجد غارودي أن هذا الفهم هو الذي يخدم مشروعه. وهذا الإيمان(الإيمان الإبراهيمي)يرى غارودي بأن الحقيقة الموجودة في المسيحية كما هي موجودة في الإسلام، ولذلك يقول: "...كانت المسيحية ثورة كبرى في الفكرة التي يكونها الإنسان عن الله، الذي كان يصور فيما قبل فقط كملك وكحاكم قدير قاس... فالسيد المسيح وهو أسيوي مشرقي يعطي لأول مرة فكرة التسامي الديني ملازمة لفكرة التجرد والحرمان...إلا انه لم تمض ثلاثة قرون على موت المسيح، حتى قام الإمبراطور قسطنطين في مجمع نيسبيه (مجمع نيقيا325م).. بتحديد مفاهيم الديانة المسيحية الجديدة، وإعطائها معاني جديدة...لقد تحولت الثورة الكبرى التي جاءت بها المسيحية الأولى تماما إلى نقيضها في مجمع نيسبيه، وتحولت عبارة السيد المسيح الثورية((دع لقيصر ما لقيصر وأعط الله ما لله))إلى عبارة محافظة في خدمة الإمبراطور أي أصبحت تعني عدم التدخل في أمور السلطة التي تستطيع أن تفعل ما تريد كما أصبحت تعني أن الإيمان قضية ذاتية داخلية وهذا ما قاومته طوال حياتي، ففي عام 1933عندما أصبحت في ذات الوقت مسيحيا وعضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي كان ذلك يعني أنني التزم بكوني مسيحيا بالسنة الإبراهيمية العريقة التي تعطي حياتي معانيها وغاياتها، وألتزم بكوني ماركسيا بالجانب الأخر من المسألة أي بالمنهج العملي التاريخي الذي يعطيني وسائل وإمكانيات تحقيق غاياتي الحياتية وهذا يبدو لي أساسي في الماركسية..[2] .

[1] ـــ غارودي، وعود الإسلام، الدار العالمية، ص178.

[2] ـــ رامي كلاوي، المرجع السابق ،ص200ـــ 202.

وبهذا فقد كان غارودي مسيحيا يختلف عن أولئك الذين تصنعهم الكنيسة، فنجده في موقع آخر يقول: "إن المسيحية ليست هي العالم المسيحي، لأن العالم المسيحي ليس إلا المسيحية وقد عبرت عن نفسها في بني الإمبراطورية الرومانية، متكيفة مع النظام الإقطاعي..."[1]. بهذا الفهم خاض غارودي غِمار التجربة الماركسية، بحثا عن منهج العمل وفلسفة الخلق، فأخذ ولمدة طويلة يعمل علي الإمساك بطرفي السلسلة، للتأليف بين ماركس وكيركجارد. إلا أنه فشل في نهاية المطاف في جعل نافذة الحوار بين المسيحيين والشيوعيين تسهم في تحرير الإنسان وإنقاذ الحضارة. وتفطن أخيرا إلى أن قضية الإنسان المعاصر عالمية ولا بد لها من حل عالمي، فلما فتح حوارا بين الحضارات اكتشف أن في الإسلام التأليف الفعلي بين ماركس وكيركجارد، وجد فيه بعدي التعالي والجماعة، بل إن مفهوم التعالي في الإسلام أجلى منه في المسيحية، كما أن الرابطة الجماعية التي أقامها الإسلام لا يمكن اختزالها في النمط الاشتراكي نتيجة ارتباطها الجوهري بالتوحيد والتعالي وهي عناصر مفقودة من الفلسفة الماركسية.[2].

فإذا عدنا إلى فهم غارودي للإسلام نجده يقول: "ليس الإسلام ديانة جديدة ولدت مع تبشير النبي محمد بها، وليس للمسلمين اله خاص بهم وحدهم. إن كلمة(الله)هي الترجمة الحرفية لكلمة تعني الإله الواحد. المسيحي العربي يقول في صلاته وطقوسه(الرب)لكي يبتهل إلى الله كلمة(الإسلام)تعني الخضوع الإرادي الحر لله وحده، ويحتل ذلك قاسما مشتركا بين جميع الأديان المُنزلة، اليهودية، والمسيحية، والإسلام...إن الله أرسل محمد ليؤكد الرسالات السابقة عليه وليتممها ويطهرها من التشويهات التي لحقت بها عبر التاريخ.. إن إبراهيم بخضوعه غير المشروط لإرادة الله، وبعيدا عن أخلاقياتنا الصغيرة ومنطقنا الضيق، هو أب جميع المؤمنين ومرشدهم المثالي. ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ الحج/78...إن الرسالة الأساسية والكونية للإسلام تقوم كغيره من ديانات العالم السماوية والحكمية على مبدئين أساسيين(سمو الله ووحدانيته ــ وحدة جميع البشر)"[3].

---

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص249.

[2] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق ،ص276ــ 277.

[3] ــ غارودي، الإسلام الحي، تر: دلال بواب ضاهر ومحمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، ط1، 1995م، ص15ــ17.

ولتأكيد هذا المعنى يعود غارودي إلى ابن عربي ثانية، وينسب إليه القول بأن الديانات الإبراهيمية الثلاث (اليهودية، المسيحية والإسلام)ليست سوى دين واحد، تأتي رسالة محمد تتويجا لها، وهذا بعد أن يذكر أن ابن عربي يقول بأن كل نبي من الأنبياء أضاف شيئا إلى الصورة البشرية، وأنه بشر بجزء من الرسالة السماوية، فإبراهيم(أبو المؤمنين)كما يدعوه القرآن، حطم الأصنام وأقام التوحيد، وموسى أعطى معنى شموليا للشريعة، ويوسف أعطى العلاقة بين الجمال الذي يتبدى في كائنات فانية وبين المطلق(الله)الذي تدل عليه، وعيسى هو(خاتم القداسة)، أما محمد فهو خاتم الأنبياء بُعث مخلّصا ومتمما الرسالة النبوية لكي تطبق في جميع مجالات الحياة[1].

وهكذا نجد الرجل يبحث عن القواسم المشتركة بين الأديان بل وحتى الحِكم الدينية. ولو أدي به الأمر إلى تصحيفها، فهو ذو نزعة تلفيقية ترمي إلى جمع مصطنع بين أشتات من أفكار أو دعاوى غير متلائمة لتكوين مذهب واحد. وقد دعا غارودي للوحدة بين الأديان ذاتها المنبعثة من مشكاة واحدة(الأديان الكتابية)، تحت مسمى الدين الإبراهيمي، وفي ظل الماركسية التي يؤمن بها. والهدف من الدعوة إلى الإبراهيمية هو بيان أن الإسلام هو صورة مطورة عن اليهودية والنصرانية بما تحويانه من تحريف وكفر وعقائد باطلة، على حد تعبير غارودي، وإثبات أن: "الإسلام اليوم لن يستطيع أن يستأنف مسيرته إلا إذا وسع كل حكمة وكل عقيدة يمكن أن يتضمنها ويضمها إليه"[2]. ومع ذلك فهو لا يستثني حتى الأديان الوضعية كالهندوسية والبوذية من دعوته لوحدة الأديان، ولهذا نجده يقول في كتابه الإسلام: "وإذ أرسل الله أنبيائه إلى الشعوب كلها، كما يقول القرآن الكريم، ليحملوا الرسالة نفسها في لغة كل شعب ووفق مستواه وفهمه. فثمة بالتأكيد آثار لهذه الرسالة، على سبيل المثال، في النصوص الكبرى المقدسة بالهند، في الفيدا والأوبانيشاد، وباغافادا جيتا. ويبدوا الآن في الشعر العظيم ل(الأناشيد الفيدية)معنى الوحدة العميقة للحياة، ووحدة الإنسان، والطبيعة، والإلهي، ولو أن هذا المعنى مختلط بصياغات شرك خاصة بكل شعوب العصور القديمة...وتكشف(الأبانيشاد)للإنسان وهم الاعتقاد بأنه لا يحتاج إلى عون وانه الواقع النهائي، فليس لحياته معنى ولا واقع إلا بمشاركته في الواحد، تعلّم(سفيتا سفاتارا

[1] ــ غارودي، الإسلام في الغرب، تر: محمد مهدي الصدر، دار الهادي، ط2، 2001م، ص171.

[2] ــ سعد عبد المقصود ظلام، لا لجارودي ووثيقة أشبيلية، ص 24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأبانيشاد) أن، (الله أحد، خفي في كل الموجودات، الشاهد، الداعم، المطلق دون شكل ولا عون)(5،6)."[1].

وعن هذا الإيمان الكوني الذي يتكلم عنه غارودي في كتابه(كيف نصنع المستقبل؟)ويذهب إلى أنه يوجد في أجمل التقاليد الإبراهيمية منذ(حي بن يقظان)لابن الطفيل(1100ــ1185)إلى(رسالة في اللاهوت والسياسة)لسبنوزا (1632ــ1677)، (شهادة إيمان الأسقف السافويباردي)لجان جاك روسو(1712ــ1771)، ويقول أن النبع مشترك لكل إيمان (للمسلم واليهودي والمسيحي) وأنه قابل للتواصل، فالله لا يقارن بأي معرفة إنسانية تزعم تحديده، أو تحبسه في ثقافة معينة[2].

وغارودي يأمل في تعايش في فلسطين- بين- يهود ونصارى ومسلمين، دون أن يكون أحدهم تابعاً للآخر، في وحدة التقليد الإبراهيمي المشترك[3]. ويتم هذا الأمل بالتلاقي الأخوي بين الأديان الكبرى الإبراهيمية في فلسطين لجميع قبائل الأرض كما جاء في سفر التكوين[4].

ويؤكد غارودي عدم استقلالية دين من الأديان الكتابية بالتشريع دون الآخر، بــل لا بد من الأخذ بها جميعاً، وأن يُفسر الحديث منها في ضوء القديم، يقول غارودي: "التشريعات تتباين في التوراة والإنجيل والقرآن؛ بينما يشدد الله على تواصل رسالته، ينصح بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القرآن، وبالتالي يوصي بالعودة إلى التوراة والأناجيل"[5]، وسبب ذلك أن

[1] ــ غارودي، الإسلام، تر: وجيه أسعد، دار عطية، ط1، 1996م، ص91ــ 92.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، تر: منى طلبة وأنور مغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م، ص282،283،284،285.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، تر: قصي أتاسين وميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، 1991م، ص604. وينظر، الإسلام في الغرب، لروجيه غارودي، مصدر سابق، ص 239-246.

[4] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص 628.

[5] ــ روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تر: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، ط1،1992م، ص82.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشريعة: "مشتركة بين الديانات، في حين أن الفقه يختلف بين ديانة وأخرى"[1]. ويرى غارودي أن الشريعة الإسلامية ليست صالحة لكل زمان ومكان، حتى لو كانت صادرة من وحي سماوي فيقول: "نحن لا نسعى أبداً لأمثلة إنجازات كل المجتمعات الإسلامية التاريخية، بل نفكر بأن الادعاء باستخلاص تشريع صالح لكل الأزمنة، من نص موحى به، يصدر عن تمامية ضارة"[2]. والتمامية هي كل ما لا يقبل التطور ظناً أنها وصلت إلى التمام ويقول كذلك: "إن اعتبار القرآن كتاباً يتضمن تشريعاً صالحاً لجميع الشعوب وجميع الأزمنة، هو بالتأكيد تأويل ضيق ومميت لمستقبل الإسلام"، ويقول كذلك: "سيكون من المحال أيضاً الادعاءُ باستنباط قوانين سياسية عالمية أبدية مباشرة من القرآن"[3].

بهذا التصور يعتقد غارودي أنه سيصل إلى حل لمشكلات الإنسان المعاصر، ينطلق فيه بالدعوة إلى ديانة المحبة التي تتجاوز الاختلافات المذهبية والصراعات السياسية والاجتماعية. ذهب بعدها إلى اعتماد طريقة القراءة المادية التاريخية للمسيحية، واستقى من إيمانه لحظة الحب ولكنه تجاوز بها نطاقها الفردي ليجعلها لحظة ضرورية لكل عمل ثوري إذ لا ثورة في نظره بدون حب، واستقى من الماركسية فكرة الثورة ومنهجية المبادرة التاريخية للجماهير واستبعد مفهومها الفقير للتعالي وطعمها بعناصر إيمانية دينية، ثم تبنى هذا الموقف الصوفي من الحياة ولكنه استبعد الشعوذة والرهبنة والزهد، ومن ثمّ عمد إلى إظهار عوامل الوحدة بين المذاهب والأديان وإلى ذكر مواطن الاختلاف في مرتبة ثانوية.

وعلى هذا الأساس الأخير الذي يعتمده غارودي جاء نقد عادل التل، صاحب كتاب(فكر غارودي بين المادية والإسلام) فيقول: "ينظر غارودي إلى وجود قواسم مشتركة بين دين الإسلام ومختلف الديانات الأخرى، سواء أكانت ذات أصل سماوي أم هي تواضع من فئة من البشر، ويعد الديانات الشرقية المنتشرة في الهند والصين قد تأثرت بالديانات المنزلة وإن لم يكن لها وحي خاص بها، لذلك فهو لا يركز على وحدة العقيدة بالقدر الذي يهتم بوحدة الإنسانية

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر: صياح الجهيّم، دار الفارابي، بيروت، ط3، 2001م، ص 41.

[2] ـــ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 44.

[3] ـــ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص 100.

ووحدة معاني الحياة والكون، ويركز على مبدأ الحرية ومسؤولية الإنسان وقدرته على تحرير العالم وتغيير الواقع الاجتماعي... يمكننا أن نستخلص من كل ما ذكرنا من نصوص، موقف غارودي من الانتماء إلى دين واحد، والاعتماد على مصدر واحد والتلقي منه، فهو يرفض هذا بصراحة تامة، ويدعوا إلى مواجهة هذه المواقف من خلال جبهة من مختلف البشر، مهما كانت هويتهم ومهما كانت دياناتهم، لعمل جبهة واحدة لمقاومة هذا الاتجاه!. وعلى هذا النحو سبق للماسونية أن ظهرت، ومن خلال هذه الأساليب الدعائية انتشرت في العالم الإسلامي، تحت غطاء الدعوة إلى مبادئ الحرية والمساواة والايخاء بين البشر دون النظر إلى الانتماء إلى دين واحد، ثم العمل على توحيد الأديان وأزالت الفوارق بينها، ودمجها في دين واحد!.. هل هي محاولة أخرى، وجولة جديدة للماسونية في العالم الإسلامي بعد أن كشفت أوراقها، وفضحت خططها، وظهرت أسماء الشخصيات الكبيرة التي كانت تساندها؟[1].

ورغم ما قد يكون من مبررات لهذا النقد كون غارودي يستعمل أسلوب المداهنة مع الأديان والمذاهب الدينية، أين نجده يقر بما فيها من تحريف واضح أو فساد صارخ، الشيء الذي جعل عادل التل لا يستسيغ أن يدعو غارودي للاستفادة مما تحتويه من حقائق، وهذا مما لا يمكن إنكاره عليه إذ الأصل أن الأديان السماوية جاءت وحياً من عند الله تعالى ورغم ما وقع فيها من تحريف فإنه يبقى فيها ما هو وحي، كما أن المذاهب الدينية وإن كانت وضعية، ولو قلنا بعدم تأثرها بالوحي، فإنه فيها ما هو أخلاق وقيم ومعاني مستمدة من عمق التجربة الإنسانية الطويلة. ثم انه رغم أن غارودي يؤيد الزعيم الهندي غاندي لما طالب كل مؤمن بالتمسك بدينه، حين قال: "إذا جاءني مسيحي وقال لي بأنه تحمس عند قراءة (بغافاد جيتا) وأنه يريد أن يعتنق الهندوسية، أجبت:إن التوراة تستطيع أن تمدك تماما بما يمدك به(بغافاد جيتا). ولكنك لم تحاول أن تكتشف ذلك حقا. قم بهذا الجهد وكن مسيحيا حقا"، ذالكم(كما يقول غارودي) روح حوار الحضارات[2]. فإن الرجل لا يدعوا صراحة إلى رفض الانتماء إلى دين واحد كما أنه لم يلتزم

---

[1] ــ عادل التل، فكر غارودي بين المادية والإسلام ، مرجع سابق، ص105،108.

[2] ــ محمد عثمان الخشت، روجيه جارودي لماذا أسلمت؟، مرجع سابق ،ص80.

في ذاته بنصيحة غاندي فقد بدل دينه ودخل الإسلام وهو يدعو إليه ضمنيا من خلال الإشادة بما فيه وإن سجلت معه بعض الآراء الشاذة التي يؤاخذ عليها.

وفي نقد آخر يوجهه محمد عثمان الخشت في دراسته حول غارودي، قال فيه: "يرى غارودي أن ابن عربي قد عبر عن الأمل الإنساني في إقامة مجتمع إنساني عالمي يلفه إيمان واحد ويحتوي عقائد كل الشعوب وثقافتها من ملة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد إلى حكم تعاليم الهند والبوذية والمزدكية...ويعلق غارودي قائلا: "فإن هذا الانفتاح الشامل في الإسلام على كافة الديانات التي ليست كلها إلا(لحظات من العطاء)في الملحمة الإنسانية وعملية خلق مستمر ينجزه الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه، إن هذه الميزة في الإسلام جعلت منه أكبر قوة روحية قادرة على الاستيعاب والاحتواء). من الواضح من هذا النص أن غارودي يذهب إلى القول بوحدة الأديان، إذ يرى في الإسلام انفتاحا شاملا على كافة الديانات، التي ليست في نظره إلا لحظات من العطاء في الملحمة الإنسانية وعملية خلق مستمر ينجزه الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه. ولا شك أن القول بوحدة الأديان خطأ ضخم لا مبرر له، ذلك أن الديانات المختلفة يناقض بعضها بعضا، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو فاسد، بل يوجد في الدين الواحد عناصر سلبية هدامة وعناصر إيجابية بناءة، فكيف بعد هذا يتأتى لغارودي أن يذهب إلى ما ذهب إليه؟ وكيف له أن يَنسى(أو يتناسى)قوله تعالى:(أن الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)، وقوله تعالى:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)."[1]

ولإبطال هذه العقيدة يقول الدكتور مصطفى حلمي بعد أن يذكر منجزات غارودي لإنجاح فكرته هذه(المتحف الإسلامي في إسبانيا، وتنظيمه لندوة أبناء إبراهيم وغيرها): "إن الرغبة المخلصة عند غارودي لا تكفي للإقناع بالانطواء تحت عقيدة (الإبراهيمية) أو إجراء(حوار بين الأديان). وذلك في ظل التعاون الشديد والفارق الشاسع بين مكانة الكنيسة الكاثوليكية أو نفوذ الصهيونية في عالم اليوم. والقضية تحتاج إلى شرح وبيان، فنعرض أولا لمخالفة الفكرة لعقيدة التوحيد الإسلامية ثم نلقي بالضوء على الواقع السياسي والديني في عالم اليوم[2]:

1 ــ المرجع نفسه، ص116ــ 117.

2 ــ مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1996م، ص45ــ47.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدليل الأول: نقض فكرة الإبراهيمية لمخالفتها لعقيدة التوحيد الإسلامية، وربما أتت الشبهة من اعتقاده إنهم جميعا ينتمون إلى إبراهيم عليه السلام. وقد فات غارودي معرفة الآيات القرآنية وهي قاطعة الدلالة، لا تحتمل أي تأويل ...قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[آل عمران، 19]وقد أتى القرطبي بقول أبي بكر الأنباري تفسير الرسول(صلى الله عليه وسلم) لهذه الآية أنه كان يقرأ(إن الدين عند الله الحنفية لا اليهودية ولا المسيحية ولا المجوسية)....

الدليل الثاني: من الواقع العملي أي السلوك الديني والسياسي والتاريخي، فكيف يعود غارودي فيوحد بين هذا الخليط من العقائد؟! في عالم اليوم. لا نظن بأن غارودي بلغت به السذاجة حدا يجعله يقتنع بأن مجرد إنشاء متحف بهذا الشكل سيؤدي تلقائيا إلى إزالة الخلافات والعوائق المترتبة طوال القرون، المقترنة بأعمال القتل والإبادة للمسلمين، ونكتفي بذكر أبشعها ما حدث باسبانيا تاريخيا وما حدث ويحدث في العصر الحالي بالبوسنة وفلسطين والأقليات الإسلامية في دول العالم (المتحضر)... ".

ورغم أن غارودي فعَّل فكرته هذه بعد إن اعتنق الإسلام وأراد أن يعرض ما فيه من حلول لمشاكل الإنسانية على أنها حلول مستمدة من رسالة الأديان جميعا لضمان القبول لها، فإنه انطلاقا من هذه الفكرة(البعيدة عن الواقع)يكون غارودي قد حكم على نفسه بأنه ومن خلال موقفه من الدين يمكن عدُّه من بين أولئك الذين وصفوا في التاريخ بالهرطقة، اعتبارا لفهمه المخالف للمألوف والبعيد عن تصور الجمهور للإيمان، وأنه لم ينسجم مع أي من التجمعات التي انتمى إليها لأنه ظل يعتقد أن(المثل الأعلى أحق من الواقع)، وأن له الحق في الطموح والأمل في مستقبل ذي وجه إنساني.

ومن خلال هذا التحليل يتبين أن غارودي ذهب إلى هذه الفكرة(الإبراهيمية)لأنه رأى فيها الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه حوار مثمر يسمح بصناعة مستقبل ذو وجه إنساني، معتبر أن هذه العقيدة هي دعوة إبراهيم إلى توحيد الإله، والاستسلام والخضوع له، والانقياد للقيم والأخلاق التي دعا لها الأنبياء والمرسلين جميعهم.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فإذا كانت هذه رؤية غارودي في التأسيس لحوار الحضارات، فما هو المسار الفكري الذي سلكه، وتبناه، وصاغ من خلاله هذا المشروع المتميز؟.

المبحث الثالث: الحياة الفكرية.

إن فهم الحياة الفكرية لكل مفكر أو فيلسوف تتطلب الإطلاع على الواقع الفكري المحيط به، وبذلك يمكن استنباط مصادر فكره، ومشروعه الفكري ومن ثم مواقفه وآرائه، ومساره العلمي، وقد كان غارودي من بين أبرز المفكرين الفرنسيين الذين ذاع صيتهم في فرنسا بدايةً بما عالجه من قضاياها الداخلية وبرز في أوربا والعالم لما تطرق إلى القضايا العلمية الساخنة، وقد تميزت أطروحاته وتحليلاته عن غيرها، فما الواقع الفكري الذي ترعرع فيه غارودي؟.

المطلب الأول: تيارات الفكر الأوربي المعاصر.

تميزت الساحة الفكرية الأوربية بالتعدد والتنوع، فبعد تحرر أوربا من قيود الكنيسة والكاثوليكية مع بدايات النهضة وما كان لفلاسفة الأنوار من دور، تمايزت الكثير من التيارات الفكرية والفلسفات التي كان لها أثر على مجريات الأحداث الأوربية، ومن بين هذه التيارات التي عرفتها فرنسا وعبرت عن احتياجاتها ومتطلباتها الفكرية نجد:

أولا: الماركسية.

تعد الماركسية أهم التيارات الفكرية التي اكتسحت أوربا والعالم أجمع خلال القرن العشرين بعد أن تأسست في القرن 19م، مع كارل ماركس وأنجلز، أين وُضِعت المناهج والقواعد والأفكار، التي تنظم نضال الطبقة العمالية(البروليتاريا)، لتحقيق المجتمع الشيوعي على أساس اشتراكية علمية (تتميز من الناحية الإقتصادية بتقرير مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وإلغاء الطبقات والربح الفردي والاستغلال، ومن الناحية السياسية بدكتاتورية الطبقة الكادحة (البروليتاريا)، وإلغاء التفرقة العنصرية، ومن الناحية الثقافية بتحرير المرأة واتساع وسائل التعليم والثقافة عن طريق تخطيط الدولة)[1].

[1] ـــ محمد عثمان الخشت، روجيه غارودي لماذا أسلمت؟، مرجع سابق، ص120.

وقد بُنيت الماركسية على فلسفة فيخته، والتي وإن وردت في الصيغة المثالية والماورائية. فإنها تُعتبر المصدر لمبادئ الأفكار الفلسفية الثلاث التي يتوجب على الماركسيين فصلها عبر تطوير توجهات ماركس وهي: نظرية الحرية، نظرية الذاتية، نظرية التطبيق والممارسة العملية، وهذا ما يؤكده بيروتينوا حينما يشير، إلى أن الدرب الذي انتهجه ماركس يشكل التجاوز الوحيد الحقيقي لهيغل، ووفق المنهج الديالكتيكي الذي وصفه هيغل، والذي اجتاز بالمعرفة مرحلة حاسمة، ونقلها من الحدس المحسوس إلى التصور. وأما ماركس فبعد أن تلقى تراث هذه الديالكتيك الفني، بيّن أن التصور ليس أعلى درجة في المعرفة، فالممارسة تتجاوزه بكثير. وليس التطبيق كما يفهمه ماركس نقيضا للتصور، فهو يدمجه فيه إلى جانب كل المعرفة الحسية، وكل المعرفة العقلانية، بوصفه أحد مراحله. ثم يقول بيروتينوا: "وتبقى الضرورة قائمة بالنسبة لكل فيلسوف ماركسي، ضرورة إبراز(النواة العقلانية)في فكر فخته، وإعادة النظر في هذا التأمل الخلاق حول عمل الإنسان المبدع. ودمج (اللحظة) أو المرحلة الدقيقة، في الفكر الماركسي، ودمجها فيه لا للتوقف عندها، بل لعدم البقاء دونها، ولعدم بتر بُعد الذاتانية من هذا الفكر.."[1]

جاء لينين بعد ذلك وحقق حلم ماركس، بإجبار العلاقات الاجتماعية المتحجرة على الدخول في اللعبة بعد أن عزف لها نغمتها الديالكتيكية الخاصة..هذه هي الميزة الأساسية لفلسفة لينين، التي تتسم بها سياسته النضالية، إذ لا يمكن إطلاق ديالكتيكية التاريخ الإنساني الصرفة(تلك التي تتضح بالقطيعة الثورية مع قوة الجمود لأوليات رأس المال)، إلا بإطلاق الديالكتيكية بين الفكر العلمي، والمبادرة العفوية الآتية من القواعد. إن اللحظة الذاتية في النشاط الثوري هي لحظة النظرية ، ولحظة مبادرة الجماهير اللتان لا يمكن الفصل بينهما. فالتشديد على مبادرة الجماهير وحدها يترك الشيوعية في حكم العفوية، والتأكيد على التطور النظري المجرد وحده يردها إلى مفهوم التأمل الذي يَعتبر التاريخ مدونا بصورة مُسبقة، ويعتبر الناس دمى تحركها البُنى المختلفة[2].

وهذا حاول لينين وستالين من بعده وضع الطرق لتحقيق المجتمع الاشتراكي، أين يتم الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية، وهذا ما حدث في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية

[1] ــ سيرج بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص129ــ137.

[2] ــ المرجع نفسه، ص142ــ143.

أين أصبحت مكتفية بذاتها بعد أن كانت تعيش المجاعة وتسودها الفوضى سنة 1919.هذا الحدث الذي دفع ستالين أن يعلن من خلال دستور1936م أن الإتحاد السوفيتي قد حقق الاشتراكية(وهي أدنى أشكال الشيوعية)، وأن فيه الديمقراطية الوحيدة في العالم، وبهذا حول ستالين الديالكتيكية من منهج بحث واكتشاف، إلى أداة تبرير سياسي[1]، .. وقد تحولت في الواقع إلى دكتاتورية الحزب، وبالتالي إلى دكتاتورية رئيسه، إلى مفهوم للحزب لا علاقة له بالجماهير، مفهوم يجمد الديالكتيكية الحية بين المبادرة الآتية من الأسفل، وإعدادها العلمي لصالح المفهوم الآلي المميت للمؤثرات وسير نقل الحركة[2].

وقد وقف الكثير من المفكرين الماركسيين والمؤرخين لحركة التفكير الماركسي على هذا الانحراف، نجد من بينهم روجيه غارودي ففي كتابه (تذكر الإتحاد السوفيتي) الذي علل فيه أسباب سقوط الإتحاد السوفيتي وفشل الاشتراكية فيه، أين أرجعها إلى انحراف الماركسيين(وعلى رأسهم لينين وستالين) وقال: "والحق أن أفكار ماركس قلما تشبه ما نسميه (الماركسية) وعلى وجه العموم، فكل ألوان التحريف الواردة لدى ورثة ماركس المزيفين انطلقت من فهم خاطئ لتعريف الاشتراكية العلمية. لقد فهموا صفة (العلمية) على أنها بمعنى (الوضعية) التي تزعم الوصول إلى حقيقة نهائية، وذلك بإرجاع المعرفة الخاصة بالإنسان وتاريخه وإبداعاته إلى معرفة(الأحداث) و(القوانين) وبناء الأخلاق والسياسة على هذه المعرفة...ولم يكن ماركس يحاول قط بناء نظام اشتراكي على طريقة الطوباويين، فهو يقول: "أنا لا أوزع وعدا بإنشاء المطاعم الرخيصة في المستقبل"، بل إنه يحلل فقط بنى التنمية وقوانينها في المجتمع الرأسمالي الأكثر تطورا في أيامه، إنه مجتمع إنكلترا...إن المخطط الثوري الذي تصوره ماركس منطلقا من مثال الثورة الفرنسية قد قلبه لينين رأسا على عقب، فبدلا من أن تحاول طبقة اقتصادية مهيمنة أن توجد الانسجام بينها وبين المؤسسات السياسية والاجتماعية لأنها متفوقة في واقع الحال... يرى لينين(على نقيض ذلك)أن ننطلق من ظروف تاريخية مواتية لاستلام السلطة السياسية بقيادة الحزب من أجل خلق الشروط الإقتصادية للاشتراكية بفضل هذه السلطة...وأما الفكر فقد نظر إليه كما تنظر إليه الفلسفة

[1] ـــ تاريخ أوربا في القرنيين 19و20، مرجع سابق، ص310ـــ314.

[2] ـــ سيرج بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص141.

الوضعية على أنه انعكاس لواقع منجز ومحدد في (إنجيل ستالين) الفلسفي القائل: إن هناك ثلاثة مبادئ للمادية، وأربعة قوانين للجدلية، وخمس مراحل للتاريخ البشري...إن تصدير الماركسية على أنها لاهوت بلا إله مع النظر إلى النظام السوفيتي على أنه النموذج الوحيد الثابت للاشتراكية قد قاد الأحزاب الشيوعية في أوربا والعالم الثالث إلى إخفاق شامل... إن هذا الخلل قد حول ماركسية ماركس إلى نقيضها، فمنهجية المبادرة التاريخية التي سمحت لماركس أن يحلل تناقضات المجتمعات في عصره وأن يقترح مشروعا قادرا على تجاوزها، قد تراجعت إلى نظام ثابت جامد يقوم على تكرار صيغ جاهزة.."[1].

ويقول غارودي في كتابه(البديل): "وقد أُستغلت انحرافات الماركسية الفلسفية كتبرير وأساس لانحرافاتها السياسية، فإذا لم يكن هناك غير واقع معطى وغير انعكاس صحيح لهذا الواقع، فإن إنسانا بعينه أو جماعة من الناس ستؤمن على هذه الحقيقة الواحدة والمطلقة وستتمتع بالتالي بسلطان لا محدود لأنها هي التي تحمل إلى الشعب تلك الحقيقة(من الخارج). وبذلك يكون قد وحد الأساس(النظري)لحزب أوحد ولدولة مستبدة"[2].

وبهذا التأويل تحولت الماركسية إلى إيديولوجية حزبية مغلقة وتيولوجيا ملحدة، اختزلت في نظرية محافظة وجامدة (أمبيريقية)للمعرفة تَقصِر عملية المعرفة على لحظة الانعكاس أو في فلسفة جبرية تختصر التاريخ في مخطط حتمي مرسوم يتألف من مراحل خمس يمكن حفظها وتلقينها(مشاعرية بدائية، رق، إقطاع، رأسمالية، اشتراكية فشيوعية)، وبهذا التأويل تكون الماركسية قد استبدلت عناية إلهية أو عقلا مطلقا بعناية أخرى متعالية تجعل التاريخ يسير حتما وضرورة في اتجاه لا يحيد عنه وهو المجتمع الشيوعي أي إنها دين مغلق[3].

1 ــ غارودي، تذكر الإتحاد السوفيتي، بين الأمس وما صار إليه..، تر: قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، 1995م، ص109،110،114،119،120.

2 ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص106.

3 ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص159.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهكذا برز نجم الماركسية في فرنسا والعالم، إلا أن هذا الفشل والتراجع فتح المجال لبروز تيارات أخرى على الساحة الأوربية والفرنسية خاصة، كان أهمها الوجودية والبنيوية.

ثانيا: الوجودية.

منذ أن أعلن نتشه (أن الله قد مات)، وأعلن ماركس(أن الدين أفيون الشعوب)، وأصبحت المسيحية تنظيم وطقوس كنسية، اكتسح العالم الغربي تيار وجودي. فظهر كمذهب فلسفي له أتباع روجوا كثيرا لمفهوم السخط الوجودي من خلال أدب قصصي ومسرحي ظهر بعناوين مختلفة وغريبة مثل، الغثيان، المومس الفاضلة، الذباب، الغريب.

ونتيجة لهذا الانحراف والتحريف للمفهوم الوجودي، فالوجودية كفلسفة تنطلق من النظرة الموضوعية إلى الوجود الشخصي وسؤالها الملح هو ما معنى وجودي؟، نتيجة ذلك أُختلف في أمرها، وصنفت إلى فريقين(الوجودية الحرة والوجودية المقيدة)[1] :

1ـــ فمنهم من قال عنها، إنها العبث والإباحية والسخافة، وأطلق عليها الوجودية الحرة(أو الوجودية الملحدة، أو الوجودية الكئيبة)، وقصدوا بهم الفريق الذي يتزعمه الفيلسوف الفرنسي(جان بول سارتر)، صاحب النص الأول(تعالي الأنا)الذي كتبه بالمعهد الفرنسي في برلين سنة1934و(الوجود والعدم)سنة1943، و(الوجودية إنسانية)1946ويقول في كتابه هذا: "الإنسان هو خالق لنفسه لأنه وحده المتصور لها، ذلك هو المبدأ الأساسي للوجودية "ويقول كذلك، "أن تكون إنسانا هذا معناه أن تطمح إلى أن تكون إلها"[2]، وله كتاب(نقد العقل الجدلي)1960 الذي كان نقد وجودي للعقل الماركسي. ويضم إلى هذا الفريق(موريس مولوــ بونتي)الذي كتب (فنومينولوجيا اللإدراك، بنية السلوك، امتداح الفلسفة، المرئي واللامرئي، مغامرات العقل الجدلي)، ونجد كذلك الكاتبة(سيمون دي بوفورا)كتبت عن نشأة تاريخ الوجودية في روايتها(المثقفون المسيطرون) ولها كتاب (الشيخوخة)[3].

[1] ــ محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية، فلسفة الوهم الإنساني، المكتبة العصرية، القاهرة،1984،ص48ــ52.

[2] ــ ينظر/ كتاب الوجودية إنسانية، لسارتر:ص45،653.

[3] ــ فاروق عثمان أباظة، الفكر الفرنسي المعاصر، مرجع سابق، ص36،40،53،59،60.

2ـ ومنهم من قال عنها أنها حركة دينية على غاية من التعقيد، وأطلق عليها الوجودية المقيدة أو(الوجودية المؤمنة، أو الوجودية المشرقة التي يمثلها المتصوفة)، نذكر من بين هؤلاء موريس بلونديل[1] صاحب كتاب(العمل) الذي تكلم فيه عن فلسفة جدلية للعمل تستهدف عنده غاية تسمو عنا، إنها الله. ونجد كذلك كيركغارد صاحب كتاب(خوف ورعدة) الذي يعتبر أبو الوجودية، وهو يعتبر أن العلاقة بين الجوهر والوجود هي علاقة ديالكتيكية. فالوجود بالنسبة إليه لا يشكل المواجهة، المنعزلة اليائسة في الذاتانية، والتجاوز، بل العمل الخلاق الحر.فالوجود هو العمل، هو الخلق، هو الإبداع.[2]

وهكذا أدت الوجودية إلى افتتان شعبي، وما ذلك إلا لأنها أتاحت إمكانية جديدة للتفكير في قضايا الاختيار والمسؤولية الفردية ، ولكن من حيث كونها نظرية ذات، تبقى الوجودية داخل حيز الفلسفة الديكارتية(العقلانية). فقد مالت بسكولوجيا الوجودية إلى تصوير الفرد كفاعل عقلاني واعي قادر على فهم دوافع وأسس أفعاله، كما بقيت الوجودية راسخة بشكل واضح في فلسفة الاستقلالية الفردية والاختيار العقلاني[3].

وإلى هذه النتيجة وصل بيروتينو، الذي أكد على تشديد الوجودية على الذاتية وقلق الاختيار الإنساني. وقد حقق لها هذا التأكيد الضروري إزاء الإدعاءات الشمولية للفاشية، وإزاء انحراف الاشتراكية البيروقراطية، نجاحا تجاوز النخبة المهتمة بشؤون الفلسفة. إلا أنه سرعان ما كشفت الوجودية عن عجزها النظري عن توفير أساس للعلوم الإنسانية، وعجزها العملي عن بناء سياسة فعالة حين طلب منها البناء[4].

غارودي كذلك يعلن عن فشل الوجودية لما علق على مقولة كيركغارد(ليس الأمر أمر اختيار تقوم به الإرادة بين الخير والشر بقدر ما هو اختيار للإرادة نفسها) فأعلن غارودي:

---

[1] ـ موريس بلونديل، يترجم له في مطلب مصادر الفكر غارودي.

[2] ـ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص131،134.

[3] ـ مادان ساروب، دليل تمهيدي الي ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة. تر:خميسي بوغرارة،دار البعث، قسنطينة،ص12.

[4] ـ بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص35.

"إن هذه الصيغة تعبر تعبيرا دقيقا عن استغلال الوجودية. وذلك لأن اللحظة الهامة في حياة الإنسان، لحظة حريته، لا تمثل عندهم لحظة مليئة بالفعل والإقبال عليه بل تدل على العكس من ذلك، على افتقار وغياب وثقب في قلب الوجود. وبهذا يصبح (العدم) الشخصية الرئيسية في المأساة الوجودية، لأن الوجود الواقعي للإنسان عندهم ليس إلا وجودا غائبا...."[1].

وإذ يعتبر غارودي أن الوجودية ليست فلسفة ولكنها موقف تجاه الفلسفة، موقف لا يعتبر الفلسفة صورة للحياة بل خميرة للحياة[2]، فإنه ينتقد معالجة الوجودية للمشكلة الذاتية لأنها مشوبة بنقيصتين أساسيتين[3]:

1ـــ لأنها نظرة لا زمنية خارجة عن التاريخ، فهي إذن ميتافيزيقية تأملية.

2ـــ لأنها تدعونا إلى استشعار الحرية والمسئولية دون أن تحدد لنا الغايات التي توجه هذه الحرية والمسئولية.

وعندما ذكر غارودي الحرية في الإسلام قدم لذلك بالوقوف على واقع الحرية في أوربا تلك الأيام فقال:".. في مواجهة هذه المرحلة(الاحتلال الهتلري)حيث الرفض للنظام التوتاليتاري ناتج عن متطلبات مقاومة الاحتلال الأجنبي، كانت بداية تركيزا على الفرد وعلى الذات في مقابل البنى، ثم انتهى النموذج الوجودي وبدأت سيطرة البنيوية"[4].

ثالثا: البنيوية.

يذكر الدكتور زكريا إبراهيم صاحب كتاب(مشكلة البنية)، أن البنيوية هي مشروع علمي أراد به أصحابه أن يطبق على معارفنا بالإنسان، فالقول بالبنيوية هي أولا إبستومولوجيا(نظرية معرفة) لا إيديولوجيا(موقف عقائدي)، فهي إذا مجرد محاولة علمية منهجية

1 ـــ غارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة، يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1983م، ص78.

2 ـــ غارودي، ماركسية القرن العشرين، تر: نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت،ط5،1983م، ص119ـــ120.

3 ـــ المصدر نفسه، ص123.

4 ـــ غارودي:الإسلام الحي، مصدر سابق، ص129.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لدراسة الظواهر عموما، والظواهر البشرية خصوصا، من وجهة نظر البنية سواء أكانت هذه البنية هي(النموذج) أو البناء الصوري أم كانت مجموعة العلاقات الباطنية المكونة لِوحدة أي موضوع من موضوعات العلم، سواء أكانت البنية أداة فعالة ناجحة في هذا العلم أو ذاك أم كانت مجرد وسيلة معرفية أكثر معقولية أشد ملائمة لمقتضى الحال بالقياس إلى غيرها من الوسائل الأخرى السابقة أو الحالية[1].

ويذهب مادان ساروب صاحب كتاب(دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة) إلى أن البنيوية هي محاولة استخراج البِنيات العامة للنشاط البشري، وأنها وجدت أسسها في الألسنية، هذه الأخيرة التي تقوم بأربع عمليات رئيسية، أولها الإقلاع عن دراسة الظواهر اللغوية الشعورية وتعتمد دراسة بنياتها القاعدية اللاشعورية، ثانيا أنها لا تدرس الكلمات ككيانات مستقلة بل على العكس ترى أن أساس التحليل يكمن في العلاقات بين الكلمات، ثالثا أنها تستعمل مفهوم النظام، وأخيرا أنها تهدف إلى اكتشاف القوانين العامة. ثم يصف مادان ساروب بنيوية ليفي ستروس بأنها بحث عن البنيات الثابتة أو القوانين الشكلية الكونية التي تعكس طبيعة التفكير البشري، وبهذا تبلور منهاج اللغويات البنيوية(الذي اعتمده جاك لاكان لإعادة بناء نتاج فرويد واستطاع حل رموزه وفق النظرية العلمية)[2]، وبهذا أتاحت اللسانيات والأنتربولوجيا البنيوية للفيلسوف لاكان إعادة التفكير في فرويد في أطر أوسع، وهي السبل التي اعتمدها لاكان في نظرية التحليل النفسي والتي لاقت اهتماما مذهلا في الأوساط الأوربية وما زاد في انتشارها جمعه بين الظواهرية(التي تؤكد على الذات الفاعل الحر)، والبنيوية(التي تؤكد الحتمية اللغوية)[3].

وقد تمكن التحليل البنيوي للعلاقات الإنسانية التي جعلت موضوع، عبر التحليل البنيوي اللغوي أولا لهذه العلاقات، وبعد تعميمه بفضل ليفي ستراوس على كافة العلوم الإنسانية، تمكن من تقديم نتيجة مؤثرة، حين منح العلوم الإنسانية وصفا لا يقل بقدرته التفسيرية

[1] ـــ مصطفى حلمي، إسلام غارودي، بين الحقيقة والإفتراء، مرجع سابق، ص33.

[2] ـــ بيوتينو، غارودي، مرجع سابق، ص145.

[3] ـــ مادان ساروب، دليل تمهيدي، مرجع سابق، ص12،13،15،58،59.

وفعاليته العملية عن العلوم الطبيعية. وكان هناك ميل كبير إلى القول بأن البنية تشمل غالبية ما هو معرف وتنكر أي واقع غيره،وخصوصا وجود الفرد ذاته[1].

وقد ألف غارودي كتابه (البنيوية فلسفة موت الإنسان)ومما جاء فيه: "وارتسمت في **الأفق معالم** حركة معاكسة (للوجودية). **كانت الكلمة السحرية حتى ذلك الحين**(الذاتية)، **فصارت مذ ذاك**(البنية)... والمسألة **ليست مسألة درجة فحسب، بل مسألة مطلب عميق** تولد **عن خيبة عميقة** وتجربة حياتية. أما الخيبة **فنجمت عن فشل فلسفات الوجود في** تقديم أساس **العلوم الإنسانية.** فالتعليل بالذات وحدها دون سواها، **كان يعفي من** طلب الموضوعية في **العلاقات الإنسانية.** بينما راح التحليل البنائي لعلاقات إنسانية متموضعة في اللسنية مثلا، يكشف **عن علاقات خصوبة** ويدل على إمكانية تأسيس (علوم إنسانية)حقيقية"[2].

ويقول غارودي كذلك: "إن تراجع (ما هو آخذ) في الحدوث لصالح (ما قد حدث **من قبل)و(لما هو جاهز) يقود** إلى هذه البنيوية التي تُبعد الإنسان لحساب الأشياء والتي يؤدي **منطقها إلى(موت الإنسان)**الذي ليس سوى نتيجة طبيعية لموت الله، **على** حين أن الله هو صلاة **ومن خصائص الإنسان الاستجابة لصلاة الله**"[3].

وقد رفض المفكر العربي علي حرب مقولة غارودي أن البنيوية هي فلسفة موت **الإنسان، وبدأ في** البرهنة على ذلك من اهتمام غارودي بالمعنى واللامعنى، **فهو** يرى أن المعنى هو **لأمْ مستمر لما لا معنى له، وهذا المعنى ليست البنيوية (فلسفة موت الإنسان)،** بل ذهب علي **حرب إلى أن من يُحسن القراءة يرى أن البنيوية بمختلف صياغاتها هي** تعبير عن محنة المعنى وأزمته، **وإنما فضح لأنقاض الواقع بقدر ما هي تعرية لنقائض العقل والمنطق.**[4]

[1] ــ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص36.

[2] ــ غارودي، البنيوية، ص14-15،نقلا عن الحقيقة الدينية، رسالة ماجستير لذهبية كباهم، ص20.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص250.

[4] ــ علي حرب، الاستلاب والارتداد، الإسلام بين روجيه غارودي ونصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1، 1997، ص66ــ67.

وقد أشار محسن الميلي إلى أن غارودي يرى أن البنيوية كانت إلى حد ما ردة فعل ضد الوجودية التي تطرفت في التركيز على الذاتية والفردية. فإذا كانت الوجودية تمثل مدا للذاتية فإن البنيوية كانت جزرا، وأكد على انتقاد غارودي للقراءة البنيوية للماركسية التي جعلت الفيلسوف ألتوسير يقول: "منذ ماركس أصبحنا نعلم أن الإنسان لم يعد محرك التاريخ... الفاعل الحقيقي هو علاقات الإنتاج". وبهذا يكون ألتوسير قد أقصى كل بعد ذاتي من الفعل التاريخي. والذاتية شرط لكل نزعة إنسانية. لذلك وصف غارودي قراءة ألتوسير باللاانسانية، وأبدى استغرابه إزاءها فقال: "إن المرء ليتساءل كيف لهذه الدمية (الإنسان)التي تحركها على خشبة المسرح علاقات الإنتاج، أن تصبح فعلا مناضلا وثوريا"[1].

ولأن البنيوية تنطوي على منظور فكري خاص يحمل في طياته انقلابا فلسفيا حقيقيا. لأنه يجعل من الذات مجرد حامل ترتكز عليه البنية أو البيانات، كما انه من شأنه أن يُحيل التاريخ إلى مجرد تعاقب اعتباطي لبعض الصور أو الأشكال، أو كما يقول الفيلسوف فوكوه: " إن ما قد وجد قبلنا وإن ما يدعمنا في المكان والزمان إنْ هو إلا النسق أو النظام"، لهذا يذهب الباحث الدكتور إبراهيم زكريا إلى أن في تضاعيف هذا الاتجاه الفلسفي إنكار لقدرة البشر على صُنع تاريخهم الخاص، ورفضا لكل نزعة إنسانية، ولذلك قيل أن البنيوية هي إعلان موت الإنسان[2].

المطلب الثاني: مصادر فكر غارودي.

إن المتفحص لمؤلفات غارودي المتنوعة والغزيرة ومشروعة الحضاري المنفتح والقائم على الحوار، يلاحظ أن مصادر هذا الفكر متعددة ومتنوعة كذلك، فقد أخذ عن رجال العلم والدين والفلسفة والفن، وقد كان لوقائع الحياة الأثر البالغ في مساره الفكري كما رأينا فيما سبق من المطالب، بل كان لأحداث التاريخ المتعاقبة إسهاما في صياغة شخصيته، وسنختصر وقفتنا في هذا المطلب على المصادر التي ظل تأثيرها متواصلا وعميقا في فكره.

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص159ـــ160.

[2] ـــ مصطفى حلمي، إسلام غارودي، بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص33.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1ـ سورين كيركغارد (1813ـ 1855):

يقول غارودي في كتابه (جوليتي وحيدا في هذا القرن) إن كتاب (خوف ورعدة) لكيركغارد هو أول كتاب قرأه وتفاعل معه بكل كيانه[1]. ولا أدل على هذا التفاعل من القصة التي ضل يكررها في كثير من كتبه وحواراته، وهي قصة طاعة إبراهيم لربه وامتثاله لأمره يوم أُمر بذبح ابنه، وراح غارودي ينادي بالإبراهيمية التي قال أنه أخذها عن كيركغارد، وكان لها أثرها في رؤيته للدين وللإنسان، ومنها ذهب إلى البروتستانتية ومن ثمّ تميزت منهجيته في العمل داخل الحزب الشيوعي وقد دخل إلى الإسلام بهذه الفكرة(الإبراهيمية) بعد أن بدأ حوار للحضارات والذي دخله من أبوابه الواسعة وبدون تحفظات.

وسورين كيركغارد فيلسوف دنمركي، ولد في كوبنهاغن(1813-1855م)، وينتمي إلى الفلسفة الوجودية بل هو المؤسس الفعلي لها. ويرى أن حقيقة الوجود تعرف عن طريق التجارب الذاتية للأفراد، هذه التجارب التي تستمد قوتها من وجود الإنسان الذي يسبق ماهيته[2].

وما ميز كيركغارد عن غيره من أصحاب الوجودية المشرقة كونه من الفلاسفة القلائل الذين عاشوا فكرهم، فقد كانت حياته مجاهدة نفسية وفكرية متواصلة ليجد حقيقة نفسه أي الحقيقة التي من أجلها يحيا ويموت. وهو يصر على أن هذه الحقيقة ذاتية، ولا يمكن أن تكون إلا كذلك. وهذا ما جعله يعيش حياته كلها في جزع ميتافيزيقي دائم وضجر على الوجود كله بوصفه وجودا ناقصا متناهيا بينما غاية الإنسان في رأيه بلوغ اللامتناهي أو التوق إليه. هذه المعاني جعلت غارودي يقول في كتابه(ببليوغرافيا القرن20): "لقد ولّد فيّ كيركغارد الإحساس بمحدودية تصوراتنا الأخلاقية والمنطقية وبالتعالي الالهي الذي يجعل من العلم والملكية والسلطة أمورا نسبية... لقد كان الإسلام الإبراهيمي لله قاعدةً لحياتي الشخصية وضابطا لها". وقد ولد هذا التأمل الكيركغاردي الحيرة عند غارودي، وجعله يتساءل عن طبيعة الإيمان وهل هو من قبيل

---

[1] ـ غارودي، جوليتي وحيدا في هذا القرن، نقلا عن المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص40.

[2] ـ ينظر/ الموسوعة الفلسفية، ص 387. ومعجم الفلاسفة، ص 560.

الأفكار العقلية الخاضعة للدليل المنطقي أم من قبيل المصادرة أو المسلمة التي تفرض التسليم الأولي والمبدئي دون برهان مسبق، كل هذا بعث فيه الحيرة والتساؤل دون أن يمده باليقين، وهذا ما جعله لا يتوقف عن البحث والتفكير والتفلسف[1].

ويؤكد غارودي على معنى مهم عاشه مع كيركغارد فقال: "(كيركغارد)بذكره المؤثر لتضحية إبراهيم، أبو الإيمان في كتاب(فزع وارتجاف)يجعلنا نشاطره قلق المواجهة بين الذاتية والتعالي، وهو قلق يحتل مركزا أساسيا في كل مؤلفاته، ويستنتج فكرة المسلمة التي هي ميزة كل معتقد، بعيدا عن كل منطق وكل خُلق. فعمق الإيمان يُقاس بمدى الشك الذي يسكنه والذي يتخطاه ليتصرف بِرهان دائم"[2].

والملاحظ في فكر غارودي الحضور الدائم لقلق المواجهة بين الذاتية والتعالي من ناحية وكذلك خاصية الشك التي جعلته ينظر وينتقد كل ما يصل إليه فكره، بل أن هذا الشك ذاته هو الذي جعله يصل في نهاية المطاف إلى الإسلام.

2ـــ موريس بلونديل(1861ـــ1949م):

في كتاب(كيف نصنع المستقبل؟) يقول غارودي بعد أن يشير إلى خيانة الفلسفة لرسالتها في الغرب(شرقه وغربه)، فهو يرى أن الفلسفة بالمعنى الصحيح هي التفكير في الغايات وفي معنى الحياة، والمشاركة في الفعل لتحقيق هذه الغايات وهذا المعنى، يقول أنه مع ذلك فقد شهد القرن العشرين بداية فلسفة الفعل أولا مع الكاثوليكي(الفرنسي)موريس بلونديل في بحثه الذي قدمه عام 1893والذي يحمل عنوانا دالا(الفعل، محاولة لنقد الحياة والعلم التطبيقي)أين طرح سؤالا أساسيا، ما الذي يجب أن نبتغيه لنصير أكثر إنسانية؟ ثم قال غارودي: "ويتمثل منهج بلونديل في بيان أنه ما من طموح أو مشروع جزئي يستطيع أن يرضي مقتضياتنا الأساسية"[3].

---

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص40.39.

[2] ـــ غارودي:الإسلام الحي، مرجع سابق، ص75.

[3] ـــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص232.

هذه النتيجة التي وصل إليها بلونديل(والذي هو أستاذ لغارودي بالجامعة)، عمل بها غارودي لتحليل أزمة الحضارة الغربية، ومن ثمّ تأسيس مشروعه البديل والذي استغرق حياته من يوم أن بحث عن معنى لحياته في المسيحية، بعد أن كان ملحدا إلى أن فتح أبواب الحوار على مصراعيه، ومع جميع الحضارات بكل ما فيها ودون استثناء.

وقد بلور بلونديل منهجه هذا في أطروحة دكتوراه حول(العمل) لخص فيها تصوره الفكري ومواقفه الفلسفية التي نجملها في النقاط التالية[1]:

ـــ نقطة البدء في الفلسفة هي العمل لا التفكير النظري المجرد. وبهذا انتقل من صيغة(أنا أفكر إذن أنا موجود) إلى صيغة (أنا أفعل إذن أنا موجود).

ـــ العمل عند بلونديل يشمل كل حياتنا وتفكيرنا وارداتنا، ولأن الإنسان يطلب الكمال في كل أعماله وأهدافه، هذا يعني أنه يريد اللامتناهي، ولأن الإنسان لا يكتفي بترتيب الأشياء وتنظيم الموجودات ولا يقتصر على صنع الوسائل والتحكم فيها، بل يسعى إلى إضفاء لمساته الذاتية وإضافة إبداعاته في كل عمل، لهذا رأى بلويندل أن العمل يتضمن إضافة وتجاوز، واستخرج له أبعاد أخلاقية ودينية، دون الاكتفاء بالذاتية والنفعية التي قالت بها الفلسفة البرغماتية التي تحاول فهم الطبيعة للسيطرة على ما فيها من وسائل تحقق المنفعة.

ـــ ولأن العمل الغائي في نظر بلونديل متجه نحو اللامتناهي، فإنه أكد كثيرا على معنى التعالي، حتى تصبح الغاية الأخيرة للعمل هي الله، والإله في رأي بلونديل محايث(immanent) لذات الإنسان أي إنه حاضر متأصل فيه على شكل رغبة تحرك أفعاله وتوجه أعماله، وهو في الوقت ذاته متعال(transcendant) لأنه غاية أفعاله وأعماله، فالعمل هو إذن حركة تقودنا إلى الإله الحاضر فينا، ونحن نتوق إلى الإله من خلال عملنا.

وهكذا فإن هذه الأسس الثلاث(النظرة الشمولية، فلسفة الفعل، الإله محايث ومتعال)حاضرة بقوة في فكر روجيه غارودي، لا ينفك عن الانطلاق منها في كل مؤلفاته، وأثرها واضح في مساره عموما.

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص37ـــ39.

3ـ كارل ماركس(1818ـ1883):

منذ أن وقف غارودي على افتقار المسيحية لإيجاد حلول لما تعانيه الإنسانية من مشاكل، واتجه على غرار ذلك إلى الماركسية لأنه وجد فيها منهجية العمل والسبل الكفيلة بتجاوز الصراعات وإيجاد حل لها. كما قال: "رأينا كيف يمكن لماركسية ماركس أن تساعدنا في إعداد منهجية لمبادرة تاريخية، أي فن وعلم تحليل تناقضات مجتمع وعصر معينين، وبلورة مشروع قادر على تذليل هذه التناقضات انطلاقا من هذا التحليل"[1]، منذ هذا الاختيار وغارودي يؤكد على نجاعة هذه المنهجية، بل يعود إلى ماركس حتى بعد أن قال غارودي بانحراف الاشتراكية(خاصة النموذج السوفيتي)، ويذهب غارودي إلى أن الخطأ ليس في منهجية ماركس ولكن الخطأ في تفسيرات الماركسيين وتطبيقاتهم لها. ولذلك قال غارودي أن الإفلاس المؤقت لِأمل المُبعدين الكبير(البروليتاريا مع الاشتراكية)كان بسبب من خانوا فكر ماركس، و لم يفهموا أن أي ثورة حقيقية تحتاج إلى ما فوق الوجود المادي أكثر من حاجتها إلي الجبرية التي يسميها من أفقروا ماركسية ماركس (المادية الجدلية)[2].

وقد انضم غارودي للحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1933بعد أن قرأ المجموعة الكاملة لمؤلفات ماركس وهو في العشرين من عمره، فأعجب بها وتأثر بما فيها. فقد وجد أن فلسفة ماركس قد اهتمت بدراسة النظام الاجتماعي وتحليل الأوضاع الإقتصادية والسياسية وقدمت تفسيرا ماديا جدليا للطبيعة والتاريخ واقترحت حلولا علمية لتجاوز أشكال الاستغلال والاغتراب(alienation)، وتتمثل هذه الحلول في القيام بثورة اشتراكية والقضاء على المِلكية الخاصة لوسائل الإنتاج تمهيدا للنظام الشيوعي الذي سيحقق في نظرها إنسانية الإنسان أو الكمال الإنساني، كما تميزت هذه الفلسفة بنقدها الجذري للدين واعتباره (أفيون الشعوب) وعلامة من علامات النقص في الميدانين العملي والمعرفي. إلا أن غارودي بيَّن أن اعتبار الدين أفيون للشعوب يأتي حين تقول ببعض المفاهيم القاصرة التي يعطيها البعض للدين[3].

[1] ــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص 111.

[2] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص19.

[3] ــ غارودي، ماركسية القرن 20، مصدر سابق، ص148.

وأثر ماركس في فكر غارودي جلي في استدلاله به في أغلب كتاباته، وما ذلك إلا لأنه يوافقه في فلسفة الفعل. فغارودي وبعد أن ذكر قول ماركس في إحدى أطروحاته عن فيورباخ: "لقد اقتصر الفلاسفة حتى الآن على تأويل العالم بطرق مختلفة بينما ينبغي تغييره"، قال معلقا: "إن هذا القول وجه كل أفكاري"[1]، ولذلك يؤكد غارودي في مواقع كثيرة على أنه لم يتخل عن كتاب رأس المال لماركس، حتى بعد إسلامه.

4ــ يُضاف إلى هذه المصادر الثلاثة الرئيسية مصادر ثانوية كان لها أثرها في فكر غارودي، فقد تعلم دروسا من الفنانين المبدعين الذين التقى بهم وتفاعل معهم، نذكر منهم: فرنند ليجى(fernand leger)، بيكاسو(picasso)، لويس أراغون (louis aragon)، بابيو نوريدا(pabio neruda)،بول إلوارد(paul eluard)، حتى أنه قرر سنة 1962تدريس علم الجمال(الاستيطيقا) بدل الفلسفة وتاريخها، رغبةً منه في اكتشاف ما يمتاز به العمل الفني(بوصفه فعلا خلاقاً) من إبداع وتجاوز لحدود الواقعية ومحاكات الطبيعة ولهذا قال غارودي: "أن نتعلم كيف نقرأ الماضي وكيف نبدع المستقبل، ذلك هو أعظم دروس الفن"[2].

وقد أخذ غارودي من تعاليم وأفكار الفيلسوف كانت دون الوقوع في المثالية ومن فيخة مع زميله جان نابير في ثانوية هنري الرابع، وفي ستراسبورغ أخذ عن كارل بارت كما اخذ عن كيركغارد، ثم جاء التأثير المشترك لهنري فالون و غاستون باشلارد، الذي تمكن بفضله من فصم العرى والتخلي عن الادعاء الوثوقي بامتلاك الذات(التي كانت الموضوع الساخن للنقاشات الفلسفية حينها)[3].

ومن الذين كان لهم اثر في فكر غارودي نجد كذلك محيي الدين بن عربي(1164 -1240م)، والشاعر الصوفي الفارسي جلال الدين الرومي(1207 -1273م)، والناسكة رابعة العدوية(ت752م). أين وجد الإطار الذي يتبنى فكرة الانفتاح على الإنسانية جمعاء والتسامي

[1] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص47.

[2] ــ المرجع نفسه، ص42.

[3] ــ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص24.

بالمحبة الإلهية عندما كان يؤسس لمشروع الحوار بين الحضارات. وقد وجد المثل للشخصية المتكاملة التي كان يدعوا لها في الأمير عبد القادر الجزائري(1882 -1808م)، وجد فيه الناسك العابد الزاهد والمحرر الثائر على المستعمر ورجل الدولة، وأخذ عن محمد إقبال الفيلسوف المجدد(1938- 1873م)، دعوته للاجتهاد المستمر والتجديد الدائم الذي يحتاجه التقدم والتغيير، وتجدر الإشارة إلى أن غارودي أصبح بعد إسلامه يستشهد كثيراً بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي(صلى الله عليه وسلم).

المطلب الثالث: إنتاجه العلمي.

كثيرة هي مؤلفات المفكر والفيلسوف روجيه غارودي، فقد تميز بالكتابة في كل ما كان يشغله وما كان يهتم له، ويتناول في الحين قضايا عصره باحثا عن أسبابها ويقترح الحلول التي يرتاح إليها، وقد خاض الرجل في قضايا متعددة ويمكن أن نجملها فيما يأتي[1]:

أولا: تاريخ الماركسية.

1. المصادر الفرنسية للاشتراكية العلمية، دار الأمس واليوم، 1949م.
2. الله قد مات، دراسة حول هيغل، المطبوعات الجامعية الفرنسية،1962م.
3. كارل ماركس، دار سيغير، 1965م، وقد أعيد طبعه في فرنسا في 1972 وفي 1977.
4. فكر هيغل، دار بورداس، 1966م.

ثانيا: مشكلات الماركسية.

1. النظرية المادية للمعرفة، المطبوعات الجامعية الفرنسية1953م.
2. الحرية، المطبوعات الإجتماعية1955م.

[1] ــ ذهبية كباهم، الحقيقة الدينية في فكر روجيه غارودي، مذكرة ماجستير،جامعة الحاج لخضر، باتنة،2006، ص220،224،225.

3. أسئلة موجهة إلى سارتر، مطبوعات كلارتيه1960م.

4. آفاق الإنسان، المطبوعات الجامعية الفرنسية1961م، وكانت الطبعة الفرنسية الرابعة سنة 1969.

5. الماركسية والوجودية، دار بلون 1962م.

6. ماركسية القرن العشرين: دار بلون 1966م.

7. من أجل نموذج فرنسي للاشتراكية، غلمار1968م.

8. هل يمكن للمرء أن يكون شيوعيا اليوم، مطبوعات غراسيه1968م.

9. منعطف الاشتراكية الكبير، دار غالمار 1969م. ترجمه إلى اثنتي عشر لغة.

10. براغ1968..الحرية المعلقة، فايار1968.

11. الحقيقة التامة، غراسيه1970.

12. تذكّره...(تاريخ مقتضب للإتحاد السوفياتي)، مطبوعات زمن الكرز1994م.

ثالثا: الدين.

1. الكنيسة والشيوعية والمسيحية، المطبوعات الإجتماعية 1949م.

2. من الحرم إلى الحوار، بلون 1965م.

3. محور حتمية التاريخ، المركز البروتستانتي للدراسات، جنيف 1973.

4. الإسلام الحي، دار الكتاب، الجزائر1986م.

5. أصوليات، مطبوعات بيير بيلفون 1990م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6. هل نحن بحاجة إلى الله، مقدمة بقلم الراهب بيير، مطبوعات دار كلية دي بروار1993م.

رابعا: الأخلاق.

1. الماركسية والأخلاق، المطبوعات الاجتماعية 1948م.
2. ما الأخلاق الماركسية، المطبوعات الإجتماعية1963م.
3. الإنسانية الماركسية، المطبوعات الاجتماعية.

خامسا: علم الجمال.

1. مسار آراغون من السريالية إلى العالم الواقعي، غاليمار1961م.
2. واقعية بلا ضفاف، دار بلون1964م، (مع مقدمة للويس آراغون).
3. من أجل واقعية للقرن العشرين، دراسة عن فرنان ليجيه، غراسيه1968م.
4. لنرقص حياتنا، مطبوعات سوي1973م.
5. 60 عملا تبشر بالمستقبل، مطبوعات سكيرا، جنيف1974م.
6. الجامع مرآة الإسلام، مطبوعات جغوار، باريس1985م. مع 150صورة ملونة.

سادسا: حوار الحضارات.

1. الإسهام التاريخي للحضارة العربية الإسلامية، الجزائر1946م. ترجمه إلى العربية .
2. المشكلة الصينية، مطبوعات سيغير1967م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3. من اجل حوار الحضارات، مطبوعات ديتويل.

4. كيف يصبح الإنسان إنسانا، مطبوعات إفريقيا الشابه1978م.

5. وعود الإسلام، مطبوعات سوي1981م.

6. قضية إسرائيل، مطبوعات بابيروس1983م.

7. فلسطين أرض الرسالات الإلهية، مطبوعات الباتروس، باريس1986.

8. الإسلام في الغرب، قرطبة إحدى عواصم الفكر، مطبوعات هارتمان 1987م.

سابعا: أبحاث حول ابتكار مستقبل ذي وجه إنساني.

1. استعادة الأمل، مطبوعات غراسيه1971م.

2. الخيار(البديل)، مطبوعات روبير لافون1972م.

3. مشروع الأمل، مطبوعات روبير لافون1976م.

4. ما قولك بما أنا؟ (رواية من أكون في اعتقادكم)، مطبوعات سوي1978م.

5. عهد الرجال، مطبوعات روبير لافون.

6. نداء إلى الأحياء، مطبوعات سوي1979م.

7. ما يزال في الوقت متسع للعيش، مطبوعات ستوك1980م.

8. من أجل مجيء المرأة، مطبوعات ألمان ميشيل، 1981م.

9. ترجمة القرن العشرين(وصية روجيه غارودي الفلسفية)، مطبوعات توغي، باريس1985م. مع مقدمة للأب شينو.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10. من أجل إسلام القرن العشرين، مطبوعات توغي، باريس1985م.

11. في معاكسة الليل(قصيدة)، مطبوعات لير، لوزان1987م. مع مقدمة لصلاح ستيتية.

12. جولتي في القرن وحيدا(مذكرات)، مطبوعات روبير لافون، باريس،1989م.

13. إلى أين نذهب؟ مطبوعات ميسيدور، باريس 1990م.

14. حفار القبور، مطبوعات أرشيبيل، باريس1992م.

15. الإسلام، تر: روجيه أسعد، دار عطية للنشر، بيروت 1996م.

16. نحو حرب دينية، تر: صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت 1996م.

17. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، تر: حافظ الجمالي وصياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت 1996م.

هذا ما جاء في كتاب نحو حرب دينية، لروجيه غارودي والذي ترجمه صياح الجهيم، طبعة دار الفرابي، بيروت.

ويُضاف إلى ذلك[1]:

1. كتاب أنتيه(أول كتاب له يروي فيه تجربة اعتقاله كمناضل شيوعي)1946م.

2. الروح الحزبية في العلوم،1958م.

3. لينين(رواية)،1968م.

[1] ــ ذهبية كباهم، الحقيقة الدينية في فكر روجيه غارودي، مذكرة ماجستير،جامعة الحاج لخضر، باتنة2006، ص118ــ226. ورامي الكلاوي، روجيه غارودي، مرجع سابق، ص41ــ42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. الجذور الفرنسية الاشتراكية، 1969م.
5. البنيوية فلسفة موت الإنسان، 1969م.
6. كلمة رجل، 1975م.
7. مفاتيح الماركسية، 1977م.
8. الإسلام دين المستقبل، 1982م.
9. حفار القبور(نداء ثاني للأحياء)، 1992م.
10. أمريكا طليعة الانحطاط، 1997م.
11. الإرهاب الغربي.
12. ويضاف إلى هذه الكتب الكثير من المقالات، فقد كان مراسل لجريدة الإنسانية في الإتحاد السوفيتي، مقالات في مجلته البدائل الاشتراكية، مقالات متنوعة عن فضل الحضارة العربية في مجلة الخيارات الاشتراكية.
13. وقد أطلق غارودي مشروع(موسوعة النهضة الفرنسية)1946م، بالتعاون مع بول لانجوفين في الذكرى المئوية الثانية لموسوعة ديدرو، وقد تمكن من الحصول على تأييد ومساعدة أراغون وبول ايلوارد وبيكاسو وهادامارد وجوليوكوري ولويس حوفيه ولويس حوفيه ولوكوربييه وجاك ابيار وهنري ماتيس[1].
14. له روايات أخرى[2]:

- آنطيوس 1945م.
- اليوم الثامن للخليقة 1946م.

---

[1] ـــ بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص9.

[2] ـــ رامي كلاوي، روجيه غارودي، مرجع سابق، ص42.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

15. بعض الأفلام التي أنتجها غارودي[1]:

- ديونيسيوس الأسود 1974م.
- الخيال في السلطة 1975م.
- مجموعة أفلام عن الحضارة الإسلامية1984م.
- مسرحية ربيع الإنسان 1948م،(أحيا فيها ذكرى الثورة العمالية لحزيران 1848)

16. أسس في الجزائر ثم في تونس جامعة شعبية عام 1944م، وكان مدير لأكبر مجلة أسبوعية(الحرية)تصدر في الجزائر[2]. وأسس كذلك مجلة(البدائل الإشتراكية)عام 1974م.

وهكذا نجد أن أعمال غارودي الفكرية والفنية قد تنوعت وتعدت من تأليف الكتب إلى القصة والقصيدة وكذلك إنتاج الأفلام، يريد بذلك أن يكتسح بفكرة ومشروعه أكبر شريحة ممكنة وأن يصل به الى المستويات والفئات الاجتماعية المختلفة، كما نجد أن مجالات اهتمامه متعددة، فقد تطرق إلى الماركسية، الأخلاق، الدين، حوار الحضارات وصناعة مستقبل الإنسانية. فما هو هذا المشروع الحضاري الذي يطرحه غارودي؟.

المطلب الرابع: مشروعه الحضاري.

من خلال ما رأينا في الإنتاج العلمي لغارودي يتضح جليا أن مجالات اهتمام الرجل كانت متعددة، ولكنه في كل الحالات كان ينطلق مما يصادفه من إشكالات، وقد يكون هذا هو السبب في عمق الطرح الذي يعالج به القضايا، والتوفيق في الوقوف على مكمن الداء.

[1] ـــ المرجع السابق، ص42.

[2] ـــ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص7.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فأول ما بدأ يعي الحياة، ويشعر بمسؤوليته فيها، حين وجد نفسه يعيش دوامة المادية والإلحاد، ورأى أن الكون يتجه نحو الخراب، في ظل حروب عالمية تَنتهك فيها دول حرمة وحقوق دول وشعوب أخرى ووصلت الخسائر المادية والبشرية حد اللامعقول، ومع توسع الأزمة العالمية الكبرى عام1929م، في وقت كان يَعتقد الجميع فيه أننا نعيش نهاية العالم من شدة الأزمة في أوربا كما قال غارودي في أحد مؤلفاته[1]، في ضل هذه الظروف اعتنق غارودي المسيحية بغية أن يجعل لحياته معني وغاية سامية، يبحث فيها عن الخلاص لنفسه يوم ضاق ضرعا بعالم يتجه نحو الانتحار.

وقد استغرق غارودي في هذا الاتجاه غير قليل من عمره الفكري، حتى انتبه إلى أنه فرد يعيش وسط مجتمع أنهكته الأزمات، فتحرك وازع المسؤولية بداخله وراح يبحث عن الأسلوب الأمثل لمواجهة هذه الأزمات، فاتجه إلى الماركسية، حتى أنه قال: "ولأن عيسى كان في القلب، فقد أصبحت(ماركسيا)، أعتبر أن(ماركس)قد اعد لقرن كامل قوانين التطور التي قد تتيح للإنسان ليس الوصول إلى(نهاية التاريخ)، ولكن الخروج من ما قبل التاريخ، حيث كان شقاء وتبعية الأكثرية شرط لثراء وقوة البعض"[2]. وأصبح غارودي مناضلا في الحزب الشيوعي الفرنسي، لأجل قضايا الناس وانشغالاتهم من ناحية وكان له في هذا الإطار وقفات تاريخية مع البروليتاريا، وهو من ناحية ثانية منظر للفكر الماركسي ومؤرخا وناقدا، فقد تكلم في النظريات الماركسية وأرخ لمسارها، وما ميزه عن غيره أنه أعاد طرح القضايا التي تناولها ماركس وأنجلز حسب ما يقتضيه التطور العلمي والتقني، وما تتطلبه الأوضاع السياسية والاجتماعية الجديدة واهتم بمسألة قراءة الماركسية وفهمها بطريقة ديناميكية تسمح باستلهام أهم إسهاماتها بعيدا عن التعامل الوثوقي الجامد، وهذا ما جعله يطرح قضايا تتصل بعلاقة الفكر الماركسي بالفلسفة الوجودية وبالتيولوجيا المسيحية[3]، وهذا ما فعله غارودي فعلا في كتابه (ماركسية القرن العشرين)وأكد ذلك في خاتمة هذا الكتاب أين دعى إلى استفادة الماركسية من تراث وبحوث

[1] ــ محمد عثمان الخشت، لماذا أسلمت؟ مرجع سابق، ص27.

[2] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص19.

[3] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص43ــ44.

ومكتشفات التيارات الأخرى سواء أكانت مذاهب فلسفية أم دينية أم نظريات علمية أم مناهج بحث، وسواء أقامت على الفكر المسيحي أم التفكير بالوجودية أم على التحليل النفسي أم على النظرية البنيوية، ومن إدراك لِما طرأ من تغييرات على المعرفة والعالم والتاريخ[1]، ويقول غارودي في إجابة له على سؤال من قبل محرر جريدة(تشرين)السورية حول تخليه عن الماركسية: "أما لجوئي إلى التجربة التاريخية فأنا مُصرٌّ عليها، لأنها الجانب الموضوعي الإيجابي في الماركسية. كما أصررت على كل ما قلته حول هذه التجربة التاريخيـــة في كتابي(الماركسية)، وأحب هنا أن أؤكد بأنني لم أُدر ظهري للماركسية على الإطلاق، ولم أقل ذلك...اخترت الحزب الشيوعي...ولا أرى تناقضاً في اختياري هذا، أية إزدواجية ... لقد منحت الماركسية السُبل والطرائق الكفيلة بوضع حد للعداوات أو الصراعات الاجتماعية ... وبرغم حيرتي وقلقي، فقد حافظتُ على هذه الازدواجية طيلة خمسة وثلاثين عاماً، ولست نادماً على ذلك الآن بل العكس"[2]، ولان غارودي من أنصار فلسفة الفعل فقد اصدر سنة1974م مجلة سياسية سماها(البدائل الاشتراكية)فتح بها فضاء للإثراء والنقاش وكان قد أسس قبل ذلك مركز الدراسات والبحوث الماركسية وأداره بنفسه لمدة عشر سنوات.

ولما اتجه اهتمام غارودي إلى إبداع المستقبل ليكون ذو وجه إنساني بعيدا عن كل التزاعات والنزعات، تفطن إلى قضايا الجمال والإستيطيقا، فأعاد التفكير والتأمل انطلاقا من علم الجمال في معنى عمل الإنسان الخلاق، حتى أنه استقال عن منصبه في مجلس الشيوخ وتوجه إلى تدريس علم الجمال بجامعة بواتيه، فكانت له في هذا الجانب إسهامات جادة تميزت بعمق التحليل والنقد رغم انه لم يكن من أهل الفن، ومع ذلك فقد كانت له بعض المحاولات الأدبية والشعرية، وقد وقف في بعض كتبه على بعض النظريات الجمالية محللا وناقدا، وصاغ بعد ذلك نظريته حول علم الجمال التي تضمنها كتابه(أن ترقص حياتك سنة 1973م)، وفي فن السينما أنجز بعض الأفلام فذهب من خلال كل ذلك إلى التعريف ببعض الإبداعات الفنية سواء أكانت من إنتاج

[1] ــ غارودي، ماركسية القرن العشرين، مصدر سابق، ص243.

[2] ــ رامي الكلاوي، روجيه جارودي، مرجع سابق، ص 189ــ190.

الحضارة الغربية أو من غيرها، الشيء الذي أتاح لغارودي التقرب من إبداعات فنية رائعة ومنجزات حضارية ضخمة. فنبه لأهمية ما فيها من كنوز علمية وفنية وأبرز عطاءاتها للإنسانية.

وهكذا تأكد غارودي من أن حوار الحضارات ضرورة ملحة، لتجميع كل الأبعاد التي يحتاجها الإنسان منفردا، وتحتاجها الإنسانية مجتمعةً، وأصبح يؤكد ويلح على أنه لا يمكن بناء مستقبل ذي وجه إنساني إلا بحوار حقيقي، يتخلى فيه الغرب أولا عن نظرية المركزية الغربية، وعقيدة التفوق عند الإنسان الغربي، وتتجاوز فيه كل الحضارات وأصحاب الديانات والتجارب الروحية عقيدة امتلاك الحقيقة المطلقة والحلول لكل المشاكل التي تواجه الإنسانية، وتُستبدل بثقافة انفتاح لتحقيق تعايش بين بني البشر، وتبادل علمي وفكري وثقافي كذلك، دون إلغاء خصوصيات كل حضارة أو دين أو حكمة، قال غارودي: "فكل طرف مطالب بان يكون ذاته وألا يتنازل عنها وألا يتخلى عن خصوصيته"[1]. ولإنجاح هذا الحوار وتفعيله أسس غارودي(المعهد الدولي للحوار بين الحضارات) سنة1976م بالتعاون مع منظمة اليونسكو.

وأصبح غارودي يدعو إلى انه: "بهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل. وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع. إن التجارب الحالية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية تجارب (غاندي)وتجربه الثورة الثقافية الصينية، تجارب(نيريري)في(الجماعة)في إفريقيا، مثل تجارب لاهوتيي التحرر في(بيرو) تُتيح لنا أن نرسم منذ اليوم الخطوط الأولى لهذا المشروع الكوني في القرن الحادي والعشرين، مشروع الأمل"[2].

وهذه الثقافة والمعتقدات رأى غارودي أن الإسلام قد دعا إليها فقال: " ولكي أختار مرة ثانية معسكر ضد إيديولوجية المهيمنين، اعتنقت الإسلام الذي كان له تأثير ثقافي واضح ، لا لكي أشاطر المسلمين حنينهم إلى الماضي وتقليدهم للغرب، ولكن لكي انحاز إلى نموذج العقائد الداعية إلى التحرر"[3].

---

[1] ــ غارودي، من اللعنة إلى الحوار، ص124. نقلا عن المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص167.

[2] ــ غارودي، حوار الحضارات، تر: عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت ــ باريس،ط3، 1986م، ص 9.

[3] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص19.

بهذه الثقافة والمعتقدات، وبهذا الحوار، الذي جعل منه غارودي الحلف الثالث، بعد أن كان الحلف الأول ميثاق يهوه مع الشعب اليهودي، وكان الحلف الثاني مع يسوع لإسقاط فكرة الشعب المختار[1]، مع هذا الحوار وحده حسب غارودي يمكن أن يولد مشروع كوني يسمح باختراع المستقبل، هذا المشروع الذي يقيمه غارودي علي نقاط ثلاث[2]:

ـــ وجود معايير أخرى للتطور غير المعيار الإقتصادي الغربي القائل بالنمو للنمو.

ـــ أن التطور مظهر من مظاهر خَلق الإنسان المتواصل للإنسان في جميع أبعاده بدءا من النمو الإقتصادي إلى تصور معنى الحياة وقيمها وغاياتها.

ـــ وأن تلك المعايير يجب أن تكون داخلية بالنسبة إلى كل حضارة بعينها(أي مُستنبطةً من أعماقها لا دخيلةً عليها).

وبهذا الحوار أراد غارودي التأليف بين النجاعة والمعنى وبين النضال والحب، وبين العمل السياسي والإيمان وبين الجماعة والتعالي(أي الارتباط بالله). فصاغ مشروعه الكبير، مشروع ضد النزع الفردية المنعزلة، وهو مشروع المجتمع حيث كل امرئ يرتبط بالحياة بدافع من مسئوليته تجاه الآخرين، وهو مشروع أخوي لا علاقة له بالانتقاء، أو التلفيق[3].

وأراد غارودي أن يكون مشروعه أخوي يتجاوز كل الأُطر إلى إطار الإنسانية، فتميز بذلك عن مشروع الوجودية التي حصرت الإنسان في الذاتية ونظرت إليه كفرد حر ومسؤول، في مواجهة التحديات والمؤثرات الموضوعية الطبيعية والاجتماعية والتاريخية. فأراد للمسؤولية أن تتجاوز الفردية المنعزلة، لتكون مسؤولية تجاه الآخرين، والباعث عليها روح الإحساس بالجماعة.

وللوصول بالفرد إلى درجة الإحساس بالإنسانية، لا بد من تغليب نظرة التعامل مع الإنسان كمتعدد الأبعاد، حتى يصبح من الممكن التفكير في الغايات والوسائل معا، ومن ثّم يمكن

[1] ـــ روجيه غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص269.

[2] ـــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص40ـــ41.

[3] ـــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص284.

تحصيل النجاعة والمعنى في كل فعل، فإذا تزاوج الفعل الخلاق والمبادرة مع الذاتية أصبح بإمكانها تجاوز مجرد الاعتراض على الموضوعات الخارجية عنها إلى السعي لتغيير الواقع الموضوعي. وهكذا جعل غارودي مشروع الوجودية جزءاً من مشروعة بغية الاستفادة منه.

ثم إن تركيز غارودي على التغيير العملي وفق منهجية نضالية يجعلنا نقف على تقاطع مشروعه مع المشروع الماركسي، فقد بُنيت الماركسية كذلك على فلسفة الفعل والمبادرة، بل إنها وصلت إلى حد اعتماد منهجية ثورية لتحقيق العدالة الاجتماعية، فأدى بها التركيز التام على هذا الهدف إلى أن تكون ذات نظره قاصرة تجاه ما يحتاجه الإنسان، خاصة مع قضية التعالي التي تتعلق بها الذات البشرية. قضية التعالي التي رأى غارودي أنه من خلالها يمكن تحديد الغايات الصحيحة، وأن يكون للحياة معنى.

فمشروع غارودي إذاً يُطالب بأسلوب آخر للحياة تنسجم فيه كل أبعاد الحياة الإنسانية، من تلك الخاصة بالعاطفة والفن، إلى تلك الخاصة بالسياسة والإيمان. مشروع يهدف إلى ربط المشكلات السياسية بالمشكلات الدينية لتجاوز التطرف، والتحقق باليقظة الإيمانية[1]. ولتحقيق ذلك طالب غارودي بالاستيقاظ المزدوج للمسيحية والإسلام وكل المؤمنين، للقول بأن للحياة معنى، حتى يتمكن الجميع من بناء وحدة روحية واقتصادية على حد سواء للعالم، وباسم إيمان مشترك، تدعمه حتى الروحانيات الكبرى في آسيا[2].

ويُطالب غارودي على الصعيد الإقتصادي في مشروعه بمُساءلة نقدية لتحصيل تغيير جذري لنموذج النمو ولاكتشاف غايات أخرى للتطور (بعيداً عن اعتباره التقدم التقني)، وعلى الصعيد السياسي يُطالب بوضع تصور والإعداد للانتقال من ديمقراطية تمثيلية إلى ديمقراطية تشاركيه، وأن نُحِل محل التصور الاداتي، والأحادي البُعد للسياسة، إلى تصور يَلزم الإنسان بكليته ويهتم به في جميع جوانبه، ويكون فيه فعله الخارجي تعبيرا عن إيمانه الداخلي. وعلى صعيد الفرد يُطالب هذا المشروع بمحاربة(الأنا الصغيرة) ويُشدد على الماهية الحقيقية للأنا الذي هو أولا علاقة

---

[1] ـــ غارودي، حفار القبور، مصدر سابق، ص5،10.

[2] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، تر: عبد المسيح فلي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004م ، ص168.

بالآخر وعلاقة بالكل، وعلى الصعيد الثقافي يساعدنا هذا المشروع على الانفتاح على آفاق بلا نهاية، وعلى حرية جديدة هي تلك التي تؤسس ذاتها على أولوية الشعر والخلق وليس فقط على المشروع التقني والمفهوم المجرد وأن نضع موضع مساءلة نموذج للنمو أعمى وبلا غائية إنسانية، نموذج معياره الأوحد زيادة كمية غير منقطعة للإنتاج والاستهلاك، وأن نطالب بسياسة لا تكون بعد الآن بنت نظام الوسائل وحده بل أيضا بنت نظام الغايات[1].

ومن خلال ما سبق يمكن القول مع محسن الميلي(المشكلة الدينية ص45)، بأن مشروع غارودي ليس بمشروع ميتافيزيقي وإنطولوجي يطمح إلى تحديد موقف نظري شامل من الوجود العام والخاص بطريقة تأملية تهدف لتأسيس ميتافيزيقة ومعرفة كلية بماهية الوجود والإنسان والإله، رغم أهمية الجانب النظري التأملي لاكتشاف الوجود في ثرائه وديناميكيته، ولم يكن مشروع غارودي مشروع إبستمولوجي يهدف لوضع مقاربة إبستمولوجية ونظرية للمعرفة، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة اكتشاف علاقة العلوم بالحكمة وبمختلف الديانات والمذاهب الروحية.

ولأن منطلق غارودي كان من واقع الحضارة الغربية، فقد درس الديانة المسيحية المهيمنة على ترابها، دراسة تاريخية نقدية يبتغي من خلالها الوقوف على منبعها الحي وديناميكيتها الأولى لاكتشاف جوهرها الديني الذي يرى غارودي انه حُرف فتجلت آثار هذا التحريف على واقع الحضارة الغربية. وأول ما يقف عنده غارودي عند تعرضه للمسيحية هو المصادر التي بُنيت عليها، فكيف كانت دراسة غارودي لهذه المصادر؟.

[1] ــ مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، مرجع سابق، ص14.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) في فكر غارودي.

المبحث الأول: العهد القديم.

المبحث الثاني: العهد الجديد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الكتاب المقدس(العهد القديم والعهد الجديد)في فكر غارودي.

يَعتبر المسيحيون الكتاب المقدس المصدر السماوي من بين مصادر المعرفة، وهو ما يُعرف بالوحي في الديانات السماوية، إلا ان هذه الديانات اختلفت في تعريفها للوحي، فإذا كان الوحي عند المسلم هو القران نفسه المترل من السماء على النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)بواسطة رسول الوحي جبريل(عليه السلام)فانه في نظر المسيحي كما يقول الأب كليمان اليسوعي: "هو أحد، شخص، ابن الله، وريث كل شيء. فلكي تحصل على الوحي، عليك ان تتعرَّف الى شخص، لا ان تصف لائحة من(عبارات يجب ان تتعلمها)". ويعود ذلك الي ان كلمة الله في نظر المسيحي هي أقنوم إلهي تجسد في يسوع، يسوع الذي عاش ووعظ، فشهد له تلاميذه، وهذه الشهادات مدونة في مؤلفات تعرف بالعهد الجديد، وقد أعلنه ومهد له قبل ذلك العهد القديم، فالكتاب المقدس كله هو الطريق للاتصال بيسوع، يُنبوع الوحي الوحيد. ولتبيين مكانة التقليد المسيحي في الوحي يقول الأب كليمان: "ان الكتاب المقدس هو كل شيء، والتقليد(المسيحي)هو كل شيء. وكلاهما ينضمان كالعينين الأثنين لتُشاهدا مصدر الوحي الوحيد مجسماً، أي المسيح يسوع. الكتاب المقدس يقوم بدور مميَّز بصفته مرجعاً، والتقليد يقوم بدور مميَّز بصفته مفسِّراً". وهو يعتبر ان الكتاب المقدس سلسلة كُتب وُضعت في نحو عشرين قرنا، على يد عدد كبير من كُتاب مختلفين، وانها دُونت بإلهام من الله وبتأثير من الروح القدس، فكان الله كاتبها، وان الناس أيضاً هم أصحابها بحقّ، وقد أورد نص للمجمع الفتكاني الثاني والذي جاء فيه(ان الله اختار، لتأليف تلك الأسفار المقدسة، اناسا استعان بهم(ويتبادر الى أذهاننا هنا سؤال أعجز الإله على القيام بذلك حتى يستعين بغيره؟) فاستخدموا كامل قواهم العقلية وإمكاناتهم، حتى إذا أثر هو نفسه فيهم وبهم، استطاعوا ان يحرروا خطيًا، ككُتاب حقيقيين، ما أراده فقط)، ثم يؤكد ان تنوير الروح القدس للكتّاب لا يضعف عفويتهم وحُريتهم، إذ ان كل واحد يؤلف متأثر بنقائصه(فهناك معلومات غير صحيحة غالبا عن التاريخ ومعارف علمية قديمة تُعد في أيامنا خاطئة ..)وبصفاته الأدبية والشعرية ، أو بدونها. ليقرر الأب كليمان بعد ذلك: "ان الكتاب المقدس يُعلّم الحقيقة، ولا شكّ، لكنّها حقيقة الخلاص الدينية، لا الحقيقة العلمية الخاصّة بالفيزياء وعِلم

المتحجرات(أصل الانسان والعالم العلميّ). فالكتاب المقدس هو تاريخ(مقدَّس)، أي علم مقاصد الله عَبرَ الأحداث البشريّة، تاريخ محبّة الله الذي يُخلّصُنا"[1].

وقد جاء في كتاب الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ان علم التفسير المسيحي يَعتبر ان الوحي المسيحي انزلَ مُنجماً في أوقات مختلفة موزعة على أجيال، وقد كُلِفَ بتبليغه رجال كُثر(اختلفوا عن بعضهم زمنا وبيئة ونفسية ولغة)وللمؤلف الموحى إليه بهدي الروح القدس في ضل هذه الظروف ان يُدون ما أُحي إليه من تصورات وخيالات بفنون أدبية شتى وله ان يستخدم آثاراً سابقة، وهو يحتفظ بأسلوبه الخاص في الكتابة وبعقليته الخاصة، فالوحي لا يترل عليه إملاءً بل بمعاني تقوم في نفسه وعونا ربانيا على ان يجد لهذه المعاني ما يراه الأصلح من قوالب الكلام. ثم ان هؤلاء المفسرين يعتبرون الوحي المسيحي يشتمل على(عهدين)أو(ميثاقين)عهد قديم أكده الله مع الانسانية ممثلة في شعب خاص اصطفته العناية مؤقتاً حتى تدبر بواسطته الأمور اللازمة لتجسيد(ابن الله). أما العهد الجديد فيبدأ بهذا التجسيد وفيه يضع الله القيود التي بها شاء ان يربط ذاته بقوم دون سواهم ردحا من الزمن ليمُد بوحيه وحياته الناس كلهم مهما كان زمانهم ومكانهم، فيجعلهم بذلك جميعاً أبنائه وعياله في(ملكوت السماوي الروحاني المنفتح لكل انسان جاء إلى هذا العالم). وبهذا يكون العهد الجديد تكملة للعهد القديم. فالآباء بعد القديس بولس يقولون بان العهد القديم بمترلة(الرمز)من الحقيقة والأصل(العهد الجديد)[2].

وفي المقابل يقول أبو زهرة ان المسيحيين يقولون ان الكتب كلها(كتب العهد القديم والعهد الجديد)، كتبت بالإلهام أي بالوحي عن طريق الإلهام، وانها لذلك لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، فهي حق وصدق، لانه موحي بها ويؤكد ذلك بما قاله مؤلف موجز تاريخ الأمة القبطية في شان الكتاب المقدس: "الكتاب المقدس هو مجموعة الأسفار التي كتبها رجال الله

---

[1] ــ الأب كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، ت، الأب صبحي حموي اليسوعي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2005م، ص16، 19، 23، 24.

[2] ــ لويس غراديه وج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1، تر، صبحي الصالح والأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979، ص392ــ393.

القديسون بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه، وما قطعه من المواعيد، وما فرضه من المثوبة، وما فيه من إرشاد الناس وخيرهم، وخلاصهم وما أتمه من عمل الفداء"، إلا ان الإلهام عندهم هو الإلهام في مضمونه الرئيسي كما يبينه شُراحهم وعلمائهم ولذلك يقول هورن: "إذا قيل ان الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لا يراد ان كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله، بل يُعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم انهم قد جوز لهم ان يكتبوا، على حسب طباعهم وعاداتهم وفُهُمِهم، واستعمال علم الإلهام على طريقة استعمال العلوم الرسمية. ولا يُتخيل انهم كانوا يُلهمون في كل أمر يُبينونه، وفي كل حُكم كانوا يحكمون به"، فخلُص أبو زهرة الي انه لم تكن الكتب المقدسة ملهمة من حيث أسلوب البيان، ومن حيث التصرف في التعبير، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معان، بل موضع الإلهام فقط المعاني الرئيسية أو الرسمية، وبقية الأفكار والمعاني علي حسب الطبائع والإفهام والعادات[1].

وهذا ما يذهب إليه جاك جوميه ومارتن سبانخ من ان التأييد المشار إليه في انجيل يوحنا26/14(وأما المؤيد، الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم)، هو قبل كل شيء تأييد الروح القدس للكاتب الشريف لكي يتوخى الدقة والأمانة في نقل رسالة يسوع، وهو أيضا إرشاد الكنيسة لضمان حسن فهم رسالة يسوع أما ما نجده من اختلاف طفيف من حيث العبارة فان هذا الاختلاف انما ارشد إليه الروح القدس، لتكون الرسالة الإنجيلية اقرب الى الأذهان في البيئات المختلفة التي وجهت إليها[2].

ويشتمل الكتاب المقدس علي(العهد القديم والعهد الجديد)فتستوقفنا هنا قضية مهمة في الكتاب المقدس هي قضية العهد، التي يذكر غارودي انها من إضافات اليهودية للفكر الديني(إضافة الى الخروج والوعد)والعهد في اللغة العبرية بيريث(berith) ويعني أيضا الحلف أو الميثاق. وهو عهد بين الله والانسان مؤداه ان يكون الانسان دائم الاستعداد لتلبية نداء الله تلبيةً غير مشروطة، رائده في ذلك إبراهيم(عليه السلام)، والأصل في العهد هو ما كان مع إبراهيم ثم موسي وقومه

---

[1] ـــ محمد ابوزهر، محاضرات في النصرانية، شركة الشهاب، ص 149ـــ150.

[2] ـــ جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح ابن مريم، دار الشروق، بيروت، ط2، 1999، ص260ـــ261.

حين كانوا في صحراء سينا فأراد الله ان يبين لهم ما فعل بقوم فرعون فأمر بني إسرائيل بإخلاص الإيمان وبالايتخذوا ألهةً من دون الله. ثم يشير محسن الميلي الى ان رأي غارودي وغيره كثير يرون انه رغم كون العهد كان مع موسى وبني إسرائيل ولكنه لم يكن خاصا بهم لانه عهد بين الله وكل الناس الذين يستجيبون له مهما كانت أُصولهم وأجناسهم. ويؤكد ذلك بمقولة الباحث في الأديان اندريه نهر في هذا الإطار:"كل الشعوب، شانها شان بني إسرائيل، مسئولة أمام الله"[1].

ولما ذهبت اليهودية للتشديد على ان العهد بين الله وشعبه المختار(بني إسرائيل)، أكثر منه على وحدانية الله، وأصبح التركيز على علاقة شعب مع إلهه الذي اختاره وقطع معه عهدا ووعد له وعودا، وحققها له وحرره، جاء يسوع كما يقول الأب الفاضل سيداروس بعهد جديد ليعلن وحدة الأقانيم الثلاث التي يكون بها خلاص المؤمنين، وهذا قمة ما أراد ان يعلنه الله عن ذاته الإلهية[2]. وهذا ما يشير إليه غارودي في معرض كلامه عن علاقة الغرب باليهود وطبيعة تعاملهم مع إسرائيل وقضية فلسطين، من ان الغرب تبنى المسيحية على انها مكملة للوعود التي وعَد الله بها(الأجداد)، مُضافا إليه المفهوم اللاهوتي القائل بان العهد القديم ليس إلا(كناية)عن العهد الجديد[3].

فما هي حقيقة العهد القديم عند غارودي؟

المبحث الأول: العهد القديم.

يورد أبوزهرة عند تعرضه للمصادر المسيحية(الكتاب المقدس)انها تشمل لدى النصارى التوراة والاناجيل ورسائل الرسل، فيسمون التوراة(الأسفار الموسوية)وغيرها، كتب العهد القديم، ويسمون الاناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد، وهم يعتمدون على العهد القديم في معرفة أخبار العالم في عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص96ـــ97.

[2] ـــ الأب فاضل سيداروس، سر الله الثالوث ـــ الأحد، دار المشرق، بيروت،ط3،2000، ص129.

[3] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص17.

نشأتهم، وحكوماتهم وحوادثهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الانسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تُعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود. ثم يشير إلى ان الملاحظ عند المسيحيين ان هناك بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عندهم لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها[1].

وقد اعتمدت الكنائس المسيحية في ترتيب وتقسيم أسفار العهد القديم على النظام اليوناني، وعلى الترجمة السبعينية، متبعين في ذلك يهود الإسكندرية، مخالفين في ذلك يهود فلسطين الذين يعتمدون النظام العبري في التقسيم والترتيب، ومع ذلك اعتمد الكاثوليك طبعة تزيد على الطبعة البروتستانتية بسبعة أسفار ضمن أسفار الأبوكريفا، والجدول التالي يبيّن الاختلاف بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتية[2]:

الطبعة البروتستانتية (وتنقسم الى4 أقسام، عددها39سفرا)	الطبعة الكاثوليكية (وتنقسم الى5 أقسام، عددها46سفرا)
القسم الأول:(كتب موسى)أو الأسفار الخمسة(البنتاتيك) وهي:التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية.	القسم الأول:(كتب موسى)أو الأسفار الخمسة(البنتاتيك) وهي: التكوين، الخروج، الأحبار،العدد، تثنية الإشتراع.
القسم الثاني: الأسفار التاريخية12سفر، هي:يوشع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، استير.	القسم الثاني: الأسفار التاريخية16سفر، هي:يوشع، القضاة، راعوث، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع،أخبار الأيام الأول والثاني، عزر، نحميا، طوبيا، يهوديت، أستير، المكابين الأول والثاني.

[1] ــ أبوزهرة، المرجع السابق، ص112.

[2] ــ محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مطبوعات مجلة البيان،2003، ط1،2003، ص61ــ62.

القسم الثالث:أسفار الاناشيد أو الأسفار الشعرية5أسفار، وهي:أيوب، المزامير، الأمثال،الجامعة، نشيد الانشاد.	القسم الثالث: الأسفار الشعرية6أسفار، وهي: أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الانشاد،مرائي إرميا.
القسم الرابع: أسفار الانبياء17سفر، وهي: إشعيا،إرميا، مرائي إرميا، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.	القسم الرابع: أسفار نبوية17سفر، وهي: إشعيا،إرميا، باروك، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، نحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي.
—	القسم الخامس: أسفار تعليمية، وعددها سفران،الحكمة، يشوع بن سيراخ.

ويَظهر ان غارودي لا يهتم لهذه التقسيمات والأسماء المعتمدة فيها ويزاوج بينها عندما يتطرق الى إليها، بل انه يقف عند غيرها من الأسفار مما لا يعتمده هؤلاء او أولئك، وذلك لان منهجه يأخذ برؤية تكاملية لدراسة المشكلة الدينية، تتماشى ومفهومه للدين وطبيعة مشروعه، أين ينظر غارودي الى الدين على انه ظاهرة كلية متعددة الأبعاد من الخطأ اختزالها في واحد منها. فمن حيث هو ظاهرة تاريخية يمكن للدين ان يُدرس وفق منهج تاريخي ولكن لا بد ان تكون الدراسة مستجيبة لمختلف الشروط العلمية كان تكون مقارنة ونقدية وان تعود الى النصوص الدينية دون إسقاط لتصورات مسبقة عليها، على ان تضع في اعتبارها دوما تداخل أبعاد الظاهرة بما في ذلك الإيمان بإمكانية الوحي الإلهي وقدرة الانسان على كسر الحتميات التاريخية. فالتاريخ ليس خاضعا لحتمية صارمة وانما هو مجال الإمكان والتجاوز وتحقيق الإرادة الانسانية القادرة على توجيه الأحداث[1].

[1] ــ محسن الميلي، المرجع السابق، ص63ــ64.

فكيف ستكون وقفت غارودي مع أسفار العهد القديم؟ وبدايتاً مع الأسفار الخمسة؟

المطلب الأول: الأسفار الخمسة.

بعد ان يذكر غارودي اقتباسات العبرانيين من الشعوب التي عاشوا معها، في شتى المجالات حتى الدينية، يبين انه في هذا الجو من التلفيق والتوفيق ولدت الأسفار الخمسة(التكوين والخروج واللاويين والعدد والإشتراع)والتي هي نواة التوراة التي تتضمن جوهر العقيدة اليهودية. ففي ظل حكم داود وسليمان ظهرت أولى الوثائق المدونة وهي أولى الحوليات التي حررها مؤرخو سير الملوك والتي تعد المرجع الصريح للنصوص التوراتية. ويأخذنا غارودي ليثبت ان تاريخ اول كتابة للأسفار الخمسة كان في عهد داود وسليمان(عليهما السلام)الى الإشارة التي نجدها في سفر صموئيل الثاني الذي يشير الى اسم أحد النُساخ من بين موظفي داود، وسفر الملوك يشير الى أمينين للسر لدى سليمان، وفي سفر الملوك الأول إحالة على كتاب حوليات سليمان التي نري مقاطع منها في سفر الملوك وأخبار الأيام. وهكذا تكون التوراة هي نتاج لعملية لملمة للمأثورات الشفوية، هذه التوراة التي يدعوها المسيحيون أسفار موسى الخمسة، وعلى مدى ما يقرب من ألفي عام أُعتبرت هذه الأسفار على انها بقلم موسى نفسه، الى ان انكر بن عزرا هذا الزعم في القرن(12ق م)، و لم يظهر أي بحث نقدي له إلا حينما نبه الباحث كارل شتات(في القرن16م)الى ان موسى لم يكن ليستطيع ان يروي حكاية موته بنفسه. قام بعدها الكاهن ريشارد سيمون عام1687 بنشر كتاب(التاريخ النقدي للعهد القديم)يبرز فيه اللامعقولية في التأريخ الى جانب ألوان التكرار والفوضى واختلاف الأساليب، ناقدا بذلك ان تكون هذه الأسفار الخمسة كلها من صنع رجل واحد. ثم يشير غارودي الى نتيجة الأبحاث في القرن19م، بدايتا بما أشار إليه أستروك سنة1753، انه كان على سفر التكوين ان يَرِدَ في نصين مادام الله يُسمى فيه حينا إلوهيم وحينا أخر يهوه، ثم عمم هذا الحكم أيشهورن سنة1780على الأسفار الأربعة الأخرى وتقول هذه النتائج: ان أسفار موسى الخمسة هي نتيجة لملمة مأثورات شفوية

مغرقة في القدم قد تراكبت وتداخلت بعضها في بعض. ومنذ أبحاث ولهاوزن عام1883يقبل معظم المفسرين والمؤرخين بوجود أربع مصادر للأسفار الخمسة[1].

ويرى موريس بوكاي ان هناك اثنان منهما جوهريان قديمان، والثالث منفصل عنهما في زمانه ومضمونه، اما الرابع والأخير،فانه يظهر في مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية فقط، وهو أحدث هذه المصادر(الينابيع) تاريخاً[2].

1ــ المصدر اليهوي:

فهو يحمل إسم يهوه،علما على الرب(jahwist: ولهذا يرمز لهذا المصدر بالحرفj)وقد حرر في مملكة الجنوب (يهوذا)[3]. ويلاحظ غارودي انه لا يستخدم إلا أسم يهوه للدلالة على الإله. وهو يلح على الوعد المعطى للآباء(إبراهيم وإسحاق ويعقوب)والذي سيتحقق بتشكل الشعب انطلاقا من أبناء يعقوب الإثنا عشر(وهو وعد بذرية كبيرة)وبتمركز هذا الشعب في أرض كنعان(وهو وعد بالأرض)وبقيام مملكة داوود. وفي سفر الملوك إشارة واضحة الى داوود والوعد على لسان سليمان مما يدل على ان هذا النص قد كتب في عهد سليمان.

ومن خلال هذا المصدر يرى غارودي ان تاريخ إسرائيل مُدَ الى الوراء فوصِل به الى بدء الخليقة، فقد خلق الله العالم ثم خلق إسرائيل. فهذه الأساطير المتصلة بالخلق قد اقتُبست في جوهرها من الأساطير القديمة فيما بين النهرين وخاصة من الحكايات الآشورية ــ البابلية، فحكايات خلق العالم والفردوس والأرض والطوفان قد سبق ان وجدت مدونة في عبارات قريبة جداً من عبارات التوراة في الأشعار السومرية أو ملحمة جلجامش التي ترجع الى الألف الثاني ق م.

---

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص79ــ80.

[2] ــ موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، تر، حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990م، ص50ــ57.

[3] ــ ول ديورنت، قصة الحضارة، مكتبة الروايات، ج2(367/1).

2ـــ المصدر الإيلوهيمي:

ويطلق هذا الاسم على هذا المصدر نسبة الى إيلوهيم(elahistالذي يطلق على الرب أيضا ويرمز له بالحرف e)وقد حُرر في مملكة إسرائيل الشمالية [1]. ويرى غارودي ان نصوصه مأخوذة من سفر التكوين ومن مقاطع من الأسفار الأربعة الأولى، وهي تحتوي على مجموعتي التشريعات الأقدم: الوصايا العشر ووصايا العهد. وهذا المصدر سابق للنبي يوشع وهو يعود على الأرجح الى النصف الأول من القرن الثامن ق م[2].

وهذان المصدران(اليهووي والإلوهيمي)يتفقان في الخطوط العريضة للموضوع الذي يتناولانه، كما يتفقان في طابع القصص وأسلوبه. وربما كان حَدَث مزج بين الروايتين اليهوية والالوهيمية على ألسنة الناس في القرون التالية للقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد[3].

وتقول الباحثة كاترين هنري:" يعتقد كثير من العلماء ان مجموعات وثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجا واحدا في قصة واحدة، كما تنسج الخيوط المختلفة في قطعة واحدة من القماش)[4].

3ـــ مصدر الإشتراع(التثنية):

ويرمز لهذا المصدر بالحرفd نسبة الى عبارةdetryonomyأي التثنية[5]، وتزعم الرواية التي يأخذ بها غارودي انه تم اكتشافه عام 622ق م في ظل حكم(جوزياس) إبان إصلاح معبد اورشليم، ويغلب الظن انه حرر على يد طائفة من النساخ والكهان في بلاط

1 ـــ قصة الحضارة، مصدر سابق، ج2(367/1).

2 ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص81.

3 ـــ حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، مرجع سابق، ص27.

4 ـــ كاترين هنري، تأثر اليهوديه بالأديان الوثنية، ص340.

5 ـــ قصة الحضارة، ج2(367/1).

حزقيا716ــ687ق م. وهو صياغة مذهبية جديدة لكل التعاليم السابقة. وتدور الفكرة الرئيسية فيه حول تسمية إسرائيل بشعب الله المختار المرتبط مع الله بالعهد. وهذا العهد يتصل على نحو وثيق بفكرة الوحي والالتزام بالشريعة. وقد صار العهد مرادفا للوصية، فألواح العهد قد حُفِرت عليها الوصايا العشر. وهكذا أصبح سفر الإشتراع (التثنية) ردا على هيمنة الآشوريين، فالحاكم الوحيد الحقيقي لإسرائيل هو يهوه وليس ملك آشور، وبهذا لم يتاح لتأريخ (كتابة) هذا النص ان يظهر إلا بعد ضُعف المملكة الأشورية إذ نودي به تشريعا لمملكة إسرائيل ومن هذا جاءت أسطورة (اكتشاف) هذا النص على يد جوزياس[1].

ويقول حسن ظاظا عن هذا المصدر: "وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقي بالاً الى القصص الشعبي، بقدر ما يهدف الى التوجيه والتعليم، والتطوير عن طريق سن القوانين"[2].

4ــ المصدر الكهنوتي:

ويرمز له بالحرفp وهو الحرف الأول من الكهنوتي priestly، وهو عبارة عن حواش او فصول أضافها الكهنة الى نص التوراة، والرأي الغالب ان هذا المصدر كون الجزء الأكبر من(سفر الشريعة) الذي أذاعه عزرا[3].

وسمي بهذا الاسم لانه يلح على إضفاء الشرعية على العبادة والتمسك بشكلانية طقوسها. كما ينوه غارودي الى ان الموضوع الأساسي لهذا المصدر هو العهد مع نوح ومع إبراهيم بغية تأييد عهد موسى وداود. فتصفُح سفر حزقيال يتيح لنا تحديد زمن هذا المصدر بفترة السبي البابلي في القرن السادس ق م. وقد جرى مرة أخرى تذكير المنفيين بما وقع لجيل آبائهم في صحراء التيه، و لم يقتصر على تذكيرهم بانقاذهم من مصر فحسب وانما بالوعد الذي قطعه الله

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص81ــ82.

[2] ــ حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، مرجع سابق، ص27.

[3] ــ قصة الحضارة، ج2(1/367ــ368).

لإبراهيم بان يعطيه أرض كنعان الى الأبد. ولا بد من الالتزام الحرفي بالشريعة كي يكون الإسرائيلي وفيا للعهد وجديرا بانجاز الوعد وتحقيق العودة. ويذكر غارودي ما جاء في سفر الإشتراع(لا تزيدوا شيئا على ما حددته لكم ولا تنقصوا منه شيئا)[1].

من خلال هذه المصادر اخترعت فكرة الشعب المختار، بعد ان فُسِر الطوفان على انه **محو لكل المعاصي التي اقترفها الانسان بحق الله(الخطيئة الأصلية التي تمرد فيها الانسان على طاعة الله(قتل قابيل لهابيل)**إدعاء الانسان مساواة **الله حينما شيد** برج بابل)**ليبدأ العد** من الصفر. ويخلص **غارودي الى ان** ما ترسمه هذه المصادر كتاريخ مقدس يتأسس على حدثين أساسيين وهما(الخروج **من مصر ومن قبله** الوعد المقطوع للآباء). ومن خلال هذه المصادر الأربعة للنص التوراتي التي **يرى غارودي انها تعطينا** الإطار العام للتاريخ، يمكن **إعادة بنائه من جديد**(وهذا من ركائز منهج **غارودي)بمضاهاة** الروايات الشفوية الإسرائيلية بالمصادر التاريخية المحضة الخاصة بسائر شعوب **الشرق الأوسط من مخلفات** أثرية وكتابات ونقوش وحوليات وأساطير[2].

فعلى غرار جميع الشعوب تساءل الشعب اليهودي في أحد الأيام كما يقول الأب **كليمان اليسوعي**،(كيف بدأ عالمنا؟)، ولان كل تفكير بشري يدفعنا الى الاعتراف في انطلاق كل **شيء بوجود كائن مطلق، فألف** كل شعب بعض الأساطير، وهي روايات تخيلها عن البدايات، **بحيث ان أساطير** خلق العالم **نجدها في** جميع الحضارات.على ان الروايات الكتابيّة تميزت عن **غيرها، علما انها هي هي تقريبا. ثم توقف الأب** كليمان على روايتي الكتاب المقدس(الإلوهيمية **واليهووية)، فأجمل مواضيعهما في أربع نقاط**[3]:

---

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82ــ83.

[3] ـــ الأب كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، مرجع سابق، ص45ــ48.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1ـــ أرض الميعاد:

بعد تحرر الشعب اليهودي من العبودية التي خضع لها في مصر، واجتاز بفضل يهوه إلهه وحاميه البّريّة، وأعطاه فلسطين حيث يترل المطر وينبت الحصاد. في تلك الأيام حررت رواية خلق العالم الأولى.والتي أظهرت الله بمظهر الخزّاف، كما نرى ذلك في بعض الأساطير، فهو يصنع الانسان ويخرج من الأرض التي لا شكل لها، بستاناً وحيوانات. فكانت هذه بداية تفكير(تصور للخلق)يُرشده الروح القدس، بقدر ما تسمح به المعارف العلمية.

2ـــ الجلاء:

وبعد أربع قرون او خمسة دُمر الهيكل واورشليم وقُتلت الأسرة المالكة، وجُلي السكان الى صحاري سورية والعراق الى بابل على ضفاف الفرات، فبدا للبعض ان الله تخلى عن شعبه، ورئ البعض الأخر ان مردوك إله الاشوريين القدير تغلب على يهوه. فالهم الروح القدس الى تفكير ديني جديد، اخذ يعيد الشجاعة الى اليهود الذين فقدوا كل حيلة، فجاءت القصيدة الرائعة التي تصف خلق العالم في ستة أيام تذكّر بالقيم الجوهرية(فليس العالم إلها، وإلا وقع الانسان في الحلول. وليس الله في العالم، وإلا وقع الانسان في تعدد الآلهة. والعالم مرتبط بكائن مطلق يتفوق عليه. وان يهوه إله إسرائيل هو إله الأرض كلها وألهها الوحيد). في حين كان يُعتقد في بابل عاصمة بلاد فارس، ان هناك صراع بين إله صالح وإله شرير، ويفسرون بذلك وجود الشر على الأرض.

3ـــ خلق العالم :

تمَدَدَ خلق العالم على ستة أيام، ولتأكيد على ان الله صالح، والخليقة هي صالحة، يكرر الكتاب المقدس ان(كل ذلك كان حسنا)، الماء واليابس، النور والظلمات، الطيور والحيوانات، وكذلك الانسان ذكرا وانثى، فالخليقة كلها حسنةً وممتازة. لكن تلك الخليقة ليست مقدسة، ولا نتيجة إرادة فائقة الطبيعة: فالشمس والقمر والنحوم والنباتات التي ألهها سائر الشعوب وعبدوها ليستمِلوا عطفها، ليست آلهة بل هي كائنات مخلوقة لا تختلف صفتها عن صفة الانسان، وهي تخضع لإرادة الخالق العاقلة، ولذلك سيكون العلم ممكنا، وسيستطيع الانسان في أحد الأيام، ان

يكتشف قوانين سيرها المعقولة. وكل ما هو خرافة وسحر واستحضار أرواح لا وجود له في الحقيقة. ويجوز للانسان ان يبحث عن القوانين الطبيعية والكيماوية والنفسية فقط.

4ـ الانسان:

ان الانسان وحده هو على صورة الله، لانه إبن الله(وهذه عبارة لمفهوم مسيحي لا يرد في العهد القديم)، ومن أجله خَلق العالم فهو يسمي جميع الحيوانات التي يعرضها الله أمامه، ولا يجد واحد منها يساويه، ولما جَعل الانسان في ذروة الخليقة ليواصل عمل الله، فكان عليه ان يزرع البستان ويجعله ينتج(فهذا هو دور الانسان).

ثم يذهب الأب كليمان الى انه رغم ما عرفناه عن خلق العالم فاننا لا نجد انوار علمية عن علم المتحجرات والعصور التي سبقت التاريخ، وعن تكوين الانهار والجبال، وعن دورة الماء ومصدر المطر، والعواصف والبرق والرعد، وعن تطور الأصناف وظهور الانسان[1].

فماذا عن سفر التكوين، وكيف ستكون وقفت غارودي معه؟

1ـ سفر التكوين:

وعن موضوعاته الرئيسية يجملها التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في سبعة نقاط[2]:

ـ البدايات: فهذا السفر يوضح بداية وقائع هامة كثيرة(الكون، الأرض، الانسان، الخطيئة، وخطة الله للخلاص).

ـ العصيان: فالعصيان يحدث إذا لم يتبع الناس خطة الله للحياة عند الإختبارات العظيمة.

ـ الخطيئة: وتكون بمعصيت الله وهي تدمر حياة الناس.

ـ الوعد: والوعد يعطية الله للبشر لمساعدتهم وحمايتهم، ويسمى في هذه الحالة عهداً.

---

[1] ـ الأب كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، مرجع سابق، ص49.

[2] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، ص4.

ــ الطاعة: وهي نقيض الخطيئة، وبها تسترد العلاقة مع الله.

ــ النجاح: فالنجاح أعمق من مجرد الثروة المادية، فطاعة الله هي النجاح الحقيقي.

ــ بني إسرائيل: فالله بدأ ببني إسرائيل ليكونوا له شعباً مكرساً(يحفظ طرقه حية في العالم، يعلن للعالم من هو الله ويعد العالم لمولد المسيح..).

وأول ما يُذكر عن وقفة غارودي مع سفر التكوين القائل: (اصطحب طارح إبنه إبراهيم من أور في كلدة ليذهب به الى بلاد كنعان، ووصلا الى حران حيث أقاما فيها...)، فذكّر كلده في زمن إبراهيم باطل لانه لم يظهر هذا الاسم أول مرة إلا في حوليات أشور بانيبال(884ــ859ق م)، وهكذا لم يَكتب مؤلف سفر التكوين هذا النص إلا بعد ألف عام من الحادثة المفترضة الخاصة بإبراهيم[1].

وفي إطار كلام غارودي عن قضية فلسطين وملف إسرائيل والخرافات التي يؤسس بها الصهاينة لدولة إسرائيل، يقف مع ما جاء في الأسفار الخمسة، فبعد ان يذكر عهد الله لإبراهيم من سفر التكوين،يسجل ملاحظتين[2]:

1ــ ان إبراهيم القادم من أور في العراق(على ما جاء في سفر التثنية)، ليس عبريا بل هو آرمي أي سوري، فاختيار إبراهيم لم يكن بسبب جنسه بل بسبب إيمانه.

2ــ ان الله فرض الختان علامة على العهد(على ما جاء في سفر التكوين)، وقد نفذ إبراهيم هذا الأمر واختتن هو وإبنه إسماعيل(من هاجر)، وهكذا يؤكد من سفر التكوين نفسه على مباركة إسماعيل أبو العرب، الذي سيكون من نسله إثنا عشر رئيسا، ويكون من ذريته أمة كبيرة. في حين لم يكن إسحاق أبو العبرانيين قد ولد بعد(من سارة)، وقد وعده الله سلفا بان يقيم عهداً

---

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص36ــ37.

[2] ــ غارودي، ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، تر، مصطفى كامل فوده، دار الشروق، بيروت، ط3، 1985م، ص87،88.

معه. وقد جاء التأكيد على شمولية مضمون هذا الوعد عند الإشارة الى عيسو(إبن إسحاق) أين خاطبه الله قائلا:" بك وبنسلك تكون مباركة كل أمم الأرض".

وبهذا التحليل يفند غارودي اعتماد الإيديولوجية الصهيونية على هذا الوعد لتأسيس مزاعمهم، بل يذهب الى ان قضية إسرائيل ليس لها ذكر في أي وثيقة سوى العهد القديم، ويطرح هنا سؤال: هل يمكن لأي مجموعة بشرية، كائنة ما كانت، ان تفرض على شعوب أخرى كقاعدة لوجودها مبدأ لا يقوم إلا على إيمان تلك المجموعة البشرية بسننها التقليدية؟ بل ان جميع شعوب الشرق الأوسط قد عرفت مثل تلك الوعود لإبراهيم و لم يعتبروها حقا تاريخيا(علما ان إمبراطورياتها كالحثيين(السوريين)دامت حوالي ألف عام في حين لم تستمر مملكة داود وسليمان إلا عشرات السنين؟). فمثل هذه القراءة للتوراة هي قراءة انتقائية مغرضة، بل هي قراءة قَبلية تعتبر سلفا صحتها دون غيرها ممن يجاورونها. وفي الوقت الذي نجد في سفر التكوين23ان إبراهيم ابعد ما يكون عن اعتبار نفسه مالكا لأرض كنعان فهو يفرط في مجاملة عفرون الحيثّي، ببلدة حبرون ليشتري منه ارض في المكفيلة ليدفن بها زوجته سارا. تأتي القراءة القبلية الانتقائية، تهمل التفسير الروحي على ان أرض الميعاد هي(مملكة الله)، بل تذهب الى التفسير المادي على ان الوعد أرض، حدد سفر التكوين حدودها في إصحاح الخلق(لذريتك أعطي هذه البلد من نهر مصر الى النهر الكبير: 8/15)، وتصبح هذه الآية وكانها صك ملكية لتلك الأرض، وتعتبر في نظر الصهاينة برنامج سياسي وعسكري، وتحصر هذه القراءة ذرية إبراهيم في بني إسرائيل دون العرب بني إسماعيل بكر إبراهيم، علاوة على ان تنصب على الانسانية التي ترى في تضحية إبراهيم صورة لإيمانها. بل يفسرون تلك الآية باعتبار صحة اتصال نسب اليهود الحاليين بأرض كنعان القديمة. وبهذا يبرر القادة الإسرائيليون سياستهم التوسعية واعتداءاتهم وضمهم للأراضي باسم تلك الخرافة[1].

وتجدر الإشارة الى انه تمت إقامت دراسات كثيرة في الشرق الأوسط للمسيحيين المشارقة وفي مناطق عديدة من العالم أكدوا فيها ان إسرائيل الحالية ليست هي إسرائيل العهد

[1] ـــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص91،148،149.

القديم، وانه بتواجد المسيح أصبح شعب الله المختار منتشر في كل العالم، وان وعد كنعان القديم ليس مستمراً. وتأكد الجميع ان إقامت إسرائيل في مكانها وعلى أساس ديني يشكل خطورة كبيرة[1].

وبعد ان يرفض غارودي تقسيم تاريخ إسرائيل الى عصور متتابع(عصرالبطريركية(الآباء)، عصرالعبودية في مصر، عصر غزو كنعان)، يرى ان الوعد البطريريكي كان وعد باستقرار الرعاة، إلا ان تحول الى وعد قومي وبالسيادة السياسية، ولقد سمحت الأبحاث التي تناولت تفسير النصوص المقدسة وتأويلها بالاعتقاد ان توسع الوعد الرعوي الى وعد قومي، لابد انه حصل قبل التدوين الأول للنصوص البطريركية، ليفرز منهج غارودي نتيجة مفادها ان الله لم يتجلى في حقبة ما لشخصية اسمها إبراهيم، ليسلمه صكا قانونيا لتمليك بلاد كنعان، بل هناك من الأسباب ما يجعلنا نعتقد ان مشهد سفر التكوين (12ـــ17،13ـــ14ـــ18) ليس انعكاس لحادثة تاريخية محددة. ويؤكد هذا ما يطرحه حاخامات اليهود كما قال الحاخام ألمر برجر الرئيس السابق لرابطة(من أجل اليهودية): ان إدعاء زرع دولة إسرائيل وكانها إتمام لنبوءة توراتية، هو إدعاء مرفوض تماما، كما انه مرفوض ان نعتبر الرب يوافق على أي فعل من كل الأفعال التي قام بها الإسرائيليون، لإقامة دولتهم والحفاظ عليها. وهكذا فان دولة إسرائيل الحالية، لا تملك أي حق في الإدعاء انها تنفيذ للمشروع الإلهي في حقبة مسيحية بل هي حقا دماغوجية الأرض والدم[2].

وعن خرافة العرق يذكر غارودي انه جاء في سفر التكوين ان أولاد نوح أجداد البشرية هم سام وحام ويافث. وقد اعتبرت القرون الوسطى الإقطاعية(حام)جد الاقنان، و(يافث)جد النبلاء، الأسياد، و(سام)جد الكهنة. وهذا ما يشير إليه (غوبينو)في كتابه(دراسة في اختلاف العروق البشرية)الى هذا التميز بين العروق البشرية، فيجعل الآريين المنحدرين من أسيا الوسطى انبل عرق بشري، ودنس العرقين الأسود والأصفر. ليحكم على نفسه بالانحطاط بتبنيه النظرية العرقية المعتمدة على نقاء الدم. ويستنتج غوبينو وأمثاله كثير على ان كل الحضارات من نتاج

[1] ــ القس صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، دار الثقافة، القاهرة، ط1، ص334.

[2] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية مصدر سابق، ص27ـــ33.

العرق الأبيض المتفوق الرزين المتئد، صاحب روح النظام والذكاء. ويعلن ان التفوق الجوهري والأزلي للعرق الأبيض، اما باقي العروق فهي غير قادرة على التفوق[1].

ويذهب غارودي الى قضية التمييز بين الجنسين، وكيف انه تم تدعيم نظرية دونية المرأة من خلال ترسانة المبررات الماورائية من الكتاب المقدس، والغريب ان نجد في سفر التكوين(27/1)الصيغة المتألقة القائلة(رجلا وامرأة خلقه)والتي تعني ان البشرية انثوية وذكورية بشكل لا يتجزأ، وفي المقابل لا تظهر المرأة الا متأخرة بعد خلق الحيوانات(كاستدراك لنسيان)، وذلك بشكل ضلع زائد لدى ادم(وهذه الفكرة وردت مع الإسلام كذلك)، قبل ان تكون المرتكبة الأولى للخطيئة الأولى وتصبح (باب الشيطان)[2].

وفي التوراة عدة روايات عن الوعد بالأرض والذرية، فهو أولا وعد لبدو رحل بأرض يستقرون بها(سفر التكوين38: 10ـــ22)، وليس معنى هذا الوعد الاستيلاء على الأرض عنوة، ولكن معناه الاستقرار. وفي الرواية الثانية يتسع فيصبح له أبعاد قومية، يبرر به لغزوات داود اللاحقة، وفيه ضمان لسيادة شعب مختار على كل المناطق الواقعة بين "نهر مصر والنهر الكبير، نهر الفورات"(سفر التكوين15: 18). أما الرواية الثالثة تمدّ الوعد ليشمل كل قبائل الأرض(سفر التكوين 12: 3). والتسلسل في قصة الوعد هذه هو اهتمام الرب اهتماما دائما بخلاص الانسان، سواء أوعد البدو الرحل بالأمن والرخاء وبذرية سعيدة، أو وعد شعبا بدولة ثابتة تحت حكم داود، او وسّع الآفاق فدعا الأرض كلها لتحقيق أسمى مشروع للانسان يحقق إرادة الرب. ثم يؤكد غارودي على ان هذا الخلاص ليس مؤجلا الى عالم أخر لانه يرى ان الدين اليهودي القديم كان يستبعد تلك الثنائية، ولكن الدنيا والسلطان السياسي لا يمكن ان يشكلا غاية في حد ذاتهما، فهما نسبيان لدى الرب[3].

---

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص170ـــ171.

[2] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، تر، جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1982م، ص15.

[3] ـــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص98ـــ99.

وفي حين يذهب غارودي الى ان لهجة التمييز والقومية هي السائدة في التوراة، فسفر التكوين يلعن الكنعانيون حتى لا يتزوج العبرانيين منهم(فلتكن كنعان ملعونة..)[1]، وفي الوقت الذي يقف فيه غارودي مع لعنات كهنة بني إسرائيل (تكوين25/9)، بعد ان أصبحت طريقة حياة العبرانيين تشابه حياة الكنعانيين، حتى كثرة الزيجات المختلطة، فحرم الكهنة هذه الزيجات والمعاهدات معهم(تكوين 2/24ـــ3). تأتي إشارة أخرى للوعد فيرى غارودي ان موضوع تخصيصه لبلد توراتي، أصله من(الوعد الأبوي)من الله لإبراهيم جاء وفقاً لسفر التكوين(1/12ـــ3). حتى ان المفسرين المعاصرين لتاريخ إسرائيل بين عامي(1954ـــ1971م)يبررون هذا التاريخ باعتباره(الوعد الإلهي)كما جاء في سفر التكوين(14/13ـــ15و 18/15)، فيعطوا بذلك الشرعية لغزو إسرائيل لفلسطين، وعلى انها السيادة الإسرائيلية خلال حكم داود. فيَعتبر غارودي ان الوعد قد يكون أُدخِل في القصص الأبوي ليجعل من ملحمة الأجداد مقدمة وبشارة للعصر الذهبي مع داوود وسليمان[2].

يذهب غارودي الى انه من خلال ما نقرأه في سفر التكوين(3/12)حيث يقول يهوه لإبراهيم(فيك أبارك كل أمم الأرض)، يصبح كل تاريخ(تاريخا مقدس)و(زمن العهد)أي(زمن الوعد)هو زمن الخلق، فينبثق في التاريخ كل ما هو جديد، ليكون آية على حضور الله الحي الفاعل أبدا، فعل الخميرة والبذرة في تاريخ البشر. ان سفر التكوين(انطلاقا من العلاقات الأسرية سواء كانوا عربا أبناء إسماعيل او موأبيين وعمونيين أبناء لوط او عدونيين من نسل عيسو حفيد إبراهيم او كنعانيين) يقدم كل هؤلاء على انهم ورثة العهد المعقود بين إله نوح، وورثة الوعد المقطوع لإبراهيم[3].

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.

[2] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،ط1،2004، ص57،58،62.

[3] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص92،96.

2ــ سفر الخروج:

أما في سفر الخروج فان الموضوعات الرئيسية يحددها التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في خمسة نقاط[1]:

ــ العبودية: فقد استعبد فرعون ملك مصر بني إسرائيل بقسوة400سنة.

ــ النجاة/الفداء: فقد انقذ الله بنو إسرائيل بقيادة موسي، وبواسطة معجزات عظيمة. ويحتفل بالفصح كتذكار سنوي للنجاة من العبودية.

ــ القيادة: فبشجاعة موسى وضربات العصى ومعجزة البحر الأحمر والوصايا العشر، تحرر الله الشعب من العبودية.

ــ الوصايا العشر: فهي القسم الأول من الشريعة(به المبادىء المطلقة للحياة الروحية والأدبية). وكان القسم هو القانون المدني الذي قدم للناس قواعد السلوك في الحياة. أما القسم الثالث فكان الناموس الطقسي الذي بين إقامة الخيمة(مكان العبادة) والعبادة المنظمة.

ــ الأمة: فقد أقام الله الشعب القديم امة وأعدها ليأتي المسيح من نسلها فيكون مصدراً للحق والخلاص لكل العالم.

وفي هذا السفر يشير غارودي الى ان ما لُعن لأجله الكنعانيين من رجس التضحية بالبشر ولا خاصةً الأطفال، نجده في سفر الخروج حين يقول يهوه: "كرس لي ضحيةً ولدك البكر من بين أبناء إسرائيل.." وقوله: "تقدم لي الولد الأول من أبنائك..."، وفيه الافتراءات الحاقدة لدى كبار الكهنة الذين جمعّوا منذ القرن10وحتى6ق م المأثورات الشفوية وتبنوها لخلق أسطورة(الامتياز العبري)[2]. هذا التمييز ظهر في سفر الخروج(8: 19)أين يميز الرب بين شعبه والشعوب

[1] ــ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص128.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص52ــ53.

الأخرى[1]. في قوله: (سأطرد الكنعانيين من أمامك طرداً)لما كان الطرد هو الوسيلة للمحاربة من أجل التوحيد ضد الوثنيين[2]. ثم يستغرب غارودي مما ورد في سفر الخروج نفسه(20: 2ـــ5)، من غيرة الإله العبري من الآلهة الأخرى وما ورد عن تفوقه عنها[3]، ويشير كذلك الى السؤال الذي يطرحه سفر الخروج(11/15: فمن مثلك يا رب بين كل الألهة)[4]. في حين قتل موسى ثلاثة ألاف شخص ذات يوم لمعاقبتهم على وثنيتهم(الخروج 32: 25ـــ28)[5]. وكان موسى قد ذكّر كذلك بدم العهد بعد ان قرأ كتاب العهد والتزم الشعب بتنفيذه[6].

وانطلاقا من نقد غارودي لما جاء في سفر الخروج(15/34ـــ16: إياكم ان تعقدوا معاهدات مع سكان الأرض لانهم حين يعبدون ألهتهم مشركين ويذبحون لهم، يدعونكم فتأكلون من ذبيحتهم وتزوجون بنيكم من بناتهم، فيغوين بعبادة آلهتن ويجعلن بنيكم يغوون أيضاً بعبادة آلهتهن)، يذهب الى معنى مُهم في مشروعه الانساني، حينما يلغي أهمية ان يكون بطل قصة عائلة إبراهيم أسطوريا أم حقيقيا(يريد غارودي بذلك إلغاء صراع أصحاب الديانات السماوية الثلاث حول بعض القضايا المتعلقة بقصة سيدنا إبراهيم وبنيه) وان الخيرية التي يؤسسونها بناءاً على تلك القضايا قد يؤكدها او يلغيها أي إكتشاف أثري أو علمي في الأزمنة القادمة، ويعتبر ان المُهم هو الإيمان الذي برز مع إبراهيم، وان هذا الإيمان كما كتب كيركغارد هو اليقين في ان الانسان يمكن ان يودي في عالمه الأرضي أعمال اللانهائي(الإله عند كيركغارد)، وانه بهذا اليقين يمكن ان نجعل من أفعالنا إجابة على دعوة الله وفقا لنموذج وتضحية إبراهيم. ومن ثمّ يتحرر التاريخ(ويقصد

[1] ـــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص59.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص37.

[3] ـــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص40.

[4] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص61.

[5] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص158.

[6] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص161(الهامش).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غارودي بالأخص تاريخ فلسطين)من أي مفهوم وضعي للدين(اليهودي أو المسيحي أو الإسلامي)، والذي قد يفصل الإيمان عن العمل في حين ان الأصل في الإيمان الإرادة والعمل معا، وهو ليس الخضوع للأحوال السارية المفعول (فرض الأمر الواقع، وتأسيس الحق على القوة)ولكنه على العكس من ذلك خضوع لدعوة الله وفقا لنموذج ونمط تضحية إبراهيم[1].

ان الخروج وما نجده في مقدمة الوصايا العشر(انا الله إلهك الذي أخرجك من بلاد مصر بلاد العبودية)فالنجاة والتحرر من مصر هي الرمز الصريح للخلاص[2]. ويعتبر غارودي هذه الوصايا شرعة للعدالة الاجتماعية[3]. إلا ان هذا التحرر ليس هو الحلول محل الطاغية(كما يفعل الصهاينة اليوم بالفلسطينيين)فسفر الخروج(49/12)يقول:(تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللتزيل النازل بينكم)[4]. ومع الوصايا العشر يشير غارودي الى أهمية التدخل العلوي(الوحي) لفرض الأخلاق، في هذه الحقبة من تاريخ الانسانية، هذا التدخل الذي نجده في الوصايا كما نجد كذلك في الواح حمورابي[5].

ومن هنا نفهم ما قاله غارودي: "ان التداخل الدائم بين اللاهوت والتاريخ يقودنا الى ان نطلب من التاريخ او من علم الآثار ان يحدد موقفه من الإيمان سلبا او إيجابا وهذا ما يستتبع رؤية سطحية فقيرة الى(الإيمان)الذي يلتبس هنا بالتصديق، وهو مفهوم وضعي يطالب بوجوب ان يكون ما نؤمن به من وقائع ذا صحة تاريخية. وما هذا النوع من الإيمان الا اعتقاد ساذج، فالإيمان هو التجاوز الدائم للواقع، وهو الأمل والحب والإرادة التي لا تشترط شيئا في سبيل تحقيق(مملكة الله)"وفهنا يطالب غارودي بتجنب البحث في العلوم الوضعية بكل ما فيها عن

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص58.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص61.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

[4] ــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص93.

[5] ــ غارودي، ماركسية القرن العشرين، مصدر سابق، ص114.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

موقفها من قضايا الإيمان، لتجنب ما قد يصاحب ذلك من نظرة قاصرة للإيمان واعتباره أفيون للشعوب[1].

وهذا الفصل بين الإيمان وكل بحث تاريخي يجده غارودي عند المؤرخ لتاريخ فلسطين إيمانويل اناتي الذي يندهش لعدم إشارة الآثار المصرية لإقامة العبرانيين، وحتى الخروج الذي غرق فيه جيش فرعون لا ذكر له في غير العهد القديم، رغم ان حرس الحدود المصريين كانوا يدونون في تقاريرهم أبسط الأحداث. ففي سفر الخروج تجلى إله القوة والمعجزة (خروج31/4)الذي أمد يده الى بني إسرائيل فساروا في البحر فوق اليابسة(خروج22/14)في حين غرق فرعون وجيشه (28/14)[2].

ومن نصوص سفر الخروج يقول غارودي انه تعلم ما يطلق عليه(لاهوت التحرر) بالنسبة الى كل ما له علاقة بعمليات القمع والاستبداد. ومن ملحمة يشوع تعلم غارودي ان الرجل الذي يسكن فيه الله رجل لا يقهر.. فرغم ان النص الديني كتب باللغة البدائية لذلك العهد، لان الله لا يتحدث الى الانسان إلا من خلال الرمز ان والانسان لا يتحدث عن الله، إلا بالتعبيرات المجازية(ويظهر هنا منهج المتصوفة عند غارودي)[3]. ومن سفر الخروج أيضا يستنبط غارودي ما يوصل به لمشروعة حينما يجعل من خروج موسى وما جاء عنه في سفر الخروج دليل لمسؤولية الانسان التامة، عن تاريخه ونصر مستقبله، رغم كل الإخفاقات والفشل الذي يتعرض تاريخ الانسان[4].

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص34.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص59،60،64.

[3] ــ غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002، ص28ــ29.

[4] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص21.

3 ـ سفر اللاويين:

وفي خمسة نقاط كذلك يحدد التفسير التطبيقي للكتاب المقدس الموضوعات الرئيسية لسفر اللاويين[1]:

ـ الذبيحة(التقدمة): وهي على خمسة انواع تؤدى لغرضين إما الشكر والحمد والتعبد وإما كفارة وإزالة للذنب والخطيئة.

ـ العبادة: ففي الأعياد السبعة(مواسم دينية وقومية)، يكون تعليم العبادة لله سواء في الإحتفالات أو في الخلوات.

ـ الصحة: فهناك قواعد لتناول الطعام والمرض والجنس، ومبادئ مختصة بالجسد وأخرى بالروح ليتميز بها بنو إسرائيل عن سائر الأمم، فكان الله يحميهم من الأمراض والمشكلات الوراثية.

ـ القداسة: فبعد ان أخرج الله بني إسرائيل من مصر أخرج منهم أساليب مصر الوثنية. حتى تكون الدوافع والممارسات مكرسة لله. وهذا تكون القداسة.

ـ اللاويون: فاللاويون والكهنة يعلمون الشعب العبادة وينفذون القوانين الأدبية، المدنية والطقسية ويشرفون على خير الأمة وصحتها وتوفير العدالة لها فكانوا خُدَّام زمانهم.

أما غارودي فيرى انه في سفر اللاويين الرسالة التي يأخذها مؤسسو السياسة الإسرائيلية ليلتزم اليهود بعدم تزاوج الأعراق(اللاويين19/19)، وتطالبهم ان يميزوا بين الطاهر والدنس(اللاويين25/20)لان الرب ميز بين إسرائيل والشعوب الأخرى(اللاويين24/20)، التي وضعها الله موضع اشمئزاز(اللاويين23/20)، حتى تتم عملية التمييز العرقي. وهذا ما قاله الحاخام

[1] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 216.

سيتروك دون أي خوف من مُسائلة قانونية:" أريد من الشباب اليهودي ألاّ يتزوجوا إلا من الشابات اليهوديات"[1]

في حين يجد غارودي ان سفر اللاويين يقول:(ستحب قريبك كما تحب نفسك)، وهي دعوة لوحدة الانسانية[2]، وفية إقامة لعلاقة الحب بين الله والانسان، رغم زحمة التعاليم الطُقوسية، أين تجلى الله بوصايا الى خادمه(موسى)[3]. غيران هذه المحبة لا تظهر الا عندما يتعلق الأمر بالعلاقات الداخلية في الجماعة اليهودية(لاويين18/19)، وتأتي مع أمر بشريعة المثل(لاويين19/19)[4].

وفي اللاويين(28/25)يجد غارودي تأكيد على ان الأرض لله وحده. وفي(3/18)تأكيد على ان التحرر لا يقتصر فقط على انتقال الملكية والسلطان من يد البعض الى البعض الآخر، ولا ان يصبح مظلوم الأمس ظالم اليوم(كما هو حال الصهاينة اليوم). تلك هي رسالة اليهودية الأصلية للعالم والتي خانتها الصهيونية حين حادت عن الوعد الحق. ويقول غارودي: "لقد خانت الصهيونية السياسية روح اليهودية، وشوهت صورة المسيحية. أليس تشويها للمسيحية ذلك الانحراف عن اَبدع تراث تلقته المسيحية عن اليهودية، أي عن دين إبراهيم. ذلك الدين الذي لا يُحاول ان يستمتع بوعود الرب ولكن يجاهد لكي يُخضع نفسه لها؟"[5].

[1] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص59.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص160.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

[4] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص175.

[5] ــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص100.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ـ سفر الأعداد:

أما سفر العدد فيحدد فيه التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أربع مواضيع رئيسية[1]:

ـ التعداد: أحصى موسى بني إسرائيل مرتين: في الأول نظم الشعب في وحدات للسير تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم بطريقة أفضل. وفي الإحصاء الثاني أعدَّهم للاستيلاء على الأرض الواقعة شرقي نهر الأردن.

ـ التمرد: فقد رفض الشعب الدخول الى الأرض خوفا من الأعداء في أرض كنعان، فتمرد بنوإسرائيل عن أمر الله.

ـ التجوال: فقد بقي بنوإسرائيل جائلين في البرية40سنة عقابا من الله على تذمرهم وخطيئتهم، مات في هذه السنوات كل من تمسك بالوثنية المصرية وقيمها، وفيها تدرب جيل جديد في طرق الله.

ـ كنعان: وهي أرض الوعد(وعد الله بها إبراهيم وبنيه)وأرض العهد، اختارها الله لتكون أرض شعبه الذي أفرزه للعبادة الروحية الحقيقية.

ويحكي سفر الأعداد في قراءة غارودي عن مفاخر بني إسرائيل(الأعداد18/7)عندما انتصروا على المديانيين وغيرهم كان الهدف منها هو إضفاء الشرعية عما يقولونه على غزوات داود وامبراطوريته، وهي سرد لحوادث تاريخية تفتقر الى الدليل(من الاكتشافات الأثرية أو الوثائق التاريخية)على حدوثها. وفي سفر الأعداد أمثلة لحروب الإبادة لشخصيات تتمتع بمكانة عظيمة مثل موسى ويوشع، فيجد فيها اليهودي المؤمن والأصولي(الذي يأخذ بالقراءة الحرفية للكتاب المقدس) المبرر لسياسة الإبادة[2]. ويعتبر غارودي ان الأخذ بمثل هذه الآيات من سفر الأعدد(9/31ـ18)هي قراءة انتقائية مغرضة خارجة عن الإطار العام للأديان الأخرى بالشرق

[1] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر، ص270.

[2] ـ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص51ـ54.

الأوسط، تختار ما يحلو لها من الآيات، لانها تبرر تصرفها، وتستبعد البعض الأخر لانها لا تلائمها[1].

ويعود غارودي الى سفر الاعداد وقضية حدود اسرائيل، وفي سبيل هذه الحدود المطاطة يستشهدون بالتوراة في اللحظة المناسبة لتبرير ما يقومون به من عدوان او ما يضمون من ارض. ويقول: "وهذا التبرير(التوراتي)للقتل، وهذا الإطفاء للشرعية على العدوانات المتتالية وضم ارض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدمونها على انها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً، ويجعل كثير من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية وبصحة أقوال(مدارس الأحد)البروتستانتية وهم يسيرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية(أرض الميعاد)التي اثبت علم التفسير منذ قرون، وبخاصة في السنين الأخيرة عدم صحتها وفندها تفنيداً"[2].

5ـ سفر التثنية(الإشتراع):

إن الموضوعات الرئيسية لسفر التثنية في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس خمسة نلخصها في النقاط التالية[3]:

ـ التاريخ: فقد استعرض موسى أعمال الله العظيمة لتحرير بني إسرائيل من العبودية في مصر.

ـ الشرائع: استعرض الله شرائعه مع الشعب، لتحديد العهد الشرعي بينهم وبين الله، لان الجيل الجديد كان على وشك الدخول لأرض كنعان.

[1] ـ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص88ـ89.

[2] ـ المصدر نفسه، ص21ـ22.

[3] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص353.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـــ المحبة: فصور محبة الله الأمينة والصبورة أكثر من عقابه، فبينها الله وبين مواعيده لهم، وفي المقابل ينتظر منهم محبة من القلب لا التزام متزمت بشرائعه.

ـــ الاختيارات: بين الله ان الصدق على العهد يكون باختيار الشخصي للطاعة الذي يجلب المنافع لحياتهم، أما التمرد فلا بد ان يجلب مصائب مُروِّعة.

ـــ التعليم: أمر الله بني إسرائيل ان يعلموا أبنائهم طرقه، باستخدام الطقوس والتهذيب والحفظ على ظهر قلب، لتأكيد الفهم ونقل مبادئ الله الى الجيل التالي.

ويكرر سفر التثنية مؤكدا لا على انتزاع الأرض وطرد سكانها الأصليين فحسب، بل على المذابح المرتكبة أيضا (سفر التثنية12/7و24/7)، وهو الأسلوب نفسه الذي تمارسه الصهيونية من شارون الى الحاخام(كاهانا)بحق الفلسطينيين. وفي التثنية كذلك إشارة الى الفصل العرقي، لمنع تدنيس العرق الذي اختاره الله، وتدنيس الإيمان الذي يصله به (التثنية3/7)[1].

ويشير غارودي(حينما يقارن بين هذه النصوص وتاريخ بني إسرائيل)الى التناقض، ففي الوقت الذي يلح فيه مؤلفوا الاشتراع على تحريم الزواج بالغريبات والذي يَنسب(التحريم)الى الله نفسه، وهذا ما ورد على لسان إبراهيم(لن يكون زواج ابني ببنت من بنات كنعان...)فان أحفاد يعقوب، سِهر الآرامي(لابان)سواء من كان منهم من زوجاته الشرعيات او من خادماته الغريبات او من محظياته، لم يراعوا هذه القاعدة، فيهوذا تزوج بكنعانية، وافرام ومنسي ولدا يوسف كانت أُمهما مصرية. وهذه الأمثلة وغيرها مما ورد في المأثورات الشفوية تبين ان التزاوج المتبادل بين الشعوب كان ممارسة شائعة سائدة[2].

وبعد ان يعلن غارودي ان اليهود ليسوا إلا جزءاً من الهجرة الأرمية(التثنية5/26: كان أبي أرمياً تائها، ثم انحدر الى مصر وتغرب هناك ومعه نفر قليل، ولكنه أصبح هناك أمة كبيرة)، يلمس الروح العرقية الضيقة التي كُتِب بها التاريخ، فقد احتكر التراث الكهنوتي العبري التطور

[1] ـــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص54،56.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.

الناضج للوحدانية من العراق الى مصر، وكذلك جُعِلت فلسطين مركز الخلق ففي(التثنية5/12، 2/12،21/12)يردد وبشكل مرهق كما يقول غارودي ان القدس هي(المكان الذي اختاره الرب إلهكم ليضع عليه اسمه)[1].

ويجد غارودي ان محرروا التوراة وخاصة سفر الإشتراع شوهوا الحضارة الكنعانية بل انهم سعوا لنسخها او إلغائها أكثر من ميلهم لوصفها. ويقرر غارودي ان فكرة الشعب المختار هي من اختراع سفر الاشتراع[2]. رغم انه نجد في هذا السفر(10/19)دعوة دائمة تحض على الخير، وهي ابعد ما تكون عن نهج الاستئثار ورفض الاندماج وانكار الغير والقضاء عليهم[3]. ولكن فكرة الشعب المختار هي التي تؤدي الى روح الإقصاء والانتقاص من الآخرين ، وهذا ما تفعله الصهيونية الإسرائيلية اليوم، وما فعله الاستعمار الغربي مع شعوب العالم الثالث وهذه الفكرة هي الأساس الذي دفع هتلر الى تصنيف البشر ونتج عنها حربين عالميتين، تكبدت فيها شعوب العالم الخسائر البشرية والمادية.

وسفر الإشتراع الذي اخترع هذه الفكرة هو نفسه الذي يقول:(هو ذا للرب إلهك السماوات والأرض وكل ما فيها)ليؤكد على ان الملك لله وحده، هذا المبدأ الذي يجده غارودي أساس الشرائع السماوية الثلاث، وهذا التماثل يجعل هذه الشرائع ذات قيمة شاملة فهي التي تحدد الأهداف المتعالية، في حين ان البرامج والمناهج تتيح في كل حقبة من التاريخ إدخال القيم المتعالية، ومن ثمّ يحكم غارودي على ان الشريعة واحدة في الكتب الثلاث المنزلة(التوراة، الإنجيل والقرآن) وكذلك الأمر بالنسبة لمبدئي(الأمر لله وحده والعلم لله وحده)، بقي انه من مسؤوليتنا ان نعثر في كل لحضه على الوسائل التاريخية الكفيلة بتحقيق تلك الغايات المتعالية[4]. في حين يجد غارودي ان حياة يسوع خرق مستمر لشرائع التوراة، بل ان النصوص تبين هذا النقض ففي التثنية(22/2)ان

[1] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص60ـــ61.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص38،82.

[3] ـــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص92.

[4] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص49.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الله يحكم على الذين لا يعملون بالشريعة بالإبادة وبعذاب الهاوية، أما مرقس(17/2: اني لم آت لادعو الصدقين بل الخطأة)، بل ان الفرسيين يستدلون بسفر التثنية(13/1ـ16)لرفض دعوة كل نبي يدعوا لغير إلههم وينقض شريعتهم، بل انه سيُقتل[1].

وانه منذ سفر الاشتراع وظهور كبار انبياء إسرائيل بداءً(بعاموس)تم التأكيد على العدالة الاجتماعية، وهذا هو الإسهام الإسرائيلي ذوا الأهمية الواضحة، فإذا لم يكن الإسرائيليون هم الذين ابتكروا التوحيد الذي كان ينضج منذ قرون في كل الشرق الأدنى فقد جعلوا من توحيدهم الآخذ في الولادة دافعا الى حركة تحرر اجتماعية، و لم يقدّر لهذا التوحيد ان ينتصر على نحو نهائي الا في منتصف القرن6ق م أيام أشعيا الثاني[2]. ويستمر في هذا السفر التماثل لعلاقة الشعب اليهودي بالكنعانيين وجعل يهوه اله غيورا(سفر التثنية9/5،15/6)وقد ضل اسم الله بصيغة الجمع(ايلوهيم)قرون طويلة بعد ان محا اخناتون(فرعون مصر)هذه الصيغة من المعابد والذي لم يعترف الا بالله واحد هو الشمس، وبنفس هذه الصيغة يشكر موسى الرب الذي هو أقوى من جميع الآلهة (تثنية 3: 24)[3]. ويعتبر غارودي ان سبب هذا التأخر، رغم ان سفر الاشتراع يقول(لا تزيدوا شيئا على ما حددته لكم ولا تنقصوا منه شيئا)، هو تعصب العبرانيين في الاخذ بمفهوم ضيق لفكرة الشعب المختار. فلم يتبلور التوحيد الا بمجيء الانبياء. فاله القبيلة كان هو الإله الأقوى الذي يغار من العبادات التي تودي لآلهة أخرى دخيلة غريبة. ومع مجيء الانبياء أصبح ذلك الإله هو الوحيد الذي سيقول عنه سفر التثنية: (اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد)[4].

[1] ـ المصدر نفسه، ص171.

[2] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص60.

[3] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص109،184.

[4] ـ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص82،159ـ160.

المطلب الثاني: الأسفار التاريخية.

يصف غارودي بعض الأسفارالتاريخية(يشوع، القضاة، صمرئيل والملوك)بالها إشتراعية لالها حُررت بنفس الروح السائدة في أسفار الإشتراع(التثنية). وهي تستعرض تاريخ اسرائيل منذ نشأته حتى عام 587ق م[1].

اما يشوع خليفة موسى فقد تابع نفس المنهج، منهج(التطهير العرقي)، تنفيذا لأوامر اله الحرب. ويجد غارودي ان ما يقوله سفر يشوع(10: 28ــ34):"واخذ يشوع مقيده، في ذلك اليوم، وضربها بحد السيف وحرم ملكها، هو وكل نفس بها، و لم يبقي شاردا. وفعل بملك مقيده، كما فعل بملك اريحا،...ثم صعد يشوع ومعه جميع اسرائيل من عجلون الى اريحا" هذه الأحداث تصطدم وعلم الآثار، فلقد أثبتت الحفريات ان الإسرائيليين، وقد وصلوا الى نهاية القرن13ق م، لم يستطيعوا الاستيلاء على اريحا،لالها لم تكن قد سُكنت بعد. بعد ان هدمت حوالي عام 1550ق م[2]. وقد نشر المختص بالتوراة الألماني(سيلين)تقريرا سنة1913عن حفريات اريحا، ذكر انه قد وجدت أسوار مُنهارة، ورأى فيها الأسوار التي تهدمت على صوت أبواق يشوع(2ــ12)، وكذلك الأمر بالنسبة الى استيلاء يشوع على(عاي)يشوع(8ــ1ــ29)فقد شدد الأب ديغو (في كتاب له)على ان علم الآثار يكذبها[3]. هذا الحكم الذي يعتبره غارودي تفوق ونزاهة المؤرخ وعالم الآثار في هذا الكتاب على المساعي التلفيقية والأمل الشديد في ان نُشهِد التاريخ على صحة القصة التوراتية[4].

ويذكر ان كبار الكهنة الذين يبيحون لانفسهم التشهير برجس الكنعانيين، هم انفسهم كَتبة النصوص المقدسة التي تمجد المذابح الوحشية التي قام بها يشوع لكي يُظهِر جبروت(اله

---

[1] ــ المصدر نفسه، ص82.

[2] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص52ــ53.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص187.

[4] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص59.

الجُيوش). ولذلك قُرِرَ سفر يشوع الذي يصفه غارودي(بسفر المذابح)في مدارس إسرائيل اليوم، وهو يُستخدم للإعداد النفسي للجنود الأغرار في الجيش. بل سُخرت وسائل الإعلام للدعاية للاديولوجية الصهيونية الإسرائيلية، فلقد أصدرت الحكومة الإسرائيلية في كانون الثاني 1983، بعد مذابح لبنان، ثلاث طوابع بريدية(لإحياء ذكرى يشوع)[1]. ويستشهد الحاخامات العسكرية الإسرائيلية اليوم بهذا السفر للمناداة بالحرب المقدسة وتبرير مذابح اورادور او دير ياسين او الاحتلال بالقوة لأراضي الغير وقتل الناس أفواجا[2].

وكم كان متناقضا الزعم باننا نعثر في يسوع على السمات الأساسية لرئيس المرتزقة داود الذي ثُبتت سيرته في صموئيل الأول وصموئيل الثاني. لا تتوقف وأعمال إبادة الأجناس ولا مع القضاة ولا مع الملوك. فنجدها في سفر صموئيل الأول(2/15ــ3)، ولان شاول لم ينفذ اومر الرب فانه(الرب)يندم على اختياره ملكا في صموئيل الأول(10/15)، فيبحث الرب عن ملك أكثر قسوة في صموئيل الاول(10/16)وهو داود الذي يقول عنه كتاب التعليم الديني المسيحي لسنة 1992م(كان داود، قبل غيره الملك بحسب قلب الله)، واستطاع بعضهم ان يجد في(يسوع المسيح)السمات الأساسية(لمسّيا اسرائيل). ومن صموئيل الاول16الى صموئيل الثاني24، يكون داود الشخصية المقلقة، فبعد ان كان داود حامل سلاح شاول نحاه حسداً، فهرب داوود وناحاز وكون جماعة من المرتزقة الفلسطينيين، وجعلها في خدمت ملكهم(اخيش)، وينظم الغارات للنهب، ثم جنده (اخيش)معه لمحاربة اسرائيل، فيوافق. وبعد معركة(حقل الصخور)مع بيت شاول، أصبح داود ملك على إسرائيل ويهوذا، واستقر في أورشليم التي أصبحت مدينته، وليؤمن داود وارثا لعرشه اخذ(ششبع زوجة اوريا الحثي، الذي تخلص منه في الحرب)، وهكذا ولد سليمان. فيعلق غارودي قائلا: "هذا هو الجد الأول الذي كان بولس أول من نسبه الى يسوع. وهذه التلفيقة القاتلة قد ألقت ثقلها على تاريخ المسيحية حتى أيامنا هذه، ... فالبشارة بالنسبة لبولس، هي انجاز مواعيد الله التي وعد بها إسرائيل .. وسوف تلقي هذه القرابة السلفية بثقلها على كل تاريخ الكنيسة منذ بولس.. هذا التقليد القدم يقوم على اختيار

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص52،155.

[2] ــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص88،89.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حاسم: اختيار لاهوت السيطرة". هذه النصوص التي يزخر بها العهد القديم، عن الغزوات والمذابح واغتصاب الأراضي من سكانها الأصليين نموذج لجميع الابتزاز الاستعمارية باسم الله[1].

وبعد ان انجز يشوع الوصية متبعا سياسة التقتيل وبكل حمية دينية، وذكر بمذابحه(وأهلكتهم من أمامك)، وضع قوانين التمييز العنصري، حول تحريم الزواج من الآخرين(13—12/23)، هذا التشريع الذي تكرر في(نورمبورغ)الهتلرية. وقد أكّد على هذه القوانيين (عزرا10/10)و(نحميا31/10)بعد العودة من المنفى[2]. حتى ان عزرا بكى لانه(اختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي: عزرا2/9)، فأمر بالاصطفاء العرقي والطرد عزرا4/10. وقال نحميا عن اليهود(فطهرتهم من كل غريب)، وقد وسعت ظاهرت الخوف من الاختلاط والرفض للأخر من التباعد العرقي. فرفض دم الآخر عن طريق الزواج المختلط سيؤدي هذا بالضرورة الى رفض ديانة الأخر، وثقافته وطراز حياته. فقد قاتل نحميا ضد اللغات الغريبة: نحميا(25—23/13)[3].

وعن التناقض في سفر يشوع يجد غارودي انه في الوقت الذي يطرد الرب الكنعانيين لانهم غير موحدين(سيطرد الرب الكنعانيين من أمامكم)، يكشف سفر يشوع تعدد الأله عند إسرائيل(كان آباؤكم يعبدون آلهة أخرى)، بل يبرهن الأب ديفو من خلال نصوص التوراة ان موسى لم يكن يعتنق عقيدة باله واحد، وان التسليم باله واحد لم يكن في صلب الديانة اليهودية الأولى. وهذا ما نلمسه في سفر القضاة(ألا تملك ما وهبك إياه إلهك كاموش)، وشعب كاموش هم المؤابيين. ثم نجد ان سفر يشوع يقول:(انه لم يكن من المستطاع طرد سكان السهول لانهم يمتلكون عربات من حديد)، بل ان سفر القضاة يؤكد ان الكنعانيين قد ضلوا يسكنون البلاد، ولكن حينما قوية شوكة الإسرائيليين فرضوا أعمال السخرة على الكنعانيين. وفي سفر يشوع

---

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص180،188ـــ190.

[2] ــ المصدر نفسه، ص185ـــ186.

[3] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص56ـــ57.

كذلك يطرح يشوع سؤال في مجمع(شكيم)على إسرائيل:(عليك الان ان تختار سيدك الذي تخدمه. أتختار يهوه اله الخروج ام آلهة كنعان؟)[1].

تناقض أخر في سفر القضاة بين الإصحاحين(8/5)و(21/1)بين إبادة أبناء يهوذا لسكان أورشليم، والتعايش بين بني بنيامين واليبوسيين سكان أورشليم، ورغم ان غارودي يتجاوز هذه الملاحظة إلا انه يفند بها قضية الأرض الموعودة، ويؤكد ذلك بما يجده في الإصحاح الثاني من سفر صموئيل الثاني أين يشتري داوود من ملك اليبوسيين(أرينا)حقلا ليُقيم فوقه معبد مقابل50شاقل من الفضة(24/24). وفي سفر أخبار الأيام الأولى(18/51ـــ25)ان داود يشتري من ملك اليبوسيين أورنان الحقل مقابل600شاقل، ويشير غارودي ان هذا التغيير والتناقض في اسم الملك والسعر هي عنده أمور ثانوية، أما المهم فهو ان داود لا يتصرف كمالك، ولا يحاول ان يطرد صاحب الأرض، بل على العكس يتفاوض معه بودّ تماما كما فعل إبراهيم في الماضي مع عفرون الحيثي(التكوين23)، والأمر كذلك فيما يتعلق بالمنهج المتبع لدخول كنعان، فما يقوله سفر القضاة عن الدخول لأرض كنعان انه كان تسلل بطيء لأرض بأصحابها، تم في اغلب الأحيان بلا قتال أما في سفر يشوع كما رأينا سابقا فانها كانت غزوة ذبحوا فيها كل من قابلهم في الطريق وفي المقابل نجد في صموئيل (10/8ـــ14) يحذر صموئيل الشعب ضد مفاسد إقامة الملكية في إسرائيل، ليشير الى ان الأرض والسلطان لله وحده[2].

ثم انه مع مملكة داوود وسليمان كذلك كان الانتقال من السلطة الدينية الى السلطة السياسية، حسب ما يقوله صموئيل الأول والثاني، رغم الاهتمام ببعض الجوانب الدينية، فقد أقام داود مملكة متعددة الجنسيات، كانت مملكة فلسطينية ترتبط عناصرها المتعددة بشخص الملك وحده. ومع سليمان بداء الاهتمام بالمنجزات الحضارية والاقتباس من الحضارات المجاورة (الفرعونية والفينيقية ..)، ويقول سفر الملوك ان نساء سليمان حولت قلبه صوب آلهة أخرى فعبدها وبني لها المعابد: سفر الملوك الأول(9/11)، وفي المقابل يذهب المؤرخون الى انه في ضل

---

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص37،60،61،67،69.

[2] ـــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص91ـــ92،99.

حكم داود وسليمان ظهرت أولى الوثائق المدونة وهي حوليات سليمان ففي سفر صموئيل الثاني إشارة إلى احد كُتابها وفي سفر الملوك وأخبار الأيام تروى مقاطع منها[1].

وإذا كنا لا نجد تفاصيل سيرة داود وسليمان إلا في صموئيل الأول والثاني، فلا نص ولا نُقوش ولا بقايا أثرية تؤكد صحت ذلك، ومن ثَّم يعتبر غارودي انه لا يوجد مصدر أخر يؤخذ منه أخبار التاريخ غير العهد القديم وحتى(كتاب تعاليم الكنيسة الكاثوليكية)الصادر1992م قد اشتملت(ص37،120،121)على كتابي صموئيل وكتابي الملوك كجزء ثابت من الكتاب المقدس ويأخذ بأحكامها، ومن ذلك اعتبَار كتاب التعاليم داوود رجُل بقلب إله(صموئيل14/13)[2].

ويقف غارودي مع عزرا ونحميا المتعاونين مع ملك فارس القوي، وقد اقتصر دورهما على إصلاح أحوال العبرانيين، بعد ان اختفت سلالة داود الملكية وحدث السبي البابلي للملك صدقيّا ووجهاء المدينة مع نبوخذنصر الذي استولى على اورشليم عام587ق م واستمرت حياة الشعب العبري في فلسطين بدون ملوكه وبدون ارستقراطيته الكهنوتية او التجارية. فلما قضى ملك الفرس قورش للمنفيين بالعودة حدث بينهم وبين الباقين من العامة خلافات حول املاكهم، فتول كل من عزرا ونحميا تنظيم الحياة في فلسطين، حتى ان عزرا أصبح(الأمين على شريعة الله)، ووصل بعده نحميا الى اورشليم ليتسلم فيها منصب حاكم يهودا، وفي هذه الفترة تمت عملية إضفاء الطابع القانوني على الكتب المقدسة. وهكذا ألغي كل تطور جديد وبدأ حكم المجامع الدينية وأحبار الشريعة. وبهذا يرى غارودي انه قضي على الحركة التنبوئية المتطلعة الى العالمية وانتصر التعصب تحت وطأة الكهنوت. وقد استمر هذا الركود مع سلطة اليونانيين ثم الرومانيين الى ان قامت ثورة المكابيين(اين كان يهودا المكابي على يقين تام من انه قاتل في سبيل سيادة ملكوت الله على الارض..)[3].

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص73ــ76،79.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص52.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص94ــ104.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن خلال هذا المسار التاريخي، يبرز غارودي تميز التنبوئية التوراتية(الاستشراف المستقبلي فيها)، اين يوصل بين انكشاف التحالف(مع اله)والوعد الأخروي للنصر النهائي الذي ينتظره بني إسرائيل، وهذه هي المسيحية(الاعتقاد بمجيء المسيح المخلص)التي يعتبرها غارودي في ظل منهجه التاريخي الامتداد لليهودية. ثم ان اليقين بان المُلك لله وحده يُعطي قياساً للحكم على الملوك انفسهم، قياسا مطلقا مفارقا، يكون لكل نظام مقاما وقتيا تبعا له. ومن هنا ينجم الدور المعارض والثوري غالبا للتنبوئية التوراتية، وهذه هي النتيجة التي يبحث عنها غارودي ليؤكد دور الأديان في مشروعه الانساني[1].

المطلب الثالث:الاسفار الشعرية والاسفار التعليمية.

اما عن الاسفار الشعرية فان فؤاد حسنين علي يشير الى ان نقاد الكتاب المقدس يتفقون على ان سفر الامثال لم يؤلفه سليمان، اذ كثير من الامثال من هذا السفر ومن سفر ايوب والجامعة شاعت في الشرق القديم عند البابليين والمصريين[2].

وهذا ما يقوله غارودي عن سفر المزامير، فالمزمور104: من التوراة نسخ حرفي لنشيد الشمس لاخناتون هذا النشيد الذي يُعبر عن الوحدانية الحقيقية في رأي غارودي. ويمكن اقامة موازنة حرفية بينهما في التوراة العبرية والنصوص التوراتية الكنعانية. وفي المقابل يحتار غارودي لعدم إشارة النصوص المصرية الى حادثة مهمة وخطيرة، تذكرها التوراة ونجدها في المزمور 106، حادثة الخروج(ورغم ان غارودي يبحث هنا عن مصادر للفراعنة الا ان القران الكريم أشار الى هذه الحادثة بعد ذلك)[3]. ويجد غارودي ان المزامير أخذت من الكنعانيين حتى صفات الآلهة والطبيعة والتاريخ، فمثل بعل(إله الكنعانيين)يحمل يهوه لقب(الله..أبو اليتامى وقاضي الأرامل: المزامير5/68)ومثل بعل، إله المجد أرعد (المزامير3/29ــ4)، ومثل الإله إيل ــ أوجاريت، يرتقي إله العهد القديم العرش ويقرر في وسط ساحة الألهة(الله يترأس ساحة قضائه، وعلى القضاة

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص164.

[2] ــ فؤاد حنين علي، التوراة الهيروغليفية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص150.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص59ــ60،83.

يصدر حكماً: المزامير1/82)[1]. ويهدف غارودي من وراء تأكيده على استمداد العبرانيين من الثقافة المصرية(نشيد الشمس في المزامير)، والاستمدادات التي تكون حدثت خلال الأسر البابلي المزدوج، والاختلاط بالكلدانيين وثقافاقم التي انبثقت عنها ملحمة جلجامش وعلم المجوس وتنبؤ زراواستر(وهو زرادشت شخصية دينية الفارسي الأصل الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد)، يهدف الى إدراج المصدر الإغريقي الشرقي لمصادر الحضارة الغربية، في الوقت الذي يُصِر فيه اصحابها على إلغائه. ضنا منهم ان ذلك ينقص من قيمة حضارقم، وتجنبا لما سيصحب هذا الاعتراف[2].

كما ان المدائح والتضرعات والصلوات نفسها التي يتقدم بها العبرانيين لالههم هي نفسها التي يقدمها الكنعانيين لالهتهم، ويشير غارودي هنا الى ان اعمق طابع لعبادة الاوثان ليس شكل تمثيل الله، بل موقف الانسان الذي يعزوا الى الله قدرات الكائن البشري وصفاته، حتى ان سفر ايوب(9/10)يصور الله كالفاخوري صانع الصلصال، وسيحكم الله على الذين لا يقبلون شريعته بالابادة او بعذاب الهاوية(ايوب19/24). ثم ان تعظيم قوة المسيا تُرجع الى المزامير المنسوبة الى الملك المسياني داود، ولا سيما المزمور110، نشيد القوة والتسلط(2/110)، و يقول غارودي انه من خلال هذه النصوص يُبرر اختيار لاهوت السيطرة[3].

ففي المزمور5/9ـــ6، وبعد مديح منافق وكاننا أمام ملك كما يقول غارودي، تأتي أهازيج الانتقام(زجرت الشعوب وأهلكت الشرير. محوت إسمهم الى أبد الدهور أفنيت العدو إفناء.. دمرت مدنهم حتى باد ذكرهم). هذا ما يطلبه إله هو مثل ألهة البيت الروماني. ويذكر غارودي مثالاً لحال مسكينة ورعة تبتهل الى القديس ليجد لها مفاتيح بيتها، لانها تعلمت هذه الوثنية كدين تم تصويره هكذا منذ قرون، كما يعلم الانسان البدائي أعمال السحر. وتعَّلم الدعوات المستغيثة بإله الانتقام كما ورد في الكتاب المقدس مثل ما ينشد في

---

[1] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق،ص 57.

[2] ـــ غارودي، وعود الاسلام، الدار العالمية، ص15ـــ16.

[3]ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص109،110،171،190.

المزمور11/6ــ7(يمطر على الأشرار جمراً وكبريتا وتكون الريح المحرقة نصيبهم لان الرب عامل). وهذه المزامير تظهر في الكتاب المقدس مع الاناجيل، وترتل في الكنائس المسيحية. ويؤكد غارودي انه وبعد تدخل بولس أصبح المسيح إبن للملك(أسوأ من ذلك هو ملك الحروب، وزعيم عصابة من السماسر (داود))وأدمج يسوع في القانون العام لسلطة الآلهة، كما لو كان ابنا ليهوه ملك الجيوش والانتقام... ويساق هذا جنبا الى جنب مع تسامح وحب يسوع، هذا الحب الذي يكشف عن قلب ينبض من جراء كل ما في العالم من مآسي[1].

في حين ان فكرة المخلص التي يشير إليها غارودي في سفر أيوب ستصبح لها علاقة ب(المتألم الصالح)، واذا كان هذا في القرن السادس ق م، في النصوص العبرية، فانها ظهرت في الأدبيات الدينية البابلية في الألف الثاني ق م. بينما تجعل المزامير الوعد خاصا بامتلاك ارض او تحقيق نصر عسكري(مجدوا اسم يهوه.. لقد انتصر على الملوك الأقوياء .. واهلك الملوك الأشداء وجعل من أرضهم إرثا لنا)[2].

أما عن الأسفار التعليمية فيشير غارودي الى سفر يشوع بن سيراخ(21)وحروب الإبادة أين يأمره يهوه بإعمال السيف في رقاب الجميع، رجالا ونساء، شبانا وشيبا في إحدى المدن المحتلة[3].

وفي سفر الحكمة تتكرر اللعنات للكنعانيين(فلتكن كنعان ملعونة من جذورها..)وكان هذا ما يستطيع الكهنة فعله لصد التمازج والتكامل والتزاوج بين العبرانيين والكنعانيين. ولا أدل على ذلك انهم اخذوا عن الكنعانيين الحِرف، وأهمها الزراعة التي استقروا بها والكتابه التي كتبوا بها رواياتهم الشفوية[4].

[1] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص254ــ255.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص92ــ93.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص160.

[4] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص55.

المطلب الرابع:الاسفار النبوية.

كشف الانبياء قبح إسرائيل والفساد الذي عم حياتهم ففي سفر ارميا(29/21ـــ23: ..اللذان يتنبان لكم باسمي بالكذب..من اجل انهما عملا قبيحا في إسرائيل)، وقال ميخا في إدانة رؤساء إسرائيل(3/9ـــ10: اسمعوا يا رؤساء يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء واورشليم بالظلم)، ويعلق غارودي قائلا: "ويرمون اليوم كل من خالف السياسة الصهيونية، سياسة دولة إسرائيل، يرمونه باللاسامية او معاداة السامية. ولو قيست الأمور بمقاييسهم لكان كبار رسل اليهود مثل عاموس واشعيا وميخا وارميا معادين للسامية"، الا ان القراءة الانتقائية تعمي أبصار الصهاينة، فيتناسون لعنات ارميا وميخا لِما هو منكَر من أفعالهم، المخالفة لشريعة موسى العالمية في دعوتها الى المساواة بين الناس والتي ناد بها حزقيال واشعيا مبشرين بالخلاص على يد المسيح المنتظر[1]. كما ان حزقيال يلغي تميز العرق اليهودي في حديثه عن القدس قائلا:(حزقيال3/16: وقل هذا ما يعلنه السيد الرب لأورشليم: أصلك ومولدك من أرض الكنعانيين. أبوك أموري وأمك حثية)، وكذلك ألغى أرميا مركزية الخلق في القدس ونقلها الى شيلوه(سفر أرميا12/7)[2].

ومع الانبياء سيأخذ مفهوم ملكوت الله والخلاص أشكالا جديدة وعديدة بدءاً بعاموس وانتهاءاً بالمسيح. فالمخلص الذي يصفه اشعيا قائلا:(.. انه رجل الآلام...لقد حمل عنا آلامنا...وقتل بسبب جرائمنا)، وليبين انفتاح وعالمية العهد يجد غارودي ان سفر اشعيا يقول عن المخلص:(ساجعل منك نورا للأمم حتى يعم سلامي وخلاصي أقاصي الأرض)، وبهذا تجاوز الانبياء الاستثنائية(كون العبرانيين نقلوا الرسالات)والعنجهية القبلية. وجعلوا من الوعد تبشيرا بملكوت الله الذي يشمل العالم ليغمره بالسلام والمحبة بين الشعوب، وهذا هو المقصود مما ورد في اشعيا:(.. سوف اخلق لكم سماوات وارض جديدة... وحينئذ ستُقبل عليها كل الأمم..سنجعل من حرابنا مناجل للحصاد وسيوفنا محاريث للفلاحة ولن يتعلم اولادنا فنون الحرب). واذا كان

[1] ـــ غارودي، ملف إسرائيل، مصدر سابق، ص26ـــ27.

[2] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص61.

سفر دانيال يذهب الى ان المخلص الذي سيقيم مملكة الله هو(ابن الانسان)، ان اشعيا وارميا يؤكدان على انه لا بد ان يكون من نسل داود، وانه يتصف بالحكمة. ويكرر غارودي كثيراً ان كل هذا يعني ان تحقق الوعد لا يكون بتمركز البدو الرحل من بني إسرائيل والآخذين بالتحضر في ارض خصبة هي(ارض الميعاد)وليس الوعد هو قيام دولة كمملكة داود، وانما هو مجيء ملكوت الله. وسيكون ذلك لما تُكتب الشريعة في القلوب لا في الحجر، ففي ارميا يقول الرب:(سأقطع عهدا جديد... وأجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم)، فهذا العهد الجديد سينفتح على كل الشعوب مخالفا لكل تمييز عرقي او قبلي. وينبئ سفر زكريا بعودة الشعوب الى الله(ستتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم... ويكونون لي شعبا...). ويجد غارودي في كل ما سبق الدليل على عظمة الرؤية المستقبلية لاشعيا وسائر الانبياء ويعتبر انهم: "لم يجعلوا من أورشليم عاصمة خاصة لأمة من الأمم وانما جعلوا منها منارة روحية للأديان كلها في أرجاء الأرض".[1].

وقد كان دور الانبياء في إصلاح المجتمع الإسرائيلي ذو أهمية واضحة، فمع اشعيا جاء التأكيد على التوحيد فقد ورد فيه(أشيعيا22/65: انا الله ولا اله غيري)تأكيداً واضحاً لا نقاش فيه[2]. إلا انه وبالرغم من تنقية هذه التمثيل والتجسيم لله من قبل الانبياء، يستغرب غارودي ما يرد في اشعيا بلا كلل عن صورة الفاخوري لاستحضار صورة الخلق الإلهي وخضوع الانسان(اشعيا16/29،9/45،7/64)، وهو ما يرد في ارميا كذلك(6/18). ويصور الخالق على انه اله كلي القدرة، خارج الانسان وهو صانعه كما يصنع الفاخوري الصلصال الذي يشكله(ارميا6/13،اشعيا16/8). ويرد كذلك التأكيد على القيامة وتصويرها بدقة(رؤية حزقيال2/37ــ12،7/38ورؤية هوشع اليهودية2/6ورؤيا اشعيا19/26ورؤيا دانيال2/12)[3]. وفي أشعيا وأرميا تصبح الأحداث المأساوية تقع بتقدير إلهي فسبب سقوط قبائل

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص68،92،93،160،161.

[2] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص40.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص110،178،182.

بني إسرائيل وعذاها من طرف الإمبراطوريات كان يرجع لكفرهم وعصيانهم الله، وبالتالي أصبح حكام الشرق أدوات لتحقيق أهداف يهوه: فملك الأشوريين القوي المخيف(قضيب غضبي الحاملين معهم عصى سخطي: أشعيا 5/10)وكذلك يفعل الله مع الملك الجديد نبوخذنصر(أرميا6/27ـــ8)وأصبح قورش ملك بلاد فارس(منفذاً أمينا لأوامر يهوه: أشعيا5/45ـــ6و13/45)[1].

ومع عاموس بدأ التأكيد على العدالة الاجتماعية. ويرد ان النبي ارميا يرى الخضوع لنبوخذ نصر طاعة للمشيئة الإلهية التي أوكلت إليه سيادة العالم، حتى ان العقوبة الإلهية لما خالفه ملوك إسرائيل في استيلائه على أورشليم عام587ق م وهدمها. ويشير غارودي هنا الى ان بعض المؤرخين يرون ان هذه الهزيمة لم تكن حدثا ذا شان في التاريخ العالمي لان ما أثرى على نبوخذ نصر لا يأتي على ذكر هذه الهزيمة تماماً، وهذه نقلة أخرى للانبياء فقد جعلوا جوهر التاريخ ومعناه لم يعد في الماضي ولا في الوعد بالأرض والسلطة لصالح شعب واحد فحسب، يدين بانتصاراته لمشيئة الله. بل راحوا يفتحون هذا التاريخ على المستقبل ليعطوه مغزى كونياً. فكان هذا إسهام أخر للعبرانيين الى التراث الروحي الانساني يرد في ما يسمى بأدب الانبياء، والذي لا يرجع الى مرحلة الصعود والازدهار بل الى مرحلة انحدار الأمة الإسرائيلية، فقد تنبأ عاموس، أول الانبياء المدونين للتوراة حسب غارودي، بالكارثة العسكرية وبالسبي، أما ملخيا(أخر انبياء الاشتراع) فقد فضح منذ العودة من السبي التحريف الذي لحق بالرسالة بسبب التعاليم المضللة للأحبار[2].

ويلاحظ غارودي من خلال ما كُتب بعد العودة من السبي البابلي الصعود كبير للنزعة التنبؤية في أسفار الانبياء وارتقاء روحي وتتريه ليهوه. فللاحتفال بالعودة الى أورشليم وبدأ التضحيات، أعلن هوشع التحول:(هوشع6/6: ان ما يسرني الحب وليست التضحيات، معرفة الله أكثر من التضحيات الكبرى(أي التضحية بحرق الحيوانات تقرباً))، هكذا حدث في رأي غارودي

[1] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص65.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص60،68،87،88،89.

انتقال شبيه بما حدث بين التسابيح الفيدية الاولى والاوبانيشادا. ليقرر غارودي ان تأثير النزعة التنبؤية لدى زراتوسترا واضح على كبار الأنبياء في إشارة منه الى تأثر وانفتاح أنبياء اليهود لغيرهم، وخاصة عاموس الذي أعطى التحالف(تحالف الله مع شعبه، وهو مبدأ أساسي في اليهودية)معناه الحقيقي، فتحول من كفاح شعب ضد أعداءه الى كفاح ضد الشر، والانتصار النهائي فيها للخير. وأصبحت شعائرية التلقين القبلي للختان دلالة على التحالف، بل يذكر ارميا بختان القلب(ارميا4/6). على حين ان سفر إسحاق والذي لا نجده بين أسفار العهد القديم التي يعتمدها المسيحيين يجد فيه غارودي شكوى من المكر الديني لدى أولئك الذين يراعون الطقوس ولكنهم لا يمارسون العدالة، ومع إسحاق ظهر الإله على انه(21/14: اله عادل ومخلص). وهكذا أضفى كبار الانبياء اليهود على التحالف معنى الشمولية[1].

ولإبراز آثار المصادر اليهودية في العالم المسيحي يجد غارودي ان النبوءات التوراتية قد استغلت استغلالا مجحفاً في تاريخ اللاهوت المسيحي ومن ذلك ما فُبرِك عن خرافة غزو العرب لقرطبة، في الترجمة الفظيعة لحياة النبي محمد التي قرأها سان ألوج واستند في كتابه تاريخ الغزو الى حبقوق(1/6ــ11: سأحرض الكلدانيين، ذلك الشعب الفظ والعنيف...لكي يغتصب بيوت الآخرين ... وليأخذوا أسرى بعدد الرمل... أنهم يستخفون بالحصون). وقد استعان إلفارو(القرطبي تلميذ الوج)برؤى دانيال حول الوحوش الأربعة المرعبة التي أوحي إليه تأويلها(دانيال7/23ــ25)، وكذلك تمت الاستعانة بحزقيال(38و39)لنفس الغرض(غزو المسلمين لاسبانيا القوطية)[2].

وقد استغل اليهود ما يجدونه في الأسفار ليوصلوا لرفضهم لنبوة يسوع وهو على الصليب لان الله لم يخلصه كما خلص النبي دانيال من مخالب الأسود وهو بداخل الجب(دانيال6/23)بل راحوا يرمون يسوع بالسباب والألفاظ الساخرة. في حين ان الكنيسة وانطلاقا مما ذكره أشعيا(11/1ــ4: يخرج فرع من جذع يسي وينموا غصن من أصوله، روح

---

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص160ــ161.

[2] ــ غارودي، الاسلام في العرب، مصدر سابق، ص31ــ32.

الرب يترل عليه، روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة والمعرفة والتقوى، ويبتهج بمخافة الرب)اعتبرت الكنيسة نفسها البقية المستفيدة من الاختيار الإلهي[1].

ومن ثم ينبه غارودي الى ان الترعة التنبؤية تأُسس لطابع النسبية في جميع القيم، وذلك ان انبياء العهد القديم لم يكونوا اناسا يتكهنون بالمستقبل او يبشرون به، بل كانوا ينظرون الى الحاضر بعيدا عن كل قبول لا مشروط بنظام معطى وبالآراء المسبقة التي تؤيده، وكفاحهم ضد عبادة الأوثان يلغي كل قيمة مطلقة وتأليه وتبجيل للأشياء او المؤسسات التي خلقها الانسان، وهذا ما يسمى اليوم بمكافحة الاستلاب[2].

فإذا كان هذا ما يجده غارودي في العهد القديم، فما ذا عن العهد الجديد؟

المبحث الثاني: العهد الجديد.

يعتبر غارودي ان العهد الجديد يَعِدُ البشرية كلها بالخلاص الأبدي، الشيء الذي يجعل من العهد القديم عهدا عفي عليه الزمن لانه يَعِدُ شعبا مخصوصاً بأرضٍ مخصوصة[3].

اما عن كتب العهد الجديد التي يعتمدها المسيحيون فهي الاناجيل الأربعة(متى، لوقا، مرقص ويوحنا)وأعمال الرسل ورسائل بولس(وهي أربعة عشر رسالة)ويضاف الى هذا رسائل الرسل(ثمانية رسائل للقديسين). وتُعتبر الاناجيل بين هذه الكتب كما يقول ابوزهرة: "القطب والعماد، واذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فان هذه الاناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية، من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم،

---

[1] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص89،93.

[2] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص140.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص151ــ152.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة الوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي انها تشتمل على لب المسيحية بعد المسيح ومعناها"[1].

فكيف ستكون وقفت غارودي مع الاناجيل؟

المطلب الاول: الاناجيل.

ان مفهوم الإنجيل في الفكر الغربي عموماً هو البشارة وهو المسيح في حد ذاته، وهذا ما يمكن ان نستشفهُ من الأب برنار سيسبويه الذي يقول: "الإنجيل هو المسيح، المسيح كلمة الله، وقد صارت جسدا وتجلت في يسوع الناصري. فالإنجيل هو أولا شخص يسوع المبشِّر في أقواله وحياته بملكوت الله. والإنجيل هو أخيرا المسيح القائم من الموت"[2].

وانطلاقاً من هذا الفكر يقول غارودي بدوره: "الإنجيل هو(البشارة)بتلك الإمكانات اللانهائية في الانسان، ويسوع هو رمز تلك الانسانية المتحررة والمبدعة، فيه يتم الانسان(على صورة الله): لقد حمل النارَ إلى الأرض"[3].

فماذا يقصد غارودي بهذا الربط في هذه العبارة؟

وبعبارة ابسط يقول غارودي موضحاً: "إذا كانت الاناجيل تعلمنا أشياء قليلة عن يسوع التاريخي، فانها بالمقابل تقدم لنا معلومات كثيرة عن ردود فعل أولئك الذين صاروا هم المسيحيين الأوائل، وقدموا بلغة وثقافة عصرهم شهادة عن إيمانهم، كما تنيرنا عن مواقف ألئك الذين أبصروا فيه رسول آمالهم"[4]. وهو يقول كذلك: "يحسن ألا ننسى بان الاناجيل التي كُتبت

[1] ــ أبوزهرة، المرجع السابق، ص112ــ113.

[2] ــ الاب برنار سيسبويه، الانجيل الحي في الكنيسة، ت، الاب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3، 1997، ص9.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص64.

[4] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص172.

بعد موته(أي المسيح)بزمن طويل، هي(إعادة قراءة)لحياته انطلاقا من قيامته"[1]. هكذا يكون غارودي قد فرق بين الإنجيل كونه البشارة التي جاء بها المسيح والتي تَجسدت في تعاليمه وحياته. وبين الاناجيل التي كتبها رسل المسيح، وتطرقوا فيها الى حياته والواقع الذي عاش فيه، وما ألت اليه دعوته.

اما عن زمن تدوين هذه الاناجيل وأصحابها فنجِد في كتاب المسيح ابن مريم ان أول نص كامل للانجيل كتبه القديس متى، وهو ذلك العشار الذي دعاه يسوع إليه يوم ان مر به فوجده جالسا الى مكتب الجباية بالقرب من بحيرة طبرية، ثم جعله واحدا من الاثنا عشر. ويعتبر ان متى قد دوّن انجيله باللهجة العبرية أي الآرمية. وان هذا النص الآرمي مفقود، و لم يعثر له على اثر الى الان، ومن خلال الوثائق التاريخية ومنها ما يرتقي الى منتصف القرن الثاني يُضن ان هذا النص كان موجود قبل سنة 60م، وقد ترجم الى اليونانية مع بعض التعديلات حوالي سنة70الى80م. اما القديس مرقس فهو تلميذ للقديس بطرس، وقد دوَّن في انجيله ما سمعه من معلمه. وألف هذا الإنجيل قبل سنة70م، ويرجعه النقاد الى حوالي سنة64م انطلاقا من طريقة عرضه لحادثة تدمير أورشليم. أما القديس لوقا فقد كان يوناني الأصل، يمارس مهنة الطب. ويرجح النقاد ان انجيل لوقا صدر في الفترة التي شهدت ظهور نص متى اليوناني، وقد أطلق المفسرون على الاناجيل الثلاثة السابقة إسم الاناجيل السُينبتية أي الاناجيل ذات المخطط الموحد أما انجيل يوحنا فهو لا يسير على هذا المخطط فقد عني بالجانب الروحي العميق من تعاليم يسوع، ويوحنا هو اصغر تلاميذ يسوع أمضى حياته اعزبا، وهو الذي يُكنى في الإنجيل الذي ينسب إليه بالتلميذ الذي كان يسوع يُحبه، مات يوحنا على الأرجح سنة98م، وقد صاغ انجيله في أخريات حياته، وهو في انجيله لا يجهل أعمال سائر الإنجيليين، الأمر الذي جعله يتحاشى ما سبقوه إليه[2].

[1] ــ المصدر نفسه، ص178.

[2] ــ جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح إبن مريم، مرجع سابق، ص254ــ263.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

اما غارودي فيبرز من خلال كلامه عن زمن تدوين أسفار العهد الجديد وفي مرات متعددة اثر بولس على القديسين أصحاب الاناجيل، ويأخذ بالرأي القائل ان تحرير أقدم الاناجيل(انجيل مرقس)كان بعد رسائل بولس بخمسة عشر سنة[1]. ويعتبر غارودي انطلاقا من منهجه ان الاناجيل ليست مقدسة، وهذا ما يذهب اليه البروتستنتي كارل بارث كذلك (مفكر وتيولوجي سويسري)، أي ان الاناجيل لا تمثل وحيا الهياً مباشرا بل هي(وثائق انسانية)لا تخلو من الخيالات والأهواء الانسانية[2]. ولذلك يستغرب غارودي انه لا توجد معلومات عن حياة يسوع سوى بعض المعلومات التي نقلها بعض المصادر المسيحية، أما في غير المسيحية فلا يُذكر عن ذلك شيئاً سوى ما ذكره سويتون وهو أحد أكبر مؤرخي روما، الذي كتب في حوالي عام100م عن العذاب الذي تعرض له(خريستوس)وهو اسم يوناني أُطلق على المسيح. ثم يعود غارودي الى قضية التسلسل التاريخي لكتابة النصوص المقدسة، ليجد ان الفرضية التي رسختها الكنيسة في الأذهان هي ان الاناجيل الأربعة قد دونت جميعها في عهد المسيح، وان أعمال الرسل قد دونها القديس لوقا أحد تلاميذ المسيح، وان رسائل بولس كُتِبت بعد الاناجيل لان بولس قد ظهر بعد المسيح. وستمر ذلك الى غاية القرن17م حينما وصل المفسرون المسيحيون الى ترتيب أخر فقالوا ان رسالة بولس الأولى الى مؤمني تسالونيكي كتبت عام50م، ورسائل بولس الى مؤمني رومية، كورنتس وتسالونيكي الثانية عام57م وكانت رسالة بولس الأخيرة عام63م. وتتوالى بعدها الاناجيل الأربعة بداية بانجيل مرقس عام64م. ويشير غارودي الى اكتشاف انجيل توما في صعيد مصر عام1954م، وهو يعترض بدايتا على اعتباره انجيلاً ويسميه: أفكار يسوع لانه ينقل أقوال يسوع فقط لا حياته كاملتاً. والتي يُنتظرُ ان تقدم أحاديث انجيلية بصيغة جديدة سابقة لكتابة الاناجيل الأربعة[3].

1 ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص160.

2 ــ محسن الميلي، مرجع سابق، ص110.

3 ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص73ــ75.

وعند عودة غارودي الى فكرة الشعب المختار والوعد يجد ان رسالة الاناجيل تستنكرها، اذا ما نظر إليها نظرة كلية بعيدا عن أي اقتطاع لصيغ حرفية معزولة عن سياقها. فالاناجيل لا تنفك تبشر بان الوعد قد تحقق بمجيء يسوع المسيح، وان هذا الوعد للبشرية جمعاء. ومن ثمّ يستغرب غارودي في المسيحي الذي يجيز لنفسه ان يدعم أطروحة تقوم على ان الوعد يتحقق بمنح(ارض)الى(شعب). فقد رفض المسيح في ثلاث مواقف من الإنجيل ان يربط رسالته بموضوع امتلاك ارض او سلطة(الأول حينما جاءه الشيطان في أعلى الجبل وعرض عليه جميع ممالك المسكونة فرفض، والثاني في رفضه لقب المخلص كما فعل مع تلميذه بطرس لان هذ اللقب مرتبط عند اليهود بمدلول سياسي، والموقف الثالث حينما سأله بيلاطس قائلا:"هل انت ملك اليهود" فلم ينفي يسوع ولم يُثبت قائلاً: "مملكتي ليست من هذا العالم")وبهذا يَجُبُ العهد الجديد العهد القديم[1].

فعلى أي الأمور سيركز غارودي عند وقفاته مع الاناجيل الأربعة؟

1 ــ انجيل متى:

يعمد غارودي الى تحديد زمن تدوين انجيل متى بين عام80و90م، ويذهب الى ان النسخة الأصلية من هذا الإنجيل قد اختفت منذ بداية ظهوره ما بين عام40و50م، وحتى آباء الكنيسة لا يمتلكون أي نسخة منه، والتي كانت في أغلب الضن المسيحي مكتوبة بالآرامية. في حين ظهرت النسخة اليونانية عام80م[2].

وأول ملاحظة يقف عندها غارودي مع هذا الإنجيل، هي انه مُشبع بروح التعاليم اليهودية. فهو يحصُر رسالة يسوع ضمن إطار الآمال الخلاصية الإسرائيلية وهي أهم أساس في فكر بولس. ويبداء انجيله بإرجاع شجرة نسب يسوع الى داود، صعودا الى إبراهيم، وهنا يلح متى على النسب الملكي(ارجاع نسبه الى ملوك إسرائيل)[3]. وقد اضطر متى، في محاولة منه لتبر

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص150ــ152.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص74.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110.

فكرة بولس الحريص على إدراج يسوع في التاريخ اليهودي، الى معالجة غريبة لنسب يسوع عدَّ فيها 26جيلا من أسماء اعتباطية للوصول الى يوسف النجار على اعتبار انه الأب بالتبني ليسوع لا بحسب الجسد والولادة بل بحسب العرق[1].

بل يميل هذا الإنجيل الى جعل حياة يسوع تحقيق لنبوءات العهد القديم، ومن هنا تفسر رمزية التاريخ اليهودي عند الكنيسة المسيحية، ومن ذلك ان العودة الى صهيون فُسرت لديها على الها عودة المسيحيين الى صفاء إيمانهم. ويرى غارودي ان هذه القراءة الرمزية هي التي فجرت الاتجاه المعادي للسامية في الغرب، وتجلى ذلك في الحروب الصليبية، ففي فلسطين لم يكتفي القائد غود فروي دي بويون منذ استيلاءه على القدس بذبح المسلمين وطردهم، بل حاصر اليهود داخل الكنس وقضى عليهم حرقا. ولما ظهرت القراءة العادية للكتاب المقدس مع لوثر وانتشرت في البلدان البروتستانتية، احتل دور اليهود مكان الصدارة في تحقيق الوعود التوراتية(العهد، الوعد بالأرض، الشعب المختار، العودة)، ومن ثم بدأ تشويه تاريخ فلسطين العظيم وحصره في مرحلتين مستقلتين تاريخيا(70عاما للمرحلة الأولى في ظل حكم داود وسليمان تلاها انحطاط دولتي يهوذ والجليل وعودتهما على هيئة دويلات تابعة لغيرها، فقد دامت المرحلة الثانية اقل من قرن في ظل المكابيين). ولما حلت سلطة التوراة محل سلطة الكنيسة بعد الإصلاح وصارت تقرأ بلغة شعبية ظهر الألفيين(يقولون بعودة المسيح لتبدأ الألفية السعيدة)وقد كانوا على خلاف مع لوثر وكالفن(مؤسسا البروتستانتية)، وقد ربط بعدها لوثر بين الصهيونية ومعاداة السامية القائمة على طرد اليهود من ألمانيا وكانت هذه الخلفية الفكرية لظهور الصهيونية المسيحية، وقد حقق وعد بلفور الانتصار الأول للصهيونية السياسية. وينبه غارودي الى ان هذه القراءة المتعصبة للتوراة هي ضرب من التجديف لدى المسيحيين واليهود، لانها تعني ان تحل دولة إسرائيل محل اله إسرائيل فتصبح هي أساس الحياة، وما هذه القراءة إلا وقوع في أحضان أسطورة تقوم على التمييز العنصري والتوسع بلا حدود لتغطية سياسة قومية استعمارية[2].

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص180ـــ181.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص141ـــ148.

وانطلاقاً مما يقوله المسيح في متى40/25(بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي فعلتم)يشير غارودي الى معاني أخرى في هذا الإنجيل، كتصوره للتجربة الثلاثية الغير قابلة للتقسيم والمتجهة نحو التعالي، لانها كما يقول بذرة كل إيمان وكل فعل خلاق. ذلك ان كل كائن محبوب يصير تجليا حيا لله، الذي يحمله في ذاته[1]. وفي انجيل متى تغيير للعلاقات مع الله والانسان والعالم على ما هي عليه في العهد القديم، ففيه دعوة لإحلال بل لصناعة السلام(طوبى لصانعي السلام فانهم سيدعون أبناء الله)، هذه البنوة لكل صانع سلام تجعل غارودي يتساءل: هل تتماثل بنوة يسوع بهذه الأخيرة؟ فيكون رسول الله وابنه. أم انه الله، أي من جوهر الله وابنه الوحيد؟[2]. وفي وقفة أخرى مع هذه الفقرة من انجيل متى يرى غارودي ان يسوع بل حتى (موسى ومحمد(ص))كان واضحا لديهم ان كل ابن للانسان هو ابن لله (متى9/5،45/5،33/6)على اعتبار انهم جميعاً يؤكدون على الخضوع والارتباط بالله. ويذهب غارودي الى انه ولحسن الحظ ان هؤلاء الانبياء لم يكونوا لا فلاسفة ولا علماء لاهوت ولا فقهاء لغة، بل تكلموا بلغة بسيطة يفهمها الجميع. ويشير الى علاقة الأخوة بين يسوع وتلامذته في (متى8/23،10/28)[3].

وهذا يسوع يقول في(متى 27/11: كل شيء قد دُفع إلي من أبي، وليس احد يعرف الابن إلا الآب. ولا احد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن ان يعلن له). وثمّ بديهة يقف عندها غارودي وهي ان يسوع الناصري كان يرفض التماثل مع المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه والذي سيكون المنقذ لامتهم(متى20/16)تجنبا لالتباس الذي قد ينشأ بين رسالته والرسالة التي كان اليهود ينتظرونها من مسيحهم المخلص(لانه لن يتطابق مع آمالهم). ثم يعطي غارودي تفسيره لما فعله يسوع بعد ان يذكر كيف انه نقض الناموس وألغى التقاليد قائلاً: "لكنه إغراء بمواجهة الإمكانات، الى اللانهائي، في حرية لا حدود لها، اجل بالتأكيد اذا كان هذ

[1] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص264.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق ص115.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص32،33،174.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الانسان هو الله، كل شيء يكون ممكنا فان حياته برهنت على ذلك، إذن في وسعنا القول مع قائد المائة الروماني(رتبة في الجيش الروماني)الشاهد على أخر فعل من حياته(حقا كان هذا ابن الله: متى54/27)". وعند سؤال رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب عن سلطان يسوع، بيّن لهم نبوة يوحنا المعمدان والذي شهد له بالنبوة كما يعلمون جميعاً(متى26/21)، ولقد رحب به الجمهور حين دخل أورشليم ونادوه النبي(متى11/21)، وهو كان يعرف انه سيُقتل كنبي كما قتَلت إسرائيل من سبقه من انبيائها(متى37/23). فبأي معنى إذن يقول غارودي: "يكون يسوع المسيح ابن الله؟ فانه عندما سأله رئيس الكهنة أمام المحكمة اليهودية (استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل انت المسيح ابن الله، قال له يسوع: "انت قلت": متى63/23)"[1].

وفي انجيل متى أيضا(لا تظنوا ان إبراهيم أب لكم وحدكم لاني أقول لكم ان الله قادر ان يصنع من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم)وقد دعي يسوع الناس جميعا ليُعِدوا انفسهم لمجي ملكوت الله، ولا يعتبر غارودي ان هذا قطيعة او انفصال عن الشعب المختار، العهد والوع ولكنه رَفض لتحديد صفة شعب الله على شعب مخصوص يورث كل ما وعده الله به لنسله. وهذ ما بشرت به رسالة يسوع انه الانتقال من الإطار القومي الى العالمية. وفي موضع أخر يطر غارودي قضية الصلة او الانفصال بين العهد القديم والعهد الجديد ليؤكد انفصال قائم لا شك فيه، وانطلاقا من هذا الانفتاح والعالمية في المسيحية والعصبية والانغلاق في اليهودية، يبرر غارودي اتهام مارسيون دي سينوب عام144م والذي كان يلوم المسيحيين الذين كانوا يهودا بانهم زورو النص الأصلي لانجيل متى، جاء فيه(لا تظنوا انني جئت لانقض الناموس او الانبياء. ما جئت لانقض بل لأكمل...)ويرى هذا الأخير ان النص الأصلي كان يقول: (لم آتي لأكمل العهد بل لانقضه)[2].

ولإبطال تأليه يسوع يذكر غارودي ما يقوله انجيل متى43/27:(انا ابن الله)بل ا يسوع يتمم مشيئة الرب إذ يميزها عن مشيئته حتى الموت(ايلي ايلي لما شبقتني؟:أي الهي ا

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص172،179،180.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110،150ـــ151.

تركتني)متى46/27، ويتساءل غارودي: "ففي أي مكان يقول يسوع انا الله؟"، ويؤكد قائلاً: "بل هو رسول الله"[1].

وانطلاقا مما يقوله يسوع في انجيل متى 53/26(أتظن اني لا استطيع الان ان اطلب الى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة؟)في هذه الفقرة يجد غارودي الاستسلام الإرادي الذي يحافظ به يسوع على صورة رسالته التي ترفض تشبيه الإله بملك كلي القدرة كما هو شان اليهود. وفي متى20/28(وها انا معكم كل الأيام الى انقضاء الدهر)يذهب غارودي الى ان هذه المعية والحضور الدائم لن يكون إلا لمن امن بيسوع، ويفرق غارودي هنا بين الاعتقاد والإيمان، فيعتبر ان الاعتقاد هو الانتساب او الانضمام المشيد كثيرا أو قليلا على صورة أو فكرة. أما الإيمان فهو قرار يقود كل أسلوب للحياة والوجود. فإذا أصبح بعث المسيح فعل إيمان وفهم بمعناه الكامل فانه سيوجه النفس إلى ان يسوع الناصري لم يعُد الى حياة عادية يكون لها الموت من جديد كنهاية، وهذه الكلمة بعد قيامة المسيح لا توجه إلا لؤلئك الذين يعتقدون فيه وهكذا تكون هذه العودة والحضور الدائم للكلمة عند غارودي بشكل آخر غير تلك الصورة الكلاسيكية. ويجد غارودي في أحداث صلب المسيح في(متى40/27)، وما جرى فيها من استهزاء رؤساء الكهنة والفريسيين لتخلصهم منه، خيانة احد تلاميذه له وهو يهوذا وانكار بطرس له بين من حضر الحادثة، وفرار باقي التلاميذ، يرى غارودي انه لا يمكن تصور إفلاس أكثر شمولا لمشروع انساني مما حدث مع يسوع، في إشارة منه الى ان رسالة يسوع وانطلاقاً مما انتهت إليه وما ألت له انه لم يكتب لها النجاح[2].

وفي انجيل متى كذلك يجد غارودي قلب للموازين المعتادة، ففي متى31/21(ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله)وبهذا أوعيد النظر في الأخلاق التقليدية بقلب القيم حتى المكان المقدس، مكان تابوت العهد او المعبد فقد ابعد الى الأبد(استطيع ان اهدم الهيكل وان أعيد بناءه...). وكذلك انتهك يسوع الأمر بعدم الذهاب الى السامريين الذين يعتبرهم اليهود

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـــ31.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص192،194،195.

مهرطقين وأسوء من الوثنيين(متى5/10). بل انه يتحدى بصراحة الايدولوجيا الأساسية للإمبراطورية الرومانية (الإمبراطور هو الله)فقد جاء في متى21/22(ردوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، فمعارضة ألوهية قيصر بالله هي تشكيك بالأساس اللاهوتي لسلطته. وهذا السلوك هو الذي قاده الى الموت المؤكد(متى 4/26)، كيف لا وقد واجه سلطة اليهود الدينية وسلطة الرومان السياسية فهو يهدد الناموس والسلام الروماني[1].

وفي موعظة الجبل الواردة في هذا الإنجيل يجد غارودي تشكيك فيما يقال في الشريعة اليهودية، لا ليهجم على حرفيتها ويدعوا الى الأخذ بروحها فحسب بل ليربطها بالوجدان الذاتي الداخلي. فيسوع يتناول شريعة موسى بقوله: (قيل لكم قديما العين بالعين والسن بالسن. وانا أقول لكم: من ضربك على خدك الأيمن فأعطه الأيسر)، ومن الصعب ان ترى في شريعة المحبة هذه إكمالا للعهد اليهودي، بل انها تنقضه وتنفيه. ان الإلزامية التي يرددها يسوع في موعظة الجبل(قيل لكم قديما ...وانا أقول لكم) تُظهر لنا ما في رسالته من نقض لما يقال عن شريعة موسى. فيسوع يحرر مفهوم الإرادة الإلهية من تحجره في ألواح شريعة موسى، يحرره من كل شكلانية وحرفية وطقوسية ضيقة، فالمحبة هي أهم وصية في الشريعة، هكذا أجاب يسوع الحبر اليهودي لما سأله عن أهم وصية في الشريعة(ان تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك تلك هي الوصية الأولى والكبرى. أما الثانية فمثلها وهي ان تحب قريبك مثل ما تحب نفسك. وبهاتين الوصيتين يتلخص الناموس وشريعة الانبياء)، وهذا التصور للحب ينقض نقضا جذريا مفهوم الحب عند اليونان وكذلك عند اليهود[2]. ومن موعظة الجبل يعتبر غارودي ان يسوع ينفصل عن الشريعة اليهودية ويضع نفسه فوقها فهي تشكل أساس التحالف مع يهوه عند اليهود والذي أبطله يسوع[3].

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص107،171،177.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص111.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص173.

وعندما يجد غارودي في انجيل متى(16/11ـ17: زمر و لم نرقص)، فانه يعود الى الفن فيجعله لغة المقدس، فهو ضروريا لاننا لا نستطيع ان نحتوي الله في مفاهيمنا كما يقول غارودي، فالفن يمكن من استقراء المعنى انطلاقا من الواقعة. ففي الفنون نكون أكثر احتياجا الى البحث عن المعنى ومن ثمّ نذهب للبحث عن المعنى في سياستنا واقتصادنا وإيماننا. فالفن يساعدنا على اكتشاف انفسنا(شخصي)وتجاوز ما فيّ من حزمة الوظائف الاجتماعية والألقاب والممتلكات التي تكونني كفرد، الى شرارة نار الحياة الخلاقة المتقدة فيّ. ويُظهر الفن كيف يستطيع الانسان ان يصبح انسانا كبداية للعمل الإلهي للانسان أي العمل الإبداعي الخلاق. فكل عمل فني يُقرأ مثل وجه يجعل ما لا يُرى من المعنى مرئيا على نحو فيزيائي. فالفن اقصر طريق من الانسان الى الانسان. بل ان التاريخ الحقيقي عند غارودي هو تاريخ الخلق والإبداع على يد الانسان والذي يواصله الانسان، تاريخ الانسانية المقدس المصنوع من الفنون الكاشفة عن معنى الحياة وان غايتها الإله وهو تاريخ يبشِر بالمستقبل. فالفن يساعدنا على اكتشاف الأبعاد الضائعة للانسان في مناسبات التاريخ الضائعة، وذلك عندما لا يستسلم هذا الفن لتقاليد الماضي، ولا ان يعيش الحاضر، ولا الى يسعى لخلط المستقبل بالجديد مهما كان الثمن، حتى وان كان منافيا للعقل والقيم. ورغم الإغواء العظيم للتجارة والمال فالمطلوب في الفن ألا يتجه لخلط الأصالة بالتفرد[1].

2 ـ انجيل مرقس:

كُتب هذا الإنجيل يوحنا مرقس عام64م، ويؤكد غارودي ان هذا الأخير لم يكن معاصر ليسوع، ولكنه كان مقربا من الرسول بطرس(رسول يسوع)فالأحاديث الآبائية التي يأخذ بها المسيحيين تشير الى ان القديس مرقس دوّن التعاليم التي نشرها بطرس في روما. وقد كان مرقس مرافقاً للقديس بولس بعض الوقت[2].

في انجيل مرقس وقفة أخرى لغارودي مع إشكالية الاتصال والانفصال بين العهدين، فانه لم يعد يسوع ذلك السيد فهو يرفض هذا اللقب ورفض لقب(المسيا)على طريقة داود. بل انه

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص125ـ143.

[2] ـ عارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص73ـ74.

يرفض ان يدعى صالحا(لماذا تدعونني صالحا ليس احد صالحا إلا واحد هو الله: مرقس18/10). بل يشير الى رابطة الأخوة ويجعل الجميع معه(أبناء الانسان وأبناء الله). فانه مع يسوع لم تعد الطاعة هي المقصودة بل المقصود هو المحبة. فقد انتهك يسوع جميع محرمات الناموس(كحرمت السبت، وهذه وحدها يستحق عليها الموت عند اليهود)، واحترام المعبد الذي أكد يسوع انه يستطيع هدمه وبناءه في ثلاثة أيام (مرقس 58/14، 61/26). وهو يرفض انه ابن داود(مرقس35/12ــ37: كيف يقول الكتبة ان المسيح هو ابن داود)، ويقول أيضا في مرقس12/9(ان إيليا يأتي أولا ويرد كل شيء وكيف هو مكتوب عن ابن الانسان ان يتألم كثيرا ويرذل)، ومن خلال كل هذا يتساءل غارودي هل يسوع هو موسى الجديد؟ وداود الجديد؟ ام ان الناموس قد عُري عن كل قيمة؟ وهل الغ يسوع الناموس ام أتمه؟ وهل المحبة ضد شريعة المِثل ام إتمام لها؟ وعندما يقول مرقس(21/2،22: ليس من احد يخيط رقعة بخيط من نسيج جديد في ثوب عتيق...وما من احد يجعل خمرا جديدة في زقاق عتيق). فانه لا بدا من الاختيار بين العهد القديم والعهد الجديد، فلأي اله يسوع هو الابن؟ ويجيب غارودي: من المؤكد انه ليس ابنا ليهوه رب الجيوش والمذابح ومقسم العالم الى طاهر ونجس، الى مختارين ومستبعدين، وذلك لان يسوع يقول في انجيل مرقس (10/13: ولا بد من قبل ان يكرَز بالاناجيل في جميع الأمم)فكيف يمكن ان يكون هناك اتصال بين العهدين؟. واخطر ما يمكن ان يكون في هذا الاتصال حسب غارودي انه يؤسس للاهوت السيطرة[1]. والمعروف ان يسوع لم يعترف بالشمولية الرومانية، الطامعة في السيطرة على الأجسام والقلوب فقال:(مر17/12: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)[2].

وهنا أيضا تطرح قضية الوهية يسوع، فعندما يقول انجيل مرقس(6/12:فإذا كان له أيضا ابن واحد حبيب إليه، أرسله أيضا إليهم أخيرا، قائلا: انهم يهابون ابني!)، فهو اذن الابن الخاضع لله المُسلِم أمره له. ويقول مرقس (34/15: فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا: "هو ذا ينادي إيليا") فأين يقول يسوع هو الله، او انه مساو له؟[3]. على العكس فقد أجاب يسوع رئيس

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص116،179،180،181،183.

[2] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص 175.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ــ31.

الكهنة الذي سأله(مر61/14ــ62: أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: انا هو. وسوف تبصرون ابن الانسان جالس عن يمين القوة، واتياً في سحاب السماء)[1].

أما عن نقض الناموس والتقاليد فيتجلى في انجيل مرقس في مواقع كثيرة يذكر غارودي منها في مرقس(17/2: اني لم أتي لادعوا الصدّيقين بل الخطاة)فليس هناك عودة الى مذابح السكان الخطاة أو الوثنيين او المشركين التي أوجبها اله اليهود القاسي. وعندما يعلن ان مملكة الله قد حلّت (انه ليس المقصود منها تلك الآمال المسيانية بإعادة إسرائيل)وهو يأكل مع العشارين والخطاة، فيغيظ الفريسيين المحافظين على التقاليد والناموس(مرقس16/2)، وهو لا يصوم مثل الفريسيين (مرقس18/2). فيسوع يشدد دائما على ان يطاع الله لا ان تطاع التوراة لذاتها(مرقس8/7). ولأجل هذا قُضي عليه بانه مستوجب الموت(مرقس 64/14)، واتهموه بالتجديف والابتداع وتظاهروا بانه دجال حينما زعم انه ميسيا على غير المعنى الذي يفهمونه على انه الملك الذي يعيد قوة إسرائيل[2]. وقد كان صراعه مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب متكرراً فبعد ان تحرجوا من القبض عليه لَمَّا ضرب مثل الكرامين قتلة ابن صاحب الكَرمِ(مر12/12)تمكنوا بعد ان دبروا له المكيدة ووجدوا لها المبررات مع الشعب، ان يمسكوه ويسلموه الى بيلاطس(لو1/15ــ2)[3].

وتميزَ تبشير يسوع عن غيره من الأحبار والربانيين فهم لا يبشرون إلا في الكنس في حين هو مبشر جوّال، يتوجه الى كل الناس لا الى فئة معينة، وهو لا يستخدم الأوامر والزجر في استشهاده بالنصوص المقدسة او التعاليم ففي انجيل مرقس يجد غارودي ان المسيح(يبشر تبشير انسان سلطته من نفسه لا كما يفعل الكتبة). وحينما يشير يسوع الى الشريعة يتحدث حديث

1 ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص180.

2 ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171ــ172.

3 ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص184.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انسان يقطع صلته بالتقاليد المتحجرة، وان كان يصرح بانه لم يأتي لينقض العهد، ولكنه كان يقول لمن كانوا يتهمونه بانه ينتهك التقاليد انهم أبطلوا كلمة الله باسم تقاليدهم[1].

3 ـ انجيل لوقا:

كتب هذا الإنجيل ما بين عام80و90م، وقد كتبه لوقا اليوناني الأصل والذي كان **يعمل طبيب في انطاكية، ويؤكد غارودي على انه كان من تلاميذ بولس وانه أسس كنيسة في انطاكية.** ويشير غارودي الى انه تمت الاستعانة بأعماله لتدوين انجيل متى[2].

ويَعتبر غارودي ان انجيل لوقا هو الأخر مشبَّع بروح التعاليم اليهودية. بداية بإرجاع نسب يسوع الى داود ويصعد به لوقا الى آدم، وقد تميزت هذه السلسة بإلحاحها على النسب النبوي ليسوع، وحتى لا ينقطع يسوع عن نسل داود جعله لوقا ابن ليوسف النجار الذي كان يعرف عند اليهود بانه خطيب مريم العذراء. وقد تميز هذا الإنجيل بالدقة وقد مكن هذا من تحديد بعض التواريخ، فقد بدأ يسوع تبشيره في عامه الثلاثين، وقد طلب ان يُعمَّد على يد يوحنا المعمدان، الشخص الوحيد الذي ارتبط به، فهو الذي يرى في يسوع نبيا بل أكثر من نبي، هذا الأخير الذي ظهر في السنة15لحكم القيصر تبريوس أي عام 28او 29م. وقد ظهر يسوع بمعزل عن كل الطوائف المعروفة عند اليهود[3].

والحقيقة التي يؤكد عليها غارودي، هي ان البشارة بولادة يسوع البُتولية، هي تَعبير عن رسالة الحياة، وهذا ما نجده في انجيل لوقا(26/1ـــ38)، ذلك انه لا يمكن ان يكون ليسوع أب غير الكل برأي غارودي، فهذه الولادة البُتولية خارج توالدنا المؤقّت، تجعله خارج حدود الذرية والتقاليد والخصوصية ولو كانت خصوصية جماعية. فولادة يسوع من عذراء نفخ الله فيها من روحه هو اعتراف له بحضور أقوى من حضور أي واحد منّا، فهو يتجاوز حياتنا الفردية. فيخلص

---

[1] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص111.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص74.

[3] ــ غارودي، فسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص110.

غارودي الى ان هذه الولادة نقض لذلك النسب المستبعد الصاعد الى داود، فلو صح ذلك لما تعدت مكانة يسوع مكانة بطل او شهيد او قديس. فقوة يسوع مصدرها حضور هذا الكل في انسان مفرغ من ذاته، دون أي مِلك او خصوصية فردية او قبلية، هذه القوة التي يسميها اللاهوتيين بالنعمة[1].

وفي انجيل لوقا نفسه يرفض يسوع ان يكون ابن داود(لو20/41ــ44)، ولكن ما ذهب إليه لوقا في انجيله اين عدّ42 جيلا من داود الى يسوع(لو3/23ــ38)، هو محاولة لتبرير فكرة بولس الحريص على إدراج يسوع في تاريخ اليهود. الا ان يسوع وفي كل مرة كان يخيب آمال تلامذته لانهم تصوروه مَلك يرُد مُلك إسرائيل فكان يرفض ذلك(لو19/12)، ومع هذا كان لوقا يُصر انه سيُعطيه الرب الإله عرش أبيه داود[2]. حتى انه لما سأله الفريسيين مرة: متى يأتي ملكوت الله، أجابهم قائلا: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة. ولا يقولون هو ذا هنا او هو ذا هناك لان ها ملكوت الله داخلكم(لو17/20ــ21). فيقول غارودي وبصيغة لا تختلف كثيرا عن الصيغ المسيحية: "ان الله في ان واحد داخلنا وأمامنا. انه الله الذي يأتي ويدعونا". ومن ثمَّ يَكون جوهر رسالة يسوع وتعليمه حسب غارودي هو هذا التحول الجذري في كل انسان، باتساعه الى مجموع التاريخ ووحداته الاجتماعية[3].

ويشير غارودي الى اليهودية المصححة في هذا الإنجيل، حيث يسعى لوقا الى تدعيم فكرة أستاذه بولس لتأسيس عهد جديد منسوخ عن العهد القديم، فلوقا وحده يربط الاحتفال في العشاء الأخير ليسوع مع تلاميذه بتقاليد الوليمة الفصحية لدى اليهود، ويعتبر انه تأكيد للعهد الجديد(لو22/19ــ20)، ويتضح تأويله هذا لربط العهدين حينما يقول لوقا(22/22كل شيء جرى كما هو محتوم). ونجده من جهة يذهب ان تعاليم يسوع لا امتياز فيها لأي شعب، حتى انه لا امتياز(للصديقين على الخطاة: لو5/32)، ثم يعود لوقا الى انه يجب(ان يكرز باسمه"يسوع"،

---

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص118ــ119.

[2] ــ المصدر نفسه، ص180ــ181،190.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص188.

بالتوبة لمغفرة الخطايا، في جميع الأمم، ابتداءً من أورشليم: لو47/24)، ويعقب غارودي على هذا قائلاً: "كيف لا يفعل لوقا ذلك وهو تلميذ بولس النجيب وعليه ان يربط هذا الواجب بالكتاب المقدس". وسيدخل في هذا العهد الجديد حتى المجرم المصلوب مع يسوع(لو42/23: الحق اقول لك: انك اليوم تكون معي في الفردوس)، في حين انه يحط من قيمة إسرائيل وأهل الناصر(لو28/4)، ويجعل الخاطئة مريم المجدلية من بين تابعيه من النساء(لو37/7)، حتى لغة يسوع تغيرت عن لغة كهنة إسرائيل وأصبح ينادي مدعويه بأصدقائي(لو4/12). ليصبح المقصود عند يسوع مملكة الله لا مُلكَ إسرائيل وهو ما صرح به هذا الإنجيل(لو11/9)، وقد رفض لقب مَلك اليهود ولذلك لم يجد بيلاطس عند يسوع جرما يستحق عليه الصلب(لو23/3ــ4)[1].

وقد قال يسوع عبارة شهيرة عندما سأله الفريسيون(هل علينا ان ندفع الضريبة لقيصر ام لا؟)فأجابهم هذه الإجابة الذكية (لو25/20: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)ليكبح طمعهم، فهم يتعاملون بالقطع النقدية التي عليها صور قيصر وبها يربحون ويريدون منه عذرا لعدم دفع الضريبة ويبغون من وراء كل ذلك إيقاعه في فخ عصيان قيصر، ويتظاهرون بان ذلك يشككهم في طاعتهم لربهم، فكانت هذه الإجابة المفحمة لهم ولنواياهم الخبيثة. ويؤكد غارودي على كل هذا ليلغي الفهم الخاطئ الذي أعطاه البعض لهذه العبارة من ضرورة تخلي أتباع يسوع عن السياسة، وإبعاد السياسة عن كل تنبئية دينية، وما انجر عن ذلك من إلغاء للغايات النهائية في الممارسات الدنيوية بالغرب المسيحي، وظهور للنزعة الفردية والوضعية في كل شؤون الحياة، وكان لكل ذلك أثار وخيمة على الانسانية جمعاء. في حين ان في المقولة السابقة ليسوع وكل حياته وتعاليمه وموته شهادة على نقده الصارم لكل فوضى قائمة سواء على صعيد الشريعة والتقاليد الدينية او على صعيد الاقتصاد والعدالة الاجتماعية، فهذا النقد موجه الى المالكين والى السلطة الرومانية القهرية كما وجه الى الكهنة[2].

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص 161ــ162(الهامش)،169،171ــ174،176.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص112ــ113.

فقد فضح يسوع في انجيل لوقا كبار الكهنة في حكمته عن أصحاب الكروم الذين قتلوا ابن سيدهم(لو19/20)، وقد قال أيضا: (لو11/44ــ53: لكن ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس...ويل لكم أيها الجُهال والعميان لانكم تشبهون قبورا مبيّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظامُ أموات وكل نجاسة. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم... انتم أولاد أولئك الذين قتلوا الانبياء)، ولذلك يقول لوقا: (لو11/53ــ54: ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جدا ويصادرونه على أمور كثيرة. وهم يراقبونه طالبين ان يصطادوا شيئاً من فمه لكي يشتكوا عليه). وفي المقابل قَبِلَ يسوع عطر البغِيَّة، واشترك في مأدبة مع جباة ضرائب جشعين، وذهب الى بيت زكا الفاسق(لو29)، وبهذا يوضح غارودي دور يسوع ليؤكد بعدها ومن خلال انجيل لوقا(لو4/14ــ29)ان يسوع نبي وأكثر من نبي فهو مثل الانبياء أبدى رأيه في كل مؤسسة بإرجاعها الى غاياتها الأخيرة، كما فعل مع هيكل سليمان الذي لم يصلى و لم يضحي فيه، ولكن دخله من أجل التذكير بالخدمة الحقيقية لله ضد الاكليروس الشكلي وضد المتاجرين الذين طردهم وقلب مناضدهم رأسا على عقب. فهو كالانبياء بلّغَ بملكوت الله، بل أكثر من ذلك ففيه بدأ الوعد يتم حسب غارودي. وفي انجيل لوقا (22/67ــ70: ان كنتَ انت المسيح فقل لنا؟ فقال لهم: ان قلت لكم لا تصدقونني. منذ الان يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله. فقال الجميع: أفانت ابن الله؟ فقال لهم: انتم تقولون اني انا هو) ويجد غارودي في هذا تصريح بانه المسيح، لا ابن الله ولو كان بتلك التأويلات المعقدة وبذلك التعتيم الذي أضفته مقولات الفلسفة اليونانية[1].

وفي انجيل لوقا كذلك يتساءل غارودي أين يقول يسوع انا الله؟ فهو لم يتماها مع الله في أي لحظة(لو13)، وهو يقول: (لو22/42: يا أبتي ان شئت فجرعني هذه الكأس لكن لا تكن مشيئتي بل مشيئتك)[2]، فيذهب غارودي الى ان يسوع في انجيل لوقا يؤكد على ضرورة التجرد من كل ما هو خاص بنا ومن مشيئتنا، وبالتخلي عن الملكية، فيسوع يقول للشاب الثري

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص174،179،180.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ــ31.

الذي يحترم القانون في(لو22/18): (ينقصك شيء واحد: بع كل ما عندك، ووزع على الفقراء، فيكون لك كتر في السماوات، ثم تعالى اتبعني). وكان هذا حال سمعان ويوحنا، فقد تركا كل شيء واتبعاه فقد قال لهما المسيح(لو33/14: كل واحد منكم لا يهجر كل ما يملكه، لا يمكنه ان يكون تلميذا لي) ويعتبر غارودي ان هذا الأمر من يسوع للإيمان به لا يعني مجرد صب اللعنات على الأغنياء وسلوكاتهم، كما لعنهم الانبياء في أسفار اليهود من قبل، ولكن الأمر يتعلق بحكم عام يدين الثراء والملكية لا في تطرفها أو تجاوزاتها ولكنه يدينها في ذاتها وفي مبدئها. فتحقيق التجرد من الانا الصغيرة هو شرط اليقظة والوعي. هناك توجد مملكة الرب حسب يسوع. ويؤكد غارودي اننا مسئولون عن محاربة المملكة المعاصرة (المضادة للملكة الرب) وهي مملكة وحدانية السوق والتعامل مع الحياة على انها سوق مفتوحة، فهذه المملكة العدو الرئيسي لله وللانسان. ولذلك يتسائل غارودي قائلاً: "أم نريد إلها معلوماتياً يخلق عالماً من بشر آليين مبرمجين لارتقاء مملكة الرب بلا حرية أو مسئولية؟"[1].

4 ـــ انجيل يوحنا:

وقد ظهر هذا الإنجيل حسب غارودي في أواخر القرن الأول الميلادي[2]. وله مع هذا الإنجيل وجهة نظر خاصة فهو يعتبر ان يوحنا يخبرنا في انجيله ان اليهود هم الذين خلقوا هذا الالتباس(تاليه يسوع)ليحكموا عليه كمجدّف. لقد قال يسوع بعد ان نقض السبت(ان أبي حتى الان يعمل وانا أيضا اعمل: يو17/5). وهم الذين تظاهروا بالاعتقاد انه يتماها مع الله، في حين انه بالنسبة لهم ليس هو الله بل رسول الله(فازداد اليهود لأجل هذا طلبا لقتله ليس لانه كان ينقض السبت، بل أيضا لانه كان يقول ان الله أبوه مساويا نفسه بالله: يو18/5)، فيصحح يسوع مظهرا انه لا يساوي الله لكنه يطيعه(فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم ان الابن لا يقدر ان يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الأب يعمل، لانه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك ما هو يعمله، لان الأب يحب الابن ويريه جميع ما يعمله هو، وسيريه أعظم من هذه

[1] ـــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص256ـــ258.

[2] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص73.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأعمال لتستجيبوا انتم: يو5/9ـــ20)، وعندما يقول يسوع في انجيل يوحنا(انا والأب واحد: يو30/10) يوضح في الحال انه بكلماته وأفعاله يجعل الله الغير منظور منظور، ورؤيته هو هي رؤية الله الذي أرسله: (من راني فقد رأى الذي أرسني: يو45/12)، ويضيف قائلا:(لاني لم أتكلم من نفسي لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني الوصية بما أقول وانطق: يو49/12)، وليُميز مشيئة الأب عن مشيئته يقول: (لا استطيع انا ان اعمل من نفسي شيئاً، كما اسمع احكم وحكمي عادل لاني لست اطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني: يو30/5)ويكرر غارودي تساؤله: أين يقول يسوع انه الله وانه مساوٍ له؟[1].

فحول هذا الإنجيل تطرح إشكالات كثير، فقد قيل حوله الكثير، ومن ذلك ما يقوله الباحث اللاهوتي (جون مارش): "انه من المستحيل الاعتقاد بانه خلال السنوات العشر الاخيرة من القرن الاول الميلادي، قام شخص يدعى(يوحنا)من الممكن ان يكون يوحنا مرقص(خلافا لما هو شائع من انه يوحنا بن زبدي الصيّاد، احد الاثنى عشر الحواريين).. قد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع، ومن المحتمل انه كان على دراية بواحد أو أكثر من الاناجيل المتشابهة(متى ومرقس ولوقا)فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختصت بها طائفته، التي كانت تعتبر نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان"[2].

اما فريدريك كالفتن جرانت فيقول: "يوحنا كان مسيحيا، وبجانب ذلك كان هلّينيّا، ومن المحتمل ان يكون يهوديا، ولكنه شرقي او اغريقي... ومن المحتملان يكون انجيل يوحنا قد كتب في انطاكيا او افسن او الاسكندرية او حتى روما، فان كل من هذه المدن كان مركزا عالميا للدعاية العقائدية في القرنين الاول والثاني من الميلاد، كما كانت على اتصال ببعضها... ويعتبر انجيل يوحنا تقديما دراميا لحياة يسوع ورسالته وموته وتمجيده، كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت محل جدال

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـــ31.

[2] ـــ جون مارش، القديس يوحنا، نقلا عن الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل لابي حامد الغزالي(بتصرف)، تحقيق محمد عبد المجيد الشرقاوي، دار الهداية، ط2، 1982، ص49.

في العالم المسيحي الامي(غير اليهودي) في نهاية القرن الأول او بداية القرن الثاني، عندما انتشرت نظرية(غنوصية) حاولت ان تزيد من تبجيل المسيح، فجعلته شبحا بلا وجود، او مخلوقا الهيا تجسد مؤقتا، ولم يعاني عذابا ولم يذق الموت... ومن المحتمل انه كان على علم بوجود الاناجيل الثلاثة المتشابهة، وانه قد كتب انجيله ليكملها او ليصححها"[1].

ويقول موريس بوكاي: "ان كل شيء يدفع الى الاعتقاد بان النص المنشور حاليا(لانجيل يوحنا)ينتمي الى أكثر من مؤلف واحد، فيحتمل ان الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف، وانهم قد أضافوه إليه...، القيمة التاريخية لروايات يوحنا، موضع نزاع كثير، فالأمور التي تتنافر مع الاناجيل الثلاثة الأخرى صارخة"[2].

وتذهب دائرة المعارف البريطانية الى حد القول: "أما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك، كتاب مزور، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان: يوحنا بن زبدي الصيّاد ومتّى. وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب انه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه العبارة على علاتها، وجزمت بان الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع ان صاحبه غير يوحنا(الحواري)يقينا، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة، التي لا رابطه بينها وبين من نسبت إليه"[3].

وعن هذا الإنجيل يقول ابوزهرة: "لهذا الإنجيل خطر وشان أكثر من غيره في نظر الباحث لانه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لالوهية المسيح، فهذه الالوهية يعتبر هو(انجيل يوحنا)نص إثباتها وركن الاستدلال فيها، لذلك كان لابد من العناية به، إذ كان التثليث

[1] ــ فريدريك كالفتن جرانت، الاناجيل، اصلها وتطورها، نقلا عن الرد الجميل(بتصرف)، مرجع سابق،ص 50.

[2] ــ موريس بوكاي، مرجع سابق، ص90ــ92.

[3] ــ دائرة المعارف البريطانية، نقلا عن الرد الجميل(بتصرف)، مرجع سابق، ص51ــ52.

هو شعار المسيحية، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد، وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات"[1].

ويقف غارودي على حقيقة اليهود في تعاملهم مع يسوع من خلال ما جاء في هذا الإنجيل، حينما يجد الكهنة وزعيمهم قيافا اشد صلابة من الحاكم الروماني ضد يسوع فهم من سيُسلمه ليُنفذ فيه حكمه، وكانت حجة زعيمهم(يو50/11: ..انه خير لنا ان يموت انسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها)، فكبار الكهنة ممن ذهب الى لقاء الحاكم بيلاطس وقالوا له:(يو7/19: .. لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب ان يموت..)، ولما راو ترددًا من بيلاطس مارسوا عليه ابتزازاً حقيقيا قائلين: (12/19: .. ان أطلقت هذا فلست محبا لقيصر، كل من يجعل نفسه ملك يقاوم قيصر)، حتى انهم لما أجابهم (يو15/19: أأصلب ملككم؟ أجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلا قيصر)فكانوا في تعاونهم مع المحتل الروماني ضد يسوع، وفي عنادهم تظهر حميتهم الشديدة للمحتل منها ضد يسوع[2].

والسبب الذي يخبر به انجيل يوحنا لهذا الحكم في نظر غارودي هي القطيعة التي أقامها يسوع مع العهد القديم والتقاليد اليهودية، فحين يقول يسوع: (يو15/8: وانا لا أُدين أحدا)فهو يخالف الكهنة الذين كانوا يُدينوا الناس باسم الناموس، بينما لا يفعل يسوع ذلك فيقول: (يو28/8: واني لا افعل شيئاً من نفسي). وقد انتهك تقاليدهم بذهابه الى السامرة، حتى اتهموه ان به شيطانا(يو48/8)، وهو عند الفريسيين ليس من الله مثلهم، لانه نقض حرمة السبت(يو16/9)، بل يتهمونه انه ولد بجملته في الخطايا، ولذلك لا يقبلون تعليمه(يو34/9). وقد وجدوا في كلامه تجديفا وانه يعتبر نفسه أعظم من إبراهيم فرموه بالحجارة(يو59/8). ولما يتعلق الأمر بالإيمان والثقافة اليهوديين فان أفعال يسوع وأقواله إدانة(يو38/9: لقد أتيت الى هذا العالم للدينونة)، فهو يرمي الفريسيين أحبار الناموس، بانهم ضلوا عميانا وانهم أعظم خطيئة لانهم يعتبرون انفسهم يبصرون(يو40/9ــ41)، وليبرز يسوع سوء نيتهم عندما يتهمونه بانه يزعم انه

[1] ــ محمد ابوزهر، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص122.

[2]ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص173.

الله لانه قال:(يو30/10: انا والأب واحد) يلجئ يسوع الى كُتبِهم التي يعتمدونها ليوضح معنى كلامه(يو34/10ـــ35: أوليس مكتوبا في ناموسكم: انا قلتُ انكم آلهة؟ فان كان الناموس يدعوا آلهة أولئك الذين صارت إليهم كلمة الله...)فيبين انهم سبقوه الى قول ما ينهونه عنه. ويجد غارودي تكرار لعبارة ناموسكم وأمثالها مما يقطع به يسوع صلته باليهود، وهي كثيرة في انجيل يوحنا(يو44/6، 25/15، 17/8...)[1].

وفي هذا الإنجيل تظهر اختلاف رسالة يسوع عما سبقها مع باقي انبياء بني اسرائيل، حتى انه قال لتلاميذه:(يو34/13: اني أعطيكم وصية جديدة: ان يحب بعضكم بعضا)، ويسوع يؤكد ذلك حين سأله بيلاطس(يو33/18ـــ38: انت ملك اليهود؟ أجاب يسوع: أمن عندك تقول هذا، أما آخرين قالوه عني؟ ويوضح: ان مملكتي ليست من هذا العالم)، ويرى غارودي ان التلاميذ فهموا ذلك، ولم ينتظروا قيامته ليعرفوا فيه(ابن الانسان)و(ابن الله)، والمحرر الأعظم بالمحبة، والطريق والحق والحياة(يو6/14)، والنبع الذي يتفجر حياة أبدية(يو14/4)، وان عنده كلام الحياة الأبدية(يو68/6)، ومع يسوع يصبح القلب هو مذبح الرب الوحيد فيه تقدم الأضاحي، وتلغى قداسة الأماكن(لا أورشليم ولا جارزيم بالسامرة)فالجميع سيعبد إلها واحدا الأب(يو20/4ـــ21)، ولا يمكن ان نكتشف الأب الحقيقي لا مع فلاسفة اليونان ولا مع العهد القديم، ولن يكون ذلك إلا مع يسوع(من رآني فقد رأى الأب: يو9/14)، (انا والأب واحد:يو30/10)،(لا يأتي احد الى الأب إلا بي: يو6/14) ولانهم(لا اليهود ولا الرومان ولا اليونان) لم يؤمنوا بيسوع فانهم سيخرجون أتباعه من المجامع وسيقتلونهم: يو2/16ـــ3)، ومن ثمّ يعتبر غارودي ان موت يسوع ناتج عن حياته(التي خرق فيها الناموس بالنسبة لليهود، وتعدى السلام بالنسبة للرومان)، ولا يمر غارودي هنا دون ان يلغي فكرة حتمية التاريخ والإرادة الإلهية(البرمجة المسبقة لكل حدث) فيقول: "ان موت يسوع ناجم عن حياته..لا عن قرار مسبق وخارجي قرره الله وبرمجه مسبقا. فما فائدة الحياة والدروس التي قدمها؟"، حتى قيامة يسوع عند غارودي هي رؤيا جديدة للحياة، التي لا نهاية لها والتي لا حاجة بها الى المرور بالقبر، لان حياة يسوع نفسها هي القيامة(انا القيامة والحياة من آمن بي وان مات فسوف يحيا: يو25/11)

[1]ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171ـــ174.

سوف يحيا الحياة التامة، الحياة التي تُبرزها حياة يسوع كل يوم وفي كل الأزمنة والتي لا ينالها الموت(لان غارودي لا يعتبر لموت الفرد أمام حياة الكل)[1].

وحتى يعود غارودي لواقعه ومشروعة الحضاري ويبين ان الانسان قادر بعمله وانجازاته تتحقق المملكة التي تكلمت عنها الأديان، وليس عليه ان ينتظر لذلك معجزة، وان المطلوب هو تغيير الواقع الفاسد، يقول غارودي:"وحينما يُصرح يسوع قائلا في انجيل يوحنا:(ان مملكتي ليست من هذا العالم)، فهذا لا يعني انه يستسلم أمام ضلالات الوجود لكي ينجوا بنفسه الى عالم أخر، وانما ليبشر بعالم آخر ممكن التحقق يختلف عن هذا العالم ولا يخضع لضلالاته وقوانينه الظالمة"[2].

ومن خلال ما قاله قدماء من كتبوا عن هذا الإنجيل يشير غارودي الى الطبيب الطاهري، الذي اعتنق الإسلام بعدما كان نسطوريا في القرن10م فقد فسر هذا الأخير ما قاله يوحنا(16/12ـ13: ان لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الان، وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية)انها البشارة برسالة محمد خاتم النبيين[3]. ويعقب غارودي على ذلك بغية التأكيد على ضرورة الاجتهاد والعمل، معتبراً ان الأمر الذي يقوله يوحنا في هذه الفقرة ليس إلا كشف الحقيقة(فالنبي عند غارودي يكشف الحقيقة)، وتبقى مسؤولية التطبيق على عاتق الانسان في كل بلد وكل عصر، بصورة تتفق مع روح وشروط هذا البلد وذلك العصر[4].

وخلاصة القول فيما يقوله غارودي عن الاناجيل هو تأثرها عموما بشخصية وأفكار بولس، وسعيه لجعل رسالة يسوع امتداد لما سبقها من وعود وتعاليم لبني إسرائيل، ومع ذلك يجد

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص176،177،179ـ182.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص113.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص217.

[4] ــ غارودي، وعود الإسلام، الدار العالمية، ص100.

غارودي في ثنايا هذه الاناجيل إشارات الى رسالة يسوع الحقيقية التي يجدها مخالفة جذراً في طبيعتها لما يقوله بولس، حتى ان الترجمة المسكونية للانجيل يجدها غارودي تعلق على أقوال بولس قائلتاً: "ان الإنجيل لم يضف شيئاً الى العهد القديم، بمعنى ان كل ما ورد في الإنجيل قد ذكر سابقاً في العهد القديم. فما يهم هو إثبات ان الإيمان المسيحي هو في الأصل ضمن إيمان بني إسرائيل"[1]. فأين يكمن وجه الخلاف بين يسوع وبولس في نظر غارودي؟.

المطلب الثاني: رسائل بولس.

ان أهم نقطة يقف معها غارودي عند تعرضه لرسائل بولس، والتي يستغرب غارودي ان يسميها بولس انجيلي، هي ان هذه الرسائل وبحسب تفسير معظم الشراح المعاصرين الكاثوليك او البروتستانت، كتبت قبل الاناجيل الأربعة المتوافقة بخمسة عشر سنة على تحرير أقدمها(انجيل مرقس). ومن ثمّ فان بولس لم يكن شارحا للرسل شهود يسوع وأصحاب الاناجيل، لكنه كان بسبب عبقريته الصوفية، وصرامة لاهوته المنهجية، وموهبته كمنظم للجماعات، كان الملهم لتفسيرات أقوال يسوع، وأفعاله وحياته من الذين قاسموه إياها[2].

ويذهب غارودي الى انه رغم الصورة التي رسمها المفسرون المسيحيون منذ القرن(17م) ووضحوا فيها ترتيب كتابة الرسائل والاناجيل وما حدث بينها من تأثير وتأثر، فالكنيسة بقيت تضفي نوعا من الغموض على التساؤلات وهذه المستجدات عن الترتيب الزمني لكتابة الرسائل والاناجيل، فهي تتجنب القول بان تدون رسائل بولس سبق تدوين الاناجيل الأربعة المقدسة. والتسلسل التاريخي الذي يتفق عليه اليوم المفسرون المسيحيون هو ان رسائل بولس كتبت أولا(رسائل بولس الأولى الى مؤمني تسالونيكي عام50م، رسائل بولس الى مؤمني رومية، كورونثوس وتسالونيكي عام57م، رسائل بولس الأخيرة عام 63م)ويأتي بعدها أول الاناجيل(انجيل مرقس عام 64م)[3]. وهذا ما نجده في الرد الجميل طبقا لجدول فريدرك جرانت،

---

[1] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص75.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص160ــ161.

[3] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص73.

فكتابة رسائل بولس في أغلبها كانت مابين سنتي(50 ــ61م)، في حين كتب أقدم انجيل(انجيل مرقس)بعد رفع المسيح بحوالي 35سنة(حوالى67م). وكتب أحدثها(انجيل يوحنا)بعد المسيح بحوالي70او 90سنة[1].

ويجد غارودي انه منذ بداية الحديث ينتحل بولس شخصية يسوع فيقول(كورنتوس2: 3/13: مادمتم تطلبون برهانا على ان المسيح يتكلم فيّ)وأعلن بعدها نفسه رسولا وذلك بعد ان رأى المسيح وهو في طريقه الى دمشق، إلا ان بولس وتلاميذه وصفوا هذه الرؤية بطرق مختلفة، فهي عند لوقا في(أعمال الرسل19/26: رؤيا سماوية)، وكتب بولس في رسالته (غلاطية12/1: إعلان من يسوع المسيح)، أما في(فليبي3/8ـــ11: معرفة)[2].

وبولس هذا، وهو صاحب شان كبير في المسيحية كما يقول ابو زهرة، حتى انها تنسب إليه أكثر مما تنسب الى من سواه، لان رسائله هي التي شرحت المسيحية التي نعرفها اليوم، وقد كان اشد دعاتها، تميز بنشاطه الجم، وطوافه في الأقاليم شرقا وغربا. فكان القدوة للمسيحيين، وهم يذهبون الى انه يهودي ولد في طرسوس وتربى في اوشليم وكان اسمه الأصلي شاؤول. وقد جاء تفصيل حياته في سفر أعمال الرسل، والتي أخذت شطرا كبيرا منه. وجاء فيها انه روماني (25/22ـــ29)، والأرجح انه يهودي وقال انه روماني أمام الأمير الروماني خشية السياط، وقد كان في صدر حياته من اشد أعداء المسيحية، يكيد لها ويمعن في أذى معتنقيها. وفجأة ومن دون تمهيدات انتقل الى المسيحية، وفي أعمال الرسل (9/1 ــ9)حكاية قصة رؤيته ليسوع الذي انبه على عداءه وبين له ما يفعله بعد دخوله المسيحية. وقد شهد له برناب(احد رسل يسوع) الذي اصطحبه في رحلاته، الى ان افترقا بعد خلاف. وهنا يعجب ابوزهرة ان أعمال الرسل لم يذكر المصدر الذي تلقى عنه بولس مبادئ المسيحية التي اخذ يبشر بها، ودونها في رسائله الأربعة عشر(وهي: رسالة أهل رومية، وكورنتس الأولى والثانية، وغلاطية وافسس،وفليبي وكولوسي، وتسالونيكي الأولى والثانية، وتيموثاوس الأولى والثانية، وتيطس وفيلمون، والعبرانيين)، ويعتقد

---

[1] ــ ابي حامد الغزالي، الرد الجميل، مصدر سابق، ص 61ـــ62.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص75ـــ76.

ابوزهرة انهم اغفلوا المصدر الذي اخذ عنه، لاعتقادهم انه بتحوله الى المسيحية انتقل من مرتبة الكافر الى مرتبة الرسول في المسيحية وصار ملهما يوحى بالوحي، فلم يعد في حاجة الى الدراسة والتعلم. اخذ بعدها في الطواف بين الأقاليم ينشئ الكنائس، ويقوم بالدعاية ويلقي الخطب وينشئ الرسائل حتى كانت تعتبر الرسائل التعليمية. وقالوا انه قتل في اضطهاد نيرون سنة 66او67م على خلاف في ذلك. وخلاصة القول ان بولس هذا وبالصفات التي امتاز بها وقدراته البارعة استطاع ان يصبح محور الدعاة للمسيحية وقطبهم، ومن يفرض ما ارتآه على المسيحيين[1]. في حين يلاحظ غارودي تأكيد بولس في رسائله على انتمائه اليهودي، فهو لا يعتدُّ بغير الناموس اليهودي وكانه ليس من ناموس أخر(رومية21/3 مثلا)، ويدرج نفسه في الذرية من أسباط بني إسرائيل حين يقول آبائي (تيموثاوس3/1)[2].

ولما انتقل غارودي الى القراءة ساذجة لرسائل بولس، التي يقول عنها انها القراءة بعينين جديدتين لا تستوردان شرح عشرين قرنا ولا تتأثر به، انقلبت قناعاته تجاهها وراح يتساءل: لماذا لا يستشهد بولس بكلمات يسوع وأفعاله؟ أهي قليلة الأهمية؟ وكان وجود يسوع لم يبدأ إلا بدءا من موته وقيامته وفي المقابل يجد غارودي أكثر من 200استشهاد من العهد القديم، تعيد لنا صورة المسيا(المسيح اليهودي)ويتسائل: أم ان يسوع لم يحمل شيئاً جديدا بالنسبة للعهد القديم؟ وكان يمثل سيناريو مكتوب قبله؟ ثم لماذا تأخر بولس ثلاث سنوات ليستعلم عن حياة يسوع من الشهود اذا كان حقا يريد حمل رسالة يسوع؟ فيجد غارودي انه على العكس يفتخر بذلك ويضع نفسه فوقهم(غلاطية 15/1ـــ19). ويستغرب غارودي ان بولس لا يتحدث عن العمل الرسولي للشهود الا ليستحضر نزاعاته معهم. وهو على يقين بانه وحده المؤتمن على الرسالة حتى انه لم يعد الى القدس الا بعد 14سنة ليكرز(ليبشر)بالإنجيل الذي عرضه على الرسل فوجدهم على غير طريق الحق للانجيل، وقد انتقد بطرس بحدة فقال عنه تفكيره انتهازي، وينتهي هذا الخلاف بتسوية بينهما يؤتمن فيها بطرس على انجيل الختان، ويؤتمن بولس على انجيل العزلة(غلاطية1/1ـــ14). ومن خلال هذه القراءة الجديدة وصل غارودي الى ان هناك تصوران عن الله لا توافق بينهما: فإما

[1] ـــ أبوزهرة، المرجع السابق، ص143ـــ148.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص174.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ان الله ما كَشفت عنه حياه يسوع وموته. وإما اننا لا نعرف عن يسوع إلا ما بشر به العهد القديم. ويقف غارودي على تناقض واضح عندما يطرد بولس الخطاة في(أفسس5/5: كل زان او نجس او طماع ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله)في حين ان يسوع كان قد قربهم منه وجعلهم السباقين الى ملكوت الله[1].

والحق ان بولس لا يحمل انجيل يسوع، ذلك ان غارودي لا يرى فيه داعية بعقلية منظمة فحسب، استطاع بواسطتها انشاء كنائس في كبرى المراكز في الشرق الأوسط مثل انطاكيا وافسس، بل لقد كان ذا ثقافة يهودية يونانية واسعة، مكنته من نشر انجيله في كل الشتات اليهودي. هذا الإنجيل لم يكن انجيل يسوع بل كان انجيل الرب كما كان يقول بولس. وقد أثبت في خطابه الى أهل أثينا تمكنه وفهمه للثقافة اليونانية. وأظهر فيه قوة وبراعة كبيرة في مزج وتطعيم المفاهيم والمعتقدات اليهودية والتاريخية بالثقافة اليونانية. فقد تحدث في هذا الخطاب عن الشريعة اليونانية ولم يتحدث الا في نهايته على موت يسوع وقيامته، عندما قاطعه جموع مستمعيه مستهزئين به. فبولس يسمي تعاليمه(انجيلي)ولا يسميه انجيل يسوع كما في(رومية16/2). وهو يفضل ان يقول انجيل الرب، هذا الرب الذي يرى غارودي انه يقصد به رب إسرائيل ولذلك لا يهتم بولس لحياة يسوع البائسة ولا لموته لانها لا تتفق وما ينتظره الشعب اليهودي، ملكا على طريقة داود كما روى كَتبة سليمان في الملحمة الأسطورية[2].

وفي هذا الإنجيل(انجيل الله)الذي حمله بولس نجد صورة المسيح الداودي والذي يترجم الى اليونانية: "كريستوس"، ويحرّم بولس كل من خالف هذا الإنجيل(غلاطية1/8)، حتى انه لا يكرز بعد رسل أخرين(رومية15/20)، وكورنتوس1: 15/8هذا السقط أصغر الرسل وآخر الكل)تعب أكثر من جميع الرسل وكان ذلك بنعمة الله التي معه(قورنثية15/10). وقد عرف يسوع باتصال مباشر فالله أعلن ابنه فيه(غلاطيه1/15)، لا في حياته التاريخية بل بعد مجد قيامته، وقد تسلم هذه البشارة بحسب الروح لا بحسب الجسد(كورنتوس2: 16/5). فيسوع بحسب

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص161ــ163، 171.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص84ــ87.

بولس هو(مسيح اليهود)الذي سيحقق مواعيد الآباء مثل داود(رومية8/15)، ومن هنا يلامس غارودي جوهر الإنجيل الذي يبشر به بولس، فالمسيح عنده لم يعد وعداً، فلقد جاء ابن داود وسيعود بكل صفات قدرة رب الجيوش وجميع الآلهة القديمة، جاعلا جميع الممالك تحت قدميه، وليس هذا استعارة بل سيكون تطبيق عملي، وعلى أساس شريعة المثل في العهد القديم(تسالونيكي2: 6/1)[1].

حتى القيامة يجدها غارودي بالنسبة لبولس لا تتجلى الا لتؤكد لنا قيامتنا بالمنح والنعمة الإلهية فهي معجزة دالة على قدرة الله، فكما ان المسيح حيا بقدرة الله فنحن سنكون أيضا أحياء معه بقدرة الله(كورنثوس2: 4/13). فمنطق بولس هو ان يجعل يسوع يقول عكس ما كان يقوله ويفعله في حياته. ومع بولس تحول نجار الناصرة الى ملك واله قادر على انجاز المعجزات. أما الموت فقد ابتلعه النصر وكسرت شوكته الخطيئة(كورنتوس1: 55/15)، وتحولت القيامة الى نصر على ممالك الأرض التي خضعت جميعها للمسيح وكان مصيرها الدمار(كورنتوس1: 24/15ـــ25)، ويؤكد ذلك بما جاء في (المزمور110). ومن أجل ان تصبح القيامة معجزة دالة على قدرة الله لا بد ان يصاحبها حدث جلل مماثل لرؤية حزقيال (حزقيال 37:1ـــ14). إلا ان بولس يتحدث بحذر عن عن الجسم الروحاني قائلا:(كورنتس1: 44/10: يُدفن جسما بشرياً ويقوم جسما روحانياً. وإذا كان هناك جسم بشري، فهناك أيضاً جسم روحاني)، كان هذا دأب الرسل المسيحيين وقد تبع آباء الكنيسة نهجهم. وينتقد غارودي هذا الفكر الديني الذي يُأسس للحتمية حينما يقول: "ليصبح كل ما يتعلق بالقيامة يأتي من خارج العالم البشري، تطبيقا لمرسوم إلهي أبدي لا يحدث سوى مرة واحدة بفضل هذه المعجزة! معجزة القدرة". ويؤكد ذلك عند كلامه عن علاقة فكر بولس بالموسسة الدينية الرسمية في الغرب قائلا: "ان الكنيسة اليهودية المسيحية التي نسب لها بولس ميراث العهد القديم ستأخذ إذن على عاتقها مسئولية جمع الأساطير والعقائد المتناقضة الملفقة التي تشكل ماضيها الوهمي"[2].

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص164ـــ167.

[2] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص88ـــ91.

ويتساءل غارودي، هل حياة يسوع وموته مبرمجة من الله مع جميع مفردات العهد القديم وروحه(الخادم المتألم، الفدية، الخلاص، التكفير، المسّيا)مسيح سُلم بسبب خطايانا، وقام من بين الأموات لتبريرنا(رومية25/4)المسيح الذي يُكفر عن خطيئة آدم، أم ان هناك إعلان أخر عبر أفعال يسوع وأقواله وحياته تأسس لصورة جديدة جذرية للانسان والجماعة؟ ثم يجيب غارودي: "ان هذه الترجمة للاهوت اليهودي الى اللغة اليونانية، التي قام بها بولس لا تحل المشكلة؟" وليس هذا عند غارودي إلا تجسيد لصلات العهد الجديد بالعهد القديم[1]. حتى ان بولس عند تطرقه لعقيدة الفداء في(كورنتوس1: 3/15ـــ4: سلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته، وهو ان المسيح مات من أجل خطايانا كما جاء في الكتب، وانه دفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب)تكررت في كل آية عبارة "كما جاء في الكتب" والتي يقصد بها العهد القديم، الشيء الذي أدي بغارودي الى التأكيد على حرص بولس الشديد على إلحاق اسم يسوع بالشريعة اليهودية. وانه منذ تلك اللحظة يصبح ذكر حياة يسوع شيئاً لا جدوى منه[2]. وتجدر الإشارة الى ان البعض يذهب الى ان بولس هو من أبدع فكرة العهد القديم يأتي بعده عهد جديد يلحق به(كورنتوس2: 14/3)[3].

وهكذا تجذر مذهب بولس في التقاليد اليهودية، وتطورت فكرة الشعب المختار وأصبحت تظم كل الذين قبلوا ان يكون يسوع هو المسيا يهوداً كانوا أم لا، وفي هذا المذهب يجد غارودي انه ليست طاعة الشريعة هي التي تخلّص بل الإيمان بالطابع المسيحي ليسوع الذي دعي منذئذٍ: يسوع المسيح. وهكذا يمكن إدراج من ليسوا يهودا مع من يسميهم بولس البقية الأمينة لله وبهذا ظهر مذهب التبرير بالإيمان الذي يستند الى إبراهيم الآرامي الذي جاء قبل موسى وهو ليس يهوديا ولا يمكنه ان يرجع الى الشريعة، فإيمانه وحده هو الذي يمنحه الخلاص، ويشير غارودي الى ان الباحث جيرمياس يجد هذا المذهب في مزمور موجود في كتاب الانضباط في

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص181ـــ182.

[2] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص77ـــ78.

[3] ـــ محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مرجع سابق، ص59.

مخطوط قمران. ويجد غارودي ان بولس يعتبر روايته(انجيله)هي الصحيحة وبها سيُدين الله سرائر الناس (رومية16/2)، وفي إشارة منه الى ما في رسائل بولس هذه من تناقض نجد في(تيموثاوس2: 1/4)ما يخالف الفكرة السابقة حيث ان يسوع المسيح هو الذي سيأتي ليدين الأحياء والأموات. وكل الالتباسات سيتجاوزها بولس لما يعتبر ان الناموس لعب دوراً تربويا حتى مجيء المسيح ليحل محله التبرير بالإيمان، ويعتبر ان غاية الناموس هي التمهيد للمسيح (رومية4/10). وبقي التباس مُهم يطلب له غارودي مع الباحث باننبرج وغربيين أخرين توضيح، ذلك ان يسوع قد رفضه اليهود باسم الناموس باعتباره مجدفاً، فهل كان يسوع مجدفا أم ان الناموس(وبالتالي اليهودية كدين)قد ألغي؟[1].

وبعد ان أطلق بولس لأول مرة على جماعة المؤمنين اسم الكنيسة(كورنثوس الأولى12/14)، أصبحت هذه الكنيسة حسب ما تقوله تمثل البقية من المؤمنين الذين نجاهم الرب مع نوح في السفينة. تلك البقية الطاهرة التي خرجت من جذع يسي[2] مع داود كما ذكر اشعيا(11/1ـــ4)هذه البقية التي ينجيها الله في كل مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص حتى تستفيد من الاختيار الإلهي بالنعمة (رومية5/11)[3].

وانطلاقا من بولس ومذهبه قام القديس أوغسطين وأتباعه حسب غارودي بالدمج بين مدينة الله والكنيسة التي أصبحت تبشر بهذه المدينة، واعتبروا الكنيسة صورة أولية لها، والشعب المختار من آمن بها وهو ما أدى الى ظهور مجموعة مشوهة من انظمة الحكم الثيوقراطية التي تدعي امتداد سلطتها من الله مهما كان لونها وأصحابها ومذهبهم، وأصبحوا يعتبرون انفسهم ممثلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص167، 168، 171، 175.

[2] ـــ جاء في كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص1396، ويفرخ برعم من جذع يسى وينبت غصن جذعه، ويستقر عليه روح الرب، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوة، روح معرفة الرب ومخافته، وتكون مسرة الرب في تقوى الرب، ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه، إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافقين بنفحة شفتيه، لأنه سيرتد البر ويتمنطق بالأمانة.

[3] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص83، 93.

السلطة الإلهية، ونجمت عن هذا الفكر المذبح والحروب الدينية ومحاكم التفتيش وألوان الاستعمار والتمييز العنصري[1].

ولهذا يعتبر غارودي ان الأصولية الأولى هي الترعة الاستعمارية للدول الغربية، التي بررت غزواتها وفتوحاتها بما قدرت انه امتيازها كشعب مختار: التوسع لدينها الذي كانت تعده فوق جميع الأديان. وبعد تراجع كنائسها ظلت تعد نفسها مركزا للعالم والخالقة الوحيدة للقيم. وراحت منذ القرن19م تفرض ثقافتها التقنية والتجارية التي سمتها الحداثة. أما بقية الأصوليات التي يحذرون منها(الثورة الثقافية الصينية، التطرف الإسلامي)ما هي إلا ردود أفعال على هذه الأصولية الاستعمارية، لحماية النفس من التبعية ولانقاذ الهويّة[2].

وعند متابعة غارودي لمسار تأليه يسوع يجد ان التيار الذي كان يسعى الى إحلال يسوع مكان الرب خالق كل شيء، مكان الله المطلق، يجد ان بولس يقول:(كورنتوس1: 6/8: فلنا نحن إله واحد وهو الآب الذي منه كل شيء وإليه نرجع، ورب واحد وهو يسوع المسيح الذي به كل شيء وبهي نحيا)فقد بدأ هنا تقسيم المهام. وفي المقابل يجد ان مفتاح فكر الراهب آريوس في بداية القرن4م هو الحفاظ على وحدة الذات الإلهية والذي أخذه من الآية التي يقول القديس بولس فيها(الآب أعظم مني)فقد فتحت رسائل بولس المجال لكل الآراء بتناقض ما قال فيها والازدواجية في الآراء التي قال بها[3].

وفي (كورنتوس1: 45/15 و كورنتوس2: 3/11)فان بولس نفسه يدعو يسوع آدم الجديد، وعندما يقول بولس في رسالته كورنتوس1:3/11(رأس كل رجل هو المسيح ورأس المرأة هو الرجل، ورأس المسيح هو الله)فان غارودي يعتبر ان هذه العبارة بدورها بَررت للتراتب الهرمي والطاعة والرأس في انظمة الحكم. وفي(كولسي9/2: إذ في المسيح يحل كل ملء اللاهوت

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص150.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص37.

[3] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص94.

جسدياً)فيذهب غارودي الى ما يقوله القديس إيريناوس: "ان الابن يجعل ما لا نستطيع ان نراه من الآب منظوراً"[1].

وفي موضع أخر يؤول غارودي بدوره ما يقوله بولس في(كورنتوس2: 19/5: ان الله كان في المسيح)ليفسر التجربة الثالوثية ويربطها بمشروعه البديل قائلا: "ففي البعث تجلى الله الآب تماما من خلال تضحية الإبن وان الروح التي فيهما راحت تحيا بقوة مزلزلة الى حد ان شجاعة التضحية قد شاعت وانتقلت الى ألآف الشهود والشهداء، فكون الله في المسيح كحب يمنح نفسه، كأمل ينتشر مع اليقين بان كل شيء يكون ممكنا، كإيمان يقتضي بان نضع حياتنا بأكملها كمجازفة في هذا الرهان الحيوي، وهذا الرهان الذي نقوم به عند الإيمان بالبعث، يعبر عن اليقين الجامح بان ما من فشل يتعذر اصلاحه ويكون نهائيا. لم يعد في وسعي أبدا ان أقول: كل شيء انتهى!". ويؤول ما في(العبرانيي1/1ـــ2: الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بانواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه الذي جعله وارثا لكل شيء الذي به أيضا عمل العالمين) انه يذهب الي يسوع النبي[2].

كما حدد بولس الرؤية التقليدية لله القوي القادر الصانع صاحب التوجيهات الفوقية لحياة البشر والمجتمعات، لا بالقانون اليهودي ولكن هذه المرة بفكرة الغفران المسيحي، ويعتبر غارودي المتمسك بالفكر الماركسي انه وبهذه الإرادة الخارجية تم إلغاء مسؤولية الانسان وجدوى عمله، مشيراً الى أثر هذا الفكر في استمرار الخضوع للانظمة على انها القدر الإلهي ومن ثمّ العزوف عن مساعي التغيير والإصلاح، ففي أفسس8/2 يقول بولس: (لانكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله)ويقول غارودي معلقاً على هذا: "ليعود جدار القدر الذي يحد تحرك الانسان"[3].

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص30ـــ32.

[2] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص195،196،289.

[3] ــ غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، مصدر سابق، ص51.

ويبدوا لغارودي ان صفات القُدرة هذه أُلحقت بيسوع فأظهره بولس كإله لا كانسان(رومية 16/2). وفي موضع أخر يبرر غارودي الفقرة المذكورة سابقاً(أفسس8/2)موضحا لما قاله في كتابه هل نحن بحاجة الى الله: " ان هذه(المجانية)من الله لا تستبعد بتاتا الجهد الانساني، دون ان نقع من أجل ذلك في مبالغات بيلاجيوس حول(الاعتداد بالاكتفاء)الانساني الذي يستبعد كل تعالي إلهي"[1]. إلا ان الواقع الذي يقف عليه غارودي هو ان هذا المبدأ العفو الإلهي والنعمة سيضل دائما هو السلطة التعسفية المطلقة التي تسيطر على الانسان. ولن يستطيع هذا الأخير التملص من مسئوليته حتى وان لم يكن هناك ناموس إلهيا يسيطر عليه ويهدده بخطاياه ونواهيه. وقد ورد هذا المفهوم في كتاب التعاليم المسيحي لعام1992م للبابا يوحنا بولس الثاني بالنص الذي ذكر في مجمع تورنتو(1545ــ1563م)والذي يستند الى رسالة بولس لمؤمني فيليبي14/2 (لان الله يعمل فيكم ليجعلكم راغبين وقادرين على إرضائه)وعاد محدد لمؤمني روما6/11(فإذا كان الاختيار بالنعمة، فما هو إذن بالأعمال، وإلا لما بقيت النعمة)، فهذ العفو هو نعمة ممنوحة من الرب ليخلص مؤمنيه كما يقول بولس في أفسس8/2[2].

ويذهب غارودي الى ان هذه المماثلة بين يسوع المسيح ومسيا إسرائيل وهو مسيح في تقاليد اليهود، تقود هذه المماثلة بالضرورة الى لغة مزدوجة عند بولس ثم الكنيسة الى يومنا هذا. فعندما يعلن بولس في رومية12/10: (فليس بعد يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر ولا انثى)فان تعليمه العملي الذي مارسه مع المؤمنين بفكره ينفي هذه العبارة الرفيعة. وفي (رومية3/9ــ5)نجد التأكيد الأكثر جذرية لأفضلية اليهودي ثم في(رومية16/1)يعود الى يهوه إله القوة، الذي يستقبل اليهودي أولا ثم اليوناني بعد ذلك إذا قبل بالتصور اليهودي لله، وقبلا بإصلاح بولس الذي يجعل يسوع خاتمة التاريخ، ليُكون إسرائيل الحقيقية(رومية5/11). ثم كيف يمكن التوفيق بين المسيح الداودي الجديد الذي يتكلم عنه بولس وبين المسيح في نشيد المحبة البديع(قورنتية1: 1/13ــ3)خلافاً للمسيح الأول الداودي والذي يكون على صورة داود وبالشراسة التي تصفه بها كُتب العهد القديم، والذي يضع جميع أعداءه بين قدميه(قورنتية1:

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص183.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص92.

25/15). وعلى غرار شريعة المثل التي تبرر المذابح والثأر في العهد القديم، فهذا المسيح كذلك ينتقم كما جاء في(تسالونيكي2: 1/2ـــ8)فلا يمكن ان نجد فيما يقوله بولس عن هذا الإله ما تقوله عنه عظات الجبل الواردة في انجيل متى إلا إذا اعتبرنا المحبة إتمام لشريعة المثل ويسوع وارثا لداود سيد الحرب[1].

إزدواجية أخرى يجدها غارودي عند بولس، فرغم انه قَبِلَ وصية الرسل بعد المواجهة التي دارت بينهم في القدس والتي ذكرها في(غلاطية10/2: ان نذكر الفقراء. وهذا عينُه كنت اعتنيت ان أفعله). فانه لا يحتوي لاهوته المنهجي في (رسالة الى أهل رومية)على كلمة فقير، في حين ان تعاملاته بارزة مع الأغنياء(فهو يطلب منهم التبرعات، ويشهد لهم بالعطاء، ويخشي عليهم الضيق: كورنتوس1/9،3/8. بل لا يطلب إلا فُضالتهم وان يدخروا الباقي لمستقبلهم: تيموثاوس1: 19/6)[2].

أما عن فقر يسوع الذي يذكره بولس في(كورنثيين2: 9/8) فيرى فيه غارودي الفقر الإرادي، الذي أراد به بولس استغناء الفقراء بيسوع المسيح عن غيره. ومن رسائل بولس يقف غارودي على الحرية التي جاءت مع العهد الجديد مشيراً الى انها كانت غائبة في العهد القديم، حينما يقول بولس(كورنتوس2: 17/3: وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية)[3]. وفي المقابل يؤكد غارودي على اعلان بولس وبطريقة بارعة انه على العبيد البقاء في عبوديتهم لانهم أحرار للرب والأحرار عبيد للمسيح(كورنتوس1: 2/7ـــ22)، ثم على النساء الخضوع لأزواجهم فالرجل رأس المرأة كما ان المسيح رأس الكنيسة(أفسس5 /22)و(كولوسي18/3)، وليس لها ان تعلم ولا ان تتسلط على الرجل. فالمرأة وكل امرأة من خلال المرأة الأولى حواء سبب الخطيئة عندما انخدعت بمكر الشيطان فأوقعت حتى آدم في المعصية

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص191ـــ193.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص166.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص 192،197.

كما جاء في (تيموثاوس1: 12/2ــ14) وعليها كذلك ان تغطي رأسها وسبب ذلك وهو ما يستغربه غارودي هو ان عار هذا الخطأ يستمر معها الى الأبد(كورنتوس1: 6/11)[1].

ويكرر غارودي هذه الفقرات في كثير من المواضع، حتى انه يجد في(أفسس5/6)ان في طاعة العبيد لسادتهم طاعة للمسيح، بل يجب ان تكون بخوف وارتعاد وبقلب صادق. وفي(تيطس9/2)ان عليهم إرضاء سادتهم في كل شيء وألا يكونوا معاندين. أما بالنسبة للمرأة فانه عليها ان تغطي رأسها والسبب هنا انه علامة لخضوعها للرجل، ذلك ان الرجل صورة الله ومجده أما المرأة فهي مجد الرجل فان الرجل لم يؤخذ من المرأة بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة بل المرأة وجدت لأجل الرجل(كونثوس1:7/11ــ10). وعلى الزوجات ان يخضعن لأزواجهم كما يخضعن للرب (أفسس22/5). ولا يَسمح بولس للمرأة ان تعلّم ولا ان تتسلط على الرجل، بل عليها ان تلزم السكوت بكل خضوع (تيموثاوس1: 11/2ــ12)، وان تصمت في التجمعات(تيموثاوس2: 12/2). حتى انه إذا كانت المرأة لا تغطي رأسها فليُقص شعرها(كورنثوس1: 6/11)[2].

ونتيجة لهذه الرؤية بالنسبة للمرأة جاءت مواقف الكنيسة(الكاثوليكية بالأخص)والتي لا تمت الى الإنجيل بصلة، بل يربطها غارودي كليا بالأحكام المسبقة لمجتمع ذكوري، الذكور فيه هم أصحاب كل قرار، يُستبعد فيه كل رأي ومطلب للمرأة، كما لو كانت هذه المرأة تثقلها دونية ما وراثية حقيقية، وكلِمة بولس(غلاطية27/3ــ28: لم يعد يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا رجل حر ولا رجل ولا امرأة، فكلكم لا تؤلفون إلا واحد مع يسوع)هذه الكلمة تناقضها كل كتاباته الأخرى مما سابق ذكره. وباسم هذه السفسطائية أبقى بولس على تبتل الكهنة والتي كان أصلها حسب ما يذهب إليه غارودي هو الحرص الخسيس على ألا تنتقل أراضي الكنيسة وأملاكها الى غيرها نتيجة التركات والوراثات العائلية. وكذلك تذرعت الكنيسة باحترام نواميس الطبيعة وإرادة الله عندما طُرحت مسألة الاعتراف للنساء بحق تحديد وتواتر النسل، وهذا المنع سيُترك

[1] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص86.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص243ــ244.

للذكور حسب هواهم بلا قيد ولا شرط، فيفرض الزوج على زوجته عدد الأولاد وتوقيت الأمومة. ونتج عن ذلك في الواقع الغربي إشكالية الإجهاض التي أودت بحياة آلاف من الأجساد النسائية، وكذلك بالنسبة للطلاق الذي عادة أثاره السلبية على المرأة لان الرجال توجهوا الى تنظيم حياتهم بشكل أخر، فقد انتشر في إيطاليا مثلاً وأكثر من غيرها نظام المربيات في منازل الرجال العُزاب، وليس للمرأة أي مُساعدة قانونية للاستفادة حتى من نفقة تربية الأولاد في حالة تخلي الأزواج عنهن. وقد هُزمت الكنيسة في مواجهة الاستفتاء الشعبي في إيطاليا لتسوية هذا الأمر، وراحت تواصل كفاحها ضد هذا الاختيار الشعبي، فأي وزن سيبقى لهذه الكنيسة وقد تصادمت مع أهلها؟. وإشكالات أخرى كثيرة تصادمت فيها المجتمعات المسيحية مع أعراف الكنيسة[1].

ومن خلال كل هذه المبادئ والأفكار التي جاء بها بولس ونشرها في الوسط المسيحي، أمكن لغارودي ان يطلق على بولس لقب مؤسس لاهوت السيطرة، ذلك انه أول من حمل الرؤية الخطية للتاريخ ففي لاهوته ان الله خلق العالم في مرة واحدة ورُسِمت كل مراحله وتفاصيل الأحداث فيها، وان بقي الاختلاف في ستة أيام أو في انفجار واحد، وكل محاوله تغيير لهذا النظام في المسيحية تعتبره الكنيسة انتهاكا للحرمات، فبولس يقول في(فليبي13/2: لان الله هو الذي ينشئ فيكم الإرادة والعمل لأجل مرضاته)[2]. ويأسف غارودي لان كتاب التعليم الديني لسنة1992م ردد عباراته ومضمونه فقد جاء فيه(الخاضعون للسلطة ينظرون الى رؤسائهم باعتبارهم ممثلي الله)وهي التي بررت السياسات الدكتاتورية للدول الغربية وخططها الاستعمارية وكل جرائمها في حق البشرية، وحتى المجمع الفتكاني الثاني لسنة1965م والذي كان الأمل عند بعض أحرار الغرب لانهاء هذا ألاهوت، إلا انه عاد، وخاصة بما مارسته الكنيسة من أعمال التفتيش الجديد ضد لاهوتيي التحرر[3].

---

[1] ــ غارودي، في سبيل إرتقاء المرأة، مصدر سابق، ص17ــ20.

[2] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص33.

[3] ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص193،196.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: باقي الرسائل.

ان الرسالة التي نالت القسط الأوفر من اهتمام غارودي هي أعمال الرسل، والتي حدد غارودي تاريخ كتابتها على انه بعد عام 64م. وقد كتبها لوقا صاحب الإنجيل[1]. وأكثر إشارات غارودي واستدلالاته بأعمال الرسل كانت للإشارة الى أعمال بولس ودوره في المسيحية، ليثبت من خلالها ما توصل إليه عن بولس وما وجده في رسائله، فيذكر غارودي ان فيها استذكار بولس لاستئصال الكنعانيين كسابقة تبشر بانتصارات أخرى في أعمال الرسل(16/13ـــ19)، وفي الوقت الذي يسلك بطرس نهج يسوع في عدم طرد الخطاة، وان الخيرية الإلهية كما يقول غارودي واتصاف بالتقوى والبر في العمل وذلك في كل أمة(أعمال الرسل28/10، 34/10ـــ35) وانه لا امتياز لشعب مختار يعطيه الله النصر على كل شعب لا يتبعه ويأمره بإدانته، فان بولس يشارك التلاميذ إحساسهم وهم يعبرون باستمرار عن خيبة أملهم(أعمال الرسل6/1: متى ترد الملك الى إسرائيل؟). وفي أعمال الرسل(32/13ـــ33)بشارة بولس بان يسوع قد حقق وعد الآباء، وعلى ما هو مكتوب في المزمور الثاني الذي يصفه، ويوضح بولس ان إله إسرائيل قد اختار الآباء فأقام لهم داود ملكا الذي يعمل حسب المشيئة الإلهية (أعمال الرسل17/13ـــ32)، وفي أعمال الرسل(34/13)ومن أجل ربط يسوع بوعد الله للآباء يستند بولس لنبوءات العهد القديم (نبوءة أشعيا3/55)[2].

ويشير غارودي الى ان كتب التعاليم المسيحي لعام1992م أوردت في الصفحة154 نص أعمال الرسل(22/13)أين يجعل بولس داود ملكا إلهيا بإرادة الرب. هذه الفكرة التي بنية عليها عقيدة بولس، والتي أدخلت إله الجيوش اليهودي، إله يشوع والمذابح للمسيحية، والذي يختلف عن إله المحبة، الذي يسميه يسوع في الاناجيل أبي. ولهذا أيد غارودي ما ذهب إليه ديستويفسكي الباحث في الأديان عندما اعتبر ان هذا الإله هو استمرارية لإله الإمبراطورية

[1] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص74.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص171،179،181،190.

الرومانية في الغرب. ويختم قائلا: "وبذلك يكون بولس قد طمس نافذة الأمل التي فتحها يسوع في تاريخ البشرية من أجل إدخال مبدأ التعالي والتريل، ليس لقدرة ملك حاكم على وجه الأرض، ولكن على العكس لأكثر الرجال فقراً وتواضعاً. التعالي ليس لذوي المقامات الرفيعة ولكن لمن هو مع الفقراء في قاع المجتمع"[1].

ثم يجد غارودي انه بعدما أكد بولس ان الله أخرج يسوع من نسل داود مخلصا لشعب إسرائيل حسب الوعد(أعمال الرسل23/13)، ذهب الى ان رؤساء أورشليم وأهلها تمموا أقوال الانبياء من حيث لا يشعرون(أع28/13ــ30: فلا أهل أورشليم ورؤساؤهم عرفوا المسيح، ولا هم فهموا ما يتلى من أقوال الانبياء في كل سبت، فتمموها بالحكم عليه، وبعدما تمموا كل ما كتبه الانبياء في شانه، انزلوه عن الصليب ووضعوه في القبر، ولكن الله أقامه من بين الأموات)، ليبرهن من جديد على قدرته وعنايته بشعب إسرائيل. وكانت وسيلة بولس لنشر عقيدته في نظر غارودي هي جعله من قيامة يسوع معجزة تدل على قدرة الرب ليقنع اليهود بانها ليست سوى تحقيق لوعد الله لهم(أع32/13ــ33: ونحن نبشركم بان ما وعد الله به آبائنا تم لنا، نحن أبنائهم، حين قام يسوع من بين الأموات، وفقا لما كتب في المزمور الثاني(انت ابني، انا اليوم ولدتك)). وبهذه الحيلة استطاع بولس إقناع اليهود وغيرهم خاصة اليونانيين الذين تتطابق لديهم الله والقدرة بعقيدته. وهذا التناقض في قراءة بولس لقيامة يسوع وبعثه مع حياة يسوع وما دعى إليه التمسه غارودي في قلق الأب سيجوندو عندما اعترف قائلا: "في هذا البعث نجد صعوبة في التعرف على يسوع التاريخي"[2].

وعندما يقول بولس في(أع 22/26: لكني حصلت على عون من الله فبقيت الى هذ اليوم شاهداً للصغير والكبير لا أقول شيئاً غير ما قال الانبياء وموسى انه سيكون)فان في ذلك تأكيد لما يذهب إليه غارودي حول بولس، والذي يجده يقول كذلك في(أع 2/17ــ3: وفاوضهم(بولس)من الكتب ثلاث سُبُوت شارحا ومبينا ان المسيح كان ينبغي ان يتألم ويقوم من

[1] ــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص78.

[2] ــ المصدر نفسه، ص77،81،82.

بين الأموات وان يسوع هذا الذي أبشركم به هو المسيح)فهذه العبارات تمحوا ما هو متفرد وجديد في رسالة يسوع، هذه الرسالة التي كشفت عن إله يختلف كليا عن آلهة اليهود واليونان والرومان[1].

وعليه فانه منذ ان اختار المسيح بولس رسولا عنه كما يقول والتي بدأت بالرؤية السماوية في رواية أعمال الرسل (19/26) كان أسلوبه في الدعوة اعتماد تقاليد من يدعُوهم. فبالنسبة لليهود سعى لربط العهد القديم بالعهد الجديد وتكلم استنادا لشريعة موسى والانبياء(أع23/28)، حتى ان رؤساء المجمع أقروه في ذلك ودعوه ومرافقيه لوعظ الشعب (13/13ـــ16)، فعاد بولس الى اختيار الآباء وشعب إسرائيل(أع17/13)والوعد بأرض الكنعانيين(أع19/13)ثم التأسيس لمملكة داود (أع22/13). أما بالنسبة لليونان فقد أكد في خطابه لهم على تدينهم وفي كل وجه(أع22/17)ثم جعل من الآلهة المجهولة التي يضمها اليونان لألهتهم واعتبره هو الإله الذي يعوهم إليه(أع23/17ـــ24)، وراح يمزج بينه وبين ما يقوله كبار الفلاسفة والمعلمين اليونان والرومان عن الإله وحقيقة الخلق والانسان والعالم(اع25/17)وليحرم صناعة الأصنام استدل بالفيلسوف الروماني سيناك، وذكر كذلك ثلاثية أفلاطون(الحياة، الحركة والوجود)وما قاله الشاعر إبيمنيد (epimenid)في القرن(6ق م)(أع28/17: لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد، أو كما قال بعض شعرائكم: نحن أيضاً ذريته). ليتساءل بعدها غارودي: هل من الأمانة اعتماد كلمة المسيحية والتي لم تظهر إلا عند مرور بولس بانطاكيا عام43م، عندما أطلق بولس على تلاميذه المسيحيين ولأول مرة(أع26/11)لان هذه الكلمة كما يقول غارودي: "تعني (المنقذ)أي منقذ مملكة داود، في حين ان تلاميذ يسوع يطلق عليهم حتى الان(القديسين)"[2].

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص32.

[2] ـــ غارودي، الارهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص76،84،85،87.

أما عن رسالة يعقوب فيشير غارودي الى الها تردّ عقيدة بولس في ان الخلاص بالنعمة وليس للانسان يد ولا مسؤولية له في ذلك، أين تقول رسالة يعقوب(2/14ــ26: كذلك الإيمان ان خلا من الإيمان فهو ميت في ذاته)[1].

وانطلاقا من رسالة يوحنا الأولى(4/8: ومن لا يحب لا يعرف الله)يأخذ غارودي بالمعاني الصوفية: فالموت لن يأخذ شيئاً ممن أعطى كل شيء، وهذا ما أظهر يسوع(الانتصار على الموت، الانتقال من الموت الى الحياة، القيامة أي الانتقال من موت الفرد الى الشعور بالمحبة الحقيقية التي بفضلها ليس مركزي في ذاتي بل في الآخر، في هذا(الانت)الذي به انا (انا))[2]. ومن خلال هذه الفقرة(رسالة يوحنا1: 4/8)يشير غارودي الى التعالي الذي هو مضاد للاكتفاء، فالانسان كبير لدرجة انه لا يكفي نفسه بنفسه. كما قال الأب بنهوفر: (ان الخروج من الذات وملاقاة الآخرين هو التجربة الأولى للتعالي، وهذا هو ما يدعى بالحب)ويجد غارودي ان نفس التجربة جعلت الصوفي الفارسي الشيرازي يقول: (اننا نتعلم في كتاب الحب الانساني كيف نفسر الحب الإلهي).. ويعتبر غارودي ان الوعي المعاش والمجرب للتعالي يُجنبنا وهم تصور الكون على انه مغلق، وللواقع على انه مختزل فيما وجد من قبل، وللمستقبل على انه لا ينطوي إلا على إمكانية الحاضر[3].

وهكذا يكون غارودي قد تعرض في هذه الرسائل وكل ما يحتويه العهد الجديد لما يراه تحريف وقع لرسالة يسوع المسيح وتأويلات يتهمها بالخطأ، ومن ناحية أخرى يقف عند ما يجده فيها من معاني يعتبرها من المخلفات عن الحقيقة الدينية التي قال بها العهد الجديد واحتفظ بها رسل المسيح عما قاله وفعله في حياته وما دعا إليه، وقد وجدنا ان غارودي ركز هنا على المعاني ذات الطابع الصوفي والروحاني، لان هذه المعاني هي الأساس الذي يعول عليه غارودي كأرضية للحوار الحضاري الذي يدعو إليه، فقد وجد عند دراسته لهذه الحضارات ان هذه المعاني هي السمة

---

1 ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص168.

2 ــ غارودي، نحو حرب دينية، مصدر سابق، ص116.

3 ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص262ــ263.

المشتركة بينها جميعاً، خاصة الحضارات القديمة التي تمثل الموروث الذي يتمسك به أغلب سكان العالم. وفي المقابل يحتاج الغرب لهذه المعاني والتي يرجع غارودي سبب غيابها في الحضارة الغربية دون غيرها الى **التحريف الذي وقع لرسالة يسوع المسيح، ويعتبر غارودي** ان بولس هو رأس **التحريف والمتسبب الأول فيه رغم ما التمسه غارودي عند من حقائق دينية.**

فإذا كان هذا ما أبرزه غارودي مع مصادر المسيحية(العهد القديم والعهد الجديد)**فماذا سيُبرز غارودي مع الإيمان المسيحي؟.**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

الإيمان والشريعة في المسيحية.

المبحث الأول: الألوهية وفكرة المسيح.

المبحث الثاني: المعتقدات المسيحية.

المبحث الثالث: التشريع المسيحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: الإيمان والشريعة في المسيحية.

يقول غارودي: "لسنا بحاجة الى(العودة الى الدين)وإن ما نحن بحاجة إليه هو بعث الإيمان، أعني الوعي بأن جميع مآسي العالم تنشأ عن غياب الإنسان، وفعله الخلاق. لو كُنتُ هناك كإنسان ومسئول وخلاق، فإن فراغ البؤس ما كان يمكن ان ينشأ، هذا الفراغ الذي يُدنس حقيقة وجود الله ويعمل من الدين(أفيون الشعب).. لنتخيل برهة أن الجهر بالعقيدة وقد تَرجم التجربة المسيحية بصياغة لا تنطلق من مقولات الفلسفة اليونانية، ولكنها تنطلق من التجربة الإفريقية للحياة أو إشرافات أسيا، إشراقات الهندوسية أو الطاوية مثلا: فإن تجربة الحضور الإلهي ما كانت لتصاغ كما لو كان الله كائناً أو معنى مجرداً وإنما انبجاس إمكانات. ولسوف يكون الله ليس كائنا وإنما فعلاً ولسوف يكون الإيمان هو تجربة هذا الفعل، في كون تسبق الحرية فيه الكائن.."[1]. فماذا يقصد غارودي بالدين هنا؟ وعن أي إيمان يتحدث؟.

ويتضح كلام غارودي عن الدين والإيمان ومفهومه لهما حينما يقول: "كلُ دين، كلُ شكل للتعبير عن الإيمان بلغة ثقافة ما، مرتبط كثيراً أو قليلا برؤية للعالم. يتطّور تمثّل العالم المرتبط بثقافة ما مع المعرفة، معرفة العِلم والفن، ويتغذى الإيمان بالصور والرموز، ويغدوا من ثمّ، وبالتأويل مع المعتقدات، دينا... الإيمان واحد، وهو لا ينفصل عن الحياة ذاتما في انتشاره. الديانات والمعتقدات متعددة كالثقافات التي ولِدت تلك الديانات والمعتقدات فيها. وهي تاريخية بمعنى جزئي، وهي ليست حية الا إذا كانت واعية لنسبيتها وللحاجة الى الإغناء، بالحوار مع وجهات نظر أخرى عن العالم وتاريخه، كي لا تُعد أزمات الثقافة التي فيها تُعبِّر(الديانات والمعتقدات)عن نفسها، أزمةَ الإيمان"[2].

كما يعتبر غارودي أن رؤيا يوحنا في العهد الجديد تنوه الى أن: "الإيمان هو فعل المشاركة في تغيير العالم، فإنَ لنا في هذا كله تذكِرة بأن العالم ليس واقعاً جاهز الصنع وإنما خلق متصل، وبأنه على كواهلنا تقع مسؤولية العمل والنضال في سبيل ذلك التغيير وهذا الخلق، وبأن

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص250.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص101.

الإنسان ليس له طبيعة واحدة ثابتة لا تُحَوَل وإنما له تاريخ مُؤلف من قرارات ومن خلق لممكنات متجددة أبداً ومن تصادمات مع المستحيل"[1].

وعند كلام غارودي عن المعجزة كان يردد دائما أنها ليست خرق لقوانين الطبيعة وحادثاً خارجياً، ويؤكد ذلك بالعبارة التي كان يضيفها يسوع بعد كل تدخلاته(إيمانك هو الذي خلصك)ولذلك يعتبر أن المعجزة الحقيقية هي الإيمان، فالإيمان هو الذي يُمِد الإنسان بمعجزة فعل الخلق، والقدرة على تغيير العالم[2].

ويذهب محسن الميلي الى أن خلفية هذه المفاهيم عند غارودي مردُّها الى طبيعة نظرته الدينامية للإنسان، والتصور الذي يعتمده للمعرفة والحقيقة. وفي الوقت الذي يرفض فيه غارودي المفهوم الأرسطي للحقيقة التي هي تطابق الفكر مع الشيء، هذا التصور الذي يقود الى وجود معرفة وحقيقة واحدة هي التي تتطابق مع ما هو كائن، تصور يعتبره غارودي فقير، ويُعرف المعرفة بأنها فعل وليست انعكاس للواقع أو تَطابق معه. يتمثل هذا الفعل في فرضيات وتجارب وإنشاءات وبناءات قابلة دوما للمراجعة والتصحيح والتطوير وبالتالي يكون من الخطأ إدعاء الوصول الى معرفة نهائية وحقيقة مطلقة. ولذلك نجد غارودي يردد كثيراً: "كل ما نقوله إنما يقوله إنسان" تأكيداً منه على نسبية ذلك الكلام والحقيقة. وهو الشيء الذي يجعل غارودي يَعمد الى الإقرار بمحدودية كلّ سلطاتنا ومعارفنا ونماذجنا. ويرى أن الإيمان كذلك يقرّ بنسبية الحقيقة، حتى أن الوحي ليس في التماثل مع الواقع والتطابق معه بل يكمن في العمل على تجاوزه وتغييره وهكذا تقودنا خاصية التعالي(تجاوز الحقيقة المعطاة)الى خاصية النسبية(نسبية الحقيقة)، كما يشير غارودي الى أن زمن الوحي(في اليهودية والمسيحية والإسلام) كان زمن خروج ومقاومة وزمن الهجرة والصراع ضد القوى التي تجذب الى الوراء والى التمسك بمعتقدات وتقاليد الأولين. وهذا لا يعني مجرد الخروج على القوى المتسلطة والباغية بل يعني كذلك عدم الاكتفاء بإنجاز تاريخي معين، وضرورة التطوير واستمرار الاجتهاد والفهم والتطبيق في الدين نفسه. لذلك يقول غارودي: "فالمسيحية ليست النظام القسطنطيني ولا فلسفة القديس أغسطين

---

[1] ـــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص103.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص179.

أو القديس توما الإكويني أو مارتن لوثر... والإسلام ليس الأشعرية أو المعتزلة أو الغزالي، وليس النظام الأموي أو النظام العباسي..."[1].

وفي غياب هذه المفاهيم عن الحقيقة والمعرفة وتجنب اعتبار أن كل لاهوت يكون بالضرورة رمزيا وانه يستطيع الإشارة الى الإلهي ولا يستطيع تحديده، يجد غارودي أن كل حوار للأديان والتجارب الدينية سيكون جدل طُرشان، وتكون نتيجته الإلغاء والتحريم. ومثاله على ذلك أنه إذا كان الهندوسي يرى بأن لاثنائية (أدفايتا وهي الاتصال الوثيق بين الفرد وربه)التي يبلغها هي فوق شخصية، فإن المسيحي سيعتبرُها تحت شخصية لتصوره المجرد لعبارة(شخص)، كما لو كان في الوسع ترجمة التجربة الثالوثية الى معنى مجرد. في حين أنه لا يمكن إلا أن تكون صورة واستعارة مجازية من أجل الإشارة الى تجربة حقيقية. هذا الإشكال وغيره في المسيحية خلقه التصور الهيليني للكائن والجوهر، للموضوع وللمعنى المجرد وللمتناهي واللامتناهي. فالفكر اليوناني لم يتمكن من تجاوز مفهوم اللامحدود ولم يستطع أبداً تخيل اللامتناهي. فالمتناهي كما يقول غارودي: "لا يمكنه أن يختلط مع اللامحدود"[2].

ومن خلال هذا الكلام نتساءل عن تصور غارودي للالوهية وحقيقة المسيح ورسالته في المسيحية؟

المبحث الأول: الألوهية وفكرة المسيح.

يبدأ غارودي دراسته للمسيحية بتمييز موضوعها الذي يختلف عما سبقها من الديانات، ففي الوقت الذي ركزت فيه هذه الديانات على التأمل في الأُلوهية وصورت الإله باعتباره الملك كلي القدرة بالغ العظمة بِحيثُ لا يمكن لكائن أخر أن يدانيه، جاء الإيمان المسيحية فكان موضوعه الأساسي والأوحد هو شخص يسوع(المسيح)حتى انه لا يمكن للمسيحي أن يعرف الإله إلا من خلال المسيح، فالمسيح هو الصورة الإنسانية التي يتجسد فيها الإلهي[3]. وفي الوقت الذي يرفض فيه غارودي الترجمة اليونانية التي تَعتَبر أن الله كائن، فَيَغيب

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص150ـــ 152.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص248ـــ249.

[3] ـــ المصدر نفسه، ص172.

بذلك مفهوم الخلق الذي يصبح غير ملموس، ولان كل كائن يسبق وجوده كائن أخر، فإن غارودي يعتبر أن الله هو فعل، فعل خلّاق بشكل خالد، وهذا هو فهمه لما يقوله القرآن الكريم: (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)[الرحمن: 29]، فهو الذي يخلق ولا يتوقف عن الخلق[1].

فكيف كانت فكرة الإله عند غارودي والتي انتقد من خلالها الألوهية في المسيحية؟

المطلب الأول: فكرة الإله عند غارودي.

ولمعرفة ما تقوله الدراسات المسيحية عن الإله نجد الأب توماس ميشال اليسوعي يذهب الى أن المسيحيين يؤمنون بأن الله هو الأزلي القدير العليم، خالق الكون وسائر ما فيه، المحيي الرحيم الغفور، المتعالي العطوف، السيد المطلق، ديان البشرية العادل في اليوم الآخر، القاضي بالثواب أو العقاب للأبد. وأن لله رسالة أزلية هي كلمته أو حكمته، نُطقه أو تعبيره الخاصّ، وهذه الكلمة غير مخلوقة وغير مختلفة عنه. ويدعو المسيحيين الله(الآب)وهي عبارة ورثوها عن اليهود الذين يدعون الله أباهم ويدعون شعبهم ابن الله، وقد جاء ذلك في مزامير داوود حيث خاطب الله شعبه: (أنت اليوم ابني أنا اليوم ولدتك)وفي نبوءة هوشع: (ودعوت ابني(الشعب اليهودي)من مصر). وقد أضفى عليها يسوع معنى حميمياً وصبغة عائلية فعلم تلاميذه أن يقولوا(أبانا)[2].

أما تصور غارودي للإله فتظهر معالمه من خلال السؤال الذي كان يطرح غارودي دائماً في مرحلة مساعي الحوار الماركسي المسيحي على المسيحيين، اعتمد في هذا السؤال حجة عالم اللاهوت الأمريكي هارفيه كوكس فقال: "إذا كان الإنسان لا يلقى الله الا في العالم، إذا كان العالم هو المسرح الوحيد لهذا الحوار بين الله والإنسان، إذا كان صحيحاً ان رب التوراة لا يظهر سوى في التاريخ أي في الأعمال الإنسانية، في انتصار الإنسان أو انتكاساته، في منفاه أو

[1] ـــ غارودي، هذه وصيتي للقرن21، اعداد شاكر نوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2007م، ص107.

[2] ـــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، تر، كميل حشيمة اليسوعي، دار الشروق، بيروت،ص55.

في ثوراته، إذا كان التعبير الدائم عن كلمات الله يتم بالعمل، وإذا كان الله يدعوا الرجال عبر أحداث التحول الاجتماعي، ألا يسعُنا القول بأن الله موجود في كل مكان يولد فيه شيء جديد، في كل مكان يمنح فيه الشكل الإنساني عظمة جديدة؟". وقد أراد غارودي بهذا أن ينبه المسيحيين أنه بإمكانهم أن يجدوا نفحات الإله في الاكتشافات العلمية أو التقنية، وفي الإبداع الفني أو الشعر، في تحرر الشعوب، أو في الثورات الاجتماعية، وفي كل مكان يظهر فيه الإنسان مبدعاً وخلاقاً على كافة المستويات الإبداعية، من الإقتصاد الى السياسة، الى الإبداع العلمي والفني والروحي، وفي الواقع المعيش بكل ما فيه[1].

وبعيداً عن كل الطبوهات يتكلم غارودي عن فكرة الله ويعتبر أن شأن الله دائماً هو شأن من لا يوجد، ولكنه(أي الإله) يدعوا الى الحركة والى الحياة. فهو كما يقول غارودي: "مثل أفق نتبعه دوماً ويفر منا دوماً. فهناك بُحُور أخرى خلف هذا البحر، وجبال أخرى خلف هذه الجبال. فالله الواحد في خلق دائم، واستدعاء دائم لريادات جديدة للحياة". وفي مقارنة له يقول أنه: "إذا كان الله في روحانيات إفريقيا أو لدى هنود أمريكا هو قوة محركة لكل الحياة، فإن حِكَم المسيح اقتصرت على التمثيل لمملكة الرب من خلال صور نشر البذور، ونشأة سنابل القمح وميلاد وازدهار الحياة، ومع ميلاد فلسفة الفعل يكون الله من خلالها موجود في كل شيء وفي كل إنسان، بوصفه الفعل الذي يوجد، الفعل بامتياز، فعل الإبداع". ومن خلال هذا التصور الأخير للإله في فلسفة الفعل يعتبر غارودي أنه بالإمكان أن تتجلى لنا وحدة العالم ووحدة ما وراء العوالم ويرى أن في هذا الانسجام بين تصور الإله في هذه الفلسفة والعالم بما فيه وما وراءه دليل على صحة هذا التصور لله ودون تحديده. وليؤكد رأيه يشير الى أن الفيزياء الحديثة أعطت الصورة لوحدة العالم ولا نهائيته، فالجزيء في الفيزياء الحديثة هو محل العلاقات، فهو كموجة في محيط بلا ضفاف. تَحي فيها كل اندفاعات المحيط وجاذبية القمر في مده وجزره. هذا القمر الذي يرتبط بحركات الأرض، وترتبط هذه الأخيرة في حركتها وحياتها بالشمس. والشمس بدورها لا تَملك ديناميتها ووجودها إلا في قلب المجرة وضمن مليارات المجرات الممكنة، فكل جزيء كما يقول غارودي: "له جذور تمتد الى أقصى تخوم الكون"[2].

[1] ــ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص85.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص258ــ259.

وفي الكلام عن هذا المبحث(الإله)بعد إسلامه يقول غارودي: "الله الحق ليس لديه ما يخافه من مطرقة محطم الأصنام، ولا من الشك القلق لكيير كغارد ولا من النقد الصائب لماركس في(أفيون الشعب)، ولا من(زرادوسترا)لنيتشه. هي خدمة لله الحق أن نواصل نقديّة كانط الى حدها الأقصى من خلال كيير كغارد وماركس ونيتشه ليُحرَق في نارهم آخر حثالة أصنامنا، ولنعيش مع ديوستوفيسكي السَنة الصفر للأخلاق، ومع أينشتاين فكرة وحدته(أي الإله)مع الحياة، وفي السياسة نعيش التاريخ الذي يُصنع"[1].

وبكل وضوح يقول غارودي عن الله: "إن الله لم يجعل من نفسه مسيحيا ولا يهوديا ولا غربيا، وإنما جعل من نفسه إنساناً". وإذا علمنا أن هذا الكلام جاء في كتابه(نحو حرب دينية؟)والذي كتبه طبعاً بعد أن أعلن إسلامه، وقد وجد غارودي أن هذا ما تقوله التجارب الدينية حين تتلاقح وتجمع ما تشترك فيه للاقتراب من هذا السرّ(فكرة الإله)وفي محاولتها لتحقيق انفتاح المتناهي(الإنسان)وتعريفه باللامتناهي. فليس من إله(في ذاته)نستطيع أن ننظر فيه كما يقول غارودي، ومن ثمّ اعتبر أن أوثانا جديدة صُنعت مع المفاهيم المختلفة لهذه الفكرة عبر تاريخ البشرية(فكرة الخير، أو كائن الكائنات جميعا، أو المحرك الساكن، أو الخالق المدبر لمستقبل الناس والمقدر لمصيرهم...)ولذلك يحدد غارودي أنه ليس لنا إلا أن نحاول قول ما الله بالنسبة إلينا، وما علاقتنا بالله، ولأنه لا يمكن الكلام عليه على طريقة الأشياء، فلا يمكن أن أرى فيه إلا ما يكشفه لي إنسان، وهذا ما تقول به المسيحية ويصف غارودي هذا الإنسان بأنه المتخلي عن كل رغبة جزئية، وعن أي تعلق بما هو خاص به(ويتجسد هذا في أفعاله وأقواله) وهذا هو المطلوب لتحقيق الكلية الإنسانية، خلافاً لكل الفردانيات والقبَليّات. ويرى غارودي أن أبعاد الإنسان كشف عنها يسوع، ويحدد هذه الأبعاد عند تفسيره للعبارة المسيحية(أن الله صار إنساناً في يسوع)بداية ببعده الإلهي(العلاقة مع الله واتصافه بصفاته)وبعده الكوني(علاقته بالطبيعة بكل ما فيها حينما تغدوا جسد له)وفي بعده الجماعي(حينما يشعر بمسئوليته تجاه كل الآخرين)وهذا ما يسميه غارودي (المحبة)أو (الله)على السواء[2].

[1] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص76.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص103ـــ104.

ويردد غارودي أنه منذ القديس إيريناوس ضل آباء الشرق يقولون أنه(خلق الله الإنسان حتى يستطيع الإنسان أن يصبح إلهاً)ويمكن أن نُحدد تفسير غارودي لهذا التأله عندما نقف مع قوله: "الفرق بين الله الخفي، وطاقاته التي يمكن أن يشارك فيها الإنسان بكامله، جسداً وروحا، تقترب من الهوية العليا الهندية والأبانيشاديين" فيكون تأله الإنسان عنده هو سعيه لتحقيق الكمال جسداً وروحا والاقتراب من الهوية العليا وامتلاك طاقاتها والتخلق بأخلاقها[1].

في حين يعتبر علي حرب أن في عبارة آباء الشرق السابقة الذكر: "هي خديعة الإنسان لنفسه عن مصدره ومآله الإلهي أو حقيقته وماهيته المتعالية. وهذه الخديعة لم تخفف يوماً من وحشة الإنسان، على امتداد تاريخه ومسيرته التقدمية". ويرى علي حرب أن غارودي بتكراره لهذه العبارة وتأسيسه لمفاهيم كثيرة عليها، يقع في المأزق نفسه الذي وقع فيه الأصوليين الذين ينتقدهم(مسيحيين كانوا أو مسلمين أو يهود)وهو نفي الواقع والتاريخ للدفاع عن الأصول والبدايات. ويعتبر أن كلام غارودي عن الوجه الإلهي للإنسان ووجهه الإنساني وكلاهما وجهان لعملة إيديولوجية واحدة(مسيحية ماورائية وماركسية علمية)تحجب واقع الإنسان في وجوده الدنيوي المحسوس وفي مشروطيته التاريخية. ومن ثمّ يحكم علي حرب على هذا الكلام بأنه أقرب الى اللغو الإيديولوجي والتهويمات الروحانية، البعيد عن واقع الإنسان وطبيعته[2].

وبعد أن يلغي غارودي مع جموع الشبيبة(التي تكلم عليها في مشروعه البديل)صورة الإله الأرسطوطاليسي المسن، المحرك الذي لا يتحرك. وبعد انتقادات(ماركس، نيتشه وفرويد)لتلك التصورات في عصر الجوهر فيه صيرورة، والكتلة طاقة، والكينونة علاقة، أصبحت الشبيبة تَعتَبِر الإله قوة خلاقة كامنة في قلب كل شيء. وأنه موجود حيث يوجد شيء جديد في سبيله الى الولادة (في إبداع فن من الفنون أو في اكتشاف علمي أو في حب أو في ثورة). فالله نقيض القصور (أي قصور الطاقة عن توليد عمل)[3].

---

[1] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، تر، ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2001م، ص41.

[2] ــ علي حرب، الاستلاب والارتداد، مرجع سابق، ص61،70،81.

[3] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص39.

كما وصلت دراسة محسن الميلي للمشكلة الدينية عند غارودي الى أنه يقف على التعارض الصريح بين الإسلام وفلسفات الوجود لدى بارمندس وأفلاطون وأرسطو الذين صوروا الإله انطلاقا من تصوراتهم للإنسان والطبيعة. ويرى غارودي أن الفكر الإسلامي يختلف جذرياً عن مذهب وحدة الوجود والحلولية القائل بالإله المنبث في الكائنات وأنه لا شيء غير هذه الكائنات، حيث أن الإله في هذا المذهب يصبح هو الطبيعة، سواء سمي(طبيعة طابعة)كما هو عند سبينوزا أو(اللا متناهي)كما هو عند أنكسيمندر أو(المبدأ الأول)كما في الفلسفة الرواقية، فهو في كل هذه الحالات لا يعدو أن يكون اسما أخر للمادة أو الطبيعة أو الكون(يماثلها أو يتماها معها)أما في الإسلام فالله لا يتماها مع المخلوقات وهو دائما مفارق لها ومتعال عليها، فالمخلوقات(الكائنات)كما يجدها غارودي في الإسلام هي آيات دالة على الله ورامزة الى بديع خلقه دون أن تتحد معه فلا يمكن ان يتماثل الخالق مع المخلوق، لان التنزيه في الإسلام مطلق(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الشورى : 11][1].

وفي هذه المرحلة التي اقتنع فيها غارودي بالتصور الذي وجده في الإسلام لفكرة الإله، تبلورت لديه فكرة التعالي الإلهي التي احتلت موقعاً مهما في أسس مشروعه الحضاري البديل، ويظهر ذلك في تعريفه للتعالي الذي يحدده بثلاث نقاط: فالتعالي أولاً مضاد للعنصرية، إذ أنه من الممكن أن يوجد شيء أخر غير الذي هو موجود، الذي يمكن تجاوزه والمضي الى ما وراءه، وهو ثانيا مضاد للفردية، فالفرد(أو الدولة)ليس مركز ومقياس لكل شيء، وهو(أو هي)فرد في مجموعة، يعي كل واحد فيها انه مسئول عن مستقبل الآخرين جميعاً، ثم هو ثالثا مضاد للاكتفاء، ذلك أن الفرد(أو الدولة) لا يمكن أن يكفي نفسه بنفسه، ويؤكد غارودي ذلك بما قاله الآب بونهوفر: "إن الخروج من الذات، وملاقاة الأخر هو التجربة الأولى للتعالي، وهذا هو ما يُدعى الحب". وهو ما يجده في رسالة يوحنا الاولى 8/4(أما من لا يحب فهو لم يتعرف بالله قط)وهو ما وجده غارودي في مقولة الصوفي الفارسي الشيرازي وهي حصيلة تجربته الصوفية(إننا نتعلم في كتاب الحب الإنساني كيف نفسر الحب الإلهي)ومن خلال هذا التحديد أمكن لغارودي أن يجعل من تجربة التعالي(التجربة بالمعنى الصوفي الذي هو ممارسة وعيش الفكرة

[1] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص209ــ210.

أو المبدأ)محصلة لتجارب ثلاث، تتمثل الأولى في التجرد من الذات(ضد الفردية)والثانية تلقي الأخر(ضد العنصرية)أما الثالثة فهي الشعور بحضور كل ما هو خارج عن الذات في الذات كتدفق للحياة التي لا نعرف منبعها ولا مصبها(ضد الاكتفاء)[1].

ويعتبر محسن الميلي في دراسته السالفة الذكر أن التعالي الإلهي يمكن إدراكه في نظر غارودي من زوايا ثلاث[2]:

1ـ يُمثل التوحيد والتتريه الزاوية الأولى، فغارودي يقول في كتابه ببليوغرافيا القرن20ص274(الله حقيقة الوجود)ومن ثمّ فإن الكون والوجود لا يمكن له أن يقوم إلا على مبدأ التوحيد(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[الأنبياء22]. ولأنه واحد فكان لزاماً أن يكون مترهاً عن الشبيه من سائر الكائنات، فوجود الله ليس من جنس وجُد الكائنات، فهو مصدرها وسبب وجودها وهو الفعل الخلاق لها، فهو أكثر من الوجود وما به الوجود موجود.

ولذلك نجد غارودي يقول: "إن اللااعتقاد(بالله)الكفر، يكمن في النظر الى الأشياء مستقلة عن الله الذي هو أصلها وغايتها ومعناها". ويذكر بعدها وفي إطار منهجه القائم على مبدأ تطور الأفكار وتبلورها مع التاريخ(كفكرة الإله والتوحيد مثلاً) ما خلُص إليه الباحث الغربي في علم اللاهوتي وايتهيد عن مسار تبلور فكرة التوحيد من أنه كان القول بإله واحد، كعقيدة تدرك الله على صورة زعيم إمبراطورية(مع الإمبراطوريات الكبرى الرومانية والبيزنطية وغيرهما ثم مع اليهود كذلك)، ثم على صورة تجسيد للأخلاق(في المسيحية)ثم على صورة مبدأ فلسفي أخير(مع الفلسفات الوضعية)لتنتهي هذه العقبة العظيمة بظهور الإسلام(في التوحيد والتتريه). ويشير غارودي بعدها الى أن هذا النفي للتشبيه والتجسيد كان موجود عند الصينيين والهنود. وهو ما غاب عند الباحث وايتهيد كحال أغلب الباحثين الغربيين عن قصد(لإبراز الغرب دون غيره)أو من دون قصد(نتيجة النسق الذي بُنِيت عليه منظومتهم الفكرية). ثم يؤكد

[1] ـــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص 261ـــ 262.

[2] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص208ـــ211.

غارودي مع متصوفة الإسلام أن الإنسان (الكامل المتخلق بأخلاق الله)والعالم(كوحدة موحدة)هو تجلي لله ودليل لوحدانيته[1].

وينبه غارودي في موضع أخر من أن يُساء فهم المتصوفة عند قولهم أن الله في كل شيء، فذلك لا يعني أن كل شيء هو الله فلا حلولية في رؤية المتصوفة، بل على العكس فإنه لا يمكن لشيء أن يكون حقيقة واقعية إلا بانتسابه الى الله وإلا كان وهماً لا وجود له. وقولهم هذا لا يعني أن الله ليس سوى مجموع الكائنات حتى لو امتد هذا المجموع الى اللانهائي، فليس ثمة وحدة للوجود واتصال بين المحدود واللامحدود. وفي مقابل القول بأن الله وحده هو الوجود فإن أي شيء لا يوجد إلا كآية من آيات تدل عليه فهو بداية كل شيء ونهايته. وهذا ما يفهمه غارودي من الآيات: (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [النساء78]،(هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[يونس56]،(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحديد3]، وينوه الى أن التصوف هو طريقة في قراءة القرآن وطريقة في عيشه، ولأنه لا سبيل لقياس مشترك بين الله والإنسان، وبحكم هذا التعالي الإلهي، فإن الله لا يكلم الناس إلا رمزاً كما لا يمكن للإنسان أن يكلم الله إلا مجازاً. أما العالم فإنه لا يتوقف عند حدود الأشياء التي هي ليست إلا آيات الله، ولذلك يجب استبعاد كل قراءة حرفية، والبحث عن المعنى الداخلي(الحقيقي)خارج حدود اللغات الزمنية والمحدودة والكلمات التي ليست إلا رموز[2].

2ـــ والزاوية الثانية لإدراك التعالي عند غارودي تكمن في العلاقة الطردية بين التعالي وبين حقيقة ارتباط الإنسان بالله خالقه ومدبر شؤونه، وحاجته إليه وعدم إمكانية الاستغناء عنه. هذا الارتباط الذي يؤكد على عدم إمكانية الاكتفاء بالذات، أو أنها مركز جميع الأشياء ومقياسها. وهذا ما يؤكد بطلان الأساطير التي تُصور برومثيوس وفاوست على شكل كائن متأله يطمح الى أن يكون سيد الكون بلا منازع(هذه الأساطير التي كانت الدعامة الأساسية لعودة الإنسانية الى قانون الغاب). والتعالي من هذه الزاوية يتجلي في تجربة الحب، هذه التجربة التي تسمح للإنسان بالتخلص من فرديته لينفتح على الأخر ويرنوا بذلك الى عدم الاكتفاء بما

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص207،210.

[2] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص42ـــ43.

لديه، فيتعال عن الدوافع البيولوجية، فتبرز أشواق المحبة الإلهية والرغبة في الاتصال بالله، ولذلك كان حب الله هو أسمى أشكال المحبة، ومن خلال هذا الانفتاح يَظهر التعالي الإلهي.

هذه الحقائق التي يجدها غارودي عند المتصوفة، ويذكر في ذلك موقف لبشر الحافي(ت841م)الذي خرج في يوم من أيام البرد القارس عاريا(تخلي عن حاجة بيولوجية ملحة)، فلما سؤل عن سبب ذلك أجاب بأنه مرت بخاطره ذكرى المُعوزين الذين لا يملكون ما يلبسون، ولأنه لا يجد ما يقسمه معهم فقد أراد أن يشاركهم معانات آلام البرد نفسها معهم. ويجد غارودي في هذه التجربة قمة السعي لتماثل مع كل إنسان بما فيها الألم، ومن ثمّ التماثل مع الله، ويَعتَبِر الحب المسيحي(تجربة المحبة عند يسوع المسيح)أسمى أشكال هذا التماثل[1].

ويعتبر غارودي أن التعالي ضد الغرور، الذي جعل الإنسان منذ القدم عندما يشعر بعجزه يذهب مباشرة الى وضع تصور لإله من القوة. وهو ما حدث مع زوس(إله اليونان)ويهوه(إله اليهود)، أو يجعل الإنسان يدعي موت الآلهة وأنه الوارث لها(كما حدث مع الفلسفات الوضعية في العصر الحديث). بل يرى غارودي أن وعي القصور والعجز هو ذاته أساس الإيمان، ويرد على أصحاب فكرة الجهل الأولي عند تعرضهم لفكرة الإله بأن اقتران فكرتهم باليقين المُجمع عليه من أن الإنسان لم يخلق نفسه بنفسه، يجعل من صورتهم المسرفة في إنسانيتها للإنسان، مثل صورة الفاخوري أو الملك (تصورات قديمة لفكرة الإله)التي ينكرونها. ويرفض غارودي كذلك ميثيولوجيا الخلق الساذجة التي تعتبر الخلق انطلق من اللاشيء، وكأن للعدم معنى[2].

3ـــ أما الزاوية الثالثة التي يمكن إدراك التعالي من خلالها، هي وجود القيم المطلقة التي تتجاوز المصالح الأنانية والفردية، ولأن العقل البشري ليس مطلقاً فإنه عاجز عن إدراك هذه القيم المطلقة ولذلك كان لزاماً عليه التسليم بها. الشيء الذي يقودنا الى قضية مهمة في الإيمان وهي أنه إذا كان الإيمان بالله يقتضي بالضرورة الاعتقاد والتسليم(بما هو قمة التعالي والمطلق)فهل يعني هذا أن الإيمان من قَبيل اللامعقول؟.

---

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص211.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص98.

وانطلاقاً مما يقوله غارودي في كتابه ببليوغرافيا القرن20ص275 (الإيمان بالله مسلمة والمسلمة تأخذ هنا معنى الاختيار الذي تستحيل البرهنة عليه منطقياً ولكنه ضروري لإكساب عملنا انسجاما)يجد محسن الميلي أن غارودي يؤسس قضيّة الإيمان بالله بوصفه واحداً وخالقاً ومطلقاً على مسلمة(مصادرة واختيار)، التي نؤمن بها ونبني على أساسها موقفاً نظرياً أو عملياً أو علمياً أو أخلاقياً. أما طريقة إثباتها فلا تتمثل في البداهة التي تحملها في ذاتها، وإنما في كوننا قادرين بواسطتها أن نُشيد نسقاً متكاملاً، بحيث إذا افترضنا أو سلمنا بنقيضها(خلافاً لكون الله واحد خالق مطلق)وقعنا في التناقض واستحال تشييد النسق المتكامل، فكان ذلك إثبات للقضية الأساس(الإيمان بالله). وفي نفس الموضع السالف الذكر يرى غارودي أنه إذا كان الإيمان بالله يقوم على مسلمة، فلا يعني ذلك أن الذين يرفضون الإيمان بالله يرفضون الانطلاق من المسلمة، بل إنهم يختارون مسلمة أخرى(فالإلحاد واعياً كان أو غير واعياً لا يتمثل في التخلّي عن المسلمة وإنما يتمثل في اختيار مسلمة أخرى القائلة أن الإنسان هو مقياس جميع الأشياء)ذلك أن الإنسان لا بد له من مقياس ومرجع ومرتكز ومن قيمة موضوعية يؤسس عليها أفعاله، وهنا يكمن الاختيار فإما أن يعود الى ذاته أو الى سلطة سياسية أو تشريعية أو الى خالق ومتعال[1].

وفي مقابل هذه الزوايا الثلاث لإدراك التعالي فإن التأكيد على السمو الإلهي(التعالي الإلهي)الذي يجده غارودي في كل الديانات السماوية والحكم الوضعية يعني[2]:

1ـــ اليقين بأن الله واحد لا شريك له(التوحيد)إذ(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنبياء22]، وبأنه لا يمكن تشبيهه بأيه حقيقة إنسانية.

2ـــ بأنه خالق كل شيء وأن الإنسان بحاجة إليه، وأن اكتفاء الإنسان بنفسه واستغنائه عن الله يعني الكفر والجحود(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى)[العلق6ـــ7].

[1] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص211ـــ213.

[2] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص17.

3ـــ ومن مبدأ الوحدانية والشعور بالارتباط بالله الخالق(لان الاكتفاء ضد السمو والتعالي)ينتج المظهر الثالث للإيمان بالتسامي وهو الاعتراف بالقيم المطلقة بعيداً عن المصالح الأنانية للأفراد والجماعات والأمم.

أما حقيقة فكرة الإله في المسيحية، فيجدها غارودي في تجربة الحب التي عاشها يسوع الناصري، والتي لم تكن تجربة إله مشرع، مهيمن ومقتدر(كما جاء في العهد القديم)بل تجربة إله صورته الإنسانية(تصوره عند الإنسان)هي صورة حب إنساني غير مقتصر على اثنين، بل منفتح على الغير وعلى الناس أجمعين[1].

هذا الحب الذي يقول عنه غارودي أنه: "الصيغة الحياتية التي لا يحدد المرء نفسه من خلالها كجزيرة منفردة، منفصلة عن الآخرين بفراغ، ومعتبرة ذاتها بمثابة المركز والمقياس لجميع الأشياء، ولكن على العكس، الحب هو صيغة لا يحدد المرء نفسه من خلالها إلا بالنسبة للآخر وتفتحه على هذا الآخر، أي آخر، وتجعله في آن متعلقاً بهذا الآخر بأشرف معنى للكلمة، وبمعنى أن يكون الآخر ينبوعا دائماً لإغناء شخصه، وخُلقه، وتجعله في الوقت نفسه مسئولا عن الآخر، لأن هذا العطاء الدائم هو متبادل"[2].

وهو ما يذهب إليه الأب روبير كليمان اليسوعي حينما يقول: "ليس الحب من صفات الله، بل هو كيانه: الله محبة. وهذا الحب هو الأوّل، والمجاني. لم نحب نحن الله، بل هو أحبنا، كما أنّ الوالدين اللذين يريدان ولداً يحبّانه قبل أن يولد. لكن الحب يستلزم المبادلة، فإن الله يستعطي الحبّ. وأكبر دليل على حبّه أنه منح الإنسان الحرّيّة، ولم يقيّده. وهو ينتظر حباً حراً ..."[3].

ويذهب محسن الميلي الى ان غارودي مثل أراغون، يعتبر أن الحب هو الدليل الوحيد على وجود الله في المسيحية، وهذا ما جعل متصوفة هذه الديانة لم يبحثوا عن أدلة وبراهين عقلية لإثبات وجود الله. وإنما اكتفوا بمعرفته من خلال تجربة المحبة حيث ينفتح الإنسان على

[1] ـــ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص33.

[2] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص91ـــ92.

[3] ـــ الأب روبير كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، مرجع سابق، ص41.

الإله، ومنه الى كل الآخرين. وهذا التصور الجديد للإله والمحبة انعكس على مفهوم هؤلاء المتصوفة للإنسان والعالم، وجعلهم يؤكدون على معاني أخرى غابت في الفلسفة اليونانية كاعتبار الإنسان مجرد كائن عاقل ناطق وان دوره يتمثل في فهم ذاته وتعقل واقعه وتأمل وجوده، وأن الحرية مجرد وعي الضرورة دون أن يدفع لتحصيلها. في حين كانت المسيحية التي دعت الى المحبة والتطهّر ترى في الإنسان ذاتاً يملكها الإله الذي يسكنها (بما خلق فيها من قدرة للفعل والخلق)وينتزعها من كل نظام وضعي، فأصبح للإنسان القدرة على إبداع وصنع مستقبله، لذلك كانت تعاليم يسوع ثورة شاملة على الوضع القائم المتمثل في التقسيم الطبقي للمجتمع والنظام الإمبراطوري الروماني وثيوقراطية اليهودية وفلسفة اليونان[1].

وانطلاقاً من هذا المفهوم للذات أسس غارودي حواره بين المسيحية والماركسية فاعتبر أن جدل ماركس بدوره مبني على تصور نقدي للمعرفة، التي هي فعل(حركة البحث والاكتساب)لا انعكاس(تكون المعرفة فيه واقع ينعكس على الأذهان)، فيقود الفعل الى تجربة محققة بفرضياتها أو نماذجها القابلة دوما الى إعادة النظر فيها. وبدون هذه الروح النقدية ونسبية الحقائق، في الفكر اللاهوتي والفكر الثوري يرى غارودي أننا سنعود الى إكليريكية تفتيشية(محاكم التفتيش)أو ستالينية استبدادية(الأنظمة الكليانية التي لا تقبل المعارضة). ويجد أنه في الوقت الذي يصر فيه اللاهوت الدوغمائي(الذي يلغي النسبية ويعتبر أن حقائقه مطلقة الصحة)على أن التعالي ينافي المحايثة(في فكرة الإله)يذهب ماركس في المقابل الى المحايثة البحته(فأقرب ترجمة لحضور الله بالنسبة للماركسي هي تجربة الخلق في جميع أشكاله: من الاختراع العلمي الى الإبداع الفني، ومن الحب الى الثورة. وهو لن يقول: الله ههنا! بل: ثمة شيء جديد ينبثق في التاريخ وفي حياة البشر). وفي الوقت الذي يؤدي وضع التعالي في الماوراء(الحالة الأولى)الى جعل الإله على هامش حياة البشر، يجد غارودي أن مثال الذاتية الفاعلة التي هي انبثاق لا محدود للتعالي، تجسد في يسوع الذي حطم الأغلال والأصنام والحدود وأطاح بكل المحرمات باسم الحب وتعالي عليها. ومن هنا يخلص غارودي الى أنه لا يمكن للماركسية أن تكون مُحطِمة للأغلال إلا إذا كانت قادرة على أن تُدمج بها اللحظة الإلهية من

1 ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص107ــ108.

لحظات الإنسان، ولذلك قال: "أن الموقف الثوري، في السياسة كما في الفن، بحاجة الى التعالي أكثر مما هو بحاجة الى الواقعية"[1].

وكثيراً ما يكرر غارودي قائلاً: "هذا الوعي المعيش للتعالي يحذرنا من وهم تصورنا للكون على أنه مغلق، وللواقع على أنه مختزل فيما وجد من قبل، وللمستقبل على أنه لا ينطوي إلا على إمكانات الحاضر". فمن تجنب هذه المحاذير حصّلَ روح كل إيمان. ويجد غارودي أن هذا المسمى واحد وإن اختلفت الأسماء، فالمسيحيين يُطلقون عليه اسم التثليث، والهندوس يُعبرون عنه بالثلاثي(الوجود، الوعي، الجمال)وهذه الثلاثية يعتبرها غارودي معايير كل واقع(طبيعي، إنساني، إلهي)[2].

وقد لخصت دراسة رامي الكلاوي لكتب غارودي أسباب الإلحاد وتراجُع الإيمان في الغرب الى الأسباب التالية[3]:

1ــ الطبقية التي أقرها الكنيسة وموقفها من العقل والعلم(محاكم التفتيش ومأساة العلماء في ضل سلطتها كما حدث مع غاليلوا مثلاً).

2ــ سيادة فكر الثنائية أو الازدواجية(فصل الروح عن المادة، الدين عن الدنيا...).

3ــ الكشف عن أصل الكتاب المقدس(دراسة موريس بوكاي مثلاً)، وأصول وتطور اللاهوت المسيحي(دراسة برناد شو: المسيح ليس مسيحياً، وقصة الحضارة لديورانت الذي يقول في ج11ص276: "ان المسيحية لم تقض على الوثنية، بل تبنتها").

ويعزو الكاتب المسيحي كوستي بندلي صاحب كتاب(اله الإلحاد المعاصر)الإلحاد الماركسي والوجودي الى الانحراف عن المسيحية الحقيقية فقال بالنسبة للماركسية: "لقد نشأت الماركسية في بيئة مسيحية، وسط التصورات الدينية التي كانت شائعة في هذه البيئة المسيحية. إنما كونت موقفها من الله من خلال هذه التصورات. فإذا كانت قد حاربت وتحارب بضراوة

1 ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص106ــ108.

2 ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص263.

3 ــ رامي الكلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق، ط2، 1994م، ص10ــ11.

الإيمان بالله وبنوع خاص الإيمان المسيحي به، أليست صورة الله التي وجدنها وتجدها أمامها في البيئة المسيحية، مسئولة الى حد ما عن هذا الموقف العدائي؟" أما بالنسبة لإلحاد سارتر الوجودي فيونوه الى أن سببه الصورة المشوهة التي أخذها عن الله، فقال: "هي الأصنام التي حالت بينه وبين الله الحقيقي. الأصنام هي تلك التصورات التي نكونها عن الله على ضوء ميولنا ورغباتنا، فنتعبد لها معتقدين أننا نتعبد لله، فيما لا نعبد بالحقيقة سوى أنفسنا"[1].

أما عالم الكيمياء الحيوية ولتر أوسكار لندبرج الذي شارك في تأليف كتاب(الله يتجلى في عصر العلم)بيّن أحد أسباب إلحاد العلماء في هذا العصر فقال: "في جميع المنظمات الدينية المسيحية تُبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان بدل من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق ليكون خليفة لله على الأرض وعندما تنموا العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية، فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير، أو مع أي منطق مقبول. وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كليّةً"[2].

وهذا ما حدث فعلا مع المفكر والفيلسوف العالمي روجيه غارودي حتى أنه قال في هذا الصدد: "إنه لانقلاب رهيب في حياة إنسان من الناس أن يكتشف(بعد طول ما جاهر بإلحاده)المسيحي الذي يحمله بين جنباته والذي ربما لم يكف قط عن حمله بين جنباته، وأن يتحمل مسؤولية هذا الرجاء"[3].

وكثيرون دخلوا في الماركسية وخرجوا منها وكثيرون أقبلوا على الوجودية ثم أعرضوا عنها وكثيرون تبنوا البنيوية ثم نبذوها. وحاول آخرون دمج مجموعة من الفلسفات ومناهج التفكير وشق طريق فكري جديد. من بينهم سولجنستين الذي أعلن رفضه للنمط الحضاري والسوفياتي الى مشال فوكو الذي تنبأ بموت الإنسان(موت القيم الإنسانية)الى كسلر الذي

[1] ــ كوستي بندلي، اله الإلحاد المعاصر، منشورات النور،بيروت، ص155،64.

[2] ــ ولتر أوسكار لندبرج، الله يتجلى في عصر العلم، ص32، نقلا عن رامي الكلاوي، المرجع السابق، ص12.

[3] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص230.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

انتحر الى كولن ولسن الذي أعلن سقوط الحضارة، الى جيتون الذي كتب عن صعوبة الاعتقاد في هذا العصر، الى أوزفالد شبنجلر الذي تنبأ بتدهور الحضارة الغربية الى كونستاتان جيورجيو الذي أكد الشيء نفسه. فظهرت في هذا العصر معالم الأزمة المستعصية، وقيل عنه إنه عصر التقلبات الفكرية وموت الإيديولوجيات وعصر الفراغ، وانعكس ذلك في أدب اللامعقول والعبث والإدمان والجريمة والعنف، حتى قال أحد المفكرين: "إن النصف الثاني من القرن العشرين يكاد ينتهي وهو ينكر النصف الأول منه" وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة في كتابها(العقيدة والمعرفة): "الزلزال الذي نعيشه اليوم نشأ في الأصل عن شق عصا الطاعة الذي أخذ في التزايد ضد الإله المسيحي الذي أصبح غير جدير بالاعتقاد". وهكذا بدأ الغرب يبحث عن إله جديد، ففي أمريكا قامت كنائس الموحدين(تؤمن بأبوة الله وأخوة البشر وناسوت المسيح وأن الخلاص يتم بالأخلاقية). وفتحت مراكز التأمل التجاوزي في سويسرا والولايات المتحدة لتقديم الروحانيات الشرقية، إلا أن ذلك لم يشفي غليل أصحاب الفكر الواسع وإن قدم استجماما روحياً وسط صخب الحياة المادية الطاغية[1].

وينبه غارودي الى أنه لا وجود لإشكالية الندية بين الإيمان والعلم الا عند من يجعلون من الإله عالِم رياضيات أو فيزياء أو كيمياء(فيكون ثمة تضارب في النتائج بين الناطقِين باسم العالَم(العلماء)ومن يَعتبرون أنفسهم ناطقين باسم الله (رجال الأديان)). ولن تكون التقنية نداً للإيمان الا عندما يُصَور الإله على أنه صانع العوالم وعلى أن الإنسان سلبي لا دور له في الحياة، ولن تكون الثورة كذلك نداً للإيمان أو نقيض له إلا اذا استمر التحالف بين المستبدين ورجال الدين ويصَوَر الدين على أنه ضد الضعفاء والمقهورين. ويَعتبر غارودي أن الإيمان سيتحول الى طقوس والى أساطير عندما يعتقد الإنسان أنه بإمكانه أن يُغير في نفسه دون أن يساهم في تَغيير العالم، وذلك لان الإنسان متعلق بواقعه ويتأثر به. بل يذهب غارودي الى أن تطبيق الإيمان(أي أثره العملي)يكمن في اعتبار المستقبل من قبيل الخَلق المستمر في عالم قانونه الحُب، وليس من قبيل ما هو موجود من قبل في التاريخ الحاضر، ويؤكد أن الاعتقاد بالله هو(التأكيد على أن للحياة وللعالم ولتاريخه معنى(أي له أهداف سامية وغايات رفيعة))، وأن الاعتقاد بالله هو(اختيار الحرية أساسا أسمى لحقيقة الواقع)وأن الاعتقاد بالله اعتقاد بالإنسان وأنه لا وجود

[1] ــ رامي الكلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، مرجع سابق، 13ــ14.

لمختارين مسبقا وملاعين أزليين. وفي مقابل هذا الاعتقاد ينوه غارودي الى أن تجربة الإيمان هي تجربة الإتحاد بيسوع(أي الإقتداء بتجربته)، الذي يجده دعا المسيحيين الى التحرر من القانون ومن جميع الإستلابات والشكليات والحتميات[1].

فما هو تصور غارودي للمسيح؟

المطلب الثاني: المسيح في فكر غارودي.

يجتهد كُتاب المسيحية حسب أبوزهرة في إثبات ألوهية المسيح مستندين في ذلك الى كُتبِهم المقدسة(العهد القديم والعهد الجديد). ومنهم صاحب كتاب الأصول والفروع الذي يقول: "أما الآيات الإلهية التي تثبت لاهوت المسيح فهي كثيرة جداً. ولضيق المقام نكتفي باقتباس شيء يسير، فمن أقواله تعالى بلسان أشعياء النبي(ها العذراء تحبل، وتلد ابنا، وتدعوا اسمه عمانويل(أي الله معنا))وقوله: (كأنه يولد لنا ولد ونُعطَى ابنا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا، مشيراً إلها قديرا، أباً أبديا رئيس السلام)أشعيا94/7و6/9. وعند عماده وتجليه على الجبل شهد له الله في السماء بصوت مسموع قائلا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت(متى17/3و5/17)ويشهد له يوحنا الرسول قائلا: في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله...كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء...والكلمة صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده مجدا، كما للوحيد من الآب مملوءا نعمة حقا(يوحنا1/1و4/3)وقال المسيح نفسه: أنا والآب واحد(يوحنا30/10)وقال له أحد تلاميذه: ربي وإلهي(يوحنا28/20)وقبل منه السجود و لم يوبخه على دعته إلها، ولما سأله رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله، أجابه المسيح على الحلف، أنا هو(قابل متى63/26 .بمرقس14 /62). وحينما ركب بحر الجبل أظهر طبيعتي لاهوته وناسوته الكليتين، وذلك بينما كان نائماً هاجت الرياح، واضطربت الأمواج، فقام من النوم وأسكتها، فصار هدوء عظيم(متى24/8ــ27)فبنومه أظهر ناسوته، وبتسكينه الأمواج والرياح أظهر لاهوته"[2].

---

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص236،237،334.

[2] ــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص177ــ178.

وعندما يُعرف الأب روبير كليمان اليسوعي الإيمان يقول: "هو قبل كل شيء، لقاء شخص، والانضمام الى شخص، وهو شخص المسيح يسوع. وهذا ما يختلف كلّ الاختلاف بين التعليم المسيحيّ الذي يقدم إلينا مجموع العقائد التي تُعلّم، والحدث الذي هو لقاء شخص يعيش ويُحبّ، حتى إنه يؤلّهنا"[1].

أما الأب فيكتور شلحت الباحث في اللاهوت المسيحي فانه يعتبر أن مسألة الله(أي القضايا الخاصة بهذا المبحث)ظهرت في العهد الجديد في صيغة مسألة يسوع، فقد تم به(الحضور الإلهي في التاريخ وحضور الله الفعال في وسط شعبه) وللتعمق في ذلك يدعوا الى الوقوف على الأسئلة الأربعة(السؤال الوجودي: هل الله نفسه حاضر مع شعبه في حضور يسوع المسيح الإنسان؟، السؤال الوظيفي: هل الله يعمل في وسط شعبه في شخص يسوع؟، السؤال المعرفي: كيف يمكننا حينئذ ان نعرف الله؟، والسؤال التسموي: أي اسم يمكننا ان نطلقه عليه؟)ويخلص الى أن هذا الطرح هو الذي جعل الجماعة المسيحية الأولى تقول أن: (الرب يسوع). ويجد أن هذا هو جوهر التعليم المسيحي البدائي، والقائم على(حضور الله الثالوث)[2].

ويذهب الباحثان جاك جوميه ومارتن سبانخ في دراستهما(المسيح ابن مريم)الى أن الصوت الذي هتف في حادثة معمودية يوحنا المعمدان ليسوع قائلاً: (هذا ابني الحبيب)يحمل هذا القول معاني مختلفة، لكنه بالتأكيد لا يمكن أن يوحي بمعنى التوالد المادي الذي كانت الأساطير الوثنية تشير إليه مع حكايات تزاوج الألهة، لان هذا المعنى أبعد من أن يخطر على الشعب اليهودي المتشبع بمبدأ التوحيد. وقد وردت هذه العبارة في العهد القديم في معرض الكلام عن الملائكة، والشعب المختار ورؤسائه، أو عن المسيح الموعود ذاته. فالمقصود كان المعنى المجازي للإشارة الى عمق أواصر المودة وروابط المحبة بين الله وأحد عباده، إنسانا كان أو ملاكاً[3].

1 ــ الأب روبير كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، مرجع سابق، ص16ــ17.

2 ــ الأب فكتور شلحت، مسألة الله في التاريخ، دار المشرق، بيروت، ط1، 1998م، ص18ــ19.

3 ــ جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح ابن مريم، مرجع سابق، ص30.

أما غارودي فإنه يجد أن الجماعة المسيحية الأولى في الشرق الأدنى قد تمايزت في فرق لكل واحدة تصورها ليسوع المسيح[1]:

ــ فالأبيونيون: هم من اليهود الذين اعتبروا المسيح النبي الذي بشّر به موسى(لا الابن الوحيد لله)والراجح أنهم من الإسينيين المتنسكين. اعتنقوا المسيحية عام70م، وهم كُثر في القسم الآرامي من سوريا(دمشق).

ــ القائيطيون: ظهروا في عهد الإمبراطور الروماني تراجان(98ــ117م)وهم لا يختلفون عن الأبيونيين، يعتبرون المسيح رجل ونبي، وأنه مؤسس حركتهم، تلقى كشفاً في بلاد فارس(عند جماعة البارطيين)وأنه كان ينادي بالتقاليد اليهودية وبوجوب الختان وطاعة الشريعة(اليهودية).

ــ المَلكية: في آسيا الصغرى وفي بيزنطية، وهي استمرار للتوحيد اليهودي الذي يعتبر الابن وروح القدس من مظاهر الله الواحد.

ــ آريوسيين: موحدين يرفضون هذه مشاركة المسيح في جوهر الإله. ويعتبرون أن المسيح، كلمة الله والتي لم تُخلق بعد.

ــ النسطوريين: نسبة الى راهب أنطاكية(نسطوريوس)الذي كان يؤكد ان المسيح كائن بشري، ويرفض فكرة معاناة الله الواردة في رواية الإنجيل لآلام المسيح، ويرفض أن تكون مريم العذراء أم الله.

ــ مذهب الطبيعة الواحدة: الذي جهر به الراهب أوتيشيز في القسطنطينية حوالى447ــ448م، والذي يرى بأن المسيح ذو طبيعة إلهية.

ومن ثمّ نجد غارودي يعتبر أن: "نوعية الإيمان المسيحي، وموضوعه الأساسي، موضوعه الأوحد هو شخص يسوع المسيح، إذ ليس في وسعنا ان نعرف شيئاً عن الله إلا ما كان أوحى إلينا عنه من حياة يسوع المسيح ومن تعاليمه ومن موته ومن قيامه..". وفي المقابل يطرح غارودي إشكالية رفض يسوع الناصري للتماثل مع المسيح، الذي كانت تنتظره(أي

[1] ــ غارودي، الإسلام في الغرب، مصدر سابق، ص19ــ21.

تصوره)سيكون منقذا لأمتهم. فقد أوصي يسوع تلاميذه بان لا يقولوا لأحد أنه المسيح(متى20/16)ويعود ذلك لخشيته ان يقع التباسا بين رسالته التي جاء بها، وما ينتظره اليهود من المسيح(وهو ما حدث فعلاً)[1].

أما عن حياة يسوع فإن غارودي يستغرب غيابها في المصادر غير المسيحية(في زمن ظهوره)التي لم تذكر شيئاً عن حياته سوى ما يجده عند أحد أكبر مؤرخي روما(سويتون)حوالي عام100م، الذي تكلم عن العذاب الذي تعرض له خريستوس(اسم يوناني يطلق على المسيح). في حين وقبل هذا التاريخ كان بولس(اليهودي الأصل)قد رسم ليسوع صورة على مقاس الشريعة اليهودية وأسفار الأنبياء وهذا ما أكده غارودي من خلال ما وجده في أعمال الرسل23/28، وغيرها مما ذكرناه في رسائل بولس، الذي ينبه غارودي الى أنه كان شديد الحرص على إلحاق يسوع بالشريعة اليهودية[2].

وأغلب الدراسات الحديثة في المسيحية تذهب الى أنه منذ ظهور بولس على مسرح الأحداث وبداية نشاطه التبشيري، أصبح يستعمل الكلمة اليونانية كريستوس أو خريستوس للإشارة الى المسيح، فبتعد بها عن المفهوم الحقيقي للمسيح. ولأن كريستوس عند اليونان إله هبط من السماء على شكل بشر لافتداء خطايا العالم، وهي عقيدة كانت مألوفة عند الهلنستيين في العالم اليوناني ـــ الروماني، ولكسب هذا العالم وضمه الى المسيحية حول بولس صورة المسيح الى كريستوس، والذي لا تختلف عن الهة أخرى منتشرة في هذا العالم كهيراكليتس وميثراس وديونيسس[3]. فالأكيد أن كثير من الأقوام والأمم في العالم القديم، كانت مخيلاتها مشبعتاً بفكرة مفادها أن للإله إبن من أم عذراء، وقد تجسد وهبط الى الأرض فعلّم الناس زمناً ثم لفظ أنفاسه فوق الصليب، في ميتة عنيفة، ولكنه ما لبث أن قام بعد ثلاثة أيام وارتفع في السماء وجلس عن يمين الآب. فقد كانت هذه الفكرة تشغل مساحات واسعة من الذهنية العامة لدى المجتمعات القديمة، يفسرون بها الإبهام الذي يحيط بهم، ويجلبون بها راحةً لنفوسهم،

---

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص172.

[2] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص73،76،78.

[3] ـــ محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والإستشراق، دار الفكر، دمشق، ط3، 2003م، ص196.

في مقابل الواقع المزري الذي يعيشونه، كتجسد الإله وتقربه من البشر بمحبة وموته لأجلهم، ثم انبعاثه وانتصاره على مشكلة الموت التي تشغلهم[1].

ويرى غارودي ان يسوع جعل من نفسه أيقونة وعلامة إرشاد، ليُبين طريق تأله الإنسان والتعالي والسمو الى ما يريده الله من الإنسان، كل ذلك ليتجاوز يسوع الرؤية المهيمنة لإله إسرائيل، وقد حدث هذا التجاوز والقطيعة مع يسوع الذي كان حينها أبسط الناس وأضعفهم وأكثرهم فقراً، وكما هو الحال في تاريخ البشرية التي لا تنئ تبحث في حقيقة الإله، فكذلك حدث في المسيحية التي يجد غارودي أنه فيها جُعلَ من يسوع الابن الذي يعطي للإله الذي لا صورة له، وجهاً شخصياً إنسانياً، ليصبح أخاً للجميع ويجعلهم أبناء الإنسان وأبناء الله. وفي الوقت الذي يجد فيه غارودي أن القرآن أطلق على يسوع ألقاباً لم تُطلق حتى على محمد(صلى الله عليه وسلم)فقد سمي المسيح وكلمة الله وروح الله. ويؤكد بإلحاح أن الإيمان المسيحي بالتثليث ليس إيمان بثلاثة آلهة، ولو كانت الصيغة الهيلينية لمجمع نيقية لهذا الإيمان قد تؤول الى ذلك، بل يجد في المقولة التي خرج بها مجمع لاتران1215م معناً للتوحيد (إن الحقيقة العليا هي في آن واحد آب وابن وروح قدس، وهذه الحقيقة لا تلد ولا تنبثق من غير ذاتها)وقد نوه الى التعقيد الذي يجده في هذه الصيغة . ويذهب الى أن تأليه المسيح لا وجود له لا في الأناجيل ولا في القرآن طبعاً، ولكنه من قول اللاهوتيين بل على العكس تقول الأناجيل انه رسول الله(كما رأينا في مبحث المصادر المسيحية وما وجده غارودي فيها). وفي المقابل وهذا ما يجده غارودي في إنجيل يوحنا أن اليهود هم من قال بألوهية المسيح ليخلقوا الالتباس الذي يُعطيهم الشرعية لقتله، بعد أن نقض ما كانوا يقولونه ويفعلونه. وفي ما عدى هذا الاعتراض، يجد غارودي كذلك رؤية أُخرى لمتصوفة الإسلام، كجلال الدين الرومي الذي يلمس في يسوع طبيعة الملائكة نفسها، أما المتصوف أبي يزيد(البسطامي)فيشير الى أن يسوع تلقى النفخة التي تخلُق الحياة، ويعتبر غارودي أن في هذه الآراء تعدد لا اختلاف. ولذلك ينتقد بشدة المجادلات التقليدية كما يسميها، بين مسلمي الأندلس وبين المسيحيين التي دامت قرون وكانت تتناول تحديداً التجسيد والتثليث[2].

[1] ـــ جورجي كنعان، والمسيح هو المشكلة، دار بيسان، بيروت، ط1،2001م، ص41.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص15،16،29،30،35،36.

وإضافة الى الألقاب الثلاثة التي خص بها القرآن عيسى(عليه السلام)فسماه المسيح وكلمة الله وروح الله، يجد غارودي أن متصوفة الإسلام يعتبرون عيسى المسيح رمز وحدة الإنسان والله، وأنه كاشف الواحد والكل عندهم وكاشف الحب، الذي هو أساس تلك الوحدة، ذلك أن الحب في صورته الأسمى عندهم هو الحب النابع من الله والذي يرجع إليه. ويجد غارودي أن الصوفي المسلم الشبستري(ت1320م)يذهب في كتابه(مزرعة الورود للأسرار الخفية)الى أن هدف المسيحية يكمن في أنها تنقذ من الأنا وتحرر من الممارسة الآلية للقانون الإلهي، كما كان يحدث مع بني إسرائيل من تطبيق للطقوس والشريعة دون روح، حتى أفرغت من مقاصدها. هذا الهدف أظهرته حياة عيسى المسيح، وأظهرت أن من تطهر من أناه الدنيا يمكنه اكتشاف حضور الإلهي فيه. وأن من تجرد من أناه فإنه يصبح كملاك يرتفع كالمسيح. ومع ابن عربي يُمنح عيسى المسيح لقب خاتم القداسة، وينقل غارودي قوله: "نعم، خاتم القديسين حواريّ لن يكون له أبداً كفؤ في العالم. إنه الروح وابن الروح وابن مريم"هذه الرتبة التي يعتبر غارودي مع ابن عربي أنه لن يكون لأحد أن يبلغها. وفي كتاب ابن عربي(الفتوحات)يقف غارودي مؤيداً عودة المسيح ودوره في ذلك الزمن وينقل هذه العبارة(عندما سيترل المسيح مجدداً، سيؤكد قانون محمد(صلى الله عليه وسلم)ويحييه.. ذلك أنه القانون الأخير ونبيه خاتم الأنبياء. وسيكون عيسى المسيح حكماً عادلاً، لأنه لن يكون في هذا الزمن سلطان مسلم ولا إمام، ولا قاضٍ ولا مفتي ..وسيجتمعون حوله، وينادون به قاضياً عليهم، ذلك أن أي شخص آخر لن يكون جديراً بهذه المهمة)ويعتبر غارودي أن هذه هي الموضوعات التي كان يفترض أن يتناقش فيها المورسكيين(المسلمين الإسبان)مع المسيحيين بدل المجادلات التقليدية حول التثليث والتجسّد[1].

وعندما أضحت الكنيسة يونانيةــ رومانية، يجد غارودي أن المسيحية الفلسطينية والتي كانت هي البداية، قبل أن تخرج الى العالمية، كانت تقاوم عناد تلك الكنيسة وتعصبها وقولها بأن المسيح هو الله لأنه من جوهر الله وابنه الوحيد، ويعتَبر أن ما كانت هذه المسيحية تقوله هو أنه رسول الله وابنه، شأنه شأن أبنائه الممتثلين لطاعته، ومما يقف عليه في إنجيل متى: (طوبا لصانعي السلام فإنهم سيدعون صانعي السلام)ومما يجده في إنجيل لوقا: (المؤمنون أبناء الله

[1] ــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص19ــ26،20.

لأنهم أبناء القيامة) ويقف غارودي على ما يقوله أريوس وهو الذي ترعرع في ضل المسيحية الأولى(إنهم يضطهدوننا لأننا نقول: إن ابن الله له بداية، أما الله فلا بداية له)..[1].

وعندما يقول غارودي: "لكن يسوع هو أكثر من نبي، ولا شك أنه مثلهم(مثل أنبياء بني إسرائيل)" وذلك لأنه جاء مبلغاً بملكوت الله مثل أنبياء بني إسرائيل، ولكنه كما يقول غارودي: "لكنه لم يكن فحسب رسولا ومنبئاً بالبشرى، ففيه صار الوعد(الإلهي)قد بدأ يتحقق". وعندما يطرح غارودي قضية المسيح المنتظر للنقاش، فإنه يؤكد بدايتاً أنه لم يكن مسيح اليهود المنتظر لأنهم كان ينتظرونه ملك وقائد للجيوش، الذي سيمنحهم النصر على أعدائهم ومضطهديهم. أما بالنسبة للمسيحية فيجد غارودي أن الغموض الذي تركه جواب يسوع عندما سأله رئيس الكهنة(هل أنت المسيح ابن الله؟) فقال يسوع(أنت قلت)فمع هذا الغموض ظهرت مسألة البنوة الإلهية، والتي انتاها التعقيد والتعتيم عندما تمت صياغتها باللغة والمقولات اليونانية، التي كانت تحمل تصوراً تجسيمياً لله. الا أنه واعتماداً على مفارقة الله الثابتة(التعالي الإلهي والتنزيه) ينفي غارودي أن تكون هذه البنوة من نفس الطبيعة الإلهية وهو ما جعل مصير يسوع نفسه هو مصير عالم الكائنات المحكوم عليها بالموت. وانطلاقاً من اعتبار غارودي أنه كانت لكل دين إضافاته الخاصة للإنسانية، فقد كانت إضافة المسيحية تتمثل في الحقيقة الإلهية ـــ الإنسانية للإنسان، هذه الحقيقة التي تُكتشف في الحب الذي هو(الصلة الأولى والأعمق) وقد تجسدت هذه التجربة(الإنسان ـــ الإله)في تجربة المسيح، والتي راح المسيحيون يلتمسونها حتى في موته على الصليب وبعثه في حياة جديدة وفي كل الفواجع التي عاشها يسوع الناصري والتحولات التي حرض عليها في الواقع اليهودي. ويتأسف غارودي أنه ما لبثت هذه التجربة للصلة الدقيقة وهذا الديالكتيك للحياة أن حوصرٌ بالعقلانية اليونانية للجواهر والكائنات والتي جعلت هذه الصلة مبهمةً للغاية، هذه الصلة التي لم يحافظ عليها غير الصوفيين الذين همشتهم الكنيسة(بعد أن اصطبغت بالصبغة العقلانية)كالمعلم ايكهارت وجاكوب بوويم. وعندما يعتقد المسيحي أن إلهه مات بيد الناس ففي ذلك تأكيد على حضور الإله بينهم، ليجدوا

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص115.

في ذلك قمة الانفتاح على كل أفق في المستقبل وعلى كل إمكانية لتحقيق الكمال الإنساني، الذي تجسد في يسوع الناصري، والذي كشف للناس ما هو الله[1].

إن أهم وصية في الشريعة عند يسوع هي(أن تحب الرب إلهك من كل قلبك من كل نفسك ومن كل فكرك. هاتين الوصيتين يتلخص الناموس وشريعة الأنبياء)وهذا الحب الذي يتكلم عليه يسوع هنا هو عند غارودي يناقض نقضاً جذريا مفهوم الحب لدى اليونان واليهود كذلك. فإذا كان الحب عند اليونان والذي يتجلى عند أفلاطون هو الحب لذات الحب لا حب الآخرين والانتقال من حب جمال الأشكال الى حب الخير لذاته، فهو مرحلة لإثارة الذات وتفتحها والبحث فيها. بينما لا تقيم المحبة عند يسوع فرقا بين الغريب والمواطن ولا بين الصديق والعدو، وهذا ما جعل يسوع حسب غارودي يضرب المثل بالسامري الصالح رغم أنه منبوذ عند يهود أورشليم. لقد أراد يسوع أن يبني علاقات سامية للبشرية مبنية على هذه المحبة التي تعني إثار الآخرين على أنفسنا(ولو كلفنا ذلك حياتنا). هذا المفهوم الذي يكرره غارودي كثيراً وجعله يقول: "أن جوهر نفوسنا ليس في ذواتنا وإنما في ذوات الآخرين وأننا مسئولون شخصياً عن مصائرهم. إن الإنسانية(واحدة)لأن الإله(واحد)..، إن هذا الحب هو بداية لإنسانية جديدة تهيئ نفسها لاستقبال ملكوت الله الآتي"[2].

وفي موضع آخر يؤكد غارودي أن المحبة عند يسوع ليست مرتبطة بجمال الأجساد ولا بجمال النفوس ولا بالخير في ذاته كما يفهمه أفلاطون، ولا هي محبة المحبة كما هو شأنها في اليونان، بل أصبحت محبة للآخرين محبة غير مشروطة، إنها انفتاح على الغير وخدمته، فمع يسوع يجد غارودي الإصرار الذي غاب عن العالم اليوناني والروماني واليهودي كذلك، على أن العقل ليس كل شيء وأنه لا يمكنه أن يستجيب لكل قضايا الإنسان، وأن المحبة يمكنها أن تعلو فوق جميع الخلافات[3].

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص180،218،246،334.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص111ــ112.

[3] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص147.

وفي حين يجد غارودي أن الحب في التقليد اليهودي هو بصفة جوهرية العدالة وتطبيق الشريعة، يجد فيه عند يسوع إمكانية تحدي هذه العدالة، وهو لم يعد فحسب حب لأئك الذين يستحقون الحب ولكنه حب للأعداء والآثمين كذلك. ولذلك يقول غارودي: "وإذا كان الإيمان هو الطريق الوحيد من الإنسان الى الله فإن الحب هو الطريق الوحيد من الله الى الإنسان. لذلك فهذا الحب لا يتعلق بمزايا من هو محبوب، إنه مُطلق غير مشروط، ومن هنا هو مبدِع، على صورة الله فهو يَرجع بالثقة الممنوحة بلا شرط، مُستقبِلاً لأئك الذين يُدينُهم ماضيهم... خلافاً للحب الذي يُشتهى(الحب عند اليوناني) هو الحب الذي يعطي، هو حب الإيمان الثالوثي، هذا الحب، هذه المشاركة في الثالوث، هي الآن قدوم الملكوت التي تصبح متحققة تماما عندما يكون الحب وليس العدالة في كل وحدة اجتماعية إنسانية، هو القانون"[1].

لقد كان ظهور المسيح في منظور غارودي(اللحظة التي انفتحت فيها طاقة رائعة في تاريخ البشر والآلهة، إنه المسيح الذي عده البشر أفضل ممر للكمال الإلهي. إنه أكثرهم ضعفاً وتجرداً من المال، وما من شيء في الماضي اليهودي أو اليوناني كان ينبئ بمثل هذا التحول الجذري لفكرة الإنسان عن الإله..). وعندما أراد غارودي أن يوضح رؤيته للتجربة الثالوثية التي ذكرناها سابقاً والتي يؤكد أنها تتجه نحو التعالي كونها بذرة كل إيمان وكل فعل خلاق فقال: "علمتني تجربتي كمسيحي، أن يسوع ليس المسيح المطلق السلطة الذي نستنتجه من كل ما نعتقد أننا نعرفه عن الله، لنجعله ابناً ليهوه إله الحرب والانتقام، أو لزيوس(إله اليونان)الذي يشهر سيفه. ولكني على العكس أعرف المسيح الذي أظهر ــ من خلال أفعاله وكلماته وموته ــ أن الله يمكن أن يَبزُغ من الضعف نفسِه، ومن الحب: فكل كائن محبوب يصير تجليا لله، الذي يحمله في ذاته"[2].

ورغم كل المساعي التي تراكمت مع السلطات وحليفاتها من الكنائس الوارثة للإمبراطورية الرومانية(في أنظمتها ومنظومتها ورؤاها للعالم والإنسانية)يجد غارودي أنه استمرت المقاومة لكي لا تلوث رسالة يسوع، بصورة يسوع منتصر ومنتقم والتي يُبرر بها حسب غارودي الجهل والعجز على فهم هذه الرسالة، فقد حافظت هذه المقاومة للإنسان على

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص189ــ190.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص240،264.

حياته التي أرادها يسوع بعيد عن الغموض والأفكار والمعتقدات السحرية، ويؤكد غارودي أنها(هذه المقاومة)ردت للإنسان مسؤوليته التي لا حد ولا عزاء لها. فقد كانت دعوة يسوع الذي لا مُلك له ولا سُلطان ولا كنيسة، تدفع الناس الى أن يعيشوا حياته الربانية، دون اللجوء الى فكرة الوعود الخارجية(الإلهية)وانتظار المعجزات. إن الرسالة المركزية التي تُمثل حقيقة المسيحية عند غارودي هي رسالة المملكة الحاضرة، لا كمؤسسة جامدة وموقف منته(كحال الكنيسة ومواقفها) بل كواقع متجدد الولادة باستمرار، وهذا ما يعنيه يسوع حين قال (يوحنا17/5: أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل)لأن الخلق لم ينته كما يقول غارودي والعالم غير مغلق بل هو مفتوح على إمكانات جديدة، وكل واحد مسؤول عنها[1].

وانطلاقاً مما قاله يسوع المسيح للشاب الثري الذي يحترم القانون حسب لوقا22/18(ينقصك شيء واحد: بع كل ما عندك، ووزع على الفقراء، فيكون لك كتر في السماوات، ثم تعال اتبعني)وهذا ما فعله سمعان ويوحنا بعدما سمعا المسيح يقول حسب لوقا33/14(كل واحد منكم لا يهجر كل ما يملكه، لا يمكنه أن يكون تلميذاً لي)من كل هذا يؤكد غارودي على مبادئه الماركسية، فهو يعتبر أن ما يقوله يسوع هنا ليس صب للعنات على الأغنياء وسلوكهم كما لعنهم الأنبياء من قبل، ولكنه يجد أن الأمر يتعلق بحكم عام، يُدين الثراء والملكية ليس في تطرفها أو تجاوزاتها ولكنه يدينها في ذاتها وفي مبدأها ذلك أن شرط اليقظة والوعي هو التجرد من الأنا الصغرى. وهو الشرط الذي يصر عليه غارودي إذا أُريد للمملكة الرب أن تقوم لها قائمة، ثم يقول غارودي: "وإذا لم تكن المملكة قد وُجدت بعد، فذلك لأن مثل هذه العلاقات بالعالم لم تتحقق بعد لدى جميع البشر. هذا التوتر بين ما سبق أن وُجد في صحوة الشخص على حياة الكل وبين ما لم يوجد بعدُ في صحوة الجميع علي حياة الكل. هذا التوتر هو التراجيديا المتفائلة بالصحوة، ذلك أن كل واحد منا مسئول عن صحوة الجميع". وينوه غارودي الى أنه لا يمكن تحصيل هذه الروح المنفتحة والفكر والمسئولية الجماعية إلا مع الصوفية في شعريتها ومن خلال مجازات نجدها في حياتنا اليومية لننظر من خلالها الى ما هو كامن وراءها، فبمثل هذه الأمثل نقل الأنبياء رسائل الله كما يقول غارودي والتي لا يمكن أن تكون مجرد تعاليم وقوانين وإنما نداء يحمل قوة تستدعي الإجابة. وليؤكد غارودي من جديد

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص99،126.

على مسئولية الجمع فإنه عندما يتساءل كل من له ضمير(أمام هذا الشر في العالم، وأمام كم الضحايا الأبرياء، ماذا نفعل؟)يجد أن الإجابة الإلهية وببساطة: (لقد خلقتك!)ويقول: "نعم خُلقنا، مع كامل مسئوليتنا عن محاربة المملكة المعاصرة(المضادة لمملكة الرب)مملكة(وحدانية السوق). فهي العدو الرئيسي لله والإنسان. أنريد إلها معلوماتياً يخلق عالما من البشر آليين مبرمجين لارتقاء مملكة الرب بلا حرية أو مسئولية؟"[1].

ومع البيان الإنجيلي الجديد[2]، والذي يجد غارودي أن منظرو التحرير(لاهوتيي التحرير في أمريكا اللاتينية)قد حملوه محمل الجد، فاعتبروا مع البابا أن حالة الدنيا اليوم حالة خطيئة(قياساً على خطيئة أبونا آدم عليه السلام)وأنه أصبح لزاما أن يكون كل تفكير سياسي أو ديني وكل عمل هو عمل لتغيير حالة الخطيئة، وأنه على الإنسان الذي خلقه الله على صورته أن يعطي كله من أجل الكل، فليس هناك فرق هنا بين تحرير الإنسان وبين التحرر من الخطيئة، فليس التاريخ حسب غارودي: "التاريخ المقدس والتاريخ كله سوى التاريخ الوحيد لهذا التحرر، دينياً ودنيوياً. إن التفرقة الخاطئة بين هذين المستويين، وما بين التاريخ والعقيدة لا يؤدي الى شيء سوى وضع الإنجيل في خدمة الأقوياء". وهذا التناقض يجده غارودي السبب في الخلافات المسيحية حتى أن المسيح يصور على اللوحات بصورتين أحدهما بصورة المسيح المنتصر الملك وبثياب الملكية والثانية صورة المصلوب والمقهور. وهو ما جعل الأب التحرري في أمركا اللاتينية ليوناردو بوف يقول: "إن صورة يسوع تصل إلينا محملة بالألقاب ومثقلة بالبيانات العقائدية، تكاد تخفي أصالته وتحجب وجهه الإنساني، وكأنها تقصيه في التاريخ، تفترضه كأنه نصف إله، لا علاقة له بعالمنا. وعلى الإيمان أن يحرر صورة المسيح مما يقلل من شأنه. إن القول بأنه المسيح القائد، إبن داود، إبن الله، لا يجعلنا نؤمن به لفضل تلك المسميات فقط، ولكن للحقيقة الأهم وهي ما تعنيه تلك المسميات بالنسبة لعالمنا. إن قمة الإيمان بالمسيح بالنسبة لي هو أن أوجه حياتي الشخصية والاجتماعية والكنائسية والثقافية والعامة ، بواقعية المسيح وعلى نفس النحو الذي واجهه هو"[3].

[1] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص256ــ258.

[2] ــ بيان البابا بولس يوحنا الثاني سنة 1979م عندما توجه بخطابه الى العمال في بولونيا.

[3] ــ غارودي، أمريكا طليعة الإنحطاط، تر، عمرو زهيري، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م، ص161ــ162.

وفي الوقت الذي يرى فيه العقاد أن في جميع رسالات الأنبياء الداعين الى العالم الآخر، هناك ملكوت رضوان يتحقق في السماء، وملكوت يعمل له الناس في هذه الحياة، أو رسالة يستمعون لها في هذا العالم فيستحقون بها الملكوت في العالم الآخر. وهذا الملكوت هو ملكوت الرسالة المسيحية، الذي تكلم عنه السيد المسيح ووصف لأتباعه مطالبه ووصاياه. إلا أن اللبس يقع(وهذا ما حدث حتى للحواريين وظهر في أسئلتهم واستغرابهم لكلام المسيح عن الملكوت)عندما يتوجه الكلام حيناً على ملكوت القيامة وحيناً على ملكوت قبل يوم القيامة[1].

وفي المقابل يعتبر غارودي أن مملكة الله هي الموضوع المركزي لرسالة يسوع المسيح، هذه المملكة فيض الإلهي في الإنسان، فهي لم تكن انتصار إسرائيل على أعدائها كما كان ينتظر، وعندما يقول يسوع حسب يوحنا36/18(مملكتي ليست من هذا العالم)ليس المقصود أنها في عالم أخر أو في مكان أخر، أو بعد التاريخ وفيما ورائه(أي بعد الحياة الدنيا) ولكن المقصود هو أنها تختلف عن الممالك التي يتم تحصيلها بقوة السلاح، إنها المملكة التي تؤَسَس على قواعد يصبح من خلالها تاريخ البشر أكثر إنسانية، مصبوغ بصبغة إلهية، هذه المملكة لا تُبنى على تغيير الدول ولكن على تغيير المجتمعات الفردانية والطوباوية الى وحدات اجتماعية. ويرى غارودي أن تعاليم يسوع لم تكن تفسير للعالم ولكنها نداء لتغييره، حتى أن ساعة لقاء يسوع بالناس هي ساعة القرار، ساعة الاختيار، ويجده يسأل تلاميذَه والجميع: إن مملكة الله صارت هنا، حاضرة فيك كوعد، فهل تريد(نعم أم لا)أن تشارك في مجيئها الى العالم؟. إنها المملكة الأخذة في الولادة والتي هي بداخل كل من يؤمن بها فتدفعه للعمل من أجل تغيير العالم[2]. وينوه غارودي الى أن تصريح يسوع(مملكتي ليست من هذا العالم) لا يعني استسلامه أمام ضلالات الواقع الذي وُجد فيه لكي ينجو بنفسه الى عالم آخر، ولكنها البُشر بعالم آخر ممكن التحقق يختلف عن هذا العالم ولا يخضع لضلالاته وقوانينه الظالمة[3].

إن هذه المفاهيم والتصورات كما يرى غارودي وكثيرين غيره حتى من رجال الدين المسيحي(كالكردنال دانييلو، المتخصص في تاريخ الكنيسة)أنه لا يمكن التعبير عنها بواسطة اللغة

[1] ــ عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التاريخ وكُشوف العصر الحديث، نهضة مصر، 2005، ص121.

[2] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص186ــ187.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص113.

والثقافة اليونانية، بل(هذه اللغة والثقافة)هي السبب في هرطقات العصور الأولى، ومن الإشكالات التي يقف عليها غارودي نتيجة لهذا الاستخدام الساذج لهذه اللغة والثقافة هو تصور الروح القدس في الإيمان المسيحي الذي أصبح وجودا بدل أن يكون القوة الكامنة بداخل الإنسان، والتي تدعوا للتفوق على الذات[1].

فكيف يُصور غارودي الروح القدس؟.

المطلب الثالث: الروح القدس.

ينقل أبوزهرة تصور المسيحيين حول الروح القدس من خلال صاحب كتاب الأصول والفروع والذي يقول عن الروح القدس: "ومن حيث أقنومية الروح القدس فظاهر من كلمة الله، لأن أشعياء يقول(ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم عدوا، وهو حاربهم)أشعيا10/6. ويقول الرسول بولس(لا تُحزنوا روح الله القدس...)ومن المعلوم أنه إن كان الروح قوة، أو صفة أو شيئاً من الأشياء غير العاقلة لا يمكن أن يحزن، أو يفرح أبداً، فلا بد أن يكون أقنوماً، ثم نقرأ في سفر الأعمال أن الروح قال للرسل: أفرزوا الى برنابا وشاول للعمل الذي دعوتُهما إليه...". ويجده يقول كذلك: "وقيل عن أعمال الله أنها أعمال الروح، فالروح هو الذي خلق العالم، ويجدد النفوس، والمولود منه مولود من الله، ويحي أجسادنا الميتة، وهو على كل شيء قدير..."[2].

ويُبين الباحث في جامعة أكسفورد مايكل جرين حقيقة الروح القدس بين العهد القديم والجديد، فهو في العهد القديم تدخل شخصي لله نفسه، وهو ليس مجد قوة إلهية ولكنه الصفة الأخلاقية لله، وهو الله العامل من أجل منفعة شعبه، وهو ذراع يهوه أي أنه قوته المخلصة، فالروح هو القوة النشطة الأخلاقية الشخصية لله الرب. أما حقيقة الروح في العهد الجديد والذي بدأ بمجيء يسوع الناصري، وبهذ العهد بدأ عصر يتصف بوجود روح الله، بل إن يسوع هو المسيح لحصوله الغير مسبُق على روح الله، فهو الحامل الوحيد لها ومعطيها

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص98ــ99.

[2] ــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص178.

للتلاميذ، وسيضل علامة مميزة في طبيعته. والروح القدس هو البارقليط[1]، الذي يتولى دور يسوع، فالروح القدس هو يسوع آخر، به يستمر دور المسيح التعليمي في الكنيسة[2].

أما الأب فاضل سيداروس وبعد أن يقف مع رسالة بولس الأولى الى أهل قورنتوس3/12(هو(أي الروح القدس) الذي يجعل المسيحي يؤمن بأن يسوع المسيح هو الرب) فيقول: "إن الروح القدس هو الذي يجعل المسيحي يؤمن بيسوع المسيح". ويَعتبر كذلك أن الروح القدس هو الذي يجعل المسيحي يحيا الحياة الجديدة، الحياة الخُلُقية، حياة المسيح. فالروح القدس في التقليد المسيحي هو مصدر الإيمان بالمسيح وبالأب والحياة الجديد وهو مصدر الحرية المسيحية كذلك[3].

وفي موضع أخر يشير الأب فاضل سيداروس الى دور الروح القدس في حياة الابن يسوع المتحسد، هذا الدور الذي يظهر في أربعة مراحل[4]:

1ــ التحسد: حيث اشترك الروح في تجسُّد يسوع المسيح، وهذا ما يجده في روايتي حبل مريم العذراء، ففي متى18/1(كانت مريم...حاملا من الروح القدس)وفي لوقا35/1يقول الملاك لمريم(إن الروح القدس سيترل عليكِ وقدرة الله ستُظللك. لذلك يكون المولود قدوساً وابن العلي يُدعى)، والروح هنا غير الملاك جبريل كما هو الشأن في التصور الإسلامي.

2ــ الحياة الأرضية: فقد اشترك الروح القدس في معمودية يسوع وتجليه، فنص المعمودية الوارد في إنجيل يوحنا 33/1ــ34(إن الذي ترى الروح يترل فيستقر عليه، هو ذاك الذي يُعمِّد في الروح القدس. وأنا رأيت وشهدت أنّه هو ابن الله)وهو ما يقوله لوقا18/4، ومتى18/12، وأعمال الرسل38/10، ويجد في هذا دلالة على تملك الروح ليسوع، ثم تملك يسوع للروح لأنه يُعمِّد فيه.

---

[1] ــ البارقليط يعتبره الباحثين المسلمين في المسيحية أن المقصود به هو رسول الإسلام محمد(صلى الله عليه وسلم).

[2] ــ مايكل حرين، إيماني بالروح القدس، تر، داليا وهيب، دار النشر الأسقفية، القاهرة، ط1، 2004م، ص24،25،37،38.

[3] ــ الأب فاضل سيداروس، الإنسان ذلك السر العظيم، دار المشرق، بيروت، ط1،2004م، ص127ــ128.

[4] ــ الأب فاضل سيداروس، سر الله(الثالوث ــ الاحد)، دار المشرق، بيروت، ط3، 2000م، ص71ــ74.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3ــ القيامة: فقد اعترف الإيمان المسيحي تدريجيا باشتراك الروح القدس في قيامة يسوع من بين الأموات، وهذا ما يجده الأب سيداروس في رسائل بولس(روم4/1،قورنتوس4/13،...).

4ــ الشهادة والتمجيد: ففي زمن الكنيسة(بعد رفع يسوع وتأسيس الكنيسة)يشهد الروح القدس ليسوع المسيح، وهو ما يجده في إنجيل يوحنا(15/26،16/15)كما يشهد له الأب، وهو يمجده كما جاء في يوحنا(14/16)كما يمجده الأب.

ويرى الأب توماس ميشال اليسوعي أن الروح القدس هو وجوده سبحانه وتعالى القادر الفعال في الكون وفي كل رجل وامرأة وأن هذه الفعالية لا تقتصر على المسيحيين فقط بل تشمل جميع البشر فرداً فردا من جميع الملل، فتعلمهم وتهذبهم وتُخلصهم، وهذا ما يدعوه المسيحيين الفعل الشامل لروح الله لذا فهم لا يعتقدون أن الخلاص يقتصر عليهم دون سواهم[1].

أما غارودي فهو يعتبر أن الروح القدس هو الذي يجعل من علاقة الحب الموحاة من يسوع الناصري معممة على الجميع بدل أن تكون محصورة بين اثنين حتى ولو كانا هما الأب والابن، هذا التصور هو أساس التجربة الثالوثية التي وجد فيها غارودي القوة التي تجعل من التاريخ ليس مجرد انتقال من العلة الى المعلول ومن مقدم الى تال بل يتحول فيه الممكن الى واقع، والفكرة الإنسانية الى حقيقة. وهذا التصور هو الذي يفسر به غارودي قضية إنجيل المُلك أو ما يسميه يوحنا في إنجيله الإنجيل الأبدي، فيعتبر هذا التفسير على أن للعالم حالات ثلاث، كانت الأولى في ظل الشريعة(شريعة موسى)والثانية في ظل النعمة(مع يسوع الناصري)أما الحالة الثالثة فتأتي في ظل الحرية وبرعاية الروح القدس، وهذا ما يجد أن بولس يقوله في رسالته الثانية الى أهل لورنتوس17/3(وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية)[2].

جاءت هذه الفكرة وصاغ غارودي هذا التصور مما وجده عند جواشيم دي فلور[3]، وقد أدانت الكنيسة هذا التصور (المراحل الثلاث للإله)في مجمع لاتران لسنة1215م والذي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص67.

[2] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص196ــ197.

[3] ــ جواشيم دي فلور(1130ــ1202م)راهب إيطالي، نتعرض له بأكثر تفصيل في مبحث اللاهوت المسيحي.

تكلم عنه جواشيم في كتابه(في مواجهة اليهودية)ويعتبر أن كلمات العهد القديم وجهت للشعب اليهودي، أما كلمات العهد الجديد فقد وجهت الى الشعب الروماني، بينما يوجه الذكاء الروحاني الذي جاء منهما معاً الى الروحانيين، وقد صُبغت هذه الروحانية بالثالوث المقدس والذي انتشر في التاريخ فكان عصر الأب هو عصر القانون(مع اليهودية)ثم كان عصر الابن عصر غفران، أما عصر الروح القدس فسيكون عصر الحرية[1].

ويشير غارودي الى الرؤية التنبؤية(تنبئ بالمستقبل)للأب جواشيم دي فلور في القرن12م، وكيف أنه كان يعتبر الروح القدس هو القدرة الخالقة لعصر جديد في التاريخ وفي الكنيسة وفي العالم، ويجد غارودي أنه كان للاهوت التاريخ هذا الأثر البالغ في النقد الجذري الذي أخذ به الفرنسيسكان الأوائل وجميع الحركات الإصلاحية الدينية والثورية الاجتماعية حتى القرن16م[2].

إن الروح القدس في الإيمان المسيحي برأي غارودي ليس وجوداً بل قوة تكمن داخلنا وتدعونا الى التفوق على الذات. الا أنه يلاحظ تحول هذا المفهوم للروح القدس بعد مجمع نيقية، حيث أصبح يترجم بكلمة لوجوس، التي لا تعني في اليونانية سوى تطبيق العقل على كل الأشياء، كما لو أن الله لا يعلوا مفاهيمنا وقدراتنا العقلية على حد تعبير غارودي. الذي يجد أن المسيحيين كانوا يستخدمون مفردات يونانية للإشارة الى الله رغم أن معنى هذه المفردات الحقيقي ينكر وجود الله، ومثاله لذلك كلمة(prosopon) اليونانية أو (persona)اللاتينية ترجمتا على أنهما تعنيان(شخص)في حين أن الكلمتين لهما معنى واحد وهو(قناع)وهذا المعني يخالف تماماً معنى الباطنية الإلهية للشخصية الإنسانية في الفكر المسيحي، وكذلك أصبح يسوع والرب وحدة جوهرية مشتركة طبقاً للترجمة الحرفية للكلمة اليونانية(homoousios) التي يعود أصلها الى المفهوم الأرسطي لكلمة(ousia) والتي ترجمت الى اللاتينية بكلمة(substantia) أي ما وراء الظواهر، وقد نتج عنها الكلمة الفرنسية (substance) وتعني الجوهر والتي يقابلها في اليونانية(hypostasis) وجميع هذه الكلمات تخالف الواقع المسيحي في المعنى الدقيق لكلمة الرب الخالق، المتعالي والذي

[1] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص148ـ149.

[2] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص103.

حول ما تقوم (hypostase) أي أحد أركان اللاهوت المقدس. ويرجع غارودي سبب هذا التحريف إلى رغبة أصحابه في إضفاء الغموض على معنى كلمة الرب لغير المتخصصين في فقه اللغة. ويؤكد أن البحث عن معنى كلمة الرب يستوجب استبعاد جميع المفردات اليونانية عن الوجود والاستعمال المسيحي. ويشير غارودي إلى أن هذا ما ذكره له الأب دانيلو المتخصص في تاريخ الكنيسة وقبل تنصيبه كردنالاً فقال: "إن كل هرطقات العصور الأولى للكنيسة، نبعت من محاولاتنا استخدام اللغة والثقافة اليونانية من أجل ترجمة تجربة مسيحية غريبة تماماً عن تلك اللغة وعن تلك الثقافة". ويَعتبر غارودي أن هذا هو سبب هوس الجدل بين المسيحيين واليهود والمسلمين، حيث يتهم المسلمون المسيحيين بتثليث الله. ويقول أنه: "قد يكون هذا الإتهام حقيقياً، خاصة في نظر الديانة اليهودية والإسلام، وهما ديانتان توحيديتان"[1].

ويجد غارودي أن قضية حضور الروح من القضايا البارزة في تجارب روحية قديمة كتجربة الآدفايتا(اللاأثنائية)في الأبانيشاد الهندية التي تَذكُر الطريق الثالث نحو الله وهو طريق المعرفة(جنانا)والتي هي حضور الروح في المسيحية، في حين أن الطريق الأول في الآدفايتا هو طريق الكارما الذي يقابله البحث الايقوني عن الأب، والطريق الثاني هو طريق الباكتي الذي يقابله طريق المحبة أو ما يُعرف بالعلاقة الشخصية بالابن. ويؤكد غارودي على الطريق الثالث(حضور الروح) لأنه الأنسب لتأسيس مشروعه الإنساني، فهو يَعتبر أنه في ظل حضور الروح يمكن الانسلاخ من كل ما يحجب خصوصية وحدة الكل(كل العوالم)ومن ضمنه الأنا، ومن خلال هذا الحضور يَعتقد أنه بالإمكان الكلام لا عن علاقة بالله بل عن انغماس به. وهذا ما يرى فيه تعضيد لروح المسئولية عند الفرد تجاه الآخرين. والتي لا يمكن أن يقوم مشروع إنساني من دونها[2].

ويشير غارودي الى أن الفكر الإسلامي كذلك يجعل للروح القدس دور مهم في خروج يسوع الى الوجود، والذي تؤكده الآية الكريمة: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [التحريم:**12**]. ويجد غارودي أن عيسى(عليه السلام)قد أُحيط بمكانة واحترام كبير في القرآن

---

[1] ـ غارودي، [illegible] ج1، مصدر سابق، ص98ـ99.

[2] ـ غارودي، [illegible]؟، مصدر سابق، ص121.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كذلك(فقد ذكر في 92آية)، وأن المسلمين يعتبرونه المسيح، ويتمنى هنا لو أن الأدب المسيحي يقابل محمد(صلى الله عليه وسلم)بنفس الاحترام[1]. ونؤكد هنا الى أن المفسيرين المسلمين يعتبرون الروح هنا هو جبريل(عليه السلام)، فنجد في تفسير السعدي: " فنفخنا فيه من روحنا "بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها(أي مريم)، فوصلت نفخته إلى مريم ، فجاء منها عيسى عليه السلام ، الرسول الكريم والسيد العظيم[2].

وهكذا يتضح من خلال ما سبق ذكره في هذا المبحث أن غارودي يعتبر مخلوقات الله كلها آيات دالة على الله وعظمته وبديع صنعه، وهو حال المسيح والروح القدس، ولذلك تميز تصوره للألوهية عن غيره من المفكرين والفلاسفة الغربيين وغيرهم لأن بحثه في هذه المسائل ارتبط بمحاولاته لتجاوز إشكالات جوهرية تعيق مشروعه الحضارية الكوني والذي يتطلب بدايةً محاولة توحيد تصور للألوهية ولو في إطار عام تقبله جميع الأديان والتجارب الروحية يكون المنطلق لحوار هذه الأديان والحضارات لإثراء هذا المشروع الحضاري وهو ما نلمسه في قوله: "واستمر حديثي عن الله كرغبة في القول: إن الحياة لها معنى، وأني مسئول عن اكتشافه ومحاولة الوصول إليه، وأي بديهية تعني بالتأكيد اختياراً يتعذر إثباته وضرورياً معاً. ضروري كي يعطي حياتي نوعاً من الانسجام، أي أن يكون شيئاً أخر غير الفوضى الغير مسئولة (كبديهية إقليدس التي أصبحت ضرورية لي لكي أحتفظ باستقامة الطاولة والحائط الذي أبنيه). ويتعذر إثباته كذلك لأنه لا يَنتظر ضماناً من كائن وُجد سلفاً قد يكون واجب كينونته انعكاساً لنظام وجد قبل ذلك ويتعذر المساس به. وإذا كُنت أحاول تدمير فكرةَ أن أجعل من نفسي إلهاً بصفتي دليلا على وجوده وكبرهان على وجود الله، فقد أكون مؤمناً متعصباً لشبح الكائن الأعلى حتى أنتظر منه عقاباً أو ثواباً. ولهذا وكما يبدوا، فإن دين القرن الواحد والعشرين وهو الإيمان بمعنى الحياة والتاريخ والمحرك لفعلنا الجماعي والمسئول لكي نقيم عالماً واحداً، لن يتطور في امتداد الأديان الحالية بمفاهيم مؤسساتها التقليدية. فالكل يدعي احتكار الحقيقة القطعية والكلية

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص217.

[2] ـــ السعدي، تيسير الرحمان الرحيم، سورة التحريم20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويرفض اختلاف الرؤى الثقافية للأديان الأخرى التي أوحَي بها نفس الارتقاء عن المادية التي ليس لها(بتعريفها)معيار مشترك مع مفاهيمنا"[1].

فإذا كان هذا مبتغى غارودي وتصوره في الالوهية، فكيف سيكون رأيه في المعتقدات المسيحية؟ ومفهومه لها؟.

المبحث الثاني: المعتقدات المسيحية.

يشير أبوزهرة في كتابه محاضرات في النصرانية الى مجمل عقائد المسيحية والتي ذكرها نوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني في كتابه سوسنة سليمان والتي لا تختلف فيها الكنائس لأنها أصل الدستور الذي بيَّنه المجمع النيقاوي والذي يأخذ به جميعهم: "وهي الإيمان باله واحد، أب واحد ضابط الكل، خالق السماوات والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع الإبن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، اله حق من اله حق، مولود من غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، الذي كان به كل شيء والذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، والإيمان بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب، الذي هو مع الإبن يسجد له ويمجده، الناطق بالأنبياء"[2].

فأما عن التثليث فإن غارودي وبعيداً عن الصياغات الفلسفية والتأويلات اليونانية يرى أنه طريقة أخرى لقول أن الإله حب[3]. فما هو مفهوم غارودي للتثليث؟.

[1] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص32ـــ33.

[2] ـــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص172.

[3] ـــ غارودي، ببليوغرافيا القرن20، مصدر سابق، ص244، نقلا عن محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص113.

المطلب الأول: التثليث.

يذهب أبوزهرة الى أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يُعبدون وعباراتهم تفيد أنهم متغايرون، وإن اتحدوا في الجوهر والقدم والصفات والتشابُه بينهم كامل. وأن كُتابُهم يحاولون أن يجعلوهم أقانيم لشيء واحد، للجمع بين التثليث والوحدانية. وهنا تستغلق فكرة الثليث حسب أبوزهر، وتصير بعيدة التصور كما هي في ذاتها مستحيلة التصديق وهذا باعتراف كُتابهم، حتى أن صاحب كتاب الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول: "قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجوا أن نفهمه فهماً أكثر جلاء في المستقبل، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض. أما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية"[1].

أما الأب توماس ميشال اليسوعي فيؤكد أن المسيحية تدعوا للإيمان بإله واحد وهي تولي أهمية بالغة ومكانة عالية لوحدانية الله عز وجل، ويؤكد على أن كل تفسير لطبيعة الله المثلّثة ينكر وحدانيتها لا يمكن اعتباره تفسيراً صحيحاً للإيمان المسيحي. ويعتبر بأن التعبير الفلسفي للطبيعة الواحدة في الله الثالوث هي(نؤمن بإله واحد تقوم طبيعته على ثلاث صفات. والإله الواحد يوحي بنفسه على أنه الخالق القدير وسيّد الحياة، ويدعوه المسيحيين الآب أو أبانا وهو الذي أوحى إلينا برسالته(أو بكلمته)الأزلية في الإنسان يسوع. كما أنه الوجود الفعّال المحي في الخليقة(وهذا الوجود هو في اعتقاد المسيحيين هو الروح القدس)). ويؤمن المسيحيون كما يؤمن المسلمون بأن أسماء الله وصفاته متعددة، إلا أن المسيحيين يعتبرون أن ثلاثة منها هي الأزلية مثله تعالى وأنها الملازمة لطبيعته(طبيعة الله الذاتية المتعالية(الآب)ـــ كلمة الله التي تجسدت في الإنسان يسوع ـــ وجود الله الفعال المحيي في الخليقة(روح القدس))[2].

ويرى المستشرق ليون جوتيه صاحب كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية أن منشأ فكرة التثليث من الفلسفة الإغريقية، والتي اصطدمت مع إشكالية(ما مبدأ كل شيء؟)ومنها وصل الفلاسفة(سقراط، أفلاطون وأرسطو)الى فكرة التوحيد، وان المبدأ الذي

---

[1] ـــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص176.

[2] ـــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص61،66.

صدر عنه العالم هو الله الواحد الذي لا يتغير، وبقي الغموض في هذه الصفة ونحوها قائما، فطرحت إشكالية(كيف يخرج الكثير"العالم"من الواحد؟ ويخرج المتغير من الذي لا يقبل التغير؟)فرأوا ضرورة وجود الوسائط الأزلية المتدرجة حسب نظام ميتافيزيقي. ومن ثمّ قال أفلاطون بعقيدة التثليث(الأقانيم الثلاثة)فللحفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغيير، اعتبر أن هناك بينه وبين العالم وسيطين دونه وخارجين عنه، متداخلين فيه(تتضمنهما ذاته وصادرين عنه، ودونه في الكمال)يجعلان ممكناً أن يصدر عن الله العالم الكثير المتغير، وأول هذين الوسيطين العقل وثانيهما الروح الإلهية. وأول هذه الأقانيم هو مصدر الكمال ويحتوي في وحدته كل الكمالات، وهو الذي دعاه المسيحيين الآب، والثاني هو الإبن وهو الكلمة، والثالث هو الروح القدس، فكان هذا أول تزاوج بين العقيدة اليهودية الموحدة والفلسفة الإغريقية(ما يسمى بالأفلاطونية الحديثة[1]). الا أنه في الافلاطونية الحديثة لا تتساوى الأقانيم في الجوهر والرتبة، بينما تتساوى في المسيحية(كحل لإشكالية: كيف يضطر الكامل لإصدار غير الكامل؟)[2].

وهذا ما يذهب إليه غارودي كذلك إذ يعتبر أن الربط بين الإيمان بالثالوث وكون الإيمان المسيحي يعتقد بثلاث آلهة منشأها الصيغة الهيلينية لمجمع نيقية وتأثر المسيحية بالفلسفة الإغريقية، بل يعتبر أن حقيقة التثليث هي التوحيد، ويؤكد ذلك بما جاء في نص مجمع لاتران1215م(إن الحقيقة العليا هي في آن واحد آب وابن وروح قدس، وهذه الحقيقة لا تلد ولا تولد ولا تنبثق من غير ذاتها). إن هذه الحقيقة في نظر غارودي لا يمكن أن تفهم إلا في ضل تجربة المحبة اليسوعية، هذه التجربة التي فشلت اللغة والثقافة اليونانيتين الغريبتين في التعبير عنها، لذلك يجد غارودي أن المتصوفة لما انتقدوا التثليث انتقدوا الصياغة اليونانية والتساوي في

---

1 ــ مذهب فلسفي تطوّر عن فلسفة أفلاطون، وأخذت أيضــاً عناصــر مــن أفكــار فيثاغوروس، وأرسطو والرواقيين. وقد أسس أفلوطين هذا المذهب، أما رواد الأفلاطونية الآخرون فهم أتباع أفلوطين بورفيري وبروكلس. طور الأفلاطونيون المحدثون فلسفتهم من نظرية أفلاطون عن الأشكال وطبقا لهذه النظرية، فإن جميع الأشياء التي يمكن تخيلها، هي فقط نسخ معينة من الأشكال التي تكوّن جوهرها الصحيح. والمعرفة تأتي من الاحتفاظ في العقل بالصورة الجوهرية لشيء ما، بالأحرى عن تصوّرِهِ بأحاسيس أوصافه العارضة. وقد ذهب أفلوطين إلى ما وراء هذه النظرية لتقسيم عالم أفلاطون عن الأشكال، إلى مستويات مختلفة من الحقيقة . ويعتمد كل مستوى على حقيقة تلك المستويات التي تعلوه.

2 ــ ليون جوتيه، المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، باريس، 1923م، ص69ــ94. نقلا عن أبوزهرة. محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص110ــ112.

الجوهر، والذي لا نجده في الإنجيل[1].(وهذا ما تؤكده دراسة سعد رستم حول التوحيد في الأناجيل الأربعة ورسائل القديسين بولس ويوحنا)[2].

ويجد غارودي أن هذه التجربة تكلم عنها متصوفة الإسلام، ومنهم روزبهان الشيرازي(1121ـ1209م)فقد عبر عن ثالوث شامل حين قال: "من قبل أن توجد العوالم وصيرورتها، الكائن الإلهي هو نفسه العشقُ والعاشقُ والمعشوق". كما يجد غارودي ان ابن عربي مضى مع الرسالة الإبراهيمية الى نهايتها فوجد أن المسيحي وكل من يؤمن بدين مترل لا يغير دينه إن هو أسلم، وقال في أحد قصائده[3]:

لقد صار قلبي قابل كل صورةٍ فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبان.

وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ وألواح توراةٍ ومصحف قرآن.

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني.

ويرى غارودي انه فيما وراء الأيقونات(الرموز، الآيات أو الأوثان)يحتفظ الإيمان الراشد بصورة الله التقليدية، وأنه متعالٍ على كل تلك الأيقونات والآيات والأوثان. والشأن نفسه مع الثالوث المسيحي إذ يتجاوز الأيقونات الثلاث ليصل الى الآب"الفائق الوصف الذي لا يُرى والذي لا نستطيع أن نقول عنه شيئاً سوى ما كشفته لنا أعمال الابن وأقواله". وهو ما يجده غارودي لدى الأب بانيكار الذي يعتبر أن البحث في الأيقونات المسيحية الثلاث هو نفسه الطرق الثلاث نحو الله في الأوبانيشاد الهندية طريق الكارما ويقابلها البحث الأيقوني عن الآب وطريق الباكتي ويقابلها علاقة المحبة الشخصية بالابن، وثالث طريق جنانا والتي يقابلها حضور الروح(النعمة أو الرعاية الإلهية). ومن هنا يعتبر غارودي أن الثالوث المسيحي هو أشكال ثلاث للعلاقة بالله، أولها العلاقة بالآب: "التي هي صمت الله لأنني لا أستطيع أن أتكلم

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص29.

[2] ـــ سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، صفحات للدراسات والنشر، ط2،2007، ص107.

[3] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص36ـــ37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عن الله في ذاته، لكن عما أظهر لنا منه الابن فقط، يسوع الذي نستطيع أن نعرفه، أي أن نحبه"، وثاني هذه العلاقات هي العلاقة بالإبن: "الذي هو كلمة الله، هِبةُ ذلك الآب غير المنظور للإنسان". أما الثالثة فهي العلاقة بالروح: "التي هي حضور الله الكلُّ في الجميع"[1].

إن من الإسهامات النوعية للمسيحية التي يقف عندها غارودي في تصور الإنسان والله الذي يحمله في ذاته على حد تعبيره، هي تجربة الثالوث، والتي لم يكن في وسع الفلسفة اليونانية التعبير عنها، فأساسها هو أن الوعي الشخصي لا يمكن أن يكون وعياً للذات، ولكنه قبل كل شيء حباً، وبأن ما يُكونُنا أساساً هو علاقتنا مع الآخرين. ومن ثمّ تنفتح علاقة الحب على اللانهائي إذ أنه لا يمكن سجنها بين حدين(أناــ أنت)ولذلك كان شرط الانفتاح أن يكون هناك حد ثالث يسحب هذه العلاقة على جميع الكائنات الأخرى التي تكون المجتمع وهذا الأخير ليس جمعاً من جواهر منفردة(وحدات منفردة) ولا وحدة تمتص وتبتلع كل تنوع، ولكن وحدته الأساسية هي أزواج من الحب يربطها حد ثالث بالبقية ليتشكل بذلك المجتمع والأمة. هذه هي التجربة التي يرى غارودي أن يسوع الناصري قد كشف عنها وهي الرؤية الجديدة(رؤية الثالوث) والتي جعلت المسيحي يقول: (الله ثلاثة وواحد في آن واحد لأن وحدته غير قابلة للانفصال)ويؤكد غارودي ان هذه التجربة وهذه العلاقة يُلغىَ من جوهرها الانغلاق في الذات المتبادل بين كائنين وتدفع الى الامتداد الى شخص من الثالوث ومن خلاله الى اللانهائي(الله)والى كل وحدة اجتماعية مهما كانت واسعة، وهو ما قاله كليمانت الإسكندري(إذا كنت قد لقيت حقاً أخاك، تكون كذلك لقيت إلهك)[2]. وهو ما نجده كذلك في حديث نبي الإسلام(صلى الله عليه وسلم)[3]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص115،121،122.

[2] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص182ـــ183،188.

[3] ــ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المندري، صحيح الترغيب والترهيب ج4، مطبعة صبيح، القاهرة، ص100.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)رواه مسلم.

كما يجد غارودي أن واقع الحياة في الهندوسية ذو أبعاد ثلاث(الوجود والوعي والسعادة معاً)ويؤكد كذلك على تعريف روزبهان الشيرازي المختلف للتثليث والمتحرر من الطوق الهيليني وهو ان(الله هو وحدة الحب والمحب والمحبوب). كما أنه يعتبر أن هناك قاسم مشترك بين فكرة الحضور الإلهي في الطاقة الخلاقة لدى الهندوس، والدرس الكبير لآباء الشرق المسيحيين في قولهم(لقد تجلى الله في الإنسان، حتى يستطيع الإنسان أن يكون إلهاً)وما يعرضه القرآن الكريم عند كلام الله عن آدم(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)[الحجر: 29]وعند كلام القرآن عن الروح يجد وكأنها سر بداخل الإنسان من الله(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)[الإسراء: 85][1].

ومع الأب جان فينانته صاحب كتاب المرأة كلمة الله ومستقبل الرجل، يدعوا غارودي المسيحيين الى التحرر من قيود المحافظة، ليؤكد معه أن: "الثالوث يعني أن الله ليس فرداً متوحداً، بل هو كمال ومشاركة بين كائنات ضمن إطار لا متناهي من الحب" ويعلق غارودي على هذا الطرح قائلا: "والقول بأن الله يخلق الإنسان وفق صورته، يعني أنه يبدعه ليس خالقاً فحسب، بل بمثابة مجمَع من الأشخاص"[2].

وفي موضع أخر يقول غارودي: "لقد مضى الله الى النهاية في الإنسان واستطاع هكذا أن يبلغ الأقصى من الناس إذ يوجد في كل حب، هذا التردد وهذه المخاطرة اللذين لا يكون للإيمان بدونهما أي معنى، فتلك هي المأساة التي تجري في داخل الثالوث المحبوب والمُحِب والحُب، الذي لا ينضب والمُكتشفُ بالأسرار، فالقول بالثالوث هو القول بأن الله هو آخر وان الله هو حب". إن هذه التجربة الثالوثية إذا ما كانت حية فعلاً تكون قوة فاعلةً لتغيير الحياة

[1] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص260.

[2] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة؟، مصدر سابق، ص129.

وتبديل وجهها، وهذا ما حدث مع يسوع وكذلك فعل الحواريون والتلاميذ فأصبحوا مستعدين لمجابهة الاستشهاد من أجل إعلان البشرى. ومن خلال هذا التصور للثالوث يجد غارودي الدافع الذي يجعل كل واحد يشارك لخلق مستقبل واضح المعالم. وسينشأ عن الإيمان في ضل هذه التجربة الثالوثية تصور أخر للتاريخ، ذلك أن هذا الإيمان يستبعد كل اكتفاء فمن خلاله يستبعد الإنسان كشخص كل تعيين أو تحديد لنفسه، لأنه لا معنى له إلا بالنسبة للإنسان الآخر، ولجميع الآخرين المسكونين مثله باللانهائي للحياة الثالوثية ويقول غارودي: "فالثالوث هو على هذا النحو الأفق الذي لا نهاية له للمملكة...إن الثالوث يحتوي في حالة الكمون على جميع التحررات وعلى جميع الثورات في التاريخ". في حين يعتبر غارودي أن التيار الفلسفي التعقلي بداية من القديس انسلم الى رامون لول(1233ـــ1316م)الساعي الى تبرير المعتقدات المسيحية بالعقل (خاصة الثالوث)، في مقابل الهجمات العقلانية للمناظرين المسلمين، أدت الى تناقض في داخل المسيحية نفسها، وفي معنى الوحي والمفارقة للإله عن الإنسان، وما في الحب من انتقالية، ذلك أنه بنسبة حب الإنسان لآخرين يُحدَدَ الشخص الإلهي أو الإنساني. ويَعتقد غارودي أن ترجمة التجربة الثالوثية الى معاني مجردة انطلاقاً من التجسيم اليوناني لا يمكنه إطلاقا أن يُعبر عن تجربة حقيقية، يكون فيها الثالوث استعارة ومجاز من اجل الإشارة إليها لا تحديدها، ومن ثمّ يقول غارودي: "كل لاهوت يكون بالضرورة رمزياً وانه يستطيع الإشارة إلى الإلهي وليس تحديده"[1].

ثم إن المفهوم الثالوثي عن الشخص الذي تقول به النصرانية الحقيقية والذي يؤكد مبدأ أن مركزي ليس في ذاتي ولكن في الآخر وفي كل آخر، يعتبره غارودي العاصم، الذي كان بإمكانه أن يحمي النهضة الغربية من مطبات الفردانية والأنانية والمكيافيلية، ولكن لم يكن بإمكان النصرانية التي قَبلت ضلالات الثنائية الإغريقية وعلى نطاق واسع أن تلعب هذا الدور، هذه الثنائية التي كان أساسها رغبات قيصر للسيطرة الشاملة لدرجة التأليه، والذي لم يرتضي في أخر المطاف (لما كثُر التمرد والتشتت على قسطنطين والإمبراطورية الرومانية)بأقل من الولاء

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص193ـــ195،196،219،248.

التنظيمي وأحقية التدبير المطلق في جميع شؤون الحياة، مع بقاء الدين والإله قضية خاصة، فأصبحت الغايات مرتبطة بقيصر أو روما لا بالإنسان أو الله[1].

فإذا كان هذا هو تصور غارودي عن التثليث، فكيف سيكون تصوره للتجسيد؟

المطلب الثاني: التجسد.

وقد وجد الباحث في المسيحية جورجي كنعان أن محورها الميثولوجي هو تجسد الإله إنساناً، ليكون قريباً منه، وليكفر عن خطاياه. وهو في الوقت ذاته إله ملكوت السماوات وهي المملكة الحقيقية. وتقديم الإله جسده في سبيل الانسان يتضمن فكرة الإتحاد بين الإله والإنسان، ويتضمن فكرة محبة الإله للإنسان، والتي بلغت قمتها عند فداء الإله لخطايا الإنسان. وبالقيامة وانبعاث الإله بعد الموت يكون انبعاث الإنسان من جديد بعد تكفير الخطيئة الأصلية. ولذلك يشير الباحث هنا الى أن إبطال فكرة الخطيئة الأصلية، وهي فكرة باطلة عقلا ومنطقاً في أصلها، فببطلانها يبطل الأساس في وجود هذه الديانة[2].

وعند الكلام عن التجسد يعود بنا الأب فاضل سيداروس الى مجمع خلقيدونيا451م، الذي وضِعت فيه الطبيعتين جنبا الى جنب. وبيَّن كيفية وطريقة هذا التجسد بين الشخص الإلهي والطبيعة البشرية، انطلاقاً من كون كل طبيعة هي مفهوم نظري مجرد، لا وجود لها إلا في شخص واقعي، ولذلك يقال أن كل طبيعة مشخصة(موجودة في شخص). وبعد ان كان الشخص الإلهي بسيطا قبل التجسد(الكلمة كان عند الله، كان الله)فأصبح مركبا بعد التجسد، لتداخل الخصائص الإنسانية والإلهية. ولذلك أصبحت كل أعمال يسوع ليست أعمال إنسان فقط بل صارت أعمال الكلمة ذاته(أعمال الكلمة المتجسد). والمثال الذي يضربه الأب سيداروس هو مثال(اتحاد النفس بالجسد في شخص واحد، مع فارق أساسي هو أن إنسانية يسوع لها وجود خارج وجود الكلمة، في حين أن الكلمة موجود بمعزل عن الإنسان يسوع قبل التجسّد)[3].

[1] ــ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص81ــ82.

[2] ــ جورجي كنعان، والمسيح هو المشكلة، مرجع سابق، ص245.

[3] ــ الأب فاضل سيداروس، يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، دار المشرق، بيروت، ط3، 1999م، ص116ــ117.

ويَعتبر الأب توماس ميشال اليسوعي أن المسيحيين يؤمنون بأن رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسدت وسكنت بينهم في شخص الإنسان يسوع، وبعبارة أخرى يؤمنون بأن رسالة الله(كلمته)أُوحيت في يسوع الإنسان، وعليه فإن يسوع لا ينقل كتابا مُوحّى بل يُجسد وحي الله[1].

أما النظرة الأرثوذكسية والفهم الكامل لسر التجّسد حسب الأب جورج فلورفسكي يكمن في كون الإنسان ليس وحيداً في هذا العالم، فالله يهتم بأحداث التاريخ البشري، إلا أن الإنسان المعاصر لا يلتزم التجسد بجد واهتمام، فهو لا يجرؤ على الإيمان بأن المسيح شخص إلهي، ولذلك يطلب مخلصاً إنسانياً يتلقى العون من الله، ولا يبالي بالمحبة الإلهية، لتفاؤله بمنزلة الإنسان الرفيعة[2].

والتجسّد عند غارودي الوحدة بين تعاليم يسوع وحياته التي عاشها بين الناس، فمفهومه للتجسّد يأخذه من قول بطرس في رسالة بولس الى أهل غلاطية20/2(مع المسيح صُلِبتُ فأحيى لا أنا بل المسيح يحيا فيّ)لينسحب التجسّد من يسوع الى كل من أمن به، ويَعتبر غارودي أن في تجسد المسيح هذا مجيء لملكوت المسيح، فمع هذا التجسّد لا يكون هناك مجال لمقارنة التصوف المسيحي بالصوفية الإسلامية، وهذا الفرق يجده غارودي جليّ عند ابي حامد الغزالي(1058ـ1111م) في كتابه الرد الجميل لإلوهية المسيح بحسب الأناجيل، فالتصور الإسلام لله المفارق المتعالي كما يقر غارودي لا يقبل ان يصبح الإله إنساناً، بل يرفض كل تصوير تشبيهي للإنسان بالله. وعليه يعتبر القرآن يسوع نبياً عظيما كإبراهيم وموسى ومحمد(عليهم السلام أجمعين). ويجد غارودي أن التجسّد تمّت ترجمته بلغة الفلسفة اليونانية القائمة على الجواهر وأن وجود الأشياء قائم بذاته، وهو ما أدى الى أنه إذا كانت هناك أشياء لها حقيقتان واقعتان ومنفصلتان، فإن واحدة لا يمكن أن تكون إلا الظاهر للأخرى، الشيء الذي لا يُمَكن من ترجمة حقيقة التجسّد[3].

[1] ــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص55.

[2] ــ الأب جورج فلورفسكي، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد، تر، الأب ميشال نجم، منشورات النور،1984م، ص15.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص190،218،247.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وللإشارة الى صلة التجسّد بالتصوف يقف غارودي على خطأ المستشرق ارجيس بلاشير الذي قال في كتابه مقدمة القرآن ص258: "لم يبدوا على نبي العرب أبداً أنه وجه فكره باتجاه التصوف. على العكس من ذلك نجد دائماً في القرآن التمييز المطلق بين الكائن والإلهي. لم تخطر للنبي محمد أبداً فكرة أن مخلوقاً مثله من لحم ودمّ يمكنه الإدعاء بذوبانه في الله" هذا القول الذي يعتبره غارودي خطأً وأخطاءُ المستشرقين من هذا القبيل، ذلك أنه حكم على التصوف الإسلامي من خلال مقاييس التصوف الغربي الذي يجده غارودي مرتبط بقوة بمبدأ التجسّد[1].

وفي موضع أخر يفرق غارودي بين التصوف المسيحي والصوفية الإسلامية، انطلاقاً من كون الصوفية الإسلامية لا تقول بإتحاد الإنسان والله، فالتنزيه في الإسلام لا يسمح بتخطي ما لا يمكن تجاوزه مع الله، في حين يستمد التصوف المسيحي حسب غارودي أصوله من تجسّد الله في شخص عيسى الذي يُدخِل المتصوفة معه في اتحاد[2].

وهذا ما يذهب إليه محمد الراشد في كتابه نظرية الحب والإتحاد في التصوف الإسلامي، فعلاقة الله والإنسان هي علاقة جدلية وهي ليست إلا جدلية الحب وحده، ولا يصح إتحاد الذات البشرية بالذات الإلهية لأن ذلك ينفي إمكانية الحوار بين الحق والخلق، كالذي ورد عن المتصوف محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري(توفي عام354ه) حين نقل حواره مع ربه: "أنا أقرب إليك من كل شيء فلا بين، وأنا أقرب إليك منك، فلا إحاطة لك بي..." فمثل هذا الحوار دليل على استحالة الإتحاد بين الذاتيين. فالمنطلق الاتحادي الوحيد كائن على مستوى الظُهورات الإلهية وتجلياتها، وهو ما جعل بعض العارفين يقفون في موقف التأله على صعيد الإتحاد المستحيل(أي يتكلمون بلسان الخالق كقول الحلاج أنا الحق). فالصلة بين الخالق والمخلوق صلة حب قبل أن تكون صلة عبودية، وما العبودية إلا فيض عن الحب

---

[1] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص40.

[2] ـــ غارودي، الإسلام في الغرب، مصدر سابق، ص203.

واستكمال له، وهي الحنين الأبدي الذي ينطوي عليه قلبُ المخلوق ووجوده كله وصولا الى خالقه[1].

إن اللقاء العميق بين الإسلام والمسيحية، هو لقاء روحي، والذي يجده غارودي عند المتصوفة المسلمين على وجه الخصوص، لتعمقهم في الأبعاد الداخلية والحب في الإسلام، وهو ما ظهر في أغلب قصائدهم. إضافة الى تصورهم الخاص للحب، ويعتبر غارودي أنهم يتعمقون في التوحيد حتى يصبح وعي في الإنسان بأنه لا وجود له إلا بالله ولا يتصرف إلا بالله ويقابله غارودي في المسيحية بدعوة يسوع للتجرد من الأنا الصغيرة، ليُتاح المكان كله في الإنسان لله، للواحد. فهذا هو أساس الوحدة العميقة بين الصوفية المسيحية والصوفية الإسلامية، وقد تجسدت في الأخوة الروحية التي لَمِسها غارودي بين ابن عربي والقديس جان دي لاكروا الذي تأثر به رغم أن الفارق الزمني بينهما كان ثلاثة قرون[2].

المطلب الثالث: عقيدة الفداء.

ويذكر أبوزهرة أن منطلق عقيدة الفداء عند المسيحيين هو أن الله ولكون المحبة من صفاته، حتى أنه جاء في كتبهم المقدسة أن(الله محبة)دبر طريق الخلاص للعالم من الخطيئة التي وقع فيها أبو البشر آدم، والتي بسببها هبط هو وبنيه الى الدنيا مبتعدين عن الله، ولفرط محبته وفيض نعمته، رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، وأنه أرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد ليخلص العالم، فكان هو الوسيط بين محبة الله وعدله ورحمته، وبقبول الابن للتكفير عن الخطايا قرُب الناس من الرب بعد الابتعاد، وكان التكفير بصلب المسيح، ويرون أنه مات ودُفن بعد الصلب ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره. وهذا ما تذكره أناجيلهم، أنه أنبأهُم بذلك قبل صلبه. ولكنهم اختلفوا في مكان ظُهوره بعد القيام، فذكر متى في إنجيله أنه ظهر في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً، أما مرقس فبيَّن ظهوره بين التلاميذ. ويُحيلنا أبوزهرة الى التفسير الذي يجده غريباً وغير منطقي عند القس إبراهيم سعيد

[1] ـــ محمد الراشد، نظرية الحب والإتحاد في التصوف الإسلامي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2006م، ص241ـــ242.

[2] ـــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص20ـــ21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توفيقا عندما قال: "أجمع البشيرون الأربعة على تقدير هذه الحقيقة. ليس المسيح في القبر، لأنه قام كما قال لكن كلا منهم كتب عن القيامة، وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة. متى كتب عن ظهور المسيح في الجليل، لأنه كتب عن المسيح الملك. ولوقا كتب عن ظهوره في أورشليم، لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئاً من أورشليم. ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل، لأنه كتب عن المسيح إبن الله الأبدي صخر الدهر، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ في فترات منقطعة، ليشدد عزائهم للقيام بالخدمة التي تنتظرهم، لأنه كتب عن المسيح الذي جاء ليخدم البشرية، ويرفعها الى مستوى الكمال، كل هذا لكي يوقع البشيرون الأربعة نغمة مشعبة متنوعة العناصر، لأنشودة القيامة المجيدة، فلئن تنوعت روايتهم، إلا أنها لا تتناقض"[1].

أما الأب توماس ميشال اليسوعي فيقول: "مفهوم المسيحيين لموت يسوع هو أنه يحررهم من قوى الخطيئة والموت... ولما أعرض الناس عن تعاليمه ورفضوها، لم يتهرب من الموت و لم يقاوم أعداءه بمثل ما واجهوه به من سلاح العنف والخبث، بل هتف وهو على خشبة الصليب: (يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون). وموته على الصليب كان مؤلماً أشدّ ما يكون الألم، رهيباً لا يطاق، موتاً شائناً يعاقب به العبيد والمجرمون... ومع ذلك فالمسيحيون يؤمنون بأن الله أقام هذا الإنسان يسوع من الأموات، وبالقيامة هذه ثبّت رسالة يسوع، ثبّت كلّ ما علمه والطريقة التي عاش بها، يرى المسيحيون في قيامة يسوع من الموت وعبوره الى حياة جديدة، انتصار على الخطيئة والموت. الوجه الثاني الذي عليه يفهم المسيحيون موت يسوع هو التكفير عن الخطيئة... المنطلق الثالث الذي يفهم المسيحيون من خلاله موت يسوع، إنه منطلق قوة الحب الذي يستطيع أن يؤثر في قلوب البشر ويبدلها ويحول حياة الإنسان..."[2].

أما غارودي فيذهب الى أن في حادثة صلب المسيح تأكيد على بطلان التصور التقليدي لإله التوحيد، الذي جرى تصويره على شاكلة ملك قاضي أو معنى مجرد، ويرى بأن العقيدة المسيحية لا تفرض كشرط أول الاعتقاد بمثل هذا الإله، ويضم صوته الى الأب جان

---

[1] ـــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص180ـــ181.

[2] ـــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص75،77،78.

كاردونيل الذي يقول: "إن المرء لا يستطيع أن يعتقد في نفس الوقت باله كلي القدرة وبيسوع المسيح مصلوب". بل يجد غارودي أن في موت يسوع تأكيد على رفضه لكل التقاليد والقوانين، حتى أن هذا الموت هو نتيجة ضرورية لحياته ولتعاليمه(لرسالته)التي كانت ثورة على واقعه. فقد مات قتيلاً، و لم يكن موته طبيعياً ولا عرضياً أو طارئ، ولكن كان تنفيذ لحكم قضائي لانتهاكه حُرمة ما كان مقدساً بالنسبة لمعاصريه(الشريعة اليهودية والجلاله الإلهية لامبراطور روما). ففي هذا الموت يجد غارودي الشهادة على إله المسيحية الذي لم يكن عندئذ قد اعترف به احد، وفي هذا الموت نقض لفكرة خاطئة عن الله. ولذلك يُعتبر الصليب رمز الحياة المسيحية في اكتمالها. أما تماثل المسيحي مع يسوع على الصليب فيكون قبل كل شيء حسب غارودي بالتماثل مع العمل الذي قاده الى الصليب[1].

الا أن القديس بولس معاصر يسوع، غير المعنى الحقيقي لموته وجعل من قيامته معجزة لقدرة إله اليهود القديم، فحول معناه كما يقول غارودي كونها "تحولا جذرياً لحياة الذين يؤمنون بها". ثم إن في مقاسمة يسوع الناس الموت تأكيد على أخوته لهم، بل يجد غارودي أن في هذا الموت نفي الموت بتصور الناس عند موت أحدهم، ففي هذا الموت حياة القيامة الأبدية، بالمشاركة في الحياة الكلية(للجماعة البشرية مجتمعةً). فالفرد الذي يضن نفسه مركز الأشياء ومقياسها، الفرد الذي يتماها مع ملكياته وألقابه ووظائفه، هو الذي يموت في الموت وهو ما يجعل الفردية مرتبطة دائماً بالخوف من الموت، في حين أن الذي يعي بأن مركزه ليس في ذاته بل في الأخر، في الأنت الذي به أنا أنا كما يقول غارودي، فإنه سينتقل من موت الفرد الى الشعور بالمحبة الحقيقية فهي الحياة والقيامة، لذلك يقول يوحنا في رسالته الأولى8/4(ومن لا يحب لا يعرف الله، لأن الله محبّة). إن فعل المحبة هو الذي يطرد أنانيتنا وقبليتنا، وبذلك ينسحب موت يسوع الى موت الفرد، وتنسحب القيامة الى الفرد فيحيا حياة الكل والواحد(حياة البشرية مجتمعةً)ويعتبر غارودي أن هذه القيامة يمكن أن تحدث كل يوم لكل جديد يؤمن بهذه القيامة، ولذلك لم يظهر يسوع الا لمن أمنوا به فغيَر حياتهم. ويُحذر غارودي من جعل الإيمان بقيامة يسوع قراءة ساذجة للأناجيل، فما يقرره هذا الإيمان لا الاعتقاد(النظري)ولكنه الالتزام بجهد يُبذلُ كل يوم. أما اعتبار موت يسوع فداء وتكفير عن الخطيئة الأصلية(خطيئة أبوا البشر

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص55، 190، 191.

آدم لله)وخطايانا، هو السيناريو الذي وضعه بولس، الذي ينطلق دائما من الربط بين العهد القديم والعهد الجديد، هذا الربط الذي كان له أثره حتى على أصحاب الأناجيل الذين صوروا الموت والقيامة بلغة الثقافة اليهودية. بينما ذهب يوحنا الى الرؤيا العظيمة السموّ، رؤيا القيامة التي فيها الحياة الجديدة التي لا نهاية لها والتي لا حاجة لها بالمرور بالقبر فقد قال يوحنا على لسان يسوع في إنجيله 25/11 (أنا القيامة والحياة من آمن بي، وإن مات فسوف يحيا)ويرى غارودي أنه في هذه الحياة تبرز الحياة التامة التي تُبرزها حياة يسوع كل يوم وفي كل الأزمنة والتي لا ينالها الموتُ ولا يقضي عليها[1].

وهذا ما وجده سيرج بيروتينوا عند غارودي حينما اعتبر: "أن حياة يسوع ما كانت لتقلِب حياة البشر منذ ألفي عام لو انحصرت بفيزيولوجيا الخلايا، أو مجرد الإحياء". وهكذا تتحول حياة يسوع وموته وقيامته الى منهج حياة، منهج الخلق المستمر، والذي هو الأساس في نظر غارودي لكل عمل ثوري[2].

ومع طارق فوزي في كتابه تساؤلات في المسيحية يذكر أن دراسة تنبؤات المزامير ومنها حادثة الصلب تشتمل على سبعة عناصر في حادثة صلب المسيح وهي[3]:

1ـــ تآمر رؤساء الكهنوت اليهودي لقتله والتخلص منه: مزمور2:2ـــ3(قام ملوك الأرض وتأمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه قائلين: لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما)وفي مزمور13/31كذلك.

2ـــ ويستخدم المتآمرون عميلا من تلاميذ المسيح وهو ذلك الشرير الخائن: مزمور9/41(رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي رفع على عقبه)وفي المزمور12/55و37/.12

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص99،116،126،180،182.

[2] ـــ سيرج بيروتينوا، غارودي، مرجع سابق، ص176،236.

[3] ـــ طارق فوزي، تساؤلات في المسيحية، دار الحمدي للنشر، القاهرة، ط1، 2007، ص98ـــ101.

3ــ وحين يستشعر المسيح الخطر فإنه يفزع ويرتاع وتقرب به المحنة من حافة اليأس فيصرخ طالباً من الله النجاة وحفظ نفسه من القتل: مزمور5/55(خوف ورعدة أتيا علي، وغشيني رعب، فقلت ليت لي جناحا كالحمامة فأطير وأستريح) والمزمور52/6و13/9و3/13و6/40و9/30و24/35ــ25.

4ــ ثم يدعوا المسيح على تلميذه الخائن بالهلاك: مزمور13/17(قم يا رب تقدمه، اصرعه، نجي نفسي من الشرير بسيفك) ومزمور6/109ــ16.

5ــ ويستجيب الله دعاء المسيح لنفسه بالنجاة فتفشل المؤامرة ويحفظ الله عليه حياته: مزمور1/41(في يوم الشر ينجه الرب، الرب يحفظه ويحييه، يغتبط في الأرض ولا يسلمه الى مرام أعدائه)ومزمور10/33و3/9و9/56و6/20 و8/21ــ11و5/118ــ18و4/21.

6ــ كما يستجيب الله دعاء المسيح على التلميذ الخائن، فتنقلب عليه مؤامراته، ويشرب من الكأس الذي شارك في تجهيزه لمعلمه: المزمور16/9(الرب قضاءً أمضى، الشرير بعمل يديه)والمزمور15/37و13/7ــ16و6/57.

7ــ وتكون نجاة المسيح من القتل أمرا عجيباً، اذ يرفعه الله الى السماء فلا يمسه السوء: المزمور11/91ــ14(يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لأنه تعلق بي أنجيه، أرفعه لأنه عرف اسمي) ومزمور2/57ــ3و5/27و 21/31،8.

وفي هذا الإطار يقول أبوزهرة: "أن القرآن لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه، ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف في ذلك، ولا الى أين ذهب، وليس عندنا مصدر صحيح نعتمد عليه، فلنترك المسألة، ونكتفي باعتقادنا اعتقاداً جازماً أن المسيح لم يُصلب ولكن شبه لهم"[1].

[1] ــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص98.

المطلب الرابع: البعث والدينونة.

عن عقيدة الدينونة يقول أبوزهرة: "لم يمكث المسيح بعد قيامته هذه التي يعتقد بها المسيحيون إلا أربعون يوماً، ثم ارتفع بعدها الى السماء وجلس بجوار الآب في زعمهم وسيأتي ليدين الناس يوم القيامة، يحاسب كل إنسان على ما فعل وفكر، ان خيراً فخيرا وإن شراً فشرا، وله بهذا المُلك الأبدي، فلا فناء لملكه، فهم يقولون إن الله قد أقام يوماً، سيدين فيه سكان هذه الأرض بيسوع المسيح، لأن الآب في زعمهم لا يدين أحد، بل أعطى ذلك للإبن، فأعطاه سلطان أن يدين الإنسان، لأنه ابن الإنسان أيضاً.."[1].

أما غارودي فخلاصة تصوره للبعث والحساب جاء في رده على سؤال لمحسن الميلي حين قال: "إن الحساب الأخير ليس حساباً أخيراً يعقب هذه الحياة. فالله ليس في الزمان بما يتضمنه الزمان من تعاقب بين القبلي والبعدي. والاعتراف بالحساب الأخير لا يعني مقارنته بمحكمة إنسانية. فالحساب الأخير ليس هو الأخير في الزمان وإنما هو كذلك في كل آن بوصفه الحكم المطلق والنهائي وراء أحكامنا الإنسانية لأنها قائمة على ظواهر نسبيّة وعلى نجاحنا وفشلنا وعلى خداعنا أيضاً في حين أنّه ليس في استطاعتنا إخفاء شيء عن الله ولا مخادعته كما يخدع بعضنا البعض. إن الالتزام بالقانون الإلهي أي بالشريعة، يعني أن نعيش ونحن نعتقد أن الله يرى أفعالنا ويحاسبنا عليها وفق المعيار المطلق للمسؤوليات التي حمّلها إيانا لا وفق ظواهرها الإنسانية فحسب. ولهذا فحساب الله هو الحساب الأخير في قيمته النهائية وفي اعتماده على قانون مطلق لا في مجرى الزمان. ولذا فالإيمان بالحساب الأخير يعني أن نحيا في صفاء مع الله في كل آن. ذلك هو البعث. فهو إذن ليس ظاهرة كيميائية غريبة يُسوى بموجبها لحمُنا ودمُنا وعظامُنا من جديد. إن الأمر يتعلّق بمَثل ضربه الله لنا وهو اللغة الوحيدة التي اعتمدها الله المتعالي الذي ليس كمثله شيء ليوحي إلينا بحقيقته التي لا تدركها حواسنا ولا فهمنا. فالبعث ممكن إذن كل يوم لأن قدرتنا على تقويم ماضينا تُمكننا رغم هفواتنا وذنوبنا من بعث إنسان جديد ... إن البعث أو الحياة الحقيقية، هو ذلك الإسلام اللامشروط لهذا التعالي الإلهي والرابطة الجماعية التي أوكل لنا الله مهمّة إرسائها"[2].

---

[1] ـــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص182ـــ183.

[2] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص7ـــ8ـــ9.

فالبعث عند غارودي ليس ذلك التاريخ بلا أمل، ولا ذلك الأمل بلا تاريخ. والبعث عنده ليس شيئاً أخر غير الخلق المستمر للإنسان ولتاريخه. ومن ثمّ يكون الإيمان بالبعث هو اليقين الفاعل بأن الإنسان هو الخالق الحقيقي لتاريخه، ويكون هذا الإيمان خميرة عمل ونضال إنسان يمتلك قوة الإبداع للمستحيل، هذا المستحيل الذي لا يجده غارودي مستحيلا الا عند من لا يملك قدرة الأمل[1] . ويعتبر غارودي أنه مما كشفت عنه البشارة أو الإنجيل الذي جاء به المسيح هو حياة البعث هذه، التي يمكن للإنسان أن يعيش بها الكمال المطلق في حُب حتى التضحية بالنفس على الصليب كما حدث مع يسوع المسيح[2]. ويرى غارودي أن نموذج هذا الاعتقاد الفاعل هو الطريق الذي فتحه منظروا التحرير(لاهوتيي التحرير في أمركا اللاتينية)لإصلاح مجتمعاتهم، فأصبح مستقبل هذه الإصلاحات هو الأمل الوحيد في البعث، الذي هو الانتقال من الموت الى الحياة الحقيقية، حياة يصبح لها معنى(قيم وغايات ساميا غير المادية والمتعة الآنية). وقد فعل هؤلاء ذلك حسب غارودي لأنهم لم يمارسوا معتقداتهم كمهنة لبرالية كما هو شأن المناصب الدينية في الإكليروس المسيحي للكنيسة، ولكن عاشوها(لاهوتيي التحرير)كشهادة مناضل من أجل رسالة يسوع الذي واجه الموت، ولم يحققوا ذلك إلا لأنهم شاركوا البؤساء وجودهم وتقاسموا معهم عذاباتهم وأمانيهم، ولم يكتفوا بمجرد العطف عليهم[3].

وهذا ما يجده غارودي واقع في حياة يسوع المسيح الذي قاطع ما كان يُعرف بالقانون الإلهي(الشريعة)الذي طُبق حتى ذلك الوقت على المساكين المحكوم عليهم بتطبيق القرارات الفوقية، فاخترق كل النواهي والأوامر وأعطى نموذج المسؤولية والحب معاً، فأعطى نفسه لأشد الناس فقرا وللمعوزين لا ليساعدهم أو يتعاطف معهم ولكن بأن يعيش ويموت معهم ومثلهم. فكان موته كما قال غارودي: "أوضح دليل على قيامتنا: كرفض لحياة لا هدف لها الا إرضاء رغباتنا الحقيرة وطموحاتنا التافهة، بالخضوع أولا لإرادة الكبار الذين يوزعون دائماً الثروة والأمجاد على الرعايا الطيّعين. لقد أصبحنا مع يسوع المحرِّر بشراً قادرين على تحمل المسئولية وعلى الحب. وما سميناه حتى ذلك الوقت إلهاً لم يعد كائناً أو معلماً ولكنه دعوة، وهذه الدعوة

[1] ــ غارودي، مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977م، ص124ــ125.

[2] ــ غارودي، وعود الإسلام، مصدر سابق، ص33.

[3] ــ غارودي، أمريكا طليعة الانحطاط، مصدر سابق، ص161.

الى العمل الخلاق والمحرر تُعتبر تدفقا خالصا لتّعبئة من أجل حياة، وامتلاء بحياة تتجاوز كل الأهداف التي كنا نعتقد أنها وحدها الممكنة، والإيمان هو ايجابة هذه الدعوة بلا تحفظ، والقوة التي مُنِحنا إياها لنشارك في هذا الارتقاء. وليس هذا أمراً يعطيه سيد لأحد العبيد، ولكنه نموذج مطرد يعطيه أخ لأخيه لكي يواصل وينمى عمل الأب. و لم يبق لنا الا أن نختار الطريق. وهو بالنسبة لي طريق الكفاح"[1].

وهكذا تكون مفاهيم غارودي للمعتقدات المسيحية قد نحت منحى فلسفي تصوفي، وأبرز في كل منها حضور هذا المفهوم أو ما يقترب منه عند الأديان والتجارب الروحية المتعددة، ويجتهد غارودي في وضع هذه المفاهيم ليجعل منها خلفية للمشروع الحضاري البديل الذي يريد وضع معالمه. فكيف سيكون موقف غارودي من التشريع المسيحي؟.

المبحث الثالث: التشريع المسيحي.

وانطلاقاً من الآية القرآنية الكريمة:(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)[الشورى13]يعتبر غارودي أن الشريعة هي الطريقة وهي تحديداً طريقة الله التي يشترك فيها جميع الشعوب الذين أرسل الله لهم الأنبياء(وهي مشتركة بين الشعوب وبلغة كل شعب). ومن ثمّ يُميز غارودي بين هذه الشريعة(وهي القانون الإلهي المؤدي الى الله على حد قوله)والفقه الذي يعتبره أحكام شرعية خاصة كحد السرقة، أحكام الزواج والطلاق والميراث وغيرها وذلك لاختلافها بين التوراة والأناجيل والقرآن. ويقول غارودي: "هذا التفريق بين الشريعة، التوجه الديني والأخلاقي الى الله، وبين المناهج والبرامج التي ترك الله للإنسان مسؤولية تطبيقها في الشروط المحسوسة لمجتمعه وزمنه، يشدد عليه معنى كلمة(شريعة)أي الطريق الى النبع وهو أسلوب رائع للتعبير عن الطريق الى الله"[2].

فإذا كان غارودي قد انطلق في هذا التمييز مما وجده في الإسلام، فهل سيبْرُز هذا التمييز عند كلامه على الشريعة التي جاءت بها المسيحية ؟.

---

[1] ــ غارودي الإرهاب الغربي، مصدر سابق، ص18.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص48ــ49.

المطلب الأول: خصائص الشريعة المسيحية.

إن خصائص الشريعة المسيحية عند غارودي هي نفسها خصائص المملكة الالهية التي دعا إليها السيد المسيح، فغارودي يعتبر أن ما يسميه القرآن الكريم بالشريعة والتي هي طريقة للحياة وتنظيم شؤونها، يقابلها عند يسوع المملكة، والتي يعتبر غارودي أنها رسالة من سبق يسوع من الأنبياء كذلك، ويرى غارودي أن دور هذه الشريعة أو هذه المملكة او التنظيم هو اغتناء مفهوم المدنية ومفهوم الحياة حتى يمنحا المعنى الإنساني أو المعنى الإلهي بحسب لغة كل واحد. ولتحقيق هذا الإغناء والإثراء لا يستثني غارودي حتى الأصولية الدينية على اختلاف دينها ويرى أنه يُمكنُها أن تساهم في ذلك إذا تعمقت في ما لديها، وهذا التعمق هو الهدف الذي يريده غارودي من وراء نضاله ضدها كما يقول وليس المطلوب دمجها أو إلغاءها كما يريد البعض[1].

وفي هذه المعاني التي يذكرها غارودي ولطالما كررها في مواضع كثيرة من كُتبه، يتجلى ما يؤكد عليه كخصائص لهذه الشريعة، والتي تندرج ضمن حقيقة المسيحية حسب غارودي:

1ـــ شريعة المحبة:

وهي أولى الخصائص التي تعرف بها المسيحية على الإطلاق، وفي هذا الصدد يقول العقاد: ".. وروت الأناجيل أنه (أي المسيح)عمل في يوم السبت وسخِر من المحرمات التي لا تدنس الإنسان، وخاطب الناس بغير خِطاب الناموس. فهل نقض المسيح من تقدموه أو اتبعهم في كل ما أبرموه؟. إن شئت فقل إنه نقض كل شيء. وإن شئت فقل إنه لم ينقض منه مثقال ذرة. لأنه نقض شريعة الأشكال والظواهر وجاء بشريعة الحب أو شريعة الضمير. وشريعة الحب لا تُبقي حرفاً من شريعة الأشكال والظواهر، ولكنها لا تَنقض حرفاً واحداً من شريعة الناموس بل تزيد عليه. وينبغي هنا أن نصحح معنى الناموس في الأذهان، فإن معناه هو القوام الذي يقوم به كل شيء وناموس العقيدة هو الأصول الأبدية التي يقوم بها ضمير الإنسان ما دام للضمير وجود، فلن يزال قائماًــ كما قال السيد المسيح ــ ما قامت الأرض والسماوات.

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص54ـــ55.

ولقد كمّل المسيح شريعة الناموس حقا لأنه جاء بشريعة الحب، وهي زيادة عليه. إن الناموس عهد على الإنسان بقضاء الواجب، أما الحب فيزيد على الواجب ولا ينتظر الأمر ولا ينتظر الجزاء. الحب لا يحاسب بالحروف والشروط، والحب لا يعامل الناس بالصكوك والشهود، ولكنه يفعل ما يُطلب منه ويزيد عليه، وهو مستريح الى العطاء غير متطلع الى الجزاء. وبهذه الشريعة(شريعة الحب)نقض المسيح كل حرف في شريعة الأشكال والظواهر"[1].

وعن شريعة المسيح التي أكد فيها على خاصية المحبة يقول غارودي: "ولكي تحتفظ الرسالة بشموليتها يجب تخليصها من التعبير الثقافي الذي تعطيه التقاليد اليهودية عن الإيمان الأساسي. لقد حطم يسوع كلَّ محرّماتها. لقد تحدى جميع الشرائع، الشريعة في ذاتها مع محظوراتها. إنه البشارة بالفرح، البشارة بعظات الجبل، التي هي نقيض الشريعة المُجبرة: دعوة الى المحبة، الى المحبة التي انطلاقاً منها يَخلقُ كلُ عمل معياره الداخلي"[2].

وللتأكيد الذي وقفت عليه دراسة محسن الميلي لهذه الخاصية عند غارودي اعتبره صاحب ثورة في فكرة الحب، فغارودي يرى أن الحب تجسد وبانت مظاهره وتجلت في السيد المسيح الذي جسم المحبة الإلهية في والواقع الإنساني. وهو ما جعل من رسالته نقيض للفردانية والأنانية، وأنها تهدف للوصول الى وعي الذات كعلاقة بالآخرين، ومن ثمّ توقظ الشعور بالمسؤولية لا عن النفس فقط بل عن الآخرين كذلك[3].

فالفردانية حسب غارودي هي السبب في عزل الإنسان وفصله عن الآخرين وعن الطبيعة التي إعتقد هذا الإنسان أنه سيدها ومالكها وما هي إلا احتياطي للمواد الأولية ومستودع لفضلاته. ويرى غارودي أن المسيحية منذ أن اتحدت في القرن الرابع مع الثنائية اليونانية (ثنائية الروح والجسد، الدين والسياسة، العقل والعاطفة،..)وبتنازلاتها المتعاقبة منذ عصر النهضة لمبدأ العلمانية الذي يدعي أنه يحل كل مشاكل الحياة، لم تنجح هذه المسيحية المشوهة في مساعدة الإنسان للمحافظة على بُعده الكوني، وعلى إتحاده الودي مع كل

[1] ـــ العقاد، حياة المسيح، مرجع سابق، ص105ـــ106.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص106ـــ107.

[3] ـــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص106.

الكائنات. مما أدي الى انتشار المنافسة الوحشية للاقتصاد التجاري، حيث يقضي أقل الناس ضميراً على أقلهم إمكانية للدفاع على أنفسهم. وانتشار تقنيات الطمع التي تعتمد على الدعاية والتسويق لفرض احتياجات مصطنعة كبديل حقيقي لإشباع الرغبات والشهوات الأنانية. والنتيجة الحتمية لهذا النظام هي العنف والإجرام من طرف المُستلَبة حقوقه وأملاكه(المادية والمعنوية)في مقابل الغش والمضاربة القانونية والغير قانونية من طرف المُستلب المستبد (بقوة المادة أو المعرفة أو القانون الذي فرضه). ويحدث هذا في ضل الدعوة الى حرية تَعتبر حرية الآخرين حداً وليس شرطاً، وهذا ما يجعلها تخضع للتسجيل الأسمى كما يقول غارودي كالأملاك، فمن لم يُسجل أملاكه وموروثه وتُراثه عند السادة(النظام المهيمن)فلا حدود له ولغيره الحق في امتلاكها(والاستعمار الغربي خير مثال على ذلك)وهذه ما يسميها غارودي (حرية الثعلب داخل حظيرة الدجاج)[1].

وفي كتاب رأس المال لماركس يجده غارودي يوضح كيف أن المسيحية هي الأكثر تلاؤماً مع مطالب المجتمع البضاعي القائم على الفردية، أين يبحث الإنسان المنعزل بوصفه فرداً عن البديل السماوي لعزلته في عبادة الإنسان المجرد، وفي مقابل الفردية الأنانية التي تضمنها الرأسمالية والاقتصاد البضاعي، يجد الإنسان الإسقاط والتعويض السماوي عن كل ما يفتقده، حيث يسود الحب في هذا الإسقاط ويتعرف الإنسان الى نفسه ككائن نوعي يعيش ويموت من أجل الإنسانية جمعاء ولكن من خلال وسيط هو المسيح المُخلص الا أن ذلك لا يكون في الحياة الفعلية ولكن بتعويض موهم. ولذلك يعتبر ماركس بأن الدين في كل مجتمع بضاعي وتجاري مُكمل لكل ما يفتقده الإنسان في هذا العالم، وتصبح ذرائع الدين عزاءاً وتبريراً، وهذا ما جعله يقول: "الدين أفيون الشعوب"، حيث تضمن هذه الأديان الخلاص الفردي الذي يؤجج الفردية والأنانية. ويصبح هذا الدين ضرب من الرهبانية واحتقار الجسد واستقذار الحياة الدنيا والإعراض عنها ومن ثم يكون الانسحاب من الحياة والواقع وترك مسئولية العمل والتطوير

[1] ــ غارودي، الإسلام دين المستقبل، نقلا عن، أمينة الصاوي، جارودي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص214ــ215.

والتغيير فيها، وهذا ما يخشاه كل نظام توليتاري طوباوي لذلك تجده يشجع هذا التدين والانسحاب[1].

وعن الفردية وإشكالية الحرية ينقل لنا غارودي كلام الماركسي أوغست بلانكي الذي كتب قائلاً: "يعيبون على الشيوعية أنها ضحت بالفرد ونفت الحرية... فباسم مَن تُطلق هذه الفرضية المتعاظمة المتعجرفة؟ إنها تطلق باسم الفردية التي تَقتُل على نحو دائم منذ آلاف السنين الحرية والشخصية الإنسانية. ألا ما أكثر الناس الذين جعلت منهم الفردية رقيقاً أو ضحايا...لعل النسبة تبلغ واحد من عشر آلاف. إنهم عشرة آلاف من الضحايا مقابل جلاد واحد! إنهم عشرة آلاف من العبيد مقابل طاغية واحد! ثم إنهم بعد هذا تراهم يدافعون عن الحرية! نعم كم من ألوان المراوغة والمخاتلة تكمن وراء التعريفات...أليس اليمين(ولو كاذباً)علامة على الصدق؟!"[2].

ويرتبط بالفردية كذلك ما يصحب حق الملكية من إشكالات جذرية، أو ما يُسمى في القانون(حق الاستعمال وحق الإتلاف). ويذهب غارودي الى أنه ما من حق ملكية يعلوا على غايات مجموعة إنسانية. ويعود بالقضية الى رفض الأنا كفرد من أن تقيم من نفسها قيمة مطلقة، ويرفض كذلك الملكية المطلقة على النمط الروماني أو الرأسمالي ويقول أن: " الملكية ليست حقاً مطلقاً للفرد، إنها وظيفة اجتماعية". ويعمم إنكاره الحق على الأنا لجماعة من الأفراد(أمة أو كنيسة أو حزب) بأن تُقيم من نفسها قيمة مطلقة، وتستأثر بحق وبسُلطة التفكير من أجل الجميع وبفرض غاياته الجزئية كغايات نهائية. ومن ثمّ ينوه غارودي الى أنه: "ما من معتقد وثوقي ديني أو إلحادي يمكنه ادعاء تكوين نظام مُقفل وتام يعرضه أو يفرضه علينا كأمر مطلق، وهذا ما لا يكونه". ويتكلم غارودي عن تأطير النمو الجديد بما قاله يسوع عن مملكة الله، حتى تُصبغ واقعية اقتصاده وسياسته بالغايات السامية، ويعتبر أن وجود معاني هذه المملكة ونموها سيدفع الى النمو باستمرار، والى الخروج من عزلة وحقارة الفردية، ففي ضل محبة الأثرة يصبح عمل الأنا الصغرى موجه لأجل مملكة الله[3].

---

[1] ــ غارودي، ماركسية القرن العشرين، مصدر سابق، ص154ــ155.

[2] ــ غارودي، تذكّر الأتحاد السوفييتي، مصدر سابق، ص106.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص243،244.

ولأجل كل هذا كان مشروع غارودي الكبير هو مشروع ضد الفردية المنعزلة، هو مشروع المجتمع حيث كل امرئ يرتبط بالحياة، بدافع من مسئوليته تجاه الآخرين. والإيمان بهذا المشروع الذي هو في سبيله الى الميلاد من جديد هو إيمان يسوع، ويؤكد غارودي بأنه مشروع أخوي لا علاقة له بالانتقاء أو التلفيق، فهو تعبير عن إيمان حقيقي في التعالي، فالله كما يقول غارودي لا يُقارن بأي معرفة إنسانية تزعم تحديده أو تحبسه في ثقافتها الخاصة[1].

2ــ الخاصية التحريرية:

فقد جاءت رسالة هذه الشريعة واضحة في أقوال يسوع وأفعاله وحياته وموته، كانت دعوة الى التحرر من كل قانون تاريخي وخاص ، وكشفت كما يقول غارودي: "عن الحياة الإلهية الأبدية الشاملة التي لا علاقة لها بإعادة مملكة هذا الشعب الخاص أو ذاك الذي يزهو بتحيّز الله له"[2].

وقد رأينا وقفت غارودي مع مقولة يسوع في إنجيل يوحنا36/18(إن مملكتي ليست من هذا العالم)وإذا أضفنا الى ذلك مقابلته المملكة التي يتكلم عنها يسوع بالشريعة التي جاء بها محمد(صلى الله عليه وسلم)نفهم تأكيد غارودي على أن هذه المملكة ليست في عالم أخر، أو في زمن أخر ومكان أخر، في الآخرة والخلود والأبدية وما بعد الموت، وإنما المقصودة هو أن المملكة التي يريدها الله هي من نوع مختلف عن هذه الدول والممالك التي تقوم بالقوة والسلاح، بل يدعو الى قيم أكثر إنسانية من القيم السائدة آنذاك والتي غلب عليها القبلية والعشائرية والعرقية والعدوانية. وهو ما يجعل هذه الدعوة ذات بُعد تحرري الذي يقوم على ثُلاثية التعالي والنسبية والرجاء[3].

فالتعالي هو السعي لإحقاق القيم المطلقة التي جاءت بها الرسالات الإلهية، بداية بتجاوز ما هو كائن ولما هو سائد في المجتمع من علاقات ونُظُم وقوانين ومعارف. والتعالي أو التسامي هو التجاوز الذي يسمح للإنسان بأن يتحرر وفي كل عمل من أعماله(العلمية، التقنية،

[1] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص284ــ285.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص176.

[3] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق،ص153ــ155.

الفنية أو حبا أو ثورة أو تضحيتا)من التجربة السابقة ومن الشروط التاريخية المحيطة به. ولذلك يرى غارودي أنه إذا أُعتبر التسامي أو التعالي بُعد من أبعاد الإنسان فإنه سيعي بأنه لا جوهر له إلا مستقبله والذي هو مشروع للإنجاز، يحدده الإنسان بعمله. وإذا أُعتبر التسامي بُعد من أبعاد التاريخ أمكن التحرر من حتمية التاريخ، وأنه خطي وذا بُعد واحد وأنه يُعيد نفسه، بل على العكس هو ناشئ من العديد من الممكنات، وإذا نُزعت جبرية التاريخ تُنزع جبرية المستقبل، وبذلك يحقق التسامي الانفتاح المطلوب لكل مشروع حضاري للإنسانية جمعاء[1].

ثم إن التسامي بكل القيم يصل بنا الى ما يسميه غارودي التسامي الإلهي(ابتغاء وجه الله من خلال كل عمل وفي ضل ما يُرضيه)، وغياب هذا التسامي ناتج عن غياب القيم الإنسانية السامية، ولا يكون ذلك إلا في الأنظمة التي تقوم على المفهوم الكمي للنمو كما هو شأن الاشتراكية أو الرأسمالية وإن اختلفت طريقة تقسيم ثمار هذا النمو، إذ تعود الى الحزب والدولة في الاشتراكية وتعود الى نخبة من الأفراد في الرأسمالية، ويصبح الإنسان أسير القوانين الوضعية التي تسعى الى توجيهه لتحقيق هذا النمو والقبول بهذا التوزيع، في حين يتحرر الإنسان في ضل الأنظمة التي تقوم على مفهوم القيم الأخلاقية الربانية من قيود منظومة النمو لصالح الغير الى رفعة القيم التي يسموا بها[2].

وتؤدي خاصية التعالي الى خاصية النسبية، فالتعالي في مدارج القيم والتطلع الى الإضافة والإمكانيات والاكتشافات الجديدة يؤدي الى حركية دائمة وتعطش متواصل ويسمح بالتعدد وحق الاختلاف. وهذا لا يتحقق في رأي غارودي مع الفلسفة اليونانية والمفهوم الأرسطي للحقيقة التي تعني تطابق الفكر مع الشيء، أي القول بأنه لا وجود الا لمعرفة وحقيقة واحدة التي تتطابق مع الشيء أو ما هو كائن. بينما يعتبر غارودي أن المعرفة أصلاً هي فعل وليست انعكاس للواقع أو تطابق معه، فهي فرضيات وإنشاءات وتجارب وبناءات قابلة دوما للمراجعة والتصحيح والتطوير، ولا يمكن الإدعاء بالوصول الى المعرفة النهائية والحقيقة المطلقة. ولذلك نجد غارودي كثيراً ما يردد أن ما نقوله إنما يقوله إنسان، ولذلك لا يمكنه أن يَخرج عن إطار النسبية. وإذا كانت خاصية التعالي تُحرر الإنسان من كل نزعة جبرية وتصور وثوقي

[1] ـــ غارودي، مشروع الأمل، مصدر سابق، ص120،122.

[2] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص113.

طوباوي، فإن خاصية النسبية تُحرره من الشروط والضغوط الإقتصادية والموضوعية المسلم بها مسبقاً ولذلك يقول غارودي: "إنّ الشروط الموضوعية ليست معطيات ميتافيزيقية هامدة وإنما هي من صنع الإنسان وبالتالي هي قابلة للتحويل والتجاوز"، وعلى مستوى التاريخ يقول: "ليس ثمة إنجاز تاريخي يمكن اعتباره غاية نهائية". فالقول بنسبية الحقيقة يؤدي الى تصور دينامي للعلاقات الاجتماعية والسياسية يقوم على احترام الآخر والإقرار بمحدودية كلّ سُلُطاتنا ومعارفنا ونماذجنا. وفي غياب خاصية النسبية سوف يكون هناك موقف سياسي واجتماعي إقصائي وثبوتي ينفي المغاير والتغيُّر، بناءاً على اعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة[1].

فالنسبية ضرورية عند غارودي لظهور اللحظة النقدية(المهمة في الفكر الماركسي)وغيابها سيؤدي حتماً الى تحول الفكر اللاهوتي الى اكليريكية تفتيشية(محاكم التفتيش المسيحية حتى مع المخالف لمسيحية النظام الكاثوليكية)نتيجة اليقين الدوغمائي والطوباوي بامتلاك الحقيقة النهائية الكاملة والتعصب المتحزب. ويجد غارودي أن غياب خاصية النسبية أدى الى يقين بانتصار الاشتراكية فتحول الفكر الثوري في الماركسية الى ستالينية استبدادية إرهابية[2].

فإذا انخلعت قداسة كل واقع بالاعتقاد في نسبيته عند كل إنسان، وتحرَرَ من كل جبرية وتخلى عن كل اكتفاء واستكانة يمكن أن يكون له رجاء في المستقبل ، ولذلك يقول غارودي: "الإنسان مشروع للإنجاز، والمجتمع مشروع للإنجاز" وهكذا تقود النسبية الى خاصية الرجاء. ويعتبر أن الرجاء هو قوة الأمل، فإذا غاب الرجاء غابت قوة الأمل عند الإنسان، فيستصعِب هذا الأخير الواقع وتذهب قدرته في التعالي عليه، ويتراجع عنده الممكن والمستقبل فلا يقبل عليه، لأنه لا أمل له فيه[3].

فإذا اجتمعت كل من التعالي والنسبية والرجاء كان التحرر أثر واضح على كيان الفرد أو الجماعة، وقد ركز غارودي كثير خلال مساعيه للحوار بين الماركسية والمسيحية على

---

[1] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص150ــ153.

[2] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص106،111.

[3] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص154.

إعادة اكتشاف خاصية التحرّر الذي فتحته المسيحية. وينوه غارودي الى أن الأصل في جميع الديانات والتقاليد الروحية أنها تحمل في ذاتها مبدأ التحرّر. إلا أن ما حدث هو تواطؤ رجال هذه الأديان وسادتها عبر التاريخ مع السلطات المسيطرة والانزلاق والرضوخ لسياساتها للاستئثار الأناني بوسائل الحياة حتى التخمة وترك الضعفاء لمصيرهم حتى الموت، وهو ما حوّل هذه الأديان في نظر غارودي الى ديانات سيطرة، والأمل عنده في المذاهب والحركات التحررية التي بإمكانها التحرر من تلك الانقسامات اللاإنسانية وتجاوز واقعها وكل قوة تاريخية استبدادية، ومن إيديولوجية الشعب المختار التي تميز المسيطرين، ويمكن بذلك خلق وحدة للعالم، وحدة أخوية وديناميكية. ويعثُر غارودي على المسيحية التحرّرية كما قال: "لدى حكماء جميع الثقافات، ولها قربى مع جميع التقاليد الروحيّة التي فتحت دائماً منظوراً لحضور متضامن مع المضطهدين، ولوحدة الخلق في كليّته"[1].

3ـــ الشمولية:

ففي الوقت الذي خلصت فيه دراسة فرج الله عبد الباري الى نقض دعوى العالمية في المسيحية وكيف أن المسيح وجه دعوته الى بني إسرائيل دون غيرهم وكذلك سار تلاميذه على هذا النهج الى أن جاء بولس والذي اعُتبر مؤسس المسيحية (والتي لم يقل بها المسيح)كما يذكر قاموس الكتاب المقدس[2]. فإن غارودي يشير الى موضوع الشمولية ويؤكد على أنه لكي تحتفظ الرسالة(المسيحية)بشموليتها فإنه يجب تخليصها من التعبير الثقافي الذي تعطيه التقاليد اليهودية عن الإيمان الأساسي، ويعتبر أن هذا ما فعله يسوع بتحطيمه لكل المحرمات(اليهودية). ويشير الى أن بولس على عكس ذلك صنع ولقرون طويلة مسيحية مُهوَّدة فنقض بها رسالة يسوع الشاملة. وهو ما حدث كذلك مع الشهود المباشرين لتعاليم يسوع الذين كانوا ذوو تكوين يهودي و لم يكونوا مهيئين لانفتاح بهذا الاتساع، الى أن تحول بطرس الى رسالة يسوع الحقيقية ودعا الى مملكة الله الشاملة، الذي بدأ ينتبه الى الوحدة الإنسانية فيها منذ تحول قائد المئة(رتبة في الجيش الروماني) كورنيليوس الى الإيمان في حادثة الصلب، ويؤكد غارودي أن يسوع لم يُعين أحداً للتبشير وقد رسم خطوط التبشير الأولى بحلقات تتجه نحو المركز(بداية باليهود) ومنهم الى

1 ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص13ــ14ــ15.

2 ــ فرج الله عبد الباري، نقض دعوى العالمية النصرانية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004، ص38.

جميع الذين كانوا يجهلون الشمولية. ويتضح هنا أكثر ربط غارودي بين الرسالة(فكرة مملكة الإله)والمبادئ الأساسية والعامة لكل شريعة بعيداً عن الأحكام أو ما يرى أنه الفقه في الإسلام[1].

وفي هذا الإطار وللحفاظ على مكانة الإيمان في المجتمع حتى لا يبتعد عن المعنى(كحال المجتمعات الغربية)ينبه غارودي الى ضرورة تفادي إشكالية النظام الشمولي(كما حدث مع الكاثوليكية)الذي يسعى لبسط سيادته على العقول والأجساد معاً وعلى الإيمان والأفعال الصادر عنه، وذلك بتحويل الدولة الى دين(كما حدث مع الإمبراطورية الرومانية، ويحدث اليوم مع الصهيونية)أو عن طريق تحويل ديانة الى دين للدولة، فينجر عن ذلك اعتبار من لا يتبع الدين الرسمي للدولة مواطن من الدرجة الثانية. وهذا ما يجده غارودي قد حدث مع المسيحية لِما وُجد فيها من دعوى العالمية في نظره، وأدى الى استعمار روحي لا ينفصل عن أي شكل من أشكال الاستعمار، ويَعتبر غارودي أن السبب في هذا المُشكل هو الخلط بين العقيدة الدينية(كرؤية نظرية)والإيمان الحي(كقوة فاعلة)المتحرك داخل كل دين وهو(هذا الخلط)السبب كذلك في ظهور الحركات الأصولية المتطرفة في رأيه والتي تدعى أن كل المشكلات قد حُلت وللأبد عن طريق الوحي والآباء المؤسسين ولا مجال للإضافة والنظر والاجتهاد باستعمال ما استجد من الوسائل[2].

وتتضح رؤية غارودي لحوار الحضارات والأديان وما يهدف إليه من وراءها عندما يقول: "وهذا لا يعني التورط في أي نسبية أو نخبوية أو تلفيقية. فكل دين قد رَشَّح حول المبادئ المقبولة المشتركة مجموعة من القيم المطلقة ومجموعة من العبادات بطقوسها وعقائدها الخاصة بكل ثقافة على حده، في محاولة لمناهزة المطلق... وهكذا يستطيع التقليد الثقافي لكل دين أن يُعبر عن نفسه من خلال وضع خاص للجسد في خضوعه لله، مثل وضع اليوجا بالنسبة للبعض(في الصين..)أو الركوع أو السجود بالنسبة لآخرين(المسلمين). لكن المهم أن يُيَسر هذا الوضع الجسدي التواصل بالله أو بالحكمة، أياً كان الاسم الذي ندعو به الله، وألا يتدهور الى رياضة بلا روح. إن الإخصاب المتبادل للثقافات التي تمثل مختلف الأديان، هو ثراء لا يمكن

---

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص106،167،169.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص267ــ268.

التنازل عنه من أجل أن نفرض على الآخرين شكل التعبير الذي ورثناه نحن وثقافتنا. لا نستطيع أن نطالب باحتكار السُبل المؤدية للتعالي. سواء أطلقنا عليه اسم الخلاص أو التحرر أو النرفانا (الخلاص في البرهمية). نستطيع فقط ومع بالغ الاحترام لطقوس الآخرين وللرموز التي يُعبرون بها عن إيمانهم وحكمتهم وإلههم، أن نتزود بتجاربهم، لنصعد من سُبل مختلفة الى ذات القمة التي **تكون عصية على الوصول، حتى تجعلنا نبحث عن معنى لحياتنا ولتاريخنا، وعن سُبُل إنجاز هذا المعنى"**[1].

الا أنه لا يمكن أن يُكتب النجاح لهذا المشروع **بهذه الرؤية الإجمالية لتحقيق هذا الهدف الإنساني** النبيل(الوحدة الإنسانية للتعايش والرقي)**ونميل هنا الى حسن الضن بغارودي لا كما يذهب البعض** الى اعتباره صاحب مشروع ضمن **المخططات الماسونية**[2]، والإشكال هنا **يكمن في ضرورة التفريق** بين حق الآخر في الاعتقاد وبين اعتبار **ذلك المعتقد** صحيح، وهذا ما **يذهب اليه يحي هاشم** حسن فرغل الباحث في الأديان عندما يفرق بين المعنيين المستعملين **لكلمة الدين، فهناك** معنى لغوي شامل(الطريق والنهج)على اختلاف اعتبارات الصحة من عدمها بين أصحاب هذه الأديان، وهذا ما تعنيه الآيات القرآنية الكريمة: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ)[الشورى:21]وفي الآية: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [الكافرون:6]. أما المعنى الثاني وهو الخاص، فلا ينطبق إلا على الدين الصحيح، وهو الإسلام الذي جاءت به الرسالة السماوية الخاتمة لمحمد(صلى الله عليه وسلم)وهو صريح في قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) [آل عمران:19]، وفي قوله(صلى الله عليه وسلم): (إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد)متفق عليه. وتكون بذلك وحدة الدين عند الله هي الإسلام (وهذا ما يعتقده يقيناً أكثر من ربع سكان العالم)[3].

وفي صحيفة الهلال في الأعداد: 484_485 لعام 1357_1358ه مقالات بعنوان : **"هل يمكن توحيد الإسلام والمسيحية؟" وهي مجموعة مراسلات** بين كل من: محمد

1 ـــ **غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص268ـــ269.**

2 ـــ حيث يتهم بعض المسلمين غارودي بكونه ماسوني جديد يريد الكيد للإسلام بأفكاره.

3 ـــ فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1. 2004، ص6.

فريد وجدي، ومحمد عرفة، وعبد الله الغيشوي المغربي. وبين القساوسة. وكان الحوار. وكانت المراسلات جارية في هذه المقالات للجواب على هذا السؤال: هل يمكن التوحيد بين الإسلام والمسيحية من جهة الأسلوب الروحي فقط، أو من جهة الأمور المادية. وكان النصراني إبراهيم لوقا يستصعب توحيد الإسلام والمسيحية في كلا الأمرين جميعاً، ولكنه استسهل الجمع بين المسلمين والنصارى في مصالح الوطن، ثم قال: "لا سبيل إلى الوحدة الكاملة إلا بأن تعتنق إحداهما مبادئ الأخرى، فإما إيمان بلاهوت المسيح، وتجسده، وموته، وقيامه، فيكون الجميع مسيحيين، وإما إيمان بالمسيح كواحد من الرسل النبيين، فيصبح به الجميع مسلمين"[1] .

فإذا كانت هذه خصائص المملكة عند المسيح(خصائص الشريعة)والتي يؤكد عليها غارودي سعياً منه للتأسيس لمشروعه البديل بداية بتهيئه أرضية لحوار الحضارات، فكيف ستكون وقفته مع أحكام التشريع في المسيحية؟

المطلب الثاني : أحكام التشريع في المسيحية.

1ــ العبادات:

عبادات النصارى كما يقول أبوزهرة هما الصلاة والصوم، أما الصوم فهو اختياري لا إجباري، وقد اختلفت فرقهم في ميقاته. الا أن الصلاة عندهم ركن من أركان الدين، التي تقربهم الى الله وعن طريق المسيح. وقد جاء في كتاب الأصول والفروع: "ان الدين قلب مقتنع بوجود الخالق والحافظ والفادي، فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب، يعبر بها عما يخالجه من الأشواق والعواطف، فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة عبارات الشكر والحمد، وبالنسبة لوقوعنا في الخطيئة تكون الصلاة كلمات التذلل والتواضع والاستغفار، وبالنسبة للاحتياج إليه تعالى تكون الصلاة طلبا ودعاء". وللصلاة عندهم شرطان لا توجد بدونهم، أما الأول فهو أن تقدم باسم المسيح، وعلة ذلك عندهم أن الإنسان بعيد عن رضا الله بسبب الخطايا ولكن بدم المسيح زال هذا البعد، فقد جاء في يوحنا23/16(الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم)وفي أفسس13/2(لكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين

---

[1]ــ صحيفة الهلال المصرية في الأعداد، 484ــ485لعام1357ــ1358ه. نقلا عن رسالة الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

صرتم قريبين بدم المسيح)وقد جاء في كتاب الأصول والفروع: "للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك، وهو أن الاسم يمثل دائما المسمى، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا، بحيث تكون طلباتنا طلباته، وصلاحنا صلاحه وحياتنا حياته. وبالجملة يحياً فينا ولأجلنا". والشرط الثاني هو الإيمان الكامل بنيل ما يطلبه فقد جاء في إنجيل مرقس24/11(لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تُصَلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم)[1].

والوارد كذلك أن المسيح أقام صلاته في هيكل أورشليم مع بني إسرائيل كما شاركهم سائر طقوسهم التعبدية الأخرى، فصلى وقتي الصبح والمساء، اللتين توافقان سياق الحياة اليومية، ساعة نهوض الناس من النوم صباحاً، وساعة عودهم من العمل مساءاً، كما أُضيفت زمن المسيح صلاة الظّهر. و يؤدي المسيحي هذه الصلوات في الهيكل أو في المجامع، أو في الموضع الذي يحين فيه وقتها، ويقيم الراهب والمتفرغ من العمل سبع صلوات وربما يزيد عليها. ويؤمن المسيحي أن الصدقة مفروضة عليه كما هو الحال عند اليهود، وتؤخذ من الأموال النقدية وغير النقدية، ويرون أن الصدقة تندرج ضمن مفهوم المحبة لله. أما الصيام فرغم اعتبار المسيحيين أنها ركن أساسي لدينهم كالصلاة والصدقة إلا أنها ليست واجبة وليست مفروضة بتحديد زمني أو كيفي، وما جاء في ذلك فهو من تشريع الكنيسة مما صادقت عليه المجامع. و لم تتطرق الأناجيل الى الحج بالمعنى الحصري إلى جهة معينة، وعُرف على أنه رحلة الى مرقد القديس أو زيارة الى مكان مقدس، لذلك يسمى المسيحي الذي يؤدي هذه الشعيرة بالمُقدَّسي[2].

ويعتبر رجال الدين المسيحي أن العبادة الكنسية ليست مجرد الممارسات التي تتم داخل مبنى الكنيسة، بل تشمل العبادة كل تعبد يمارسه المؤمن كعضو حي في الكنيسة إذا تم بالروح الكنسي، سواء داخل المبنى أو خارجه. وهي عند القديس ذهبي الفم لا تستطيع الكنيسة أن تمارسها الا من خلال مسيحها، لأنه كاهن الكنيسة وذبيحتها. فالعبادة عنده هي سر الإتحاد

[1] ــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص185ــ186.

[2] ــ عبد الرزاق الموحي، العبادات في الديانة المسيحية، دار صفحات، دمشق، ط2، 2007م، ص27ــ31، 62ــ63، 69، 90ــ91.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بيسوع المسيح السماوي، وهي الدخول الى الحياة السماوية، وشركة مع السماويين والإمتثال بهم[1].

ولا يرد تأكيد لغارودي على العبادات في كلامه عن المسيحية، وقد يكون ذلك لغيابها كأركان محددة وواضحة وغياب اتفاق للمذاهب المسيحية على طقوسها. في حين يشير الى العبادات عند دراسته للإسلام، ويربط بينها وبين المفاهيم التي طالما أكد عليها، وركز على أهميتها في مشروعه، فيرى أن الصلاة هي المشاركة الواعية من الإنسان بهذا التسبيح وبالحمد الذي يشُد كل مخلوق الى خالقه ويعتبر أن في الصلاة إثبات على أن الوجود كله مختصر في الذات. أما عن الصوم يقول: "هو توقف إرادي للإيقاع الحياتي، تأكيد حرية الإنسان بالنسبة للأنا ولرغباته، وفي نفس الوقت استدعاء الجوع للحضور فينا كما لو كان جوع شخص آخر في الذات يجب علينا الإسهام في انتزاعه من البؤس ومن الموت". وعن الزكاة يقول: "ليست شفقة ولكنها نوع من العدالة الداخلية المؤسسة، الإلزامية، التي تجعل تضامن المؤمنين فعالاً". ويرى أن الحج: "لا يجسم الحقيقة العالمية الواقعة للأمة الإسلامية، ولكنه داخل كل حاج يحيي الرحلة الداخلية نحو مركز الذات، نحو كعبة القلب". ويجد غارودي في كل هذه العبادات حركة المد والجزر(المد من جانب الإنسان نحو الله والجزر من جانب الله نحو الإنسان، وفيها انقباض قلب المؤمن وانبساطه). ويؤكد غارودي على هذه العبادات وما فيها من معاني وأسرار لأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع[2].

2ـــ الشعائر:

وللمسيحية شعائر يجب القيام بها، وهي حسب ما وجده ابوزهرة عندهم فرائض وضعها المسيح، وهي أعمال حسية تشير الى بركات روحية غير منظورة، وأهمها التعميد والعشاء الرباني، ويجد أن كتاب الأصول والفروع يقول عن التعميد أنه: "فريضة مقدسة يُشار فيها بالغسل بالماء باسم الآب والأبن والروح القدس الى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح". ويقول عن العشاء الرباني: "هو فريضة رسَمها المسيح في الليلة التي أُسلم فيها،

[1] ـــ القمص تادرس يعقوب ملطي، القديس يوحنا الذهبي الفم، مكتبة مار مرقس، القاهرة، 1980، ص217ـــ218.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص208.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة خبز وقليلا من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكاراً لموته، فالخبز يُشير الى جسده المكسور، والخمر الى دمه المسفوك"[1].

وعند تطرق غارودي لهذه الشعائر فانه ينحى بها لخدمت مشروعه الحضاري والتأسيس للحوار، فعن عيد العنصرة والذي تُتلى فيه الرسالة بجميع اللغات، يشير الى ما يعنيه هذا العيد من تعميم الأمل للناس جميعاً ونفي حصر المملكة لشعب مختار، فالرسالة الشاملة والمركزية للمسيح هي إقامة مملكة الله على الأرض بأسرها[2].

وفي إشارته لعيد الفصح يعود غارودي الى أن أصله يعود الى الكنعانيين وهو عندهم عيد الربيع وتجدد الطبيعة، أما عند الإسرائيليين فقد كان إحياء لذكرى خروج أبائهم من مصر وتحررهم من البؤس والعبودية، وهي مرحلة حاسمة في تاريخهم. واستمر هذا العيد بعد ذلك للمسيحيين. ويريد غارودي من هذا التأصيل أن ينبه الى التبادل الثقافي الذي حدث هنا بين هذه الأمم، رغبتاً منه في إقناع المسيحيين وأصحاب الأديان في أهمية تبادل التقاليد والثقافات[3].

وعن العشاء السري(الرباني)الذي يقارن فيه غارودي بين كونه احتفال بالفصح لدي الرسل(الحواريين)المشاركين فيه، الذين كانوا يعيشونه بهذا المعنى لا غير، بينما يذهب بولس الى اعتباره سر القربان المقدس ومن دون العودة الى من حضروه(أي الرسل)، فالأكيد أنه لم يكن حاضرا فيه مع يسوع والرسل لأنه أمن بعد المسيح، وانطلاقاً مما يقوله عن ظُهورات يسوع له يؤسس من خلال هذا السر لفكرة العهد الجديد المنسوخ عن نماذج العهد القديم، ففي مقابل العهد الذي أخذه موسى عن بني إسرائيل حينما استذكر دم العهد، والوارد في سفر الخروج8/24، يأتي العهد الجديد بعد أن قال يسوع في العشاء الرباني الأخير أن هذه الكأس هي العهد الجديد وهذه العبارة يوردها بولس في الرسالة الأولى الى أهل كورنتوس25/11.

[1] ــ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص188ــ189.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص175.

[3] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص61.

ليؤكد غارودي في كل مرة أن بولس هو صاحب هذا التحريف الذي وقع للمسيحية، وهو الذي ربطها بالمعاني اليهودية للعهد القديم[1].

3ـ تنظيم الأسرة وشؤون المرأة:

فعن الزواج يجد أبوزهرة أن المسيحيين يعتبرونه سُنة مشروعة للإنسان، بل شرعه الله له وهو في جنة عدن، فخلق لآدم من ضلعه حواء. كما أن المسيح أجاز العزوبية، وشريعة الزواج عندهم أنه لا يحل للرجل الزواج بأكثر من واحدة ولا يجوز الطلاق بعد الزواج إلا بأحد السببين: إما ثبوت الزنا من أحد الزوجين أو عدم وجود الألفة بين زوجين احدهم غير مسيحي. كما أكدت المسيحية على توطيد علاقة المحبة بين الزوجين[2].

وللمرأة دور مهم في كل مجتمع ولذلك يؤكد غارودي على دورها في مشروعه الحضاري البديل، ويبني ذلك على واقع حالها في الحضارات التي درسها، فحالها اليوم في ضل هذه العولمة أنها أصبحت تُستخدم كوسيلة(كشيء)في الإعلانات ويصور دورها على أنها موضوع جنسي فقط، تستخدم لتلبية رغبات الرجال، ويَعتبر غارودي أن كل محاولات تغيير هذا الواقع من دعوة تحرر المرأة ومشاركة المرأة في صناعة القرار بتخصيص النسب كلها حلول سطحية ما دامت النظرة الدونية لها متجذرة في الثقافات، فدور المرأة يكاد يكون ملغي في الإنجيل، وفي المجتمع المسيحي ومنذ القدم ليس للمرأة أن تبدي رأيها وعليها الخضوع التام، وهذا ما تؤكده رسائل بولس، وفي اليهودية وحتى في الصلاة نجد النظرة الدونية حيث يشكر الرجال الله أنه لم يخلقهم نساء. وفي الكتاب المقدس كلام عن النبي سليمان وزوجاته الثماني مئة مع كثير من العشيقات، ويجد غارودي أن كلام الغربيين عن ما يرونه كأدوار للمرأة وأصنافها(نساء لإنجاب الأطفال، ونساء عشيقات، وعاهرات للرغبة)هذا التصنيف له جذوره في الثقافة اليونانية. ومن ثَم يَحكم على أن أصل هذه النظرة هي التقاليد الشرقية. ويشير غارودي هنا الى أن الإسلام حارب هذه النظرة الدونية للمرأة وأعطاها المكانة التي تليق بها،

---

[1] ـ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص161(الهامش).

[2] ـ محمد ابوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص189ـ191.

ويُنوه كذلك الى أن كل هذه التقاليد محترمة كموروث عند أصحابها ولكن لا يجب أن تفرض على أحد[1].

ومنذ عهد الحرمان المسيحي في العصور الوسطى، كانت الكنيسة تَحرِم المرأة والطبيب كذلك للمشاركة في جريمة الإجهاض، إلا أن الذي يستغربه غارودي أكثر هو ألا يكون احترام حق الإنسان في الحياة إلا عندما يكون جنيناً في حين لا يُراعى ذلك في سن البلوغ أين يساق الألف الى الحروب لتقتيل ألاف من البشر، بل تُبارك الكنيسة والباباوات تلك الحروب وتصفها بالمقدسة، ويعود غارودي بالإشكال الى طبيعة البُنية الاجتماعية فيقول: "طبيعة المسرح نفسها هي التي يجب أن تتغير، أعني البنية، انتظام المجتمع وغاياته نفسها، ذلك أنه منذ آلاف السنين، منذ نهاية العصر النيوليثي، ونشوء الزراعة(الذي كان أنجلز يسميه الهزيمة التاريخية العظمى لجنس النساء)جرى في جميع مجتمعاتنا التي ظلت منذئذ خاضعة لنظام الأبوة (أي تقسيم للعمل)و لم يتوقف عن السيطرة، لقد أسند الرجل لنفسه الوظائف النبيلة، وظائف الصيد والحرب والسيطرة والقيادة في شكل المواجهة العسكرية أولا ثم المنافسة الإقتصادية بعد ذلك، والنجاح الفردي. ومنذئذ كانت جميع المجتمعات خاضعة بلا شريك لهيمنة المفهوم الذكوري للقيم وللنبالة ولسلم الدرجات الوظائفي مع مفهوم الرئيس في القمة...حتى أن العلاقات الاجتماعية منذ ألاف السنين قد عيشة على نحو مختلف بل ومتعارض من جانب الرجال ومن جانب النساء (فكان للرجال وظائف القيادة وكان للمرأة أشغال ثانوية كتدبير البيت والأمومة ورعاية الأطفال) لذلك فان ارتقاء المرأة حسب غارودي الى جميع الوظائف القيادية في المجتمع ينطوي على المدى الطويل على هدم وقلب جميع القيم الأساسية في مجتمعاتنا والانتقال من المجتمع الفرداني الى المجتمع المشترك، ومن علاقات مبني على علاقة قوة الى علاقة اجتماعية قائمة على المعرفة بالآخر وعلى المساهمة بتفتحه الشخصي(لتجاوز علاقة الرجل بالمرأة على أنها علاقة المستعمِر بالُمستعمَر)". والمطلوب الذي يؤكد عليه غارودي لحركة النساء التحررية هو تشييد نظام ذي علاقات إنسانية وقيم جديدة لا الاندماج في تسلسل المراتب وقيم السيطرة في النظام القدم والانتقال من مجتمع مبعثر نتيجة الفردانية الى نسيج جماعي جديد[2].

---

[1] ـــ غارودي، هذه وصيتي للقرن21، مصدر سابق، ص36ــ37.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص34ــ38.

وينتقد غارودي تقاليد اجتماعية متجذرة وموروثة أدت الى أن حوالى7%من أفراد المجتمع الفرنسي لا يعرفون هل مازال أبائهم وأمهاقم على قيد الحياة، وأن الكثيرين من الشباب يفضلون العمل والبقاء خارج الأسرة في أوقات الفراغ، وما ذلك إلا لان الأسرة أُفرغت من محتواها في ضل المجتمع الصناعي، بعد أن حافظ قبل ذلك المجتمع الزراعي أو الحِرفي على وحدها الشكلية كونها وحدة عمل، وبذلك فقدت دورها في التربية التقنية والأخلاقية. ونتيجة هذا الأساس الذي بُنية عليه الأسرة في هذه المجتمعات كثر الطلاق أو الانفصال أو تعليق العلاقة الأسرية في حالة المجتمعات التي تحرم الطلاق، وخارج حدود الأسرة وفي ضل هذا الواقع يُصبح الجنس بلا حماية، وبَعد هذا يُصبح من العبث حسب غارودي اقام حبوب منع الحمل بأنها السبب في الفوضى الجنسية، فما حدث ذلك إلا للهشاشة التي لحقت بالأخلاق التي أصبحت تُبنى على الخوف من النتائج الإقتصادية أو الاجتماعية، ويُصبح من اللغو الخوض في المجادلات الدينية والسياسية والأخلاقية التي تدور حول التحديد الواعي للنسل، وغيرها[1]. وينتقد غارودي تقاليد الغرب كذلك فيما يتعلق بالزواج الأحادي(تحريم التعدد)فهو موجود في القوانين وعلى الورق فقط، بينما المعمول به فعلاً هو تعدد الزوجات وإن لم يكن بشكل رسمي[2].

وعن الحب كبعد إنساني والذي يوليه غارودي اهتماما بالغاً في مشروعه الحضاري، فإنه يجده تعيس في مجتمعه الغربي انطلاقا من نظره في الآثار الأدبية التي تتطرق الى صور الحب الكامل، فيجد فيها المأساة حاضرة دائماً. ولذا يأمل له الانتصار في المستقبل. ويعتبر أن ذلك لن يتحقق إلا عندما يتم تحرير الحب من الإطار الضيق للبعد والحاجة الجنسية، وتحرير الزواج والحياة الجنسية من الانحصار نحو هدف وحيد هو إنجاب الأولاد، ولن يتحقق هذا التحرر ولن ينجح في ذلك إلا مدرسة المرأة إذا أُعطي لها دورها الكامل في المجتمع بمؤسساته كما في الأسرة، فالمرأة بإمكانها أن تجعل تلك الأبعاد أكثر رقة وثراء وإنسانية، فهي الكفيلة بتأسيس ثقافة كاملة للإحساس والحب والانفعال والحنو والمداعبة وكل هذه المشاعر والقيم مهمة بالنسبة للإنسان والإنسانية جمعاء[3].

[1] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، 19ــ20.

[2] ــ غارودي، الإسلام دين المستقبل، ص82ن نقلاً عن خمرية السقة، الإسلام والعروبة، مرجع سابق، ص276.

[3] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص68ــ71.

4ــ الحقوق والحريات:

وعن الحقوق والحريات في المسيحية خُلصت دراسة عبد الرزاق رحيم صلاّل الموحى، حول حقوق الإنسان في الأديان السماوية الى أن مصادر المسيحية تُحرم الربا واكتناز الأموال وتقدس العمل وتنهي عن التمييز بين الناس.. إلا أن نصوص متعددة صادرة عن الرسل خاصة بولس وبطرس تدعوا الى عكس ذلك(وقد اشرنا الى بعضها عند دراسة رسائلهم كتمييز الأسياد والنظام التراتبي وخيرية اليهود)... وبعد أن تجذرت سُلطة الكنيسة لم تلغي نظام العبودية الروماني والخضوع وخدمت السادة، بل جعلت منه ضرورة إيمانية لتحقيق رضا الكنيسة ورضا الرب، ودخول ملكوت السماء!![1].

وموضوع الحقوق والحريات واضح وجلي في دعوة المسيح، حتى أن حياته كما يرى غارودي وتعاليمه وموته دليل على ذلك، سواء على صعيد الشريعة والتقاليد الدينية أو على صعيد الإقتصاد والعدالة الاجتماعية والنقد الموجه للمالكين أو على صعيد السياسة ومظاهر السلطة الرومانية القهرية. وأول هذه الحقوق جاء ضمن تعاليم يسوع حين أقامت تحولاً جذرياً في فكرة الله، وبعد أن كان المطلوب قبل المسيح الخضوع لقوة المَلك أو الإمبراطور أصبح المطلوب الخضوع لإله هو المحبة، وبشر المسيح بعالم آخر ممكن التحقق فقال(مملكتي ليست من هذا العالم)عالم بعيد عن الضلالات والقوانين الظالمة[2].

وعن العدالة والغموض الذي يعتريها في المسيحية ينوه غارودي الى أنها المحور الضمني للخلاف بين القديس أغسطين وبيلاج البريطاني المعروف على أنه أبرز الهراطقة في القرن5م، فكان الأول والذي تبنت الكنيسة فكره ومذهبه، يؤسس للعدالة انطلاقاً من التقليد الإغريقي وما رسمته الأفلاطونية الجديدة فقال بالقضاء والقدر والإذعان الى الإرادة الربانية أي ضرورة

---

[1] ــ عبد الرزاق رحيم صلاّل الموحى، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المنهاج، الأردن، ط1، 2002، ص113ــ114.

[2] ــ غارودي، فسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص112.

الخضوع للتراتب الهرمي وخضوع العبيد للسادة. ويعود الثاني الى رفض وراثة الخطيئة الأصلية ويعترف للعمل الإنساني بكل قيمته[1].

ويذهب غارودي الى أن التعاليم المسيحية للكنيسة ارتبطت دائما مع الأنظمة ففي عهد قسطنطين باركت نظام العبودية وفي عهد الأمراء باركت النظام الإقطاعي، ومع البرجوازيين باركت النظام الرأسمالي، وهكذا بررت دائماً لتمايز الطبقات وتراتباتها، ويرى غارودي أنها اعتمدت لتبرير ذلك الفلسفة الإغريقية: "المتطفلة عليها وانتهت الى إقرار المفهوم الأفلاطوني لخلود النفس والازدراء الأفلوطيني للأرض والأجسام والرغبة في الانفصال عنها، والتراتب الأرسطوطاليسي للكائنات". ويجد غارودي أن هذه المفاهيم قد تُرجمت الى عقيدة شعبية، كان أسوئها اعتبار الكبرياء والعصيان هو أصل الخطيئة، وبذلك فُرض الذل والخضوع للسادة والأقوياء[2].

وعموما يجد غارودي في تعاليم يسوع إنكار للثراء وللسلطان وتَشهير بها ونبذه، وإنكار للنظام والطبقات المعمول بها عند الرومان وتشهير بها ونبذها، وينكر يسوع تيوقراطية وإكليركية الإكليروس اليهودي ويشهير به كذلك ونبذ له، ويُنكر حكمة اليونان المتعجرفة ويجد غارودي أن يسوع قد سفهها واعتبر عقلانيتهم جنونا. كما أنكر يسوع النسق الأخلاقي للفضائل المُزيفة والورع المُزيف الذي وجده ضمن النظام القائم[3].

ويَتتبع غارودي مفهوم الأخلاق والتي يَعتبرها أساساً مهماً للحفاظ على الحقوق والحريات، وقد حدد المفهوم الديني للأخلاق على أنها التوافق بين أفعال الناس وإرادة الله، الا أن جوهر المفهوم المسيحي وبالأخص الكاثوليكي يقوم حول الخطيئة الأصلية الذي يرى في الإنسان كائناً فاسداً في جوهره، ولَما أظهرت آثار هذا المفهوم فشله(لأنه كان لصالح الطبقة الحاكمة لوحدها)ظهرت مفاهيم أخرى كالمفهوم المادي للأخلاق الذي يقوم على اعتبار الإنسان جزء من الطبيعة خاضع لقوانينها الفيزيائية والرياضية والحيوية، أما الأخلاق في

[1] ــ غارودي، ماركسية القرن20، مصدر سابق، ص149.

[2] ــ غارودي، في سبيل نموذج للإشتراكية، نقلا عن أمينة الصاوي،جارودي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص102.

[3] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص148ــ149.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البورجوازية فقد ارتبطت بالمظاهر الإقتصادية من تنافسية وفردية أنانية وهو ما أدي الى سحق الإنسان، ويعتبر غارودي أن الحل يكمن في أخلاق المجتمع الاشتراكي(وكان هذا قبل إسلامه)الذي لا يجعل الحب قانونا بل موضوعاً معاشاً في الواقع، وهذه الأخلاق لا تقوم على تحلل الطبيعة البشرية في قوانين الطبيعة أو على حرية الفرد الوحدانية، ولكنها تقوم على يقين الإنسان بخلق ذاته من عمله وليس ذلك اختياراً ولكن أساسه المعرفة المادية للتاريخ الإنساني الذي يجعل منه طليعة العالم الحي ومُغير الطبيعة. ومن خلال هذا المفهوم الاشتراكي للأخلاق يَعتبر غارودي أنه يمكن ضمان أن تكون حرية الآخرين شرط وليس حد لحرية الفرد، الذي لم يَعد منافساً لجارة بل شريك له[1].

وهذا يكون غارودي على اتفاق مع ما يذهب إليه صاحب كتاب قصة الحضارة من أن المسيحية أدت الى تقهقر عملية التحرر انطلاقاً مما أقرته من قهر للحقوق وتأصيل لنظام الرق واستعباد الشعوب[2].

[1] ــ غارودي، الأخلاق الماركسية، نقلا عن رامي الكلاوي، غارودي من الإلحاد الى الإيمان، مرجع سابق، ص53ــ55.

[2] ــ قصة الحضارة، مصدر سابق، ج11، ص370.

الفصل الرابع:

الكنيسة والمجامع واللاهوت المسيحي في فكر غارودي.

المبحث الأول: تاريخ الكنيسة.

المبحث الثاني: المجامع المسيحية.

المبحث الثالث: اللاهوت المسيحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع: الكنيسة والمجامع واللاهوت المسيحي في فكر غارودي.

عُرفت الكنيسة في تاريخ المسيحية على أنها الجماعة المسيحية التي جاء وصفها في أسفار العهد الجديد على أنها الكنيسة الرسولية أي كنيسة الرسل وأجيال المسيحيين الأوائل وتمتد هذه الحقبة بين سنة 30 الى 100م، أي بين العنصرة(أخر اجتماع للمسيح مع رسله)وتدوين آخر أسفار الكتاب المقدس، وقد وَصف سفر أعمال الرسل هذه الجماعة فجاء في 42/2ـــ47(كانوا يواظبون على تعليم الرسل والمشاركة وكسر الخبز والصلوات. واستولى الخوف على جميع النفوس لِما كان يجري عن أيدي الرسل من الأعاجيب والآيات. وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشترك بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كلٍ منهم، يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب، يسبحون الله وينالون حظوة عند الشعب كله). ثم تحولت هذه الحظوة الى عداوة من جهة اليهود ومن قبل الإمبراطورية الرومانية كذلك. ولما تزايد عدد المهتدين من الوثنيين بفضل تبشير الرسل في سائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية ظهر التنظيم الكنسي فقام على رأس كل كنيسة محلية أسقف يعاونه الكهنة والشماسين المكلفين بأعمال البر المختلفة. ويشير التقليد المسيحي الى أن بطرس أُعتبر رئيساً لجماعة الرسل في أورشليم أولا ثم في أنطاكيا وأخيراً في روما حيث أُعدم في أيام الإمبراطور نيرون[1].

فماذا عن موقف غارودي من الكنيسة؟ ودورها في تاريخ الحضارة الإنسانية؟ وما يريده منها في مشروعه الحضاري؟

المبحث الأول: تاريخ الكنيسة(نشأتها، تطورها ودورها).

مر تاريخ الكنيسة حسب غارودي بنفس المراحل التي عرفتها الأنظمة الأوربية، فمن الدغمائية(امتلاك الحقيقة المطلقة واليقين بالنصر النهائي)الى الإكليروسية والمنافحة عن العقيدة بكل الوسائل، ثم الرضا عن النفس فظهرت في الكنيسة النزعة المحافظة. وهو ما أدى برأي غارودي الى

[1] ــ الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، مرجع سابق، ص87ـــ88.

التعصب المتحزب والى عبادة الأشخاص والتقديس واليقين الدغمائي بامتلاك الحقيقة الكاملة والنهائية وأدى ذلك الى ظهور محاكم التفتيش[1].

فكيف كانت علاقة الكنيسة وتاريخها بهذه الانحرافات والمظاهر السلبية التي أثرت على مسار الحضارة الإنسانية في نظر غارودي؟

المطلب الأول: الكنيسة في عهد المسيح والرسل(الحواريين).

لم يُنشئ المسيح الكنيسة ولم يردها حسب ما يذهب إليه شارل جنيبر في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها، بل يعتبر أن هذه القضية من الأمور المحققة ثبوتاً لدى كل باحث غير متحيز، وخارج كل إثبات يجد أن تعاليم المسيح كانت رد فعل ضد التعصب الضيق الأفق في تطبيق اليهود للشريعة الموسوية، وتجاوزهم حدود المعقول في صرامة الالتزام بها، وفي هذا رفض من المسيح لكل وصاية على المؤمنين في تطبيق التعاليم، ومن ثمّ رفض للدور الذي أُريد للكنيسة أن تلعبه. وإذا أخذنا بمفهوم الكنيسة على أنها الجماعة المؤمنة فإن المسيح لم يصرح للحواريين بسلطان ما، وان حق ذلك فإنه لن يتعدى ما أمر به من تبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله، ولم يصنع منهم قساوسة بالمفهوم الحالي. وما ورد في إنجيل متى 18/16ـــ19 (على هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها)لا يمكن الاعتماد على صحة هذا النص لأنه يُخالف تعاليم المسيح وعمله ورسالته. ويَعتبر جنيبير أن فكرة الكنيسة نشأت عن انتقال الأمل المسيحي والتوسع بها من فلسطين الى ربوع العالم اليوناني[2].

بينما يؤكد الأب فاضل سيداروس أن يسوع وان لم يُنشئ الكنيسة بتمام معنى الكلمة في حياته فقد أسسها بموته وقيامته، فقد أساسها جماعة المؤمنين الذين كلفهم يسوع بتكملة رسالته في الأرض، وكيان الكنيسة يعود الى شخص المسيح، ورسالتها الفعلية تقوم على الروح. فإذا كان فعل التأسيس من أفعال المسيح المجيدة، فإنها بُنيت على تجاوب الرسل مع مبادرة المسيح وعلى إيمانهم به، وأضافوا الى هذا الفعل ما أمرهم به من أفعال ووصايا(البشارة، المعمودية، العشاء

[1] ـــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص111ـــ112.

[2] ـــ شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، تر، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص166ـــ168.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرباني، مغفرة الخطايا،...)فكانوا هم نواة الكنيسة[1]. ويَعتبر القس بسام مدني أن الكنيسة ولدت في مدينة القدس، في العام الثالث والثلاثين ميلادي، وأن خالقها هو الله بواسطة الروح القدس ورسل المسيح الذين نشروا بشارته[2].

أما غارودي فيذهب الى أن الأساس الذي بُنيت عليه فكرة الكنيسة هو مبدأ الخيرية(فكرة الشعب المختار)ولذلك لا يمكن أن يكون يسوع هو مؤسس لهذه الكنيسة على اعتبار أنه دعا الى الذهاب الى الله يتطلب الإقلاع عن دعوى الانتماء الى الشعب المختار واحتكار هذه الخيرية. فمبدأ الخيرية هذا سيعود بدعوة المسيح حتماً الى الديانة اليهودية المحرفة التي حاربها. وهو ما حدث فعلاً فقد أعلنت الكنيسة بعد زمن أنها وريثة الشعب المختار وراحت تعتمد لنشر الإيمان بالمسيح وصلبه على حقيقة القوة والسلطة لا سلطة وقوة الحقيقة[3]. فغارودي يؤكد أن النظرة العُنصرية الى الشعب المختار التي ميزت التقليد اليهودي والتي ورثتها الكنيسة المسيحية واعتَبرت بموجبها أنها الأمة المقدسة، كانت هذه النظرة أفضل الذرائع المعنوية للصليبيين والاستعماريين[4].

وقد ذاق يسوع ويلات العذاب، حتى أن غارودي عَبر عن ذلك بلسان المسيحي قائلا: "كانت مغامرة يسوع الناصري الأرضية تبدوا أنه انتهى بفشل تام، هزئ اليهود به بإلباسه بمارج ملك الكرنفال، وسخر الجنود الرومان من عذابه ورموه بجراهم حتى بعد موته، وأوسعه الجمهور سباباً..". أما عن حال الحواريون فيجد غارودي أن احدهم خان يسوع وهو يهوذا الأسخريوطي وأنكره بطرس أثناء صلبه وفرت البقية منهم في النهاية. إلا أن هؤلاء الذين خذلوا المسيح في ساعته الأخيرة احتمعوا ورأوه من جديد، وأصبحوا يعتبرون في هذه العودة عهداً جديداً وبشارة بمملكة الله، وتغير حالهم فأصبح الحواريون رسلاً لإعلان البشرى، وأصبحوا مستعدين للاستشهاد في سبيلها، ويَعتبر كل مسيحي أن في هذا التبدل حياة جديد لهم كذلك هي حياة الروح القدس،

[1] ــ الأب فاضل سيداروس، من أنت أيتها الكنيسة؟، دار المشرق، بيروت، ط3، 2005م، ص100ــ102.

[2] ــ القس بسام المدني، الكنيسة في التاريخ، مطبوعات ساعة إصلاح، ص10.

[3] ــ محمد عثمان الخشت، لماذا أسلمت؟، مرجع سابق، ص81.

[4] ــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص124.

وأن الإبن والأب يعيشان فيهم، فانتشرت هذه الحياة كالنار في الهشيم، الى ما وراء فلسطين، الى أنطاكيا في آسيا الصغرى والى الإسكندرية في إفريقيا ومنها الى روما نفسها كتحد لقوتها التي لم تكن تقهر الى ذلك الحين، ولأجل ذلك سيموت الكثير من الرجال والنساء على نغم هذه الحياة الأبدية والروح القدس، وبين أنياب الوحوش ولهيب الحطب وغيرها من أصناف العذاب الذي تفنن فيه الرومان وأعداء المسيح[1].

ومن خلال تتبع غارودي لعلاقة الكنيسة ببولس يؤكد من ناحيته ما وصل إليه غيره من الباحثين، من أن بولس هو صاحب فكرة الكنيسة ومؤسسها. فالواضح أن الكنيسة تضفي الغموض على كون رسائل بولس هي أول ما كُتب وقبل كل الأناجيل، ولذلك فأثر فكر بولس واضح في هذه الأناجيل وفي تعاليم الكنيسة، بل ضلت تلك الأفكار تشكل طوال عشرين قرناً المبادئ العظمى التي تشكل جوهر عقيدة الكنائس المسيحية. ومن ثمّ يؤكد غارودي على أن لفظ الكنيسة ورد لأول مرة مع بولس في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس 12/14(أما وأنتم أيضاً ترغبون في المواهب الروحية، فاطلبوا أن يزيدكم الله منها لبنيان الكنيسة)ويؤكد أن لاهوت السيطرة الذي ميز تاريخ الكنيسة هو لاهوت بولس الذي استمده من التقليد اليهودي. ولذلك يجد غارودي أن الكنيسة ستأخذ على عاتقها الأساطير اليهودية وعقائدها المتناقض والملفقة على اعتبار أنها ماضيها وميراثُها. لقد تمكن بولس بقوة تأثيره من نشر أفكاره التي مزج فيها بين تقاليد اليهود ودعوة يسوع والثقافة اليونانية كذلك، ففرض على الجميع حتى الرسل الديانة المسيحية التي كان هو مؤسسها ومُكسبها صفتها المؤسسية المعروفة اليوم. فأصبحت قوة لا يُستهان بها بعد أن كانت تعاني الاضطهاد من طرف اليهود والرومان[2].

المطلب الثاني: الكنيسة المسيطرة.

وبعد أن فَرض المسيحيين أنفسهم كجماعة، تميزت بالطاعة والانضباط فيما بينها والالتزام بشرائعها، الشيء الذي أغرى قسطنطين لتعميمها كدين لإمبراطوريته، للملمت شتات الجماعات الدينية التي كثُرت بعد أن أصدر مرسوم ميلانو سنة313م الذي أعطى حرية الاعتقاد

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص195.

[2] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص73،77،83،91،93.

في الإمبراطورية، وجمع لأجل التوحيد ثلاثة آلاف رجل دين مسيحي من كل الأقطار في مجمع نيقية325م لتوحيد العقيدة المسيحية التي كثر الاختلاف فيها خاصة بعد ظهور مقولة الكاهن الليبي آريوس في الإسكندرية: "نحن نؤمن باله واحد أزلي لم يولد...انه اله الشريعة والأنبياء والعهد الجديد الذي أعطانا كلمته منذ أبد الآبدين...وأوجدها لا كما يُوجد المخلوقات والكائنات...إن كلمة الله لم تصدر عن الأب وليست جزءاً مساوياً له في الجوهر وإنما هي أزلية قبل الدهور والأزمنة"، وفي مجمع نيقيه فرض المذهب الملكاني الذي يخدم النظام الإمبراطوري، ولُوحق بالحرمان كل من خالف هذا المذهب والعقيدة التي خلُص إليها. وانتشر بعد ذلك بناء الكنائس التي لم تكن حسب غارودي سوى كنائس من حجر، وأصبح يُصور المسيح على قبابها كقائد بيزنطي والسيد الحاكم القوي، وتحولت المسيحية المضطهَدة الى كنيسة مضطهِدة. فهجر كل من خالف المذهب الرسمي الى الصحاري والجبال في فلسطين وما يُحيط بها وشكلوا جماعات الرهبان والنساك يعيشون في الاديرات ومنهم من اعتزل الناس في صوامع. وهو السبب حسب غارودي لاستجابة الكثير من هؤلاء السريعة للإسلام الذي وجدوا فيه صداً لعقيدتهم[1].

ولتكريس هذه السيطرة والمحافظة عليها، يجد غارودي أن الكنيسة قدمت ولقرون طويلة المبادئ الأساسية فيما يتعلق بغايات الثقافة العامة ومضمونها، فهي التي تولت في مجتمعات العصر الوسيط الأوربية مهمة تحديد النظام المُرام والمقبول من الله فجعلت جميع الفضائل العامة والخاصة تنبع من التقيد بالنظام المسيطر، وكل ما يدعوا للتغيير أو الخروج عن هذا النظام فهو بدعة محرمة. وينبه غارودي هنا الى أنه حتى في عصر النهضة الأوربية لم تكن محاولة استبدال تعليم الكنيسة بدراسة الآداب القديمة إلا مجرد عودة الى منابع تعليم الكنيسة والمتمثلة مثل ما هو شأن الآداب القديمة في ثنائية الفلسفة الإغريقية والنظام الروماني[2].

وهكذا يذهب غارودي بدوره الى أنه لم يكن الإمبراطور قسطنطين هو الذي اعتنق المسيحية ولكن الكنيسة هي التي ترومت باعتناقها العقيدة الرومانية، فكان عهد قسطنطين ميلاداً جديداً في تاريخ الكنيسة التي كانت حتى ذلك العهد تعاني الاضطهاد. وأصبحت الكنيسة

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص114ـــ116.

[2] ـــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص119.

مؤسسة من مؤسسات الدولة. فقد طبقت الكنيسة لوائح السُلطة الإمبراطورية، وأصبح الأساقفة حكاماً حقيقيين، ولُقب البابا بالحبر الأعظم وهو لَقب كبير الكهنة عند الوثنيين. وبعد انقضاء عهد قسطنطين وفرض الكنيسة لسلطتها الدينية على كامل الإمبراطورية الرومانية اعتبرت نفسها المهيمنة على العالم كله وصاحبة الحق في فرض مفاهيمها الدينية والإيمانية على جميع البشر، حتى أن كُتب تعاليمها الى غاية1992م كانت دائما تحتوى على فصل يحمل عنوان: (لا خلاص بعيداً عن الكنيسة)[1].

الا أنه نتيجة لزعم الكنيسة كما هو حال الإمبراطوريات المتوالية بالتفوق الغربي وفرض المرجعية الأحادية والاستبداد بالرأي بدأ ظهور الانشقاقات بين الكنائس المسيحية، فقد أُهمل دور الكنائس الشرقية ورجالها رغم عطاءات آباء الكنيسة اليونان الثابتة حيث ازدهرت علوم اللاهوت والمولودة أصلا في أرض آسيوية والنابعة من ثقافة الهلال الخصيب مهد الرسالات السماوية، حيث ولدت كما يقول غارودي أروع الدرر للفكر المسيحي الحي ومنها انتشر هذا الفكر الى آسيا الصغرى وشمال إفريقيا[2].

الا أنه وعند الاختلاف في قضية انبثاق الروح القدس انقسمت الكنيسة الى شرقية تقول بالانبثاق من الأب فقط، وغربية (يتصدرها الإسبان والفرنجة)التي فَرض عليها الإمبراطور هنري الثاني سنة1014م وحتى على البابا نفسه القول بأن انبثاق الروح من الأب والإبن معاً، هذه الإشكالية التي تودي فلسفياً حسب غارودي الى الشك في وحدة المصدر الإلهي لأشخاص الثالوث المسيحي. ويُعقب غارودي على أن الكنيسة الشرقية كانت على حق عندما لم تَقبل بإضافة تعقيدات أخرى على عقيدة نيقية وخلقيدونيا، وقد دفعها الى ذلك تركِتُها من الثقافات الغير غربية، فحافظت بها على بعض من روح الرسالة المسيحية. ويشير غارودي في هذا الإطار الى أنه بدأت اليوم في الغرب كذلك محاولات للابتعاد عن التحريفات اليونانية للفكر المسيحي والتحريفات الرومانية للتنظيم المسيحي كمحاولات الأب لابيرثونيير المعارض منذ1904م، ورائد إخصاب العقيدة المسيحية بالروحانية الشرقية الأب مونشانين رغم كونه هيليني كبير.

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص78،97،111.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص18ــ19.

ويرى غارودي كذلك أن الإقليمية الغربية كفكر وسلطة كانت وراء الانشقاق البروتستانتي في عهد الإصلاح، وفيما وراء الخصومات الثانوية يرى غارودي أن سبب هذا الانشقاق هو انفجار الفردانية التابعة للرأسمالية على الصعيد الديني والتي ظهر في شكل الشمولية والكليانية الرومانية في الكنيسة والتي أصبحت لا تقبل بديل خارج النظام الروماني للشؤون الدينية والكنسية، فطالب الإصلاحيون بالعودة لِمَا قبل الرومان ولِمَا قبل الغرب والعودة لمسيحية يسوع الناصري، الذي لم تكن له علاقة بالفلسفة اليونانية والتنظيم الروماني[1].

وعند الكلام عن الإصلاح البروتستانتي الذي تزعمه مارتن لوثر في روما، يذهب غارودي الى أن هذا الإصلاح أدي الى قطع العلاقات مع الكنيسة الكاثوليكية من ناحية والى ظهور الصهيونية المسيحية من ناحية أخرى، ويُرجِع غارودي ذلك الى أن اللوثرية أبرزت عند ترجمتها للتوراة ملحمة العبرانيين كما هي اليوم في العهد القديم دون إخضاعها لنقد تاريخي، وأكدت على أنهم ورثة لوعد إلهي، وتتبُع غارودي لأعمال لوثر الموالية لهذه البداية أثبتت له أنه كان يهدف الى طرد اليهود من ألمانيا ويجده كَتب سنة 1544: "من يمنع اليهود من العودة الى أرض يهودا؟ لا أحد. سوف نزودهم بكل ما يحتاجون إليه في سفرهم ... لا لشيء إلا لنتخلص منهم. إنهم عبء ثقيل علينا. إنهم مصيبة كبيرة على وجودنا..". وهو ما فعله كذلك رئيس وزراء انجلترا أرثور بلفور الذي اتهمه اليهود بمعاداة السامية لحَده من هجرة اليهود لانجلترا، ثم توافقت أهدافه مع أهداف الصهاينة لتخصيص أرض وطرد اليهود إليها[2].

ويَلمح غارودي انشقاق أخر، حيث أنه منذ فقدان أنجلتر لأملكها الاستعمارية بعد أن كانت قوة عالمية عُظمى، وانحصرت الى حدود جزيرتها، وظهور النظام البرلماني سنة1215م وفشلت كل محاولاتها خلال قرن لاستعادت مستعمراتها من فرنسا أصبحت أنجلتر دولة جزرية، فسح فيها هنري السابع(1480ـــ 1509م)مكان متزايد لحكومات برجوازية، هذه الأخيرة قطعت تبعيتها للبابا سنة1534م، فكان الانشقاق الأنجليكاني، ككنيسة قومية[3].

---

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص184ـــ185.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص146ـــ147.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص387.

هذه الانشقاقات حتماً كانت ستقع حسب غارودي، نظراً لهذا الطريق الذي سلكته الكنيسة الغربية الكاثوليكية، ويوضح غارودي أن سبب هذه النتائج وهو الكمالية الكاثوليكية التي تتسم في جوهرها بالخلط بين ما هو أساسي في الرسالة المسيحية وبين قوالب ثقافية أو مناهج تأسيسية تم التعبير بها عن هذه الرسالة في لحظة من لحظات التطور التاريخي، تنقلب من خلالها هذه الثقافة أو هذه المناهج الى التسليم بها على أنها حقائق خالدة. وهذا ما حدث عندما تم التعبير عن الرسالة المسيحية في ضل التصور الافلاطوني أو الأرسطي للعالم والمعرفة رغم التناقض بينها وبين هذه الرسالة، وأدي إقرار ذلك المزيج على أنه حُكم إلهي الى اعتبار هذا الدين أفيون، بعدما أثبت التطور المعاصر للتقنيات والعلم والفن بطلان ذلك التصور للعالم وتلك النظرية للمعرفة وبدا وكأن هذا الحكم الإلهي يُعيق التقدم البشري بإعلانه التعارض بين الدين والدنيا وبين النضال والمحبة، وظهر على أن المراد من وراء ذلك الحكم هو المحافظة على مكانة الكنيسة وسيطرتها على كل مناحي الحياة وجميع شرائح المجتمع والشعوب[1].

وهذا ما يثبته التاريخ عند ذكر المذابح الدموية العارمة إبان الاحتلال الصليبي للقدس، ومحاكم التفتيش الكاثوليكية في اسبانيا الى غاية القرنين15و16 التي طالت المسلمين واليهود والمسيحيين(الهراطقة وغير الكاثوليك)ومذابح اليهود بأوكرانيا المسيحية والمجازر النازية للشيوعيين والكاثوليك واليهود. ويجد غارودي كذلك أنه سنة950م احتاح الجيش البيزنطي فلسطين بمباركة الكنيسة فقتلوا العباد ودمروا البلاد، وبدأت سنة1096م الحملات الصليبية الشعبية التي تمت تعبئتها من طرف البابا أوربان الثاني في اليوم العاشر من مجمع كليرمون فيرّان في تشرين الأول 1095م، الذي دعاهم الى الطريق المؤدية الى كنيسة القيامة بفلسطين لانتزاعها من العرق الملعون(ويقصد بهم اليهود قاتلي المسيح بزعمهم)وكان الهدف المخفي هو إرساء قواعد لكنيسة رومانية في الأرض المقدسة كي تكون قوة لفرض وحدة الكنيسة بزعامة البابوية الفاتكانية، في حين كان هدف الفرسان من رجال الإقطاع هو الحصول على إمارات في سوريا وفلسطين. وأُستخدم مبدأ الحروب الصليبية في القسطنطينية قلب المسيحية في الشرق أيضاً فنُهبت عام1204م، وكانت الإبادة المقدسة للمانوية عام1244م. فالنتيجة الحتمية التي تنجم عن إحياء

[1] ـــ غارودي، ماركسية القرن العشرين، مصدر سابق، ص254.

فكرة الشعب المختار وبناء أنظمة حكم ثيوقراطية تدعي استمداد سلطتها من الله، هو ظهور المذابح والحروب الدينية ومحاكم التفتيش وألوان الاستعمار والتفرقة العنصرية[1].

وفي الطرف الأخر قامت هذه المسيحية الغربية المشبعة بالهيلينية والرومانية بمواصلة ما تسميه الحرب المقدسة في اسبانيا رغم انتهاء الحروب الصليبية في الشرق، الى أن تم إسقاط غرناطة سنة1492م التي كانت آخر ممالك العرب المسلمين في إسبانيا والذين تم تقتيلهم و طردهم مع غيرهم من اليهود والمسيحيين غير الكاثوليك. وفي نفس السنة1492م كان نُزول المسيحيين في أمريكا الذي بدا وكأنه استمرار للحروب الصليبية حيث دُمرت حضارتي الأنكا والأزتيك، وقُتل الهنود الحمر وأُكرهوا على الأعمال الشاقة في أراضيهم التي اغتصبها الغزاة[2].

المطلب الثالث: الكنيسة في العصر الحديث.

تبدأ هذه المرحلة بعدما تربعت الكنيسة على أملاك إقطاعية في الغرب المسيحي وأصبح ذلك مدار اهتمامها، وتفطن في المدن التجار والمُعدمين لهذا الواقع وأيقنوا بضرورة الانقلاب عليه ورفضه للعودة الى إيمانهم المسيحي، وقد عمل لأجل ذلك طائفة من القديسين كالقديس فرانسوا داسيز. وانبرى آخرين لمقاومة النزعة الاستعمارية التي اتسعت في هذا العصر بمباركة الكنيسة من جديد، والتي قامت على نكران ثقافات العالم غير الغربية والسعي لتدميرها، فتواصلت إبادة هنود أمريكا، وبدأت تجارة الزنوج الأفارقة، وحرب الأفيون في الصين، واستغلال ثروات الشعوب واستعباد أهلها، وصولا الى هيروشيما التي أُعلن بها قدرة المخلوق على تدمير الخليقة والانتصار الكوكبي للموت كما قال غارودي[3].

وفي عصر العلم هذا ظهر تناقض الكنيسة، وفضحت حقائقها عندما تدخلت في أمور علمية واستغلتها، وكان الهدف دائما حسب غارودي هو فرض سيطرتها والتأكيد على نظرياتها وأحقيتها في الأمور كلها، فيجدها غارودي أصبحت تستدل بمذهب التطور البيولوجي على غائية

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص126ـــ150،130.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص278ـــ279.

[3] غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص114.

الطبيعة وأنها موجهة نحو اله كوني بعدما كانت ترفض هذا المذهب، وانتقلت من التصور القديم للمادة كجوهر الى تصورها الجديد كطاقة واعتبرته دليل ضد الفلسفات المادية لصالح الفلسفات المثالية وكأنها هي الدين، واستغلت اكتشاف اللاحتمية في الظواهر الميكروفيزياء للاستدلال على الخوارق والتدخل الإلهي الحر في الطبيعة[1]. وهو ما جعل أهل العلم والفلاسفة والمفكرين يفقدون ثقتهم كلياً في الكنيسة ويصطدمون معها. وانتقد بعضهم آراء الكنيسة ورجالها في أمور العلم وبكل صرامة وصراحة رغم عِلمهم بما سيلحق بهم من حرمان وهدر لدمائهم كما حدث لمن سبقهم، فقد سجل تاريخ الكنيسة ما فُعل بغاليلي الذي قُتل حرقاً لأنه قال بكروية الأرض وأن تدور حول الشمس، في حين أصر رجال الكنيسة على أن الأرض هي المركز. كما أصدر البابا أنيوسان الثاني في مجمع لاتران 1215م قرار حرمان لكل طبيب يعالج مريض قبل أن يعترف المريض لأن المرض في اعتبار الكنيسة ناتج عن الخطيئة[2].

وازداد تصادم الكنيسة بشرائح المجتمعات الغربية بالخصوص بعد أن حرمت النساء من حق التركات والإرث العائلي، فقد باركت شريعة الفرنج في مطاع القرن الرابع عشر الذي يَحرم المرأة من إرث الإقطاعيات وقد كانت الكنيسة قبل ذلك فرضت في مجمع لتران لسنة1139م التبتل(عدم الزواج)على رجالها كضمان لبقاء أملاك الكنيسة، بل أكدت الرسالة البابوية لسنة1967م أن الكهنوت لا يكون بدون بتولية. وعندما ظهرت تحركات نسوية للمطالبة بمراقبة الحمل وتنظيمه أصدرت الكنيسة رسالة بابوية سنة1968م باحترام نواميس الطبيعة، كما أصدرت قبل ذلك منع باستعمال لقاح ضد الجدري عندما بدأ استعماله لأنه انتهاك لنواميس الطبيعة ولإرادة الله. وفي مقابل تحريم الكنيسة للإجهاض والطلاق واستعمال حبوب منع الحمل حفاظاً على حياة الجنين، فقد كانت تبارك الحروب بل إنها لم تصدر منذ عهد قسطنطين ولو منع واحد لاستعمال الأسلحة دفاعاً عن الحياة من الحروب، بل على العكس تمت مباركة الحروب الصليبية وبعدها الحروب الاستعمارية، بل ذهب رجال الكنيسة لمباركة الأسلحة التي امتشقتها جحافل موسوليني المتجهة الى الحبشة وباركة الأسقفية الألمانية جحافل هتلر في حروبها. وقد

---

[1] ــ محسن الميلي، المشكلة الدينية، مرجع سابق، ص130.

[2] ــ أمينة الصاوي، جارودي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص169،242.

سميت الحملة الأمريكية في الفيتنام بجنود المسيح، ولم يصدر أي ادانة ضد الطغاة المستبدين في امريكا اللاتينية وهم من يرتكب الإبادات الجماعية بحجة الأمن القومي. ويحصي غارودي أن هذه الحروب قد دمرت منذ 1945م حوالي35مليون نسمة دون أن تحرك الكنيسة لأجل الدفاع عن الحياة ساكناً[1].

وفي هذا العصر ورغم غياب محاكم التفتيش وذهاب البابا بايوس العاشر المكافح ضد كل تجديد و البابا بايوس الثاني عشر صاعق القساوسة العمال في1954م، الا أن سياساتهم لا زالت تجد لها حماة، وهم من يسميهم غارودي حاملي لواء التعصب السلفي الكاثوليكي في عصرنا الحاضر. ورغم محاولة البابا يوحنا بولس الثاني والعشرين لتحييد الكنيسة وفتحها على العالم والاستجابة لمشاكل وحاجات الناس منذ المجمع الفاتكاني الثاني 1965م، الا أن الواقع يثبت غير ذلك ويؤكد فشل هذه المحاولات، فعلى الصعيد التنظيمي للكنيسة لا زالت تسيطر في الكنيسة الرغبة في الاستبداد وفرض قوانينها، وعلى الصعيد الاجتماعي هناك رفض لخيارات الفقراء والجماهير الشعبية ودعم للتيار المحافظ، أما على الصعيد السياسي فالكنيسة تدعم المركزية الاستبدادية، وعلى الصعيد الثقافي فلا يزال هناك تأكيد على المفهوم الغربي للتعبير على الإيمان وغيره من المعارف[2].

وضد هذه الكنيسة المستبدة ظهر الشك الساخر والرفض العقائدي الجازم، فبين القرن14 و18م نجحت الثورة الغربية التي خُتمت بالثورة الفرنسية في استبدال الدين والنظام الإكليريكي المنغلق بالمذهب الميتافيزيقي(فقد تميز هذا العصر بالبحث فيما وراء الطبيعة)ليبدأ بعدها منذ القرن18م عصر المذهب الوضعي وتحول العقل الى ديانة جديدة فأصبح العلم هو المقدس والعقيدة الجازمة، وطُبقت الحقائق والقوانين على الطبيعة والإنسان على السواء، وتم استيعاب السياسة في إطار يحاول أن يخدم الوضع الاجتماعي[3].

---

[1] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة؟، مصدر سابق، ص13، 18، 20، 22.

[2] ـــ غارودي، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مصدر سابق، ص19.

[3] ـــ غارودي، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مكتبة الشروق، القاهرة، 1996م، ص11.

ولان المنهجية كانت نفسها المعتمدة من قبل الكنيسة الغربية والمذاهب الوضعية العلمانية(الرأسمالية أو الإشتراكية) فقد كانت النتيجة في رأي غارودي نفسها وهي الدغماتية والطوباوية وإدعاء الكمال، ففشِل الجميع في الوصول الى الغايات الأخيرة، فقد كانت الأدلة المعتمدة في كل الحالات مستمدة من ترسانة العقلانية العاجزة واعتماد المفهوم والتصور الإنساني لله كمنطلق لكل مشروع حضاري، وفي الوقت الذي صورة الكنيسة الغربية الإله على أنه ملك كلي القدرة ومشرع للأخلاق وأنها الناطق الرسمي والوحيد باسمه وانشغلت بفرض سيطرتها عن التعريف بالله، في حين جعلته المذاهب الوضعية معنى مجرد ليس الا، وانشغلت بالبحث عن الوسائل دون الغايات. ويشير غارودي الى أنه رغم محاولات الكنيسة لتثبيت النزعة القسطنطينية كالمحاولة التي حدثت في المجمع الفاتيكاني الأول سنة1869م، الا أن النزعات القومية صدَّعت من أركان المسيحية، وبدأ منذ القرن19م يترسم الانفصال بين الكنيسة والدولة، وبدأت في المقابل محاولات لخلق مسيحية جديدة في مجمع منفصل بعيداً عن الكنيسة وعلى أصعدة متعددة فعلى الصعيد الإقتصادي ظهر مذهب اجتماعي للكنيسة وتكونت نقابات مسيحية، وعلى الصعيد السياسي تأسست أحزاب الديمقراطية المسيحية، وعلى صعيد التربية بدأ الدفاع عن المدارس الطائفية، الا أن هذه المحاولة فشلت في تحقيق أهدافها[1].

وانطلاقاً من المهمة التحريرية التي أُريد للكنيسة أن تلعبها بعد المجمع الفتكاني الثاني ففشلت في ذلك كمؤسسة رسمية، فقد نجحت الجماعات الكنسية في العالم الثالث وخاصة أمريكا اللاتينية في تحقيق ذلك، فقد ظهرت حركات تحريرية للدين و ما يسمي بلاهوتيات التحرير ارتكزت على رؤية متحررة للدين وعلى اختيار تبشيري إنجيلي يولي الأولوية للأكثر حرماناً. وربط هؤلاء بين تحرير الإنسان تاريخياً (التحرير الاجتماعي والسياسي)والتحرير من الخطيئة. الا أن الفاتيكان ورجاله لم يتوقفوا عن مهاجمه لاهوت التحرير ومحاصرة رجاله وحرمانهم من حقوقهم[2].

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص53،60.

[2] ـــ غارودي، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مصدر سابق، ص20.

إن عقيدة التحرر في نظر غارودي هي الأمل بالنسبة للعالم المسيحي اليوم، لتحقيق التغيير الجذري من جانبه وتخطي احتلال المساواة والعنف الفكري والتنظيمي والمادي، وهي الأمل لتجاوز إيديولوجية الحتمية سواء كانت دينية كاثوليكية طوباوية أو تقدمية علمية(الليبرالية منها او الديالكتيكية الاشتراكية)لا تعدوا أن تكون وضعية تقدم الوسائل ولكن تعجز عن تقديم الغايات الأخيرة. هذه الغايات التي يجد غارودي أن بإمكان لاهوت التحرير أن يوجه إليها المسيحيين انطلاقا من تثبيته للإيمان بالتسامي، تسامي من البحث عن الوسائل الى البحث عن الغايات ومن الغايات قبل الأخيرة والدنيوية الى الغايات الأخيرة. وبهذا اللاهوت التحرري يمكن حسب غارودي أن: "يتوقف الدين(المسيحية)عن الاستمرار كأفيون ومخدر للشعوب، يبرر الظلم والاضطهاد. وهذا يتم عندما يصبح الدين فاعلا في المجتمع بقيم الحب والإحسان والمساواة"[1].

المبحث الثاني: المجامع المسيحية.

إذا استطلعنا بعض الآراء في الدراسات المعاصر حول هذه المجامع نجد بالنسبة للغربيين أن الأب جورج فلورفسكي يرى أنه في الكنيسة القديمة لم تكن هناك نظرية مَجمعية ولا لاهوت مُحكم عن المجامع ولا نُظم قانونية محددة، فالمجامع الكنسية في القرون الثلاثة الأولى كانت أحداثا في ظروف طارئة لبحث أمور معينة تهم الجميع، أكثر منها مؤسسة. إلا أن الشعور بوحدة الكنيسة كان قويا في العصور الأولى، على الرغم من أن هذا الشعور لم يكن قد انعكس بعد على الصعيد التنظيمي...وبعد اهتداء الإمبراطورية أيام قسطنطين وحدث تعايش الكنيسة مع الإمبراطورية العالمية المسكونية المتنصرة أصبحت مسكونية(عالمية)الكنيسة مرئية أكثر منها في أي وقت مضى. وفي هذا الظرف التاريخي عُقد المجمع المسكوني الأول في نيقية، وصار نموذج للمجامع اللاحقة. ورغم أن مجامع القرن الرابع بقية اجتماعات إقتضائية(ردود فعل)أو أحداثا فردية، فإن الكنيسة اعترفت بها(ما عدى مجمع أفسس الثاني لسنة449م والذي يسميه الكاثوليك بمجمع اللصوصي لأن كنيسة الإسكندرية قالت فيه بالطبيعة الواحدة للمسيح يجتمع فيها اللاهوت والناسوت). ويذهب الأب جورج فلورفسكي الى أن ما تم الاعتراف به من المجامع لا لأهليتها القانونية بل لطابعها المواهبي، إذ شهدت بالروح القدس للحقيقة الموجودة في الكتاب المقدس كما

---

[1] ـــ غارودي، أمريكا طليعة الإنحطاط، مصدر سابق، ص160ــ163.

سُلم في التقليد الرسولي، ومن ثمّ يقول الأب فلورفسكي أن: "حكم الكنيسة كان انتقائيا الى أبعد الحدود، وانه لم يكن المجمع فوق الكنيسة.. فهي احتكمت دائما الى مجامع خاصة أو بالأحرى الى(إيمان)هذه المجامع وشهادتها"، وبرزت الحاجة إلي المجامع لَمَّا ظهر الاختلاف بين التقاليد المحلية والتي تراكمت مع تفسيرات الكتاب إبتداءاً من العصر الرسولي، كالخلاف الفصحى بين روما والشرق ومشكلة العادات القديمة، كذلك الصراع بين روما وقرطاجة وبين روما والإسكندرية في القرن3م والتوتر بين الإسكندرية وأنطاكية في القرن5م، فكان الصراع اللاهوتي الحاد الذي احتكم فيه كل طرف الي القديم من تقليده المحلي، فكان لابد من سلطان الإجماع المسكوني[1].

أما بالنسبة للدراسات الإسلامية حول المجامع المسيحية فنجد أبوزهرة وصل الى أن علماء المسيحية يقولون بأن المجامع هي جماعات شورية رسم رُسُلهم نظامها في حياتهم بعقدهم مجمع أورشليم بعد ترك المسيح لهم ب22 سنة. ويرى ان المجامع عندهم قسمان: مجامع عامة(مجامع مسكونية تجمع رجال الكنائس المسيحية من كل أنحاء المعمورة) ومجامع مكانية(تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دائرتها الخاصة مع أساقفتها وقساوسها لإقرار أو رفض عقيدة عامة). بينما يقسمها صاحب كتاب سوسنة سليمان الى ثلاثة أقسام: مجامع عامة(مسكونية) ومجامع محلية(خاصة بطائفة دون غيرها)ومجامع إقليمية(خاصة بإقليم مخصوص)[2].

في حين يتطرق غارودي الى المجامع كما هو شأنه مع باقي مباحث الديانة المسيحية بشكل مجمل، الا أنه يمكن أن نميز عنده الى تجديد حدث مع المجامع المعاصرة(منذ المجمع الفتكاني الثاني)ويرى أن ما سبقه أخذ نفس السياق كمجامع عامة لتوحيد الرؤى وتنظيم شؤون الكنائس. فما هي القضايا التي يحاول غارودي إبرازها مع المجامع؟.

[1] ـــ الأب جورج فلورفسكي، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد، مرجع سابق، ص124ـــ131.

[2] ـــ أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص194ـــ195.

المطلب الأول: المجامع العامة والتنظيمية.

وأول المجامع المسكونية، هو مجمع نيقية[1] الذي انعقد عام 325م بحضور314من الآباء، للنظر في رأي آريوس[2] القائل: "إن الابن صدر عن الآب كالخليقة الكاملة وتلقى كيانه من الآب كسائر المخلوقات". وانتهوا الى صياغة قانون الإيمان النيقاوي المعروف والمستعمل اليوم في العالم المسيحي أجمع:(أومن بإله واحد الآب الضابط الكلّ، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق). فأثبت هذا المجمع ان يسوع هو الإبن المساوي للآب في الجوهر، أي ان كل ما للآب هو للإبن ما عدى اسم الآب. وفي هذا المجمع يجد الأب فيكتور شِلحُت(وهو من المعاصرين في المذهب اليسوعي) إقرار بمبدأ نموّ العقيدة(أي مبدأ التنامي في فهم الإثباتات الدينية الأولية الواردة في العهد الجديد)، والذي لا يقوم بإثبات حقيقة جديد بل إيجاد طريقة جديدة في فهم الحقائق والإثباتات الكتابية السابقة وصياغتها[3].

أما غارودي فيرى أنه في مجمع نيقية انقسمت المسيحية، هذا المجمع الذي دعا له الإمبراطور الروماني قسطنطين ليضفي على إمبراطوريته وحدة إيديولوجية بفرض عقيدة الثالوث ووحدة الجوهر في الاقانيم الثلاثة، ودان أريوس كاهن الإسكندرية الذي اتُّهم بعدم قبول هاتين العقيدتين. وبذلك بدأ انقسام المسيحيين، ومنذئذ تكاثرت الهرطقات بصدد الطبيعة المزدوجة لعيسى المسيح. فهناك النسطورية(نسبة الى نسطوريوس راهب أنطاكية الذي أصبح أسقف قسطنطينية عام428م)التي ترى أن عيسى المسيح إنسان، وترفض ان يكون الله قد عانى الآلام وترفض اسم(أم الله)لمريم العذراء، وفي القطب الثاني نظرية الطبيعة الواحدة التي أعلنها

[1] ــ نقية هي مدينة في آسيا الصغرى انعقد فيها أول مجمع مسكوني تحت إشراف الإمبراطور قسطنطين الكبير(275م - 337م). أول إمبراطور روماني يدخل النصرانية، ويُعرف أيضا باسم قسطنطين الأول.

[2] ــ آريوس (256؟ - 336م). قس إغريقي من سكان الإسكندرية، بمصر، أنشأ في حوالي عام 318م مذهبًا لاهوتيًا نصرانيًا يعرف بالآريوسية، أكد فيه أن المسيح مخلوق وليس إلهًا. وكان يؤمن بالوحدانية ويقر بنبوة عيسى عليه السلام، لا بألوهيته، كان مدير مدرسة الإسكندرية الشهيرة في تفسير الكتاب المقدس، ويذكر أن أصله من ليبيا.

[3] ــ الأب فيكتور شِلحُت، مسألة الله في التاريخ، مرجع سابق، ص27ـــ29،38.

الراهب(إوتيش)في القسطنطينية عام447ــ448م، والتي تقول بأن عيسى المسيح ذو طبيعة واحدة (إلهية)[1].

كما يعتبر غارودي انه في هذا المجمع(نيقيا او نيسبيه)ظهرت مسيحية جديدة وبمفاهيم ومعاني جديدة، ذلك ان المسيحية كانت ثورة كبرى في فكرة الله عند الإنسان، فبعد أن كان الله ملك حاكم قدير وقاس، جاء المسيح ليعطي فكرة أخرى عن الإله، فكرة التسامي الديني الملازمة لفكرة التجرد والحرمان حتى انه جسدها في العجز الإنساني وحتى في الموت بل وفي الصلب الذي هو أكثر أشكال الموت مذلة فهو موضوع للعبيد. جاء قسطنطين الذي استخدم مظاهر خارجية بغية تعزيز وحدة إمبراطوريته فحول الديانة الى تعابير وقوانين لا يفهمها أحد ولا توجد في الأناجيل، كوحدة الجوهر في الأقانيم الثلاثة، فميز بها ديانة مسيحية رومانية لا يمكن فهمها إلا من خلال مفاهيم الحضارة اليونانية. فيخلُص غارودي الى ان مجمع نيقيا كان هزيمة كبرى للمسيحية التي أصبحت يونانية فكرا ورومانية قوة، حتى أن النظام الكهنوتي للكنيسة سوف يتبع نفس التدرج الإداري والسياسي للنظام الإمبراطوري الروماني. أما قسطنطين فلم يكن مؤمنا ولم يكن هذا الأمر يشغله، فهو لم يُعمَّد الا يوم وفاته ولكن الكنيسة جعلت منه قديساً. وأكبر تحول عن المسيحية الأولى هو أن عبارة المسيح الثورية(دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)تحولت الى عبارة محافِظة(نسبة للمحافظة على ما هو قديم أو أصيل)في خدمة الإمبراطورية، وتعني عدم التدخل في أمور السلطة مهما كانت أفعالها، وتحول الإيمان الى قضية ذاتية داخلية، لا تأثير لها على الواقع، فقد أصبح حصر الإيمان المسيحي في معتقدات مذهبية جامدة بعد ان كانت عقيدة مفتوحة وخلاقة[2].

ففي هذا المجمع تحولت تجربة الحب التي يلمسها غارودي في حياة يسوع الناصري، والتي لم تكن في رأيه تجربة إله مشرع مهيمن ومقتدر(كما جاء في العهد القديم)، بل هي تجربة إله صورته الإنسانية هي صورة حب إنساني غير مقتصر على اثنين، بل منفتح على الغير وعلى الناس أجمعين، إن هذه التجربة قد صيغت في هذا المجمع(نيقية)بلغة الفلسفة الإغريقية وثقافتها الغريبة

---

1 ـــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص25.

2 ـــ رامي كلاوي، غارودي، من الإيمان الى الإلحاد، مرجع سابق، ص200ــ202.

كليا عن الوحي النصراني الأساسي الذي قال به يسوع، فبعد أن كانت تجربة سهلة المنال، في متناول الجماهير الشعبية، فأصبحت مع فلسفة أرسطو واللغة الإغريقية تجريد غير مفهوم وضحية نقاشات بيزنطية بين طوائف دينية متناحرة[1].

كما يعارض غارودي اتهام الإيمان المسيحي بأنه إيمان بثلاثة آلهة، ويعتبر أن سبب هذا الاتهام هو الصيغة الهيلينية (الفلسفة اليونانية البزنطية)عن الثالوث المنبثقة عن هذا المجمع تفتح المجال بغموضها لجميع الالتباسات ولهذا الاتهام، فقد وجد غارودي أن المسلمين متمسكين به عند نقدهم للمسيحية، وهو يؤكد أن هناك غموض وغبش لم يستطع حتى المسيحيين تجاوزه والذي ولد أكثر من هرطقة في المسيحية[2].

وتحت عنوان(مجمع نيقية مولد لاهوت السيطرة)يسرد غارودي أحداث دامية في تاريخ المسيحية، بداية بقسطنطين الذي قتل جل أفراد أسرته، وسلسلة الجرائم والاضطهادات، وكان أبرزها الحرب ضد الهرطقة في إسبانيا. وكذلك فعل أغسطين أسقف قرطاجة في القرن4م بمساندة إمبريسيوس أسقف ميلانو، فقد لجأ للقوات الرومانية من أجل بث الرعب وإبادة المسيحيين، لا سيما أنصار الحزب الدوناطي والثوار من العمال الزراعيين في شمال أفريقيا. وكذلك اضطهد الأسقف نسطوريوس فقد عزله القديس سيريل(المناصر للأرثوذكس)الذي حصل على أمر بنفيه واستبعاده الى صحراء مصر، حيث توفي عام450م. وكذلك تم إدانة زعيم مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح(المعارض للأرثوذكس)وأرسل الجيش الروماني لقمع الجماهير الشعبية المتضامنة معه. ورغم ذلك امتد تأثير هذا المذهب الذي يعتبره غارودي توحيدي الى النوبة (منطقة من مناطق إفريقيا القديمة تشكل جزءاً من أرض السودان الآن) وجنوب آسيا[3].

ويشير غارودي الى انه في مجمع نيقية أخذت المسيحية طابعا إقليميا، ذلك لأن الكنيسة الغربية صاغت تجربة الحضور الإلهي في يسوع بصيغ الفكر اليوناني المترجم الى اللاتينية،

---

1 ـــ غارودي، وعود الاسلام، مصدر سابق، ص33.

2 ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص29.

3 ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص100ـــ101.

ذلك ان الذي دعي إليه رجل سياسي(وهو قسطنطين)لا رجل إيمان، وما كان يهم هذا الإمبراطور هو توحيد إمبراطوريته. فجعل يسوع الابن من نفس ماهية الأب، لا يمكن ترجمته الى أيه لغة أسيوية مثلا، بل إنه ليس لهذه الصيغة معنى خارج نطاق الثقافة اليونانيةـــ اللاتينية. وهو السبب في ظهور جميع هرطقات العصور الأولى[1].

أكثر من ذلك فقد تجلى التشويه الذي حدث للمسيحية في مجمع نيقية، في أنه أصبح ينظر الى المعذب المصلوب(يسوع) بمنظور السلطة الإمبراطورية الرومانية والفلسفة اليونانية، وراح يتجلى على القباب الذهبية الضخمة في بيزنطة في ملامح السيد الحاكم القوي لا في ملامح الرسول الهائم في فلسطين، بل إنه ظهر في إحدى لوحات الموزاييك على هيئة قائد بيزنطي[2].

ويشير الأب برنار سيسبويه[3] الى هذا التحريف الذي جاء مع قرار المجمع النيقاوي، وقد كان أبعد من أن يسعى الى التسوية التي ستعيد السلام. فقد حدث على إثره شك فاضح في العالم المسيحي اجمع، ذلك ان كلمات من الفلسفة اليونانية أُدخلت في لب قانون الإيمان، وبعد ان يتساءل الأب برنار: ألم تعد كلمات الكتاب المكرسة كافية؟، يقول: "إن تلك الكلمات اليونانية كانت هي ذاتها كلمات الحكمة البشرية المنتفخة إدعاءاً وكفراً، فيما كانت تجابهها حماقة الصليب.. فالمجمع أحدث بذلك ثورة صغيرة"[4].

ويقف أبوزهرة بعد الذي تقرر في مجمع نيقية على مغالبة قوية بين التوحيد وتأليه المسيح، الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان وسعة الحيلة، أما الثانية بقوة السلطان وبقايا الوثنية، والذين كانوا متأثرين بها ويألفونها، ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول، وأخذ

---

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص181.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص114.

[3] ـــ ولد برنار سيسبويه عام 1929م، في مقاطعة السارات بفرنسا، رسم سنة1960م كاهناً في الرهبانية اليسوعية، درس اللاهوت عشرة سنوات في كلية فورفير بليون، ثم إنتقل الى تدريسه في مركز سيفر بباريس.

[4] ـــ الأب برنار سيسبويه، الإنجيل الحي في الكنيسة، تر، الأب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3، 1997، ص45.

أساقفة السلطان يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام وإلهامات يزعمونها، حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ، و لم يبدوا على السطح إلا ألوهية المسيح[1].

ومن المجامع العامة التي يقف عندها غارودي كذلك نجد مجمع خلقيدونيا، الذي يذكره غارودي في نفس صياغ ذكره لمجمع نيقيا، ذلك أن مجمع نيقيا موجه للهجوم على الهرطقة الأريوسية(عام325م)، وجاء مجمع خلقيدونيا(451م)للهجوم على النساطرة، وهكذا انصبت حملات الاضطهاد على الهراطقة(أريوسيين ونسطوريين والقائلين بالطبيعة الواحدة) فجميعهم رفضوا القبول بذلك التعريف للثالوث المقدس، الذي كُرِسَ مذهباً رسميا، رغم عدم استيعاب الناس من غير اليونانيين لهذا التعريف[2].

كما يعتبر غارودي أن مجمع خلقيدونيا على غرار مجمع نيقيا، جاء ككل هذه المجامع محاولات للإجابة على الأسئلة التي تطرحها التجربة المسيحية على الفلسفة اليونانية، تجربة الإنسان والإله الذي هو حب، والتي يرى غارودي أنها تتضح تمام الوضوح في الثالوث. الا أن إجابات هذه المجامع التي عرفت الثالوث في اللغة اليونانيةـ اللاتينية، أضفت الالتباس والغموض، فتطلب الأمر ثلاثة قرون من احل محاولة انسياب هذه الحقيقة الجديدة[3].

وقد خرج هذا المجمع بصيغة قيل فيها(إننا نُعلم الجميع، بصوت واحد، أنه يجب أن نعترف بابن واحد هو الابن بالذات، سيدنا يسوع المسيح، الله حقا، والإنسان ذاته حقاً، مولود من الآب قبل كل الدهور، لكنه في آخر الأزمنة، لأجلنا ولأجل خلاصنا. مولود من مريم العذراء، أم الله، مسيح واحد بالذات، ابن، رب مولود أحد)وقد اختصرت في قولهم(شخص واحد في طبيعتين)[4].

---

[1] ـــ أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص206.

[2] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص117.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص183.

[4] ـــ الأب برنار سيسبويه، الإنجيل الحي في الكنيسة، مرجع سابقن ص53.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولذلك كان قرار هذا المجمع كما يستخلص ابوزهرة السبب في انفصال كنيسة مصر عن الكنيسة الغربية، فقد كانت كنسية مصر تعتقد ان(الله ذات واحدة، مثلثة الأقانيم(الأب والابن والروح القدس)، وأن الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، فصيَّر هذا الجسد معه واحداً، وحدة ذاتية جوهرية مترهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة)وبهذا الاعتقادات خالفت قرار خلقيدونيا[1].

وفي المجمع الديني الثالث في القسطنطينية في عام680م، يجد غارودي أنه وبإيحاء من مكسيم المرشد تم التأكيد على التشبيه والتجريد التصوري(من الفلسفة اليونانية)في العلاقة بين يسوع والله، و لم يرق التطور في تصورهم لهذه العلاقة الا بعد أن جعلوا الإرادة الإنسانية ملتحمةً بالإرادة الإلهية، وان هاتين الطاقتين بإمكانهما ان تتداخلا من دون اختلاط. في حين انه كان بالإمكان التعبير عن العلاقة(علاقة الإنسان بالله)التي كشف عنها يسوع الناصري، في الثقافات الأخرى من غير اليونانية، فهي علاقة مع الآخرين، هذه العلاقة التي يؤكد عليها غارودي كونها الأساس المهم للحوار الذي يدعوا إليه، ولا يمكن أن تتحقق علاقة للإنسان بالله، الا إذا تحققت علاقته مع ذاته، حيث لا يستطيع الإنسان أن يكون إنسانا إلا بالحوار والمشاركة والاتصال مع الآخرين ككل متكامل[2].

ويتعرض غارودي كذلك إلى مجامع أخرى، كمجمع أنطاكيا(268م)، والذي أدان العقيدة الغنوصية، وأعلن حرمان ونفي بولس أسقف أنطاكيا واتهامه بالهرطقة لاستخدامه كلمة(omoousios: أي أن الابن خلق من جوهر الأب)، التي لا وجود لها سواء في العهد القديم أو العهد الجديد[3]. إلا أنه وبعد خمسين عاماً من التردد في استخدام هذه الفلسفة الغنوصية، تم استخدامها في مجمع نيقيا عام 325م.

1 ــ أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، مرجع سابق، ص214.

2 ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص181ــ182.

3 ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص96.

أما مجمع آرل عام 314م، فيأسف غارودي أنه ضُرب بقراراته عرض الحائط، خاصة القانون الثالث المقدس الذي يطبق المبدأ الإنجيلي(لا تقتل)، حيث أصدر الإمبراطور الروماني ثيودوس أمر بحرمان ونفي كل الجنود الذين يطبقون هذا القانون، رغم أنه أصدر مرسوم قبلها يمنع قتل الأطفال. ومن ثمّ فلاهوت السيطرة كان هو الغالب في التعاملات وقرارات الرومان رغم ما وافقوا عليه وباركوه من مجامع[1].

وفي مجمع غانفر سنة358م، يشير غارودي الى دور الكنيسة المتكرر لخدمت الأنظمة المهيمنة، ففي هذا المجمع حَرَمت الكنيسة كل من يتكلم بإزالة العبودية، وقد خدم هذا القرار السلطة والطبقة الحاكمة والمستغِلة دائما، وأصبح حجة لهم لتبرير الخضوع للقوة وللأسياد ولكل ما تفعله وتقرره السلطة الحاكمة، وبدون حسيب أو رقيب[2].

ومن المجامع المهمة في تاريخ المسيحية والتي يتعرض لها غارودي مجمع لاتران لسنة1139م، فقد كرس التبتل، لا على انه دعوى مستحبة بل إلزاماً يكون الكهنوت بدونه مستحيلا(وقد كررت هذا الإلزام الرسالة البابوية عن التبتل والكهنوت سنة1967م)هذه الفكرة التي لا تستند إلى أي أساس إنجيلي، ويكشف غاردي أنها تتفرع عن الحرص الخسيس، الذي تجلى من القرن4 حتى القرن14، لألا تنتقل أراضي الكنيسة وأملاكها إلى غيرها نتيجة التركات والوراثات العائلية، فيكون فيها ضمان لبقاء تركات الكنيسة[3].

كما يشير غارودي الى مجمع لاتران لسنة1179م(فقد عقد في مدينة لاتران عدة مجامع تاريخية)، والذي أدان القديس (حواشيم دي فلور)بسبب تكوينه في إطار ما سماه(بالإنجيل الأبدي)مملكة روحية دينية خارج نطاق الكنيسة، هذا الأخير الذي يُعتبر من ابرز أعمدة التيار الذي يدعي الحفاظ على الحياة الحقيقية ليسوع، إضافةً الى: (سان فرانسو داسيز ويوحنا الصليبي

---

[1] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص100.

[2] ــ رامي الكلاوي، روجيه غارودي من الإيمان الى الإلحاد، مرجع سابق، ص53.

[3] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص17ــ18.

وباسكال)الذين عاشوا حسب غارودي حياة مثل حياة منعزلي بورت رويال بعيدا عن أي تواطؤ مع السلطات الكنسية[1].

في حين أن كلام غارودي عن مجمع لاتران المنعقد عام1215م، ينصب حول توفيق تلفيقي بين التوحيد عند المسلمين والذي احتوته سورة الإخلاص في القرآن الكريم: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ (4))مع كون الله(أب وابن وروح قدس)، فهو يعتبر أن هذه العبارة الأخيرة هي حقيقة معنى لم يلد ولم يولد في القرآن[2]. ويؤكد غارودي فكرته هذه في موضع أخر، فالمسيحية عنده لا تقول شيئاً أخر غير التوحيد، ويرى أن هذا ما يجده في نص مجمع لاتران الذي دان مفهوم(جواشيم دي فلور)عن الثالوث، هذا النص الذي يقول:(إن الحقيقة العليا هي في آن واحد آب وأبن وروح قدس، وهذه الحقيقة لا تلد ولا تولد ولا تنبثق من غير ذاتها)[3]. والثالوث الذي قال به جواشيم دي فلور يصور الإله الواحد وكيفية انتشاره في التاريخ على ثلاث مراحل: (بداية بعصر الأب وهو عصر القانون وكان قبل ظهور يسوع المسيح والقانون تمثل في الشريعة اليهودية، ثم عصر الابن وهو عصر الغفران الذي جاء به المسيح، ثم عصر الروح القدس بعد صلب المسيح والذي سيكون عصر الحرية والتبشير)وقد خشيت الكنيسة من أن يلغي هذا التصور سلطتها، وسلطة رجال الدين فيها فحَرَمته[4].

وفي كتابه الإسلام دين المستقبل يجد غارودي أنه في مجمع لاتران لسنة1251م، استصدر البابا أنيوسان الثاني قرار تحريم وفيه أن: (كل طبيب يعالج مريضاً، قبل أن يعترف هذا المريض، يقع تحت طائلة الحرمان. لان المرض ناتج عن الخطيئة). وهكذا كانت الكنيسة قد سدت

---

[1] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص105.

[2] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص18.

[3] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص29.

[4] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص149.

الطريق في الطب وكذلك فعلت مع باقي العلوم وهو ما جعل أوربا تتخبط في غياهب الجهل والظلام طيلة القرون الوسطى[1].

وفي مجمع فينا الديني لعام1312م تقرر إنشاء مجموعة من الكليات للغة العربية في كل من(باريس وإكسفورد وبولونيا وأفينيون وسالامتك) وقد جاء هذا القرار بعد اقتراح الراهب الكاثوليكي(رامون لول:1234ـــ1316م) الذي جاب إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط فأدرك أهمية اللغة العربية في بعثاتهم التبشيرية(الإستشراقية)والتي يعتبر غارودي أنها كانت البديل عند الغربيين للسيطرة على العالم بعد إخفاق الحملات الصليبية[2].

أما مجمع ترانت(1545ـــ1563م)فقد جاء أثناء الإصلاح الديني المضاد للكنيسة الكاثوليكية بعد هجمة البروتستانت، وقد انبثق عنه التعليم الديني لسنة1922م،هذا الأخير تشبث على حد قول غارودي بالأساس النظري للممارسة العملية المحافِظة للاهوت السيطرة البولسي، والذي اخذ عنه التعليم الديني للقديس(بيوس الخامس والذي يُجله لينيغر البابا الحالي للفاتكان)، فكتاب التعليم الديني لسنة1992م يقول: (إن مجمع ترانت يشكل مثلاً.. عملاً من الطراز الأول كمختصر للعقيدة المسيحية)[3]. وقد ورَد هذا النص(نص مجمع ترانت) في تعليم 1992م للبابا يوحنا بولس الثاني، والذي يستند بدوره إلى رسائل القديس بولس(فليبي14/2: الله يعمل فيكم ليجعلكم راغبين وقادرين عن إرضائه) وفي(رومية 6/11: الاختيار بالنعمة) وكذلك(أفسس8/2: بنعمة الله نلتم الخلاص بالإيمان، فما هذا منكم، بل هو هبة من الله). وهكذا ساد الاعتقاد بأن كل ما يحدث في حياة البشر من أحداث تخضع لمبدأ: (الإرادة الإلهية التي تلغي كل مسؤولية للبشر)الذي روج لفكر كان له آثار سلبية عبر تاريخ أوربا المسيحية[4].

[1] ـــ غارودي، الإسلام دين المستقبل، ص103، نقلا عن خيرية السقة، الإسلام والعروبة، مرجع سابق، ص271ـــ272.

[2] ـــ غارودي، الإسلام دين المستقبل، نقلا عن أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف، غارودي والحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص249.

[3] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص194ـــ195.

[4] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج2، مصدر سابق، ص92.

وهذا ما يشير إليه فاضل سيداروس (المُحاضِر في معهد الدراسات اللاهوتية بالقاهرة، كلية العلوم الدينية)، فمجمع ترانت تطرق لقضية لاهوت النعمة والتبرير الذي أصبحت تركز عليه الكنيسة مع لاهوت الأسرار واللاهوت الكنسي[1]. ورغم ان هذا المجمع وقف على إشكالية تقرير الكنيسة الكاثوليكية لعقائد جديد دون الاكتفاء بعقائد القرون الأولى. فقد أكد هذا المجمع على أن الكنيسة رسوليه على مستوى ثُلاثي: من حيث المصدر(فمصدره الرسل) ومن حيث العقيدة(فهي أمينة لعقيدة الرسل) ومن حيث الخلافة(فالأساقفة خلفاء الرسل)، وجاء هذا التأكيد بعد أن أُهمِلت في الكنيسة تدريجيا المصدرية والعقيدة الأولى[2].

أما عن المجمع الفتكاني الأول لعام1869م، فيجد فيه غارودي التأكيد للنزعة القسطنطينية التي صدَّعت أركان المسيحية من جراء القوميات[3]. وقد تم في هذا المجمع تحديد العقيدة الكهنوتية والرئاسة البُطرسيّة قُبيل انفضاض الآباء سنة1870م بسبب الحروب[4]. إضافتاً الى أنه تقررت فيه عقيدة: (العصمة البابوية)، ولم يختم هذا المجمع أعماله بسبب الحروب فلم يبرز دور الأساقفة[5].

وهكذا كانت كل المجامع السابقة بغض النظر عن كونها مسكونية عالمية أو محلية، فقد اعترفت الكنيسة العالمية بأغلبها بعد ذلك إلا ما خالف آراءها، فقد تميزت إجمالاً بطابع التأصيل للمعتقدات وتوحيد الرؤى، وإقرار رأي واحد تلزم به الجميع، وقد أكد غارودي أن ذلك تم غالباً بقوة السلطان لا بقوة الحجة والدليل، وفي المقابل تم فرض سياسات الأنظمة الحاكمة من خلال قرارات المجامع، والتي كانت الإطار والغطاء الديني لقرارات سياسية لا تمت الى حقيقة

[1] ـــ الأب فاضل سيداروس، يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، مرجع سابق، ص129.

[2] ـــ الأب فاضل سيداروس، من أنت ايتها الكنيسة؟، مرجع سابق، ص232.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص60.

[4] ـــ الأب فيكتور شِلحُت، مسألة الله في التاريخ، مرجع سابق، ص92.

[5] ـــ الأب فاضل سيداروس، من أنت ايتها الكنيسة؟، مرجع سابق، ص239.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المسيحية ودعوة يسوع المسيح بصلة. ويلتمس غارودي فيما جاء بعد هذه المجامع نفحات التجديد، فأين يكمن ذلك في رأيه؟.

المطلب الثاني: مجامع التجديد.

وأول مجامع التجديد في رأي غارودي هو المجمع الفتكاني الثاني(1952ــ1956م)وهو أكثر المجامع التي تكلم عليها غارودي، ذلك لان ما تقرر فيه يخدم كثيراً مشروعه الحضاري الإنساني، وقد أعلن عن انعقاد هذا المجمع البابا يوحنا الثالث والعشرين في عام1959م، بُغية خلق مناخ جديد في الكنيسة ومواجهة ما طرأ على العالم من متغيرات فكرية وعلمية واجتماعية خلال القرن الأخير، وما خلفته تلك المتغيرات في الكنيسة من لامبالاة وارتداد عن الدين، وما أحدثت في المجتمع من أزمات اقتصادية وسياسية وأخلاقية. وقد انعقد هذا المجمع في تشرين الاول1962واستمر حتى كانون الاول1965م، وكانت مهمته تحديث الكنيسة الكاثوليكية ونفض ما تراكم عليها من غبار بإعادة النظر في أنظمتها وتوجّهاتها الرعوية والرسولية لتلاءم العصر وحاجياته، وقد أسفرت أعماله عن صدور ستّ عشرة وثيقة مجمعية تناولت قضايا الكنيسة العقائديّة والليتروجيّة والرعويّة والرسوليّة[1].

وقد نالت الكنيسة في هذا المجمع النصيب الأوفر من النصوص، واهم هذه النصوص: الدستور العقائدي في الكنيسة (وسمي نور الأمم)، والدستور الرعوي(الكنيسة في العالم المعاصر والذي سمي الفرح والرجاء)والقرار المجمعي في الحركة المسكونية والمرسوم في الكنائس الشرقية والتصريح عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية والمرسوم في النشاط الكنسي التبشيريّ والمرسوم في مهمة الأساقفة الرعوية، فلم يخلوا نص من نصوص المجمع من التطرق الى الكنيسة بشكل أو بآخر، حتى قال أحد لاهوتيي المجمع إن القرن العشرين: (قرن الكنيسة). ومن ذلك أن الدستور العقائدي في الكنيسة يبدأ بكلمتي(نور الأمم)حيث إن يسوع نور العالم، وبالتالي تصبح الكنيسة كذلك نور الأمم، وقد ركز المجمع هنا على الثالوث كمصدر للكنيسة، رغم أن الكنيسة تعتبر هذا الموضوع إيماني أكثر منه موضوع عقائدي، إلا أن هذه النظرة أخرجت الكنيسة الكاثوليكية من لاهوت مبني على إله الفلاسفة المجرد الى نفحة الآباء(فأصبحت كنيسة الثالوث

[1] ــ الأب فيكتور شلحُت، مسألة الله في التاريخ، مرجع سابق، ص89ــ90.

الاقدس) وقد أكد هذا الدستور أن سر قصد الآب قد أعلنه يسوع المسيح وحققه فعلا في الروح القدس، وأن هذا الإعلان والتحقق يتم في داخل الكنيسة فأعاد الإيمان المسيحي الى إيمانه بالله~الثالوث لا إيمان بالكنيسة كما جاء في قوانين الإيمان (المعروفة بالتقليد الرسولي لهيبوليتس الروماني لعام215م). وقد أستخدم هذا المجمع كلمة(سر)للدلالة على الكنيسة(هذه الكلمة التي تستخدمها الكنيسة الشرقية لإظهار اللاهوت في الناسوت في حركة انحدارية انطلاقا من الله نحو الإنسان)، واستخدم كذلك كلمة(آية) للتعبير عن الكنيسة(وهذه الكلمة تستخدمها الكنيسة الغربية لإظهار اللاهوت في حركته الارتقائية انطلاقا من الإنسان نحو الله) فاظهر المجمع بذلك التكامل بين الحركتين والكنيستين، وان الكنيسة هي في آن واحد: (سر/آية) و(إلهية/بشرية)إنها تأتي من الله فهي سر، وإنها تُظهر الله للبشر إذ تعود إليه فهي آية وبدون أي انفصال بين الحقيقتين. كما أشار المجمع الى علاقة الكنيسة بإسرائيل وكيف أنها علاقة اتصال وانفصال معا، فعبر عنها باسم الشعب المسياني وجَعل رئيس هذا الشعب هو المسيح، وشريعته هي المحبة ووضعه هو كرامة أبناء الله وحريتهم وغايته هي الملكوت. ثم في هذا المجمع اُعتبرت الكنيسة بأجمعها(شعب الله)بما فيها من سلطة كنسية وعلمانيين هم عامة الشعب الواحد المتحد ويأتي في داخل هذا الشعب التمييز بين الدرجات المختلفة من بابا وبطاركة وأساقفة وقساوسة وعلمانيين[1].

ويعتبر غارودي أن في المجمع الفتكاني الثاني طلوع فجر ذهبي لأمل كبير، أمل بكنيسة منفتحة على العالم وقلقه عليه، وأمل بحوار مع إيمان جميع الناس. لكن ثقل التقليد الإمبراطوري الروماني قد أغلق هذه الفُرحة، وأعاد الأصولية التقليدية للاهوت السيطرة ضد لاهوت التحرر، لقد كان الاب كارل راهنر في المانيا والاب شينو في فرنسا من محرري الدستور الأكثر تجديداً في المجمع الفتكاني الثاني، كانا من دعاة الانفتاح على الإنسان وعلى العالم، بعيدا عن اللاهوت الذي يسيطر عليه الفكر اليوناني، والمتركز الى مطلع القرن20على فلسفة مدرسية حديثة وعلى تصور

[1] ــ الأب فاضل سيداروس، من أنت ايتها الكنيسة؟، مرجع سابق، ص7،22،23،40،41،44،56.57.59.

كنسي مركزي. وكان الاب تيلار دي شاردان رائد روح هذا المجمع يريد ان ينتقل من مسيحية ازدراء العالم والهروب بحجة ان فيه الخطيئة الى مسيحية التجاوز والتطوّر والبناء[1].

كما يولي غارودي أهمية بالغة للاقتراح الذي تقدم به القس حداد العلاج في الجلسة الأخيرة للمجمع الفتكاني الثاني لتجنب التطرف البحت ذو الخلفية الدموية، وذلك بتحديد مفهوم فكرة(الشعب المختار)الذي يعتبر الشعوب الأخرى(الغير مختار)شعوب لإله غير عادل يقوم بالتفرقة العنصرية، فاقترح القس استبدال عبارة(شعب الله)التي أصرت الكنيسة الكاثوليكية في هذا المجمع على إعادة الكشف عنها، لتأكيد على هويتها الطائفية وكشعب، وتمييزها عن الشكل المؤسسي (كتنظيم وهياكل)، وفقترح القس استخدام عبارة: (تلاميذ المسيح).وقد اهتم غارودي بهذا الاقتراح فهو يخدم معركته من أجل حوار الحضارات، فقد بدأ يعمل بعد هذا المجمع للانتقال من الكراهية بين الشعوب والحضارات الى الحوار في عام 1965م[2].

ويذكر الأب روبير كليمان اليسوعي أن(الدستور في الكنيسة)الذي وضعه هذا المجمع يصرّح في نور الأمم رقم16: (إن الذين على غير ذنب منهم(من غير المسيحيين)يجهلون إنجيل المسيح وكنيسته، ويطلبون مع ذلك الله بقلب صادق، ويجتهدون بنعمته، أن يتمموا في أعمالهم إرادته كما يمليها عليهم ضميرهم، فهؤلاء يمكنهم أن ينالوا الخلاص الأبدي) فقد تجاوز هذا الدستور ومن خلاله تخلت الكنيسة عن فكرة أن الخلاص لا يكون إلا لمن هم داخل الكنيسة(وأنه للمسيحيين فقط)[3].

وبعد نهاية هذا المجمع رأى غارودي أنه تبددت الأحلام في مسيحية جديدة وخاب أمل الكثيرين في هذا التجديد، فقد أخذت النقابات المسيحية ترفض السمة الطائفية(القبول بآراء المذاهب المسيحية المخالفة)، وضعُف عزم الأسقفيات في فرنسا والولايات المتحدة للتوظيف في التعليم الخاص وأوقفت الأحزاب المسيحية نشاطها كما حدث في فرنسا او إنها تعفنت وفسدت

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص22،153،155.

[2] ـــ غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، مصدر سابق، ص46،55.

[3] ـــ الأب روبير كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، مرجع سابق، ص92.

كما حدث في إيطاليا وفي ألمانيا. وقد كان المأمول من كل هذه الجهات ان تلعب دورا لتجسيد قرارات المجمع على أرض الواقع[1].

كما يعيب غارودي على هذا المجمع أنه منذ انعقاده تم اعتبار الملكية حقاً طبيعياً وأُدينت الاشتراكية من حيث المبدأ، في حين يجده غارودي لا يدين الرأسمالية إلا من حيث غلوها، كما لو كان غرض هذا المجمع على حد تعبيره، تحقيق رأسمالية ذات سلوك إنساني، ويستمر هذا المذهب المتأخر والحامل لهذه الفكرة وبأسماء مختلفة في النهوض بالوظيفة المحافِظة ذاتها وحمايتها، وذلك بتحذيره المسيحيين من الاشتراكية وبالتضامن مع سياسة الفئات الحاكمة ولو كانت أكثر الفئات فساداً[2].

غير ان تفاعل غارودي مع هذا المجمع يبقى كبير خاصةً أنه أنشأ لجنة خاصة للعلاقات مع الأديان غير المسيحية، فظهرت بذلك حركة تعترف بقيمة التعدد، وشَرعت الكنيسة في الفصل بين مُطالبتها الأساسية بالشمولية والكونية وبين صورة هذا الأمر في موروث الإمبراطورية الرومانية في طموحها للسيطرة الكونية، وفصله من ناحية أخرى بين موروث عصر النهضة في طموحه لمحورة العالم حول أوربا، وموروث الاستعمار الذي شوَّه فكرة الرسالة المسيحية بالذات. بل أصبحت الكنيسة بعد هذا المَجمع تعمل لا لغزو العالم وإخضاعه بل لخدمته والحوار مع كل من فيه. كذلك سجل هذا المجمع الاستقلال الذاتي للقيم الدُنيوية(قيم المعرفة وقيم العمل)بعد ان تأثرت سلبا فيما مضى من تدخلات الكنيسة[3].

وبعد المجمع الفتكاني الثاني1965م، جاء المؤتمر العالمي لمجلس الكنائس المسكوني الذي انعقد بجنيف عام1966م، حول موضوع: كنيسة ومجتمع، فحدث المنعطف اللاهوتي الكبير كما

---

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص60.

[2] ــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص266.

[3] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص93،96.

عبر عنه غارودي، ففي النص النهائي لهذا المؤتمر فتحت الكنائس البروتستانتية والأرثوذكسية فُسحة عريضة للتفكير اللاهوتي وصلاته بالمجتمع[1].

ويَعتبر غارودي أن المجمع الكنائس المسكوني لعام1966م، قد جسد الاعترافات المتبادلة من خلال أزمة المسيحية والماركسية، وبهي تحققت الرغبة في اللقاء والتكامل. حتى أن كبير كهنة بطركية موسكو قال في هذا المجمع: "إن المسيحية ثورة بطبيعتها...لكن الكنيسة التاريخية لم تكن قط الى جانب الثورة"[2]. وكذلك يجد غارودي ان المجمع الفتكاني الثاني وهذا المجمع المسكوني قد أعطيا دفعاً لالتزام المسيحيين في بناء عالم أكثر عدالة، ودفع من أجل الانفتاح على الأديان الأخرى[3].

وبعد هذا المؤتمر يَذكُر غارودي مؤتمرات أخرى، ففي سنة1968م عَقدت مجموعة أسقفية أمريكا اللاتينية مؤتمر ميديللين وتم فيه التأكيد على ان: (السلام في أمريكا اللاتينية ليس مجرد غياب العنف أو الدم المراق...فالعدالة هي شرط لا يُستغنى عنه للسلام...وهم مسئولون عن المظالم هؤلاء جميعهم الذين لا يعملون لصالح العدالة بالوسائل التي يملكونها ويضلون سلبيين خوفا من التضحيات والمخاطر الشخصية التي يقتضيها كل عمل جريء وفعال حقيقة... أن المسيحي هو مسالم ولكنه ليس سلمياً، ذلك انه قادر على ان يقاتل). ويشير غارودي انه الى غاية الاحتفال بالذكر العاشرة لمؤتمر ميديللين سنة1969م لم يُتنَصل منه، وإن لم تجلب له هذه الاحتفالات شيئاً جديداً، فلم تتوقف ديناميكيته، و لم تدين ما خرج عنه من لاهوتيات التحرر، هذه الأخيرة التي حددت مرحلة جديدة في صيرورة الكنيسة في أمريكا اللاتينية، وقد أعطت دفعاً مهماً للحياة المسيحية في العالم الثالث كله وحتى في أوربا والولايات المتحدة[4].

---

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص154.

[2] ــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص101.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص288.

[4] ــ المصدر نفسه، ص283.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي سنة1968م عقد مؤتمر ميدلان لأسقفية أمريكا اللاتينية، وتم فيه التأكيد على هذا الأمل بالتحول، ذلك ان اللاهوت الجديد الذي أخذ يولد ويتطور لا يتصدى في رأي غارودي لمشكلات الإنسان الفردي فحسب بل لمشكلات الممارسة الأخلاقية والسياسية وتحوّل المجتمع كذلك، خلافا للتيارات المنبثقة عن الوجودية القديمة[1]. هذا اللاهوت (لاهوت التحرر)الذي أسس المحددات الأساسية التي تستلهم مَثَل عيسى المسيح في خيارها الأول للمضطهدين قبل أي شيء أخر، فيبحث عن حلول لمصالحهم المهضومة، فقد كف هذا اللاهوت على ان يكون مهنة ليبرالية ولغة في الله لم تكن تزعج الانسجام الكلي بين القوى والهيمنات، بفرضه لعقائد وسنه لقوانين تخدم الأنظمة الحاكمة والأباطرة والملاك وهو ما كان يفعله اللاهوتيين قبل ذلك[2]. ويؤكد غارودي أنه في ميدلين(ميدلان)عام 1968م بكولومبيا اختار لاهوتيي التحرير(أساقفة أمريكا اللاتينية)تحطيم الوهم القاتل، الذي كان يدعو لحياد السياسة عن الدين والمحبة، هذا الزعم الذي أدى الى تقسيم العالم بين أقلية من المترفين(الحكام وحاشيتهم والملاك)وأغلبية ساحقة من المسحوقين(الأغلبية الباقية من الشعب)[3].

أما في أسيا فيقف غارودي على أول مؤتمر أسقفي حول التطوير والذي عقد في مانيلا(الفلبين)في نوفمبر1970م، والذي جاء فيه أن سكان أسيا يمثلون ثلثي العالم وأن 60%منهم دون سن الخامسة والعشرين، وأسيا هي قارة أقدم وأرقى الثقافات، وكان القرار النهائي في الفصل12: (دعوة إلى حوار مفتوح مُخلص ودائم، مع إخوتنا في أديان أسيا الكبرى، لكي نتعلم من الآخرين إثراء أنفسنا روحيا وكيف نعمل معاً في مهمتنا المشتركة لتفتح إنساني شامل)، وفي الفصل13: (نداء إلى تطوير لاهوت أسيوي لكي تكون حياة الإنجيل ورسالته دائما أكثر تجسيداً في ثقافات آسيا الغنية التاريخية)[4].

---

[1] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص154.

[2] ــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص130.

[3] ــ غارودي، أمريكا طليعة الإنحطاط، مصدر سابق، ص159.

[4] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص288.

وبعد ستة سنوات من النضج ومن الإخصاب المتبادل، كانت المحطة في إفريقيا بدار السلام(في تانزانيا)في أغسطس 1976م، أين دوّي النداء نفسه، حسب تحليل غارودي لمنشورات حوار المجلس المسكوني من لاهوتيّ العالم الثالث. وفيه تمت إدانة الكنائس المسيحية لمسؤوليتها الثقيلة وتواطؤها مع الاستعمار، وهي لم تتعلم بعدُ الارتياب من خلفائه(بلدان أوربا القوية وأمريكا الشمالية واليابان)ولم تُعِدّ لاهوتا جدير بمنع آثار إساءات وتعسف التجار الاستعماريين، وهم اليوم الشركات المتعددة الجنسيات[1].

وفي سنة1983م جاء المجمع المسكوني للكنائس في اجتماعه العالمي في فانكور، وقد أبرز غارودي إشارات هذا المجمع الى انه: (حالت بعض التفسيرات اللاهوتية بين المسيحيين في بعض المناطق وبين ان يقدروا تقديراً صحيحا تطور الوضع الديني والسياسي في الشرق الوسط... فالسياسة الإسرائيلية في استعمار الضفة الغربية قد أدت الى إلحاق الضفة بإسرائيل ... وهذا تتويج لسياسة التفرقة العنصرية وخرق صارخ للحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني)، هذا الموقف الذي يجد فيه غارودي الدليل على بداية وعي مسيحي لواقع القضية الفلسطينية[2].

وعموما يعتبر غارودي أن بوادر التجديد واضح في مجامع القرن العشرين سواء أكانت مجامع الكنيسة العالمية برعاية الفاتيكان أو مجامع الأسقفيات الإقليمية أو المحلية. ويجد غارودي في هذه الخطوات بشائر للتقدم نحو الحوار عالمي بين الحضارات، فماذا عن موقف غارودي بشأن اللاهوت المسيحي؟

المبحث الثالث: اللاهوت المسيحي.

يُعتبر اللاهوت المسيحي مجموع الاجتهادات التي يقدمها رجال الدين المسيحي فيما يخص مباحث الإله والإيمان وما يتعلق بهما، ويسمى اللاهوت المسيحي بالإضافة الى ما تم تقريره في المجامع بالتقليد المسيحي، وهو معتبر عندهم، بل هو حجة وتستند حجيته على الحضور المستمر

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص288.

[2] ــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص152.

للروح القدس ورعايته لأعمال رجال الدين المسيحي، وهو ما يذهب إليه القديس إيريناوس[1] الذي يسند هذا التقليد الحق عنده الى ما يسميه موهبة الحق الأكيدة التي أُودعت في الكنيسة منذ البدء والتي حفظها تعاقب الأساقفة غير المنقطع مما جعله تقليداً حيا، ووديعة حية على حد تعبير إيريناوس. فهو استمرار لحضور الروح القدس المقيم في الكنيسة واستمرار للتوجيه الإلهي والإنارة الإلهية. ويُعرِف سكوت أرجينوس[2] علم اللاهوت بأنه العلم الذي يُطلعهم على ما ينبغي لهم تصوره، في جو من الورع، في السبب الوحيد للأشياء كلها(الله)، وغرضه البحث في الذات الإلهية، وهو يقسمه الى جزئين فمنه الإيجابي ومنه السلبي[3].

وعن علم اللاهوت نجد من المعاصرين الأب جورج فلورفسكي يقول: "أن العمل العقلي الأصيل والفكر التفسيري الحيّ لم تقدمه المجامع التي أصدرت دساتير الإيمان، بل المعلّمون اللاهوتيون الذين قدّموا وفسّروا الصيغ الإيمانية التي تبنّتها المجامع، فتعليم نيقية الذي صار موضع احترام وثقة، يمثل أفكار المفكّرين العمالقة الذين جاهدوا طوال مئة سنة قبل هذا المجمع وطوال خمسين سنة بعده" وبعد إشارته الي ما ظهر بين تقليد اللاهوتيين من اختلافات وما نتج عنها من هرطقات (بدع ومخالفات للأصل)فإنه يذهب الى أن التقليد الحقيقي هو تقليد الحق(والحق عنده هو المسيح)كما يعتبر أن اللاهوت هو تعليم إعدادي وليس هدفا في حد ذاته، بل هو طريقة هدفها الأسمى هو الاعتراف بسرّ الله الحي والشهادة له قولاً وفعلاً، لأنه لا يقدم(كما هو شأن العقائد)إلا الإطار الفكري للحقيقة المعلنة والشهادة العقلية لها، هذا الإطار الذي لا بد أن يمتلئ بالإيمان لا غير، وإلا فإن هذا اللاهوت سيبقى صيغة فارغة لا أهمية لها[4].

---

[1] ــ القديس إيريناوس، أصله من آسيا الصغرى ولد ما بين(120و140م)أخذ مباشرة عن القديس بوليكربوس تلميذ يوحنا اللاهوتي، إنتقل الى بلاد الغالة(فرنسا)مبشراً والتي عين بها أسقفا على ليون خلفا للقديس بوتينوس ويُرجح أنه مات شهيداً سنة202م.

[2] ــ جان سكوت أريجينوس(بين800و870م)أصله من إرلندا أو من بلاد سكوتلند، تسلم إدارة مدرسة القصر في البلاط الفرنسي، ومن أهم مؤلفاته كتاب في القضاء والقدر(عن فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1ص220).

[3] ــ لويس غراديه وج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1، مرجع سابق، ص226.

[4] ــ الأب جورج فلورفسكي، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد، مرجع سابق، ص135،142،143،145.

ويفرق غارودي بدوره بين المعتقد والإيمان ويرى أن المعتقد إيديولوجية(فكرة)، وهو الموافقة على بعض التصورات عن أصل العالم، وعن القوى العليا التي تقوده، وعن الحياة بعد الموت، وعن عقاب الجحيم أو ثواب الجنة المنتظرين. بينما يرى أن الإيمان فعل، بل هو قبل كل شيء مسلّمة أو خيار أو رهان يوجه الحياة كلها، لتأسيس جواب عن السؤال الذي يتبادر الى كل عاقل: هل للعالم وحدة ومعنى؟. وليُحيطَ غارودي بمشروعه الحضاري وينساق مع فلسفة الفعل، يشبه الإيمان بعملٍ فتيٍّ لا ينئ يولد، مع مستقبل نحن مسئولون عنه، بل يَعتبر أن وعينا لأخص ما فينا من حميمية ومشاعر يتلاقى مع مركز الكلّ، كلّ الحياة والعالم. فالإيمان هو القرار المتجدد دائما للتوحد مع ذلك الكلّ. وهذا التمييز أمكن لغارودي أن يجمع البشرية جمعاء على إله واحد هو إله الإيمان لا إله المعتقد، فهذا الأخير(إله المعتقد)اختلفت فيه البشرية لأنه التعبير والتصور للإله الذي تؤمن به انطلاقا من رؤية للعالم في دينها الذي يختلف عن الأديان الأخرى واعتماداً على مورثوها الثقافي الذي يختلف عند أصحاب الثقافات الأخرى، وصاغته بلغتها التي قد لا يفهما الآخرين. ولذلك يذهب غارودي الى أنه لما استعار اللاهوت المسيحي من الفلسفة اليونانية وأخذ عنها، ظهرت فكرة إمكانية البرهنة على وجود الله بالحجة المقنعة، وأُهمل كون الإيمان رهانا ومسلمة والتزام بنمط حياة قد لا تستطيع فلسفات الغير التعبير عنه[1].

فهل هذا ما يقف عنده غارودي بدراسته للاهوت المسيحي(لاهوت الآباء واللاهوت المدرسي واللاهوت المعاصر)؟.

المطلب الأول: لاهوت الآباء.

ولتحديد الآباء في المسيحية وتمييز لاهوت الآباء عن غيره نجد أن كِتاب فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية يذهب الى أن ما يعرف بقرن الآباء الأعظم، في تاريخ الكنيسة يبدأ سنة313م، وهي سنة براءة ميلانو، التي أعلن بها الإمبراطور قسطنطين حرية المعتقد في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وينتهي هذا عصر الآباء بزوال هذه الإمبراطورية في الغرب سنة461م، وهي السنة التي كانت الخاتمة للعصور المسيحية القديمة[2].

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص100ـــ102.

[2] ـــ لويس غراديه وج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج2، مرجع سابق، ص276.

ودار موضوع لاهوت الآباء حسب ما يذهب إليه الأب فاضل سيداروس، حول الإيمان العقائدي المتعلق بشخص يسوع المسيح، انطلاقا من المسائل التي كان يثيرها اليهود والوثنيون عن الإله المتجسد أو ابن الله، وهو يحددها في ثلاث محاور: المحور الأولى(أن تحقق الكتب تمّ في شخص يسوع المسيح)أما المحور الثاني(حقيقة إنسانية يسوع، فأكدوا أنه إنسان حقا كما أنه إله حقا)وفي المحور الثالث(حقيقة الحبل بيسوع من عذراء). وهو يشير الي تقسيم الآباء الى ثلاثة أصناف: الآباء الرسوليون(كإقليدس الروماني المتوفى سنة97م واغناطيوس الأنطاكي المتوفى سنة107م، وقد اهتموا بالمحور الأول من المواضيع) والآباء المدافعون(أمثال يوستينوس ت160م، إيريناوس ت185م، اهتم الأول بالرد على اليهود من خلال العهد القديم وإظهار أن يسوع هو المسيا المنتظر، وإهتم الثاني بجدال الغنوصيّين(المعرفيين والذين يربطون الخلاص بالمعرفة وحدها ومنهم المارقيون والفالنتينيّيون)فأظهر لهم إيريناوس أن الخلاص هبة من الله أولاً ثم على الإنسان أن يتقبله لا بعقله ومعرفته فحسب بل بإرادته وحريته أيضاً كما أظهر التناسق بين العهدين)أما الصنف الثالث فهم الآباء الذهبيون (كترتليانس ت220م وأوريجانوس ت253م والذي أثّر في قراءة القرون الوسطى للكتاب المقدس، ومنهم كيرلس الأورشليمي ت386م، وأوغسطينس ت430م...وغيرهم كثير أظهروا بدورهم حقيقة تحقيق العهد الجديد للعهد القديم والمواضيع الأخرى)[1].

أما أول وقفه لغارودي مع هؤلاء الآباء فيشير فيها الى أنه بفضلهم ازدهر علم اللاهوت المسيحي، وأنهم كانوا من أقاليم مختلفة لا كما يزعم الغرب بأنهم تحديداً آباء الكنيسة اليونان، وبغيتهم في ذلك التأكيد و التأصيل على الامتياز اليوناني وتفوقه في مقابل البربرية المحيطة به، ومن ثمّ الحصول على سيادة الغرب الحضارية وتبعية غيره له على اعتبار أن الحضارة الغربية امتداد للحضارة اليونانية. فهذا اللاهوت حسب غارودي ولد في أرض آسيوية، فكانت أفكار الآباء متشبعة بثقافة آسيا بدءاً بفارس والهلال الخصيب وإنتهاءاً بالهند، ويعطينا غارودي المراكز والأسماء ويبدؤها من أنطاكيا في سورية وكابادوقيا أو قيصرية في تركيا، والأثر الاسكندري عند القديس إيريناوس الأنطاكي في مصر وجوستين المولود في نابلس بفلسطين، وترتليان المولود في قرطاجة بتونس والذي تربى في مدرسة القديس مونتانوس في آسيا الصغرى وكليمانت الاسكندراي

[1] ــ الأب فاضل سيداروس، يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، مرجع سابق، 24ــ28.

وأوريجين المصري وآباء الكنيسة غريغور ويوحنا فم الذهب و أفرام السوري وكيريلوس في القدس وكيريلوس في الاسكندرية... وانتهاءً بيوحنا الدمشقي. ويؤكد غارودي أنه مع هؤلاء ولدت أروع الدرر الروحية للفكر المسيحي الحي في الهلال الخصيب(حيث ولد المسيح نفسه)ثم انتشر إشعاعه بعدها في أسيا وفي شمال إفريقيا. ويعتبر غارودي أن هذه الدرر هي أغلى إرث للكنيسة الشرقية، والذي تجاهلته الكنيسة الرومانية، فبرز الزعم بالتفوق الغربي الذي أدى الى الانقسام الكبير للكنيسة[1].

وفي موضع أخر يبطل غارودي هذا الإدعاء(اعتبار آباء الكنيسة يونان)فإذا كانوا يكتبوا باللغة اليونانية فإن إضافاقم لم تكن من أجل تحويل المسيحية الى الهلينية ولكن لإثرائها بكل حكم الشرق. ثم يتساءل من هم القساوسة اليونانيون؟ ليجيب قائلا: "يعيشون ويتأملون في الشرق الاوسط ومصر وفي الإسكندرية. فجوستين ولد في نابلس في فلسطين، وإيرينيه دي ليون ولد في سميرون، وسان كليمنت من الإسكندرية مثل أوريجين، وسان هيلار دي بواتييه نُفي في الشرق حيث كَتب أهم أعماله. وبازيل العظيم، جريجوار دي نازيانس وجريجوار دي نيس هم آباء كابادوشي(وهي اليوم بتركيا). إفريم السوري، سيريل من القدس، وسيريل من الإسكندرية، ولدوا جميعا مثل جون كريسوستوم في أنطاكيا(سوريا اليوم) وكانوا جميعا من الشرق، ليس فقط بالمولد، ولكن أيضاً بالفكر العميق الذي من خلاله قاموا بمعايشة تجربه الثالوث المسيحي بدون أن يبتُروا تلك التجربة من أبعادها الروحانية الشرقية"[2].

ثم يذهب غارودي الى أن المسيحية جاءت لتبطل السحر المؤذي لعالم الكائنات والجوهر(الذي انتشر في الوسط اليهودي) وكشفت المسيحية في الحب الصلة الأولى والأعمق، للحقيقة الإلهيةـــ الإنسانية للإنسان، وعملت على إبراز تجربة الإنسان ـــ الإله، لكنها أُسترجعت وحوصرت في قفص العقلانية اليونانية للجوهر والكائنات، فأصبحت تلك الصلة مبهمة غامضة في الفهم[3].

---

[1] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص18ـــ19.

[2] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص40ـــ41.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص246.

وانطلاقا مما كتبه القديس ايريناوس(صار الله إنسانا كليا، ليستطيع الإنسان أن يصير إلهاً)يؤكد غارودي شمولية (وكاثوليكية)الرسالة، وأن ما فيها من معاني تستفيد منه البشرية جمعاء، كما أن دراسات الآباء آذنت بقطع الصلة التي تُخفيها عبارة: اليهوديةـــ المسيحية، التي يجعل منها الغرب مصدراً لحضارته الى جانب اليونانيةـــ الرومانية، ليلغي بها عطاءات الشرق التي استفاد منها، فغارودي يجعل من ولادة يسوع يهوديا ضرورة تُحتمها طبيعته الإنسانية، إذ انه لا يمكن أن يوجد إنسان مجرّد في نوع من اللاإقليمية الروحية، فيكون في العالم دون أن يضع قدمه في نقطة من نقاط العالم. فكان بإمكان يسوع أن يولد هندياً أو أسود. ويأبى غارودي أن يُقلص نزول الله في الإنسان الي نقطة وحيدة منه هي الهبوط الأرضي، ويدعو الى تحرير الرسالة الموجهة الى أرض الناس كلها لتفهم بلغة وثقافة كل واحد منهم، لا انطلاقا من الثقافة التي تجلت فيها(اليهودية اليونانية). وانطلاقا مما قاله القديس إيريناوس: "الإبن يجعل غير المنظور منظوراً" يَعتبر غارودي أنه أشار الى معنى مهم، وهو أن الآب أُفرغ من كيانه ليجعل نفسه منظوراً للإنسان، يتصرف ويتكلم ويُحبّ في ابنه[1].

ومع الأب كليمنت الإسكندري أشهر آباء الكنيسة(ت150م، مسيحي يوناني عاش في الإسكندرية على رأس مدرستها للتعليم المسيحي)يبرز غارودي عالمية تعاليم يسوع، حينما قال الأب كلمنت: "يسوع ليس بربرياً ولا يهودياً ولا يونانيا ولا رجلا ولا امرأة، إنه الإنسان الجديد، الذي صار إنسان الله بفضل الروح القدس". فهو كغيره من الآباء حريص على تأكيد الشمولية والعالمية في معاني الرسالة المسيحية[2].

ويقف غارودي مع القديس غريغوار النيسي(ت394م)حين قال: "فالله، انه الاكتشاف السرمدي للنمو السرمدي" فيأخذ غارودي هذه العبارة على أنها التعريف الكامل للنمو الذي يحتاجه المشروع الكوني البديل ويقول أن هذا النمو الجديد: "مبني ليس على التسلسلات المراتبية والإمتثالات ولكن على لا مركزية إنتاج الطاقة والتقنيات بصورة عامة، وعلى لا مركزية السلطة والاستهلاك والاستعلام، وعلى لا مركزية الثقافة والتربية، هذا النمو لن

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص106،122.

[2] ـــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص251.

يولد بعد ذلك هذه الوحوش، التي هي على سبيل المثال، فصل العمل الفكري عن العمل اليدوي، أو تضخيم القطاع الثالث لحساب الطفيلية والبيروقراطية والمضرة بالعمل المنتج والخلاق"[1].

وعلى حد تعبير غارودي فقد رفع القديس غريغوار النيسي بدوره رسالة الكنيسة الى التوهج والسمو فكتب: "إن الله الذي أعلن عن نفسه، اختلط بطبيعتنا القابلة للفناء لكي يؤله الإنسانية إذ يجعلها تشاركه الأُلوهية". ويذهب غارودي الى أن يسوع أظهر إمكان الربط بين المتناهي واللامتناهي، بين الواحد والكل، ويجد أن هذه العلاقة أوضح في ادفايتا فيدا في التراث الهندوسي. فبعيداً عن كل محاولة للحط من التعالي وباستعمالها لمصطلحات الخارجية بينت ان الله والإنسان ليسا اثنين ولا واحد، فليس هناك إنسان يعمل من جهة، ومن جهة أخرى وخارجا عنه ومن فوقه، إله يحرّكه من بُعد ويحكم عليه. ويجد غارودي أن هذه الوحدة العميقة(الوحدة بين الطاقة الإلهية والطاقة البشرية)استشعرها على نحو عجيب الآباء الشرقيون، فقد كتب غريغوار الاسكندري(ت215م)وبجرأة: "إذا عرفنا أنفسنا عرفنا الله، فإذا عرِفنا الله صرنا الله". وقال غريغوار النازيانزي (329ـــ390م): "لقد جاء(أي الله)ليوحدنا تماما في المسيح، في المسيح الذي استقرّ تماما فينا، ليضع فينا كل ما هو فيه". أما القديس يوحنا فم الذهب(344ـــ407م)الذي قال: "كم من الملائكة، وكم من رؤساء الملائكة تّساوي؟" فيعتبره غارودي قد تحدث بنفس الروح التي سيتحدّث فيها القرآن عن الناس، إلا أنه لم يبين لنا وجه التشابه هذا. هذه المعاني التي تكلم عنها هؤلاء القديسين هي النعمة لدى غارودي، والتي يعتبرها الاسم الديني للحرية ويُردد مع الفيزيائيين أنها الوعي بأن جذورنا تمتد في عالم لا نهاية له، وأن مركز كل(أنا)يتلاقى مع مركز جميع الأشياء، هذا المركز الذي هو في كل مكان. ثم يقول غارودي: "هذا الوعي المعيش، وعي التعالي، يحذرنا من كل محاولة لإقناعنا بأن عالمنا مُغلق، وأن الواقع يُختزل الى ما هو موجود من قبل وأن المستقبل لا تسكنه سوى إمكانات الحاضر"[2].

وبعيدا عن الازدواجية اليونانية للمضمون ولانفصال الروح والجسد، يجد غارودي أن غريغوار النازيتزي أشار الى أن الفكر المسيحي يجب أن يستمر بطريقة الحَواريين وليس بطريقة

[1] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص418.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص106،123،124.

أرسطو، وأن غريغوار النيسي يقول: "إن الافكار تخلق عباد الله". ويعتبر ان هؤلاء يقتربون من الهوية العليا الهندية والأوبانيشادية فجميعهم يفرق بين الله الخفي وطاقاته التي يمكن أن يشارك فيها الإنسان بكامله، جسدا وروحا[1]. وعندما يقرأ غارودي ما كتبه غريغوار النيسي: "في تاريخ الكون هناك طفرتان كبيرتان، وهما ما نطلق عليهما العهدين، الأول قاد البشرية من الوثنية الى الإيمان، والآخر من الإيمان الى التبشير، وهناك زلزال ثالث متوقع.." يعود بنا الى إنجيل يوحنا معتبراً أن فيه الإشارة الى هذا الزلزال الثالث (16/12ـ13: ما زال عندي أمور كثيرة أقولها لكم ولكنكم تعجزون عن احتمالها، ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم الى الحق كله لأنه لا يقول شيئاً من عنده بل يخبركم بما يسمعه ويطلعكم بما سيحدث)ولا يشير غارودي هنا الى أن هذا الزلزال الثالث وروح الحق يقصد به الإسلام كما يذهب الى ذلك علماء الإسلام ممن درسوا المسيحية واعتبروا أن في هذه العبارة تبشير بالإسلام. بل يعتبر أن فيها دليل على أن الله لم يخلق العالم ورسم فيه التاريخ والى الأبد، بل أن هناك دائماً الجديد وأن الخلق هو عملية مستمرة وللإنسان فيها دور، ويعتبر أن ذلك ما يقوله القرآن الكريم: (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)[الرحمن : 29][2].

أما القديس يوحنا الدمشقي(675ـ749م)والذي أمضى ثلث القرن في دير القديس سابا قرب القدس، أين كتب كل أعماله ويجده غارودي قد لعب دوراً تاريخياً مهماً، فأعماله يعتبرها غارودي نقطة الانطلاق للحوار المسيحي الإسلامي، ولكنها جاءت بصيغة جدلية هجومية[3]. وقد كان وزيراً لأحد خلفاء بني أمية في دمشق، رغم أنه يُعد أحد آباء الكنيسة المسيحية[4]. ويتعجب غارودي ان يوحنا الدمشقي ورغم هذا الاحتكاك بالمسلمين الا أنه كان من

[1] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص41ـــ42.

[2] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص150.

[3] ـــ غارودي، فلسطين أرض الرسالات السماوية، مصدر سابق، ص116.

[4] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص216.

بين المسيحيين الذين يعتبرون الإسلام هرطقة مسيحية، وقد وجد ذلك في كتابه عن الهرطقة(الفصل1.1)[1].

ثانيا: اللاهوت المدرسي.

يبين الأب فاضل سيداروس أنه في أيام الآباء كان اللاهوت يتقدم بإشراف وسلطة الآباء أنفسهم، استنادا الى الكتاب المقدس أساساً وباستخدام الفلسفة، لذلك يصف توما الأكويني لاهوت هذه المرحلة بأنه سُلطوي. وبعد الآباء أصبح اللاهوت يستند الى سلطة العقل، فوصفه توما الإكويني بأنه عقلاني. وهو اللاهوت المدرسي. ويَعتبر سيداروس أن أغسطين(ت605م)هو محور هذا التغيير، فقد انطلق من العقائد الآبائية وحاول تعليلها بالمنطق البشري[2].

ويعمَد غارودي الى اتخاذ موقف واضح تجاه اللاهوت المدرسي، فيعتبره المشوش لأبسط الأشياء التي جاءت مع آباء الكنيسة عن التعليم الإنجيلي[3]. ويُحدد غارودي انه مع أوغسطين دُمجت المسيحية بموروث الفكر الإغريقي الثنائي (ثنائية الروح والجسد ومستتبعاتها الأفلاطونية)[4]. ويرى أنه مع أوغسطين(وقد كان أسقفاً لقرطاجة في القرن الرابع الميلاد)كان مولد لاهوت السيطرة وبداية العمل به، فقد استعان بالقوات الرومانية لبث الرعب وإبادة المسيحيين في شمال إفريقيا[5]. ويستنكر غارودي للحكم الذي يطلقه أوغسطين حول المرأة، في إطار نشر لفكر السيطرة والخضوع، حينما كتب يقول: "أنه من ضمن النظام الطبيعي(عند بني الإنسان)أن تكون النساء خاضعات للرجال والأولاد لأهلهم، لأنه من مقتضيات العدل أن يخضع العقل الأضعف الى العقل الأقوى". ويلاحظ غارودي أن أوغسطين وغيره ممن يقفون هذا الموقف قد تعذر عليهم

[1] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص101.

[2] ـــ الأب فاضل سيداروس، يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، مرجع سابق، ص129ـــ131.

[3] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص32.

[4] ـــ رامي الكلاوي، روجيه غارودي من الإيمان الى الإلحاد، مرجع سابق، ص81.

[5] ـــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص100.

الرجوع في هذا المجال الى يسوع الناصري وأنهم لم يجدوا معه أدلة لفكرهم هذا، فراحوا يُكدسون هذا الخليط من التعابير مثل(الطبيعة، العقل والعدل والقوة..)[1].

ويذهب سيرج بيروتينو مع غارودي حين يعتبر أن تجربة الاستبطان والذاتية الرائعة لدى القديس أوغسطين، تؤدي بسبب تطفل ثنوية أفلاطون وأفلوطين اليها الى فقدان البعد الكوني الواضح لدى القديس بولس، وتعمل هذه التجربة برفضها لهذا العالم الى توجيه الإنسان الى عالم أخر، وتراجعت المسيحية بذلك عن الخلق المستمر للعالم، مكتفية بمنح حرية وهمية، حرية التحرر من العالم بالهروب منه. أما القديس توما الإكويني فقد ترجم هذه التجربة بفكر أرسطو، وقد عَمِدَ القديس توما الإكويني(1225- 1274م من بلدة روكاسيكا بإيطاليا)وعلى خلاف القديس أوغسطين الى تجاوز الثنوية الموروثة عن أفلاطون، فالنعمة لا تتعارض مع الطبيعة ولا تتقارب معها ولكنها تكملها، وكذلك لا يتعارض الإيمان مع المنطق، فهو انفتاح العقل، ولا تستبعد الحرية وتنبذ خارج حتميات الطبيعة أو بعيداً عن بنا المجتمع. الصورة المجملة المسيطرة على لاهوت القديس توما الإكويني هي أن الكون والإنسان الذي هو جزء منه، قد فاض عن الله ليعود إليه، فتحول مفهوم الحرية من العمل الخلاق للواقع الجديد، ليستند الى التسلسل المقدس للعالم. وقد انتشرت هذه النظريات لعدة قرون، فتحولت الى أداة للجمود والحفاظ على النظام القائم[2].

ويكشف لنا غارودي أنه لما طُرحت إشكالية الرئيس الأعلى هل يكون البابا أم الإمبراطور؟ جاء اقتراح توما الإكويني بفكرة التفاعل بين الروحي والزمني، معتمداً في ذلك على المذهب العقلي الارسطوطاليسي، فأبقى على هرم السلطات، بل شدّ من أزره واعترف له بالاستقلال الذاتي النسبي لما هو زمني(سياسي)، ونسي القديس توما أن التوجيه الديني محايث سلفاً للطبيعة كما أن النعمة تنجز الطبيعة دون أن تهدمها. ويأسف غارودي لأن هذا التركيب الذي جاء به توما الإكويني والذي أُعتبر حل عبقري للتناقضات النوعية في عصر تضاربت فيه

[1] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص16.

[2] ـــ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص81ـــ82.

السلطات بين الروحي والسياسي، يأسف أن التركيب أُخذ على أنه أمر أساسي وإلزامي للكنيسة حتى منتصف القرن20[1].

ويبين غارودي أن الإدعاء الثيوقراطي الذي ذهب إليه القديس توما الإكويني ويعتبره إدعاء خاطئ، والذي يستشفه من كلامه حينما كتب الى الحاكم الروماني في القرن13م هوج الثاني قائلاً: "إن الحكومات العلمانية يجب أن تكون تابعة لحكومة الكنيسة"، فقد ضمن هذا الإدعاء التبرير لجرائم كبرى ارتكبها القادة السياسيين للعالم المسيحي كالحروب الصليبية، الاضطهاد الوحشي للبروتستانت، إبادة الهنود الحمر في أمريكا وتجارة العبيد في إفريقيا، والتعاون مع الفاشية في القرن20، وغيرها[2].

ويُشير غارودي الى أن البرهان الذي عُرف به القديس توما قد أخذه عن أرسطو، حتى انه كلّلَ أرسطو في عِداد الإكلروس، رغم أن هذا البرهان لا علاقة له بالمسيحية ولا يصلح لها، فهو يحاول أن يستل من عالم مُقتَطع كعالَم أرسطو الى معاني مجردة، ثم تمّ عقدُه بمنطق مجرد، حتى انه جعل من الإله في المسيحية إلهاً ناضب الدم كما يقول غارودي، بقدر نضوبه في الجهاز التصوري لأرسطو الذي أستخرج منه بعناية فائقة وبعناء شديد. ويدين غارودي الكنيسة الكاثوليكية، فكل هذا التحريف لم يمنعها من أن تصدر براءة مقصورة على مذهب توما الإكويني، الذي يعتبره غارودي مخربا، ويشير غارودي الى ان توما نفسه خطر على باله قبل موته بقليل أن يبطل هذا المذهب وهذا البرهان[3].

فإطار تصور القديس توما الإكويني والذي نسّق بدقة الأدلة على أن وجود الله يطابق تسلسل المفاهيم المستمدة من أرسطو، والذي يرفضه غارودي لأنه مبني على ان مفهوم الله يتصدر

[1] ــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص265.

[2] ــ غارودي، الإرهاب الغربي ج1، مصدر سابق، ص102.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص53ـــ54.

رأس هرم المخلوقات ومن ثم برر هذا النسق للتراتب في النظام وصلات التبعية الكائنة بين الأقنان(العبيد)وأسيادهم، وأسس لتبعية الغير والأخر للغرب المسيحي[1].

وفي موضع أخر يرى غارودي أن كل من اليهودية والمسيحية والإسلام، كانوا ضحايا ضلال الفلسفة الأرسطية مع ابن ميمون وتوما الإكويني وابن رشد، الذين حاولوا تأليف تركيب هجين بين تصور الخلق الإلهي والتصور الإغريقي للإله الصانع، فقد نجم عن هذا التأليف مفهوم غامض يحتاج الى توضيح، وهو مفهوم الخلق من عدم وانطلاقا من لاشيء[2].

أما عن الفكرة حول المرأة والتقاليد التي رسختها الكنيسة في المجتمعات المسيحية فإن غارودي يجدها مستمدة من مذهب توما الإكويني، حيث يجد في كتابه مجمل اللاهوت(الخلاصة اللاهوتية)حزم وتأكيد على أن: "المرأة بطبيعتها خاضعة للرجل، لأن الرجل يتمتع بشكل أكثر وفرة ببصيرة العقل"[3].

وانطلاقا من مشروعه الحضاري الذي يختار له غارودي الفلسفة الماركسية لأنها فلسفة للفعل، تجعل من الوعي ومن الممارسة الإنسانية التي تولده وتغنيه باستمرار، واقعاً حقيقياً، يمدُّ جذوره في الفاعلية الماضية والواقع الراهن ويعكسها، ثم يتخطى هذا المعطى بمستجدات الفعل الخلاق، ولذلك انتقد غارودي فلسفة الكينونة والخضوع للأمر الواقع على طريقة توما الإكويني، لأن فهمها للحقيقة على أنها التطابق مع الكينونة والواقع يؤدي الى إلغاء كلّ صيرورة حقيقية وكل تاريخية صادقة. كما ان هذه الفلسفة تُطابق بين الوعي والمعرفة، فتؤدي الى إلغاء الذاتية بعدم اعترافها إلا بما هو شخصي وما هو خارج عن دائرة الوعي[4].

ومع القديس أنسلم(1033ـ1109م)يستمر التصوير الأرسطي(باني المنطق الصوري)ليُدرَك الله وفق صورة ملك سيد أو كائن لا يمكن تصور أعظم منه والذي يوجد في آن

[1] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص143.

[2] ـــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص55.

[3] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص16.

[4] ـــ غارودي، ماركسية القرن20، مصدر سابق، ص118.

معا في الذهن وفي الواقع، هذا ما يجده غارودي عند أنسلم في محاولته تجنيد العقل لإقامة الأدلة على وجود الله[1]. هذا المفهوم الذي يجد غارودي أن أنسلم لا يقبل رده حينما يقول: (فحتى الأحمق الذي يقول في قلبه: الله غير موجود، يملك من أجل إنكاره فكرة عن الله)وفي هذه الحالة(الكائن الموجود أعلى من الكائن غير الموجود). فوجود الله إذن(حقيقة مؤكدة إذ أن عدم وجوده لا يستجيب لتعريف الكائن الأكبر ذاك الذي يملك الأحمق ذاته مفهوماً عنه). ثم يشير غارودي إلى ان الراهب غونيلون من ماراموتيه أبطل هذا الزعم، القائل باستخلاص الواقع من المفهوم، الذي يعتبره غارودي القفز من فوق الضل. ولهذا يطالب غارودي بالاعتراف ضد هذه البراهين المزعومة، بأن الإيمان ليس له طابع الإجابة بل طابع السؤال وأن يبق الإيمان موضوع بحث مستمر[2].

كما يبين غارودي أن الذي حصل هو محاولة خلق تيار فلسفي ذو تعقلية خاصة به، يحاول هذا التيار من القديس انسلم إلى رامون لول(1233ـــ1316م)تبرير المعتقدات المسيحية بالعقل، لمقابلة الهجمات العقلانية للمناظرين المسلمين، إلا أن هذه الطريقة لتقديم المسيحية انطلاقا من براهين عقلانية مفترضة عن وجود الله، تناقض في داخل المسيحية نفسها، معنى الوحي ومعنى الحب[3].

وفي معرض رده على ما قاله بابا الفاتيكان(بندكتوس16)في سبتمبر2006م بجامعة ريجنسبورج الألمانية، من أن المسيحية متفوقة في العقلانية على الإسلام، نجد محمد عمارة يخالف غارودي فيما يقوله عن انسلم، عندما يستنبط أحد أصول المسيحية كون(الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما لا يقبله العقل(بمعنى ما يناقض أحكام العقل ومنطقه، وهو مما يجب الإيمان به))ومن كلام القديس أنسلم ذاته(يجب أن تؤمن أولا بما يعرض على قلبك دون نظر ...فليس الإيمان بحاجة الى نظر العقل، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل فيه نظره)[4].

---

[1] ـــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص143.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص150.

[3] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص219.

[4] ـــ محمد عمارة، الفتكان والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2007، ص50.

وبدوره يحكم غارودي على ديكارت(ديكارت رينيه 1596-1650م. فيلسوف ورياضيّ وعالم فرنسي كثيرًا ما يُلَقّب بأَبي الفلسفة الحديثة)بأنه أخر المدرسيين ، ويذهب الى أنه على خطى أنسلم ردّد ديكارت المغالطة ذاتها في سعيه الى إثبات وجود الله، في الجزء الرابع من كتابه: (مقالة في المنهج)، وفي القسم الخامس من كتابه: (تأملاته)وفي القسم الأول من كتابه: (مبادئ في الفلسفة). ويؤكد غارودي من جديد، أنه فيما وراء هذه الإلتواءات اللفظية، نكتشف واقع تجربتنا، جهالاتنا وتبعيّاتنا، فلن نستطيع أن نجيب عن مسائل أُصولنا الأولى، ولا عن مسائل غاياتنا الأخيرة، ونحن نعي أننا لسنا خالقي أنفسنا، وأننا ننتمي الى كل أكبر منا. وأن هذا القلق وهذا الحذر لا يمكن أن يُسكنه البراهين أو الأدلة المزعومة، بل فعل الإيمان وتجربتها بكل معنى الكلمة هو المطلوب، والمقصود هو التزام حياة بأسرها، حياة ليس فيها عند البدء ما نوعَد به من جراء أو عقوبة وليس هناك من ينتظرنا في نهاية المسار ونهاية التجربة[1].

وفي المقابل ينتقد علي حرب في كتابه الإستيلاب والارتداد موقف غارودي من ديكارت، فعلى عكس غارودي يعتبر علي حرب ديكارت محرر الفكر من أطر العقل المدرسي وقوالبه الخانقة، وبابتكاره صيغة للعلاقة بالوجود، أتاحت للإنسان التحرر من سلبيته ومفعوليته، لكي يمارس علاقته بنفسه كذات فاعلة في التاريخ. لذلك يتعجب علي حرب لأن هذا الذي فعله ديكارت هو ما يطالب غارودي الشعوب الإسلامية بأن تفعله للخروج من أزماتها[2].

وكثيراً ما يربط غارودي بين ديكارت وفاوست(عاش ما بين 1480و1540م)، فالعبارة التي يجعلها مارلروي(وهو الكاتب المسرحي الإنجليزي كريستوفر مارلو)لفاوست والتي تقول: (أيها الإنسان بعقلك القادر صرت إلهاً، والسيد والمالك لكل العناصر)هذه العبارة جعلها ديكارت بعد قرون كهدف للإنسان فكتب(أن يصبح سيداً ومالكاً للطبيعة)[3]. وعلى غرار الفكر الفاوستي ينبني الفكر الديكارتي على مفهوم العقل الكمي والجراحي التشريحي فحسب(أي الفكر المبني على تحليل الأرقام والكميات والملموس فقط)والمُنَزَل لإدارة الأشياء، فلا يمكن لهذا الفكر أن

---

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص150ـــ151.

[2] ـــ علي حرب، الإستلاب والإرتداد، مرجع سابق، ص73.

[3] ـــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يجيب على سؤالنا بعد ذلك عن معنى الحياة، لانه يحبسنا في رؤية الية وصناعية للعالم حيث يُقلص الإنسان الى وظيفته كعامل ومستهلك. ويذهب ديكارت الى ما ذهب إليه فاوست حين عكس مفاهيم الحضارات القديمة، لتصبح الطبيعة تنتمي للإنسان بعد ان كان الإنسان ينتمي لها[1].

ويخلُص غارودي الى أنه مع ديكارت أخذت الرياضيات(عقلانياً)محل المنطق الصوري، وأنه سنجد داخل عقلانية ديكارت جميع ميزات هذه العقلانية السقيمة: (ففيها أولاً الإدعاء المنهجي بأن كل حقيقة تستنبط من يقين أولي واحد(أنا أفكر إذن أنا موجود)وفيها ثانياً النزعة المحولة التي ترد الإنسان الى بُعد واحد من أبعاده، أي العقل(أنا مادة يكمن جوهرها كله وطبيعتها في التفكير فقط) وفيها ثالثاً التطلب الملزم إزاء الطبيعة من ناحية(بحيث نجعل من أنفسنا أسياد الطبيعة ومالكيها)أو إزاء بني الإنسان من ناحية أخرى(فإذا ما رفض إنسان تحركنا فمعنى ذلك أن لديه نقيصة ترفض الفهم))[2].

ويستاء غارودي إلى انه بعد ديكارت صار الأمر إلى تبني مذهبه على انه هو كلمة العلم الأخيرة، فقد بُذلت الجهود بدءاً من ماليرب الى سبينوزا، لبناء النظريات اللاهوتية من جديد على أساس قواعد ديكارت الميتافيزيقية، هذه الأخيرة التي لم تكن بالنسبة إليه الأساس إلا لعلم الطبيعة فقط[3].

إلا أنه وخلال هذه الفترة ورغم السكولائية التنظيرية، يقف غارودي مع تقليد صوفي حي أمكن بفضله اعتبار اللاهوت شيئا غير محاولة صب المحبة في قالب عقلي، وحال هذا التقليد دون تحجر الإيمان في الدين، ودون تطابقه مع الأشكال الثقافية أو المؤسسية التي أمكن للمسيحية أن تأخذها في مختلف حقبات تاريخها. فعند غريغوار دابلاماس(1296ــ1359م يوناني أورثوذوكسي)يجد غارودي أن الطريقة الوحيدة للوجود الإلهي هو الوجود الثالوثي لا الوجود المنفرد. وذلك لأنه يجرد الفرد من كل أنانية وكل إدعاء بأنه مركز ومقياس جميع الأشياء والذي

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص236،239.

[2] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص143ــ144.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص54.

يمكنه وحده أن يجعل منه مركز تجلي ما هو إلهي. والشيء نفسه قالت به كاترين داسيان، والتي يعتبرها غارودي امرأة سياسية كذلك، ذلك أنها عاشت في القرن14 إحدى أكثر الحِقبات المأساوية في تاريخ أوروبا(حِقبة الطاعون الأسود الذي قضى على ثلث سكان أوروبا تقريباً والانفصال الكبير عن الغرب وأضرار حرب المائة سنة)فكانت هذه المرأة بمثابة سفيرة لكل من البابا(غريغوار الحادي عشر)و(أوربان السادس)وقد طلبت منهم إصلاح الكنيسة التي أفسدتها أطماع السلطة وشهوة المال، كما شجبت حرب الملك شال السادس ضد انجلترا وعملت على إنهاء الحرب بين فلورنسا والبابا وحملته على الرجوع من أفنيون الى روما. ويجد غارودي أن هذه المرأة عرفت كيف تجمع بين التأمل والعمل، ورغم أنها ماتت في سن33 عاما، فقد أعطت مثل القداسة في قلب التاريخ وأهوائه واضطراباته، ففي حواراتها ورثاءاتها يقف غارودي على العلاقة الفذة بين التجربة الصوفية والعمل، ورغم انها كانت أُمية، فقد أملت مؤلفاتها بما هو إدراك حسي لما تتلقاه كحقيقة إلهية دون عقلنته، بل تَرجمت الى عمل كل ما اعتبرته تدبير الإله المتغلغل فيها. فقد ترجمت الى لغة عصرها الشعبية لغة الوَجْد والرؤيا تجربتها الأساسية بأن تكون أداة، ومقصد من مقاصد الله. ثم يؤكد غاودي أن هذه كانت عقيدة تجريبية عاشتها صاحبتها في الفرح ومارستها ضمن التاريخ الذي كان قيد الصنع، بعيداً عن كل تأمل تيولوجي ينطلق من أفلاطون أو أرسطو. وفي القرن16يجد غارودي مثال أخر لتقليد الصوفي مختلف تماماً، في طراز حياة تيريزا دافيلا إلا انه كان لديها أيضا نفس الحس التجريبي وروح الالتزام بالعمل، فقد كانت تجربتها الصوفية بحثا عن الله أو بحثاً عن الذات فيه، تُسابق فيها(ليل الموت الدامس)كما كانت تقول في تجربة المحبة اليومية للحياة، ويؤكد غارودي ان ما كانت ترفضه تيريزا دافيلا هو الثنائية في المواجهة بين الروح والجسد، وبين الآخرة والدنيا وبين المحبة الإنسانية والمحبة الإلهية. ويذهب غارودي هنا الى أن هذه الأدوار والتجارب لا يمكن أن يؤديها على حقيقتها في المجتمع وعلى جميع المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، غير الشق النسائي. فاللاهوت النسائي يعتبره غارودي لاهوت شعري يتجاوز العقلية الذُكورية المتشبثة بالمعنى المجرد ويلجئ الى الشعر للتعبير عن نفسه، فهو ليس طريقة للتفكير فحسب بل للوجود والفعل أي انه طريقة للعمل[1].

[1] ــ غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مصدر سابق، ص150ــ154،156.

وفي هذا العصر ومع الراهب الإيطالي جواشيم دي فلور(1130ـــ1202م)يكتشف غارودي ما هو الإنسان المسكون بالله، ويعلن عن نهاية مملكة الآب والشريعة، والإبن الذي صادرته الكنيسة، من أجل بلوغ امتلاء الروح التي بشر بها يسوع الذي لا ملك له ولا سلطان ولا كنيسة، وقد عاش الناس بعده حياة ربانية دون اللجوء الى الوعود والمعجزات[1]. ومن الرؤى التنبئية عند جواشيم دي فلور أن الروح القدس هو القدرة الخالقة لعصر جديد في التاريخ وفي الكنيسة وفي العالم. وقد كان للاهوت التاريخ هذا تأثير عميق على النقد الجذري الذي أخذه الفرنسيسكان[2] الأوائل على عاتقهم. وقد أخذ بلاهوته حركات الإصلاح الديني والثورات الاجتماعية في القرن16كحركة الإصلاح الديني في التشيك لبان هوس (1369ـــ1514م). وفي القرن18وأوائل القرن19، سيستلهم من لاهوته فيخته وهيغل[3].

ولتأكيد على أهمية الاستفادة من حضارات الآخرين يُشير غارودي الى أن طوباوية جواشيم دي فلور والتي هي منطلق المهدية الثورية في أوروبا، بُنيت انطلاقا من أسفاره الى الشرق الأدنى واحتكاكه بفلسفة الفرس. وهذا الأخير يعتبره غارودي رائد الكفاح العلني ضد مظالم الكنيسة[4]. فلم يَقبل جواشيم تلك المسيحية التي أعطاها بولس صبغة يهودي (وأكد ذلك في كتابه في مواجهة اليهود)فكان رائد الانفتاح المزدوج للمسيحية التقليدية فالانفتاح الأول جاء مع الرفض الكبير للاهوت توماس الروماني المؤدي للهيمنة، وصولا الى ثورة توماس مونز(الذي نظم في القرن16إنتفاضة الفلاحين المسلحة تمهيداً لقيام مملكة الرب)هذه الثورة التي قدمت رؤية لعالم بلا كنيسة وبلا ملكية وبلا دولة، والتي سيعتبرها ماركس وأنجلز أكثر البرامج الشيوعية تطرفا

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص99.

[2] ـــ الفرنسيسكانيون منظمات نصرانية من الرومان الكاثوليك قامت في القرن13لإصلاح الكنيسة، أسسها فرنسس الأسيزي الإيطالي توفي سنة 1226م.

[3] ـــ غارودي، البديل، مصدر سابق، ص103.

[4] ـــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص35،281.

حتى منتصف القرن19. أما الانفتاح الثاني ففي دعوة جواشيم الى عالمية الحقيقية ووحدة العقيدة[1].

أما القديس فرانسوا داسيز(1182_1226م رجل دين إيطالي، ثري عاش حياة متعة ورفاهية، غير أن رؤية صوفية باغتته فتحول الى فقير زاهد)فقد اختار الفقر بغية الانتقال من الدين المتحجر للكنيسة الإقطاعية الى يقظة الإيمان في المدينة مع التجار والمُعدمين. ولذلك أطلق عليه غارودي لقب: (محطم أوثان القوة والغنى لكي تحيا شعلة يسوع)[2].

ومع رامون لول (1232_1316م رجل دين وفيلسوف وكيميائي)يقف غارودي على المفارقة، فقد كان هذا الراهب المسيحي رائد الحوار الحقيقي مع المسلمين[3] والذي كتب فلسفة في الحب استلهمها من متصوفة الأندلس وعلى رأسهم ابن عربي، رغم انه عاش في زمن عُهد فيه بمحاكم التفتيش الى الدومينيكان[4]. وكانت الحروب الصليبية في أوجها(فقد أطلق البابا غريغوار التاسع الحملة السادسة منها، والذي استاء لحصول الإمبراطور فريديريك الثاني على تنازل عن القدس، وأطلق الحملة الثامنة منها البابا إوربان الخامس، و لم يتم التخلي عن هذا الغزو إلا مع البابا نيقولا الرابع سنة 1270م). في هذه الحقبة كتب رامون لول أشهر مؤلفاته(الظريف والحكماء الثلاثة)فبين فيه أن الحكماء الثلاثة(اليهودي والمسيحي والمسلم أنقذوا الظريف (الكافر)من يأسه، إذ حملوا إليه الرسالة نفسها(أن الإنسان ليس وحيداً وانه للعالم معنى)[5]. ويستغرب غارودي أنه في عام1376م أدان البابا غريغوار الحادي عشر فكر رامون لول واتهمه بالكفر، و لم يُعد تأهيله إلا في عام1419م في عصر البابا مارتن الخامس. و مع الكاردينال نيقولا

---

[1] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص149ـ151.

[2] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص147.

[3] ـــ أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم، تر، خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق، ط2، 2000م، ص87.

[4] ـــ الدومنكان نظام القساوسة الدعاة في الوعظ النصراني والذي أسسه القديس الإسباني دومينيك 1170 ـــ 1221م.

[5] ـــ غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص136ـ137.

دي كيو(1401ـ1464م) عاد الحلم الكبير للعالمية على أساس الإثراء المتبادل بين الثقافات والأديان ومن أجل وَحدة متناغمة للعالم(بعيداً عن إمبريالية استبدادية). وفي الوقت الذي أُعتبر فيه دخول العثمانيين وسيطرتهم على القسطنطينية عام1453إنتصار للإسلام على المسيحية، كتب نيقولا دي كيو أن كل حوار حقيقي لا بد أن ينطلق من مبدأين أساسيين: أنه لن يستطيع أي مخلوق أن يفهم فكرة وحدة الله، وأنه ليس هناك إلا دين واحد بين كل تلك الممارسات الدينية المختلفة. وعلى هذا الأساس بُني مشروع المجمع العالمي لكل الأديان في العالم من أجل بناء سلام دائم بين الشعوب ومن خلال إدراك عقيدة مشتركة تحترم الاختلاف بين مريديها، لأنه كما يقول غارودي: "قبل كل تعددية نجد الوحدة"[1].

وليحدد غارودي مجال أول انفصال للغرب والذي قَسم العالم بين الحضارة الرومانية اليونانية وسائر الهمجيين (البرابرة في تعبير أخر للغرب)أو بين شعب مختار(اليهود والمسيحيين)وعالم من الوثنيين الكفار، قال غارودي: "هذه الهيمنة الأولى إستمرت12 قرنا، منذ قسطنطين(326م)حيث بدأت القسطنطينية(خليفة الجهاز المهيمن للإمبراطورية الرومانية والتي تحولت الى الكنيسة الرومانية)، وإضفاء صفة التقديس إلى الشعب المختار مما تُرجم بعد ذلك الى فكرتين (مُناهضة السامية المتعمقة ضد اليهود المتنافسين، واضطهاد الوثنيين لأنهم اختاروا طريقاً أخر غير الطريق الأرثوذكسي (أي المسيحي)للتوجه الى الله. بعد أن تم الاستيلاء هكذا على التراث العبري للشعب المختار، وبعد قيام سان أوجوست (أغسطين) بتعميد أفلاطون، وسان توماس داكين(الأكويني)بتعميد أرسطو، تلك الكنيسة الرومانية التي أُعيد تهويدها ويونانيتها توصلت عبر الخلافات بين القيصر والبابوية، بين الإمبراطورية والكهانة، وعبر التحالفات المقدسة المشكوك في أمرها، بين السلطة الدنيوية وبين الروحانية، توصلت الى بناء أوروبا والهيمنة عليها بدون مشاركة أساسية، بفضل الحملات الصليبية ومحاكم التفتيش، الى أن أصبح مقبولا أن يطلق على ذلك العصر اسم النهضة". وخلُص غارودي الى أن سبب هذا الانفصال عن باقي الحضارات والعالم يعود لأسطورتين تاريخيتين، تُمثل الأولى المعجزة اليونانية وأن هذه الحضارة طفرة في

---

[1] ـــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص151،154،155.

التاريخ لم تأخذ عن غيرها. والأسطورة الثانية تمثلت في الخاصية اليهودية وعلى أنهم الشعب المختار وانتقلت الخيرية مع يسوع للكنيسة المسيحية[1].

ثالثاً: اللاهوت الحديث والمعاصر.

وبعد هذا الانفصال الأول واعتبار الكنيسة المسيحية نفسها وريثة الاختيار حيث أصبح رجالها يرددون(أنتم أنتم الجنس المختار..)و(الأمة المقدسة)، يجد غارودي في هذا الأمر المبرر المعنوي الذي أُعطي للصليبيين والمستعمرين. فقد اعتبر الغرب ثقافتهم المصدر الأساسي للأخلاق والمركز الوحيد للقيم. ولا يستطيع الغرب تصور نموذج للنمو يخالف النموذج الغربي، ومن ثمّ تعتبر كل الشعوب التي لا تتبع مسيرته التاريخية شعوباً متخلفة. ويعترف غارودي بأن ثقافة الغرب تُسيطر عليها اليوم الوضعية في العلوم، والفردية في العلاقات الإنسانية، ولذلك لا يمكنها إعطاء أي معنى أو أي هدف للحياة وللتاريخ. ويجد غارودي الإلحاد ماثلا في واقع هذه الثقافة، سواء أكان معلنا رسميا كما هو الحال في الشرق الأوربي، أو ممارساً دون إعلان كما هو الحال في البلاد الغربية منها[2].

أما النهضة الغربية فهي عند غارودي مولد الرأسمالية والاستعمار في آن واحد، وهي وراء قناع التحديد الفلسفي للازدواجية الفلسفية الإغريقية وخاصة فلسفة أفلاطون، التي ضلت تسيطر على فكر الكنيسة والأوربيين25قرنا، فكانت هذه بداية الانفصال الثاني والتي كان رائدها مارتن لوثر(1483ــ 1546م بألمانيا)وجون كالفن(1509ــ 1564م بفرنسا)مع حركة الإصلاح الكنسي وتأسيس البروتستانتية، التي إفتكت نصف أوروبا من الكنيسة الرومانية الإمبريالية[3].

ومع هذا الانفصال والذي حدث داخل الكنيسة الكاثوليكية ذاتها، أصيبت المسيحية بعدوى الفردية الذائعة في عصر النهضة الغربي، وهنا أُعتبر الإيمان المسيحي حسب ما يذهب إليه

---

[1] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص42.

[2] ــ غارودي، الإسلام الحي، مصدر سابق، ص124.

[3] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص43.

غارودي حافزا روحيا لاتساع الرأسمالية، ذلك أن الاخلاق البروتستانتية إعتبرت نجاح مشروع الرأسمالية علامة رضا الله. ويشاطر غارودي المؤرخين في ربطهم بين هذه الصلة واتساع الرأسمالية في البلدان التي تسودها البروتستانتية، خاصة الولايات المتحدة، وقد انتقلت العدوى الى البلاد اللاتينية الكاثوليكية لما خَلطت بين مفهوم الشخص والفرد(ويفرق غارودي بين مفهومي الشخص والفرد في كتابه نحو حرب دينية ص125 قائلا: "ما فيّ من شخصي ليس حزمة الوظائف الاجتماعية من الألقاب والممتلكات التي تكونني كفرد، بل هو على العكس ما يجعل مني شرارة نار الحياة المتقدة أبداً، المشارك في التدفق الخلاّق الذي هو الينبوع الخفيّ لكل شيء. ما يجعلني واحداً مع الكل، لا لإلغاء خصوصيتي فيّ،.. بل على العكس ليجعل مني أحد الذين لا بديل لهم..."). والنتيجة التي يحصيها غارودي لهذه النهضة هي سلخ البعد السياسي عن الحب وإرجاع الإيمان الى مجرد تقوى شخصية دون التزام الشخص بالنضال الاجتماعي. ونتج عن كل ذلك تقارب سياسة الكنيسة مع سياسة الطبقات المسيطرة والحاكمة في الغرب بصورة متعاقبة ففي الفترة الأولى كان نظام الإقطاع وفي الثانية النظام الرأسمالي. ولا يجد غارودي لهذا الإلحاد من تعليق أصدق مما قاله الأب جوليو جيراردي: "هذا الإله الذي خلع الأقوياء عن عروشهم ومجد الضعفاء(أي يسوع)، أمسي(بفعل الأنظمة المضطهدة والكنيسة المتواطئة)يدعم عرش الأقوياء ويُسوّغ صبر الضعفاء...وقد أصبح المسيح المقتول كفالة نظام وقانون أولئك الذين أدانوه"[1].

وعن تفصيل ما حدث منذ بداية عصر النهضة يقول غارودي: "لقد قامت الحضارة الغربية(التي تدعي أنها استثنائية) منذ عصر النهضة على ثلاث مسلمات كانت قد أثمرت ثمارها الكبرى بصفة خاصة على يد الفلسفة الإنجليزية والفلسفة الفرنسية والفلسفة الألمانية. فعلى الرغم من نزوع هذه الفلسفات الى العالمية، وانفصالها عما هو محلي، فإن كل واحدة منها هي تاريخياً مرتبطة بتجربة خاصة لنمو الطبقة البرجوازية القومية في كل بلد على حده"[2].

وفي موضع أخر يشير غارودي الى أن هذا العصر هو الذي تسميه كتب التاريخ العصور الحديثة، وبسبب الهيمنة الغربية فيها رفضت الوحدة الإنسانية، وتميزت بكراهية أو تدمير

---

[1] ــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص265ــ266.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، تر، منى طبة، دار الشروق،القاهرة، ط3،2002، ص161ــ162.

الثقافات الأخرى. ذلك لأن الثقافة الغربية تعتبر نفسها أنها الوحيدة التي تطرح القيم، وأنها محور المبادرة التاريخية، ويؤكد غارودي على أنها قامت على ثلاث فرضيات للحداثة:

1ـ ففي العلاقات مع الآخرين سطع منطق الفلسفة الإنجليزية، فهذا فرانسيس بيكون(1561ـ1626م الأب المؤسس لمدرسة العلوم الحديثة)يقول: "الإنسان لا يفهم إلا ما يرصده" ثم استخلص هوبز(1588ـ1679م)من مظاهر المجتمع الإنجليزي في عصره(حينما انتصرت الرأسمالية والاستعمار)أن الوضع الطبيعي للمجتمع هو حرب الجميع ضد الجميع ولتحقيق الوحدة في هذه الغابة لا بد من تطبيق الاستبدادية المطلقة، وقال هوبز(الإنسان ذئب بالنسبة للإنسان)، فوضع بذلك منطق الإمبريالية الذي سيحكم القرون الثلاثة القادمة، بنظام للهيمنة العالمية في شكل وحدانية السوق. ومع جون لوك(1632ـ 1704م)أصبح الإنسان يساوي ما يكسب، وبالتالي فليس للروح أي مكان. وحتى المتغير الديني الذي قدمه الأسقف بيركلي (1685ـ 1753م)لا يغير شيئا في الفكر الأساسي للدور السلبي الذي تقوم به الروح في فلسفة الذات(فأن نكون هو أن ندرك) وتبقى الأحاسيس مجرد معطيات، ليس عبر المادة ولكن من خلال الله ودائماً من خلال التلقي السلبي بلا فعل إنساني. وقد حاول لايبنتز-1716 (1646م فيلسوف وعالم رياضيات وباحث ألماني) لما كان في انجلترا أن يكافح ضد الفكر التجريبي وفلسفة السوليبسزم(الوجودية) واعتبر أنه لا شيء يجري خارج النفس وأن ما نراه ما هو إلا خيالات، وكذلك فعل جوناثان سويفت في انجلترا قبل ان يعود الى إيرلند حيث تقلد منصب عميد كاتدرائية القديس باتريك في دبلن حين ناضل هناك ضد التصحر الروحي والفلسفة التجريبية الإنجليزية والآلية الديكارتية ومن اجل سيادة إرلندا. وبعد هزيمة هؤلاء استطاع النظام المدمر للإنسانية معاودة طريقه. ومع فرضية آدم سميث(1723- 1790م فيلسوف وعالم اقتصاد اسكتلندي ومؤسس علم الاقتصاد الحديث)وفيها أنه(إذا كان كل شخص تقوده مصلحته الشخصية، فإنه يساهم في الرخاء العام) ظهرت نظرية النمو وأصبح آدم سميث بموجبها أبو الإقتصاد السياسي. وجاء بعده مالتوس(1746ـ1834م أستاذ التاريخ والاقتصاد السياسي في جامعة شركة الهند الأنجليزية)ووضع القوانين لليبرالية الإقتصادية(قوانين الرأسمالية والاستعمار). وقد ألهمت قوانين مالتوس هذه داروين(داروين تشارلز روبرت1809-1882م باحث وعالم بريطاني عكف على دراسة علوم الطبيعة) لصياغة نظريته حول الانتقاء الطبيعي(بدل الصراع فضل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإبقاء على بعض الشعوب والقضاء على الشعوب الأقل حضا) وأصبحت هي الأساس لكل السياسات الاستعمارية الى يومنا هذا[1].

2- أما الفرضية الثانية فعن العلاقة مع الطبيعة، وقد برزت فيها الفلسفة الفرنسية، حينما أخذت بما سمي فرضية ديكارت (1596ــ1650م)الذي صاغ هدفه في عبارة(أن نجعل أنفسنا أسياد الطبيعة وملاكها). وقد عاش ديكارت في عصر هوبز أين أصبح(الإنسان ذئب بالنسبة للإنسان)ومع أحد أبطال سارتر قُتلت أخر نفس للإنسان(فالجحيم هو كل الآخرين) فأصبحت الفردية سِمة الحضارة التي جرَّدت الإنسان من أبعاده الإنسانية البحتة(الحب، المجتمع وعلاقته بالآخرين وعلاقة الآخرين به لا تتعدى علاقة نفي أو تعدًّ)ففي هذا النظام الذي ولد في انجلترا إلا الشكل الأضعف من الفلسفة الذات(فالمواجهة بين الفرد المحروم من أبعاد الإنسانية البحتة ومن علاقته مع الآخرين والكل، وبين طبيعة قامت على التجريبية الإنجليزية) قلصت هذه الفلسفة الى مجرد معرفة الظواهر المحسوسة، والتي اعتبرت وكأنها الحقيقة المادية الوحيدة التي خضنا تجربتها(عند هوبز ولوك)أو أن تكون تلك الأحاسيس لغة يتحدث بها الله لنا(حسب الفكر اللامادي للأسقف بيركلي). عارض ديكارت هذه التجريبية ولكنه انطلق من نفس التصور المنعزل والفردي للإنسان، ليتصور تواصلا آخر مع الطبيعة، بدون أن يلغي الازدواجية الأساسية لفلسفة الذات. وانطلاقا من العبارة الشهيرة له(أنا أفكر إذن أنا موجود)واكتشافه(للاتساع)في الهندسة الإنتقادية التي اخترعها، والحركة(التي كان وجود الله هو أول دافع لها)جعلنا ديكارت أسياد الطبيعة وملاّكها. وأصبح هو أبو الحضارة التكنيكية، بتقليصه العقلانية الى مُهمتها الآلية(وسيلة قوة وثراء). وتم استبعاد كل منطق وكل هدف للحياة، وبقية فلسفته ككل فلسفة عن الذات لا تستطيع الا ان تتطابق وتمتثل للوضع القائم، ومن الناحية النظرية، المادية الفرنسية المأخوذة من ديكارت هي النضال ضد الدين والميتافيزيقية لصالح تطور العلوم الطبيعية. فكانت فلسفة مناسبة لهذه الحضارة التجارية والاستعمارية. وفي القرن18ظهرت فلسفة الأنوار التي هي في الحقيقة الفلسفة الديكارتية مع إلغاء بنيانها اللاهوتي والتي وصلت الى المادية الآلية المتطرفة مع الطبيب لاميتري(1709ــ1781م). وجاءت الثورة الفرنسية (1789ــ1799م)فكان فجوة في تاريخ الفلسفة والتاريخ السياسي في أوروبا، ظهرت معها أعمال كوندورسيه (1743ــ

[1] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص51ــ72.

1794م)الذي أسس لاسطورة التقدم بدل أسطورت القدر الإلهي، التي هيمنت حتى القرن17، فكوندورسيه هو أول من صاغ بطريقة منهجية أسطورة التقدم والتي ظلت تسيطر مأتي عام رغم تكذيب التاريخ الحقيقي لها(لأن فيها تقدم مادي مع تدني وانحطاط في القيم والأخلاق)، والتي طورها أوغست كونت (1798ـ1857م)في كتابه(قانون الأشكال الثلاث). وفي القرن20جاءت معاني النمو في التطور الكمي والذي يتحدد من خلال الناتج القومي. وقد قام جاستون باشيلار(1884-1992م فيلسوف فرنسي اشتهر في حقل تاريخ العلوم والابستمولوجيا) بعد اكتشافه فيزياء الجزيء والنسبية، بفضح الفلسفة الفرنسية بفلسفته اللاديكارتية[1].

ومع نظريتي الكمية ونظرية النسبية اللتان هما قاعدة كل علوم الفيزياء الحديثة، تغيرت وجهة نظرنا في العالم. ففي الفيزياء الكمية يجد غارودي انتفاء فكرة أن المادة تتطابق مع نفسها، منفصلة عن المواد الأخرى وعن الإنسان. وتحول المراقب الى مشارك(كالمجرب مثلا). واتضح أن الكون نسيج من العلاقات المتصلة حيث لا يعرف كل جزء من المجموع إلا من خلال علاقاته مع المجموع. ومع نظرية النسبية سقطت النظريات السابقة، حيث لا تمثل الكتلة في النظرية النسبية سوى مظهر للطاقة، والكون معها كأنه محيط، ولا تظهر المادة فيها إلا من خلال نشاطها. ولذالك يَعتبر غارودي أن اكتشاف أنشتاين لهذه النظرية زلزال للعقل، دمر كل تصورات الفيزياء الكلاسيكية. وانهار معه كل البنيان العقلي المُطَمئن، المادة، الفضاء، الزمن، التماثل والسببية. وأصبح ما يطلق عليه المنطقي ليست سوى العرف التقليدي، وأصبحت تقاليد أرسطو، وديكارت وأوجست كونت عرفاً ليس إلا[2].

3ـ والفرضية الثالثة عن العلاقة مع المستقبل أخذت عن فرضية فاوست والفلسفة الألمانية. والتي أوصلت الغرب الى عالم بلا معنى، فمنذ مارلو(فاوست الأول)الذي قال(أيها الإنسان من خلال عقلك القوي، كن إلها)وقد آمن بهذه الفكرة عمالقة الفكر الألمان(جوته، كانط، فيخته، هيغل) فكانوا يؤمنون حقيقة أن الإنسان يمكنه أن يحل محل الله في حكم العالم. وما

---

[1] ـ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص73ـ87.

[2] ـ غارودي، حفارو القبور، مصدر سابق، ص107ـ108.

ميز الفلسفة الألمانية هو أن رجالها فكروا انطلاقا من تجارب غيرهم، وفي الوقت الذي فكر فيه الكاردنال دي كيو طويلا في الحضارات الشرقية وفي الإسلام في فترة ازدهاره، وفكر لايبنتز في الفلسفة الصينية، أثرت أحداث الثورة الفرنسية في كانط، وفيخت وهيغل، فنتج عن ذلك أعمال قوية ارتبطت بأمل تاريخي كبير. فقد أسست ثورة كانط (1724ـــ1804م) الكوبرنيكية للاستقلال السيادي للإنسان في المجالين العملي والنظري. وقدم فيخت(1762ـــ1814م)بعد أن فسر ثورة كانط، فلسفته لتكون الأساس النظري للثورة الفرنسية، التي خلّفت قانونا جديدا وعالَما جديداً انطلاقا من مبدأ الاستقلال السيادي للإنسان ومنطقه. ومع هيغل(1770ـــ1831م)ظهر المصدر التاريخي لفلسفة حديثة عن الفعل والتي قال عنها كارل ماركس(1818ـــ1883م): "أنها النظرية الألمانية للثورة الفرنسية". والفكرة الرئيسية في منهج فيخته هي أن الإنسان خالق(الإنسان هو ما يفعله)، فكانت أول مرة أُعيد فيها النظر لأهمية الجوهر، والتفسير المسبق، لمصلحة حرية العمل الخلاق، وكان أول تعارض جذري بين فلسفة العمل مع فلسفة الذات. إلا أن هذه النتيجة بقيت كما هو شأن الثورة الفرنسية نفسها، سجينة الغموض الذي ساد بين حرية السوق والحرية الإنسانية. وتجسدت عظمة المحاولة الهيغلية في سعيه للوصول الى البحث التركيبي بين الكون والفرد، بين فلسفة اللوجوس عند اليونان واللحظة المسيحية للذات. ولأن الفكرة الرئيسية لفلسفة التاريخ لدى هيغل هي أن التاريخ هو تقدم الحرية دون أن تكون مسألة مخططة، فقد اعتبر أن التاريخ ما هو إلا هذا الخلق المستمر للإنسان بالإنسان في تطوره الجدلي. إلا أن هيغل في المقابل يذهب الى وجود عالم وتاريخ مكتمل، ولا بد من إدراك هذا الاكتمال لتحقيق الدورة الضرورية للمعرفة المطلقة، ومن ثمّ كان التناقض هو العنصر الأساسي للمنهجية الهيغلية، والوحدة الكاملة هي العنصر الأساسي في النظام الهيغلي. فكانت النتيجة هي أن الفكر يبدأ من مبادئ ثابتة وينتهي في وحدة كاملة منتهية، وهذا ما بقي من الفكر اللاهوتي في نظامه، وفي تناقض مع منهجه. هنا وصل هيغل بالفلسفة الى نهايتها(فلسفة الذات على الأقل)كما قال ماركس. ومع الإيجابية عند أوغوست كومت (1798ـــ1857م مفكر احتماعي وفيلسوف فرنسي. أسس الفلسفة الوضعية وأنشأ مفهوم العلم الاجتماعي المعروف بعلم الاجتماع)تم استبعاد كل سبب نهائي على مستوى الفيزياء، وجعله قانون عامي يطبق على الإنسان نفسه وعلى العلوم التي تهمه(كالاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع) كما يُطبق على الوسائل، بنفس الإصرار الآلي، مستبعداً من حيث المبدأ كل تساؤل حول المعنى. وبهذا لم يعد

هناك مكان في فلسفة التاريخ هذه إلا للتقدير الكمي للحاضر من اجل التنبؤ بالمستقبل. وهكذا حُبست المعرفة في المعطيات، وحُبس الفعل في النظام القائم (وهو المبدأ الأساسي لكل سياسة محافظة). ووجد كومت أن هذا النظام العملي سينغلق داخل أحد الأديان. فاقترح فكرة المسيحية من دون إله(وذلك بتبديل كل النظام الطبقي والشعائري والعملي للكنيسة الكاثوليكية في عصره من أجل إنشاء كنيسة إيجابية)[1].

وبعد عصر النهضة هذا وبعد هذا الانفصال الثاني يأتي الانفصال الثالث، الذي يجعله غارودي بعد خمسة قرون من الاستعمار الأوربي لبلدان العالم الثالث، والتي انتهت بحربين عالميتين(الأولى1914_1918والثانية1940_1945م). إنه عصر العالمية وأغربت العالم(جعله غربيا)تحت قيادة أمريكا، في ضل ما سمي بالنظام العالمي الجديد، والذي حافظ على نفس المبدأ(وحدانية السوق أي المال)كمنظم وحيد لكل العلاقات الاجتماعية(من الإقتصاد الى السياسة ومن الفن الى الأخلاق) فكانت أكبر هزيمة للإنسان. ومن بين كل العلاقات والتحالفات بين الدول يميز غارودي ، ما يجده بين إسرائيل والولايات المتحدة نظراً لوحدة الجُذور ووحدة الأهداف والاستمرارية الكهنوتية(أهمية اليهود في اللاهوت البروتستانتي) والسياسية التي تربطهما[2].

ثم يَكشف غارودي عن فشل الحضارة الغربية المزدوج، في نموذجها السوفيتي الذي قاد الى نظام تعسفي، وفي نموذجها الأمريكي الذي أعادنا الى الغابة. ولبقاء الحياة الإنسانية يلح غارودي على أصحاب هذه الحضارة أن يسألوا أنفسهم عن أخطاء تحول الغرب، أن يسألوا عن وسائل وغايات الغرب، وانحراف النهضة في القرن16، وعن التحريفات القسطنطينية للمسيحية واستغلالها كنظرية للسيطرة. ويعتبر غارودي أن المشكلة الأكثر عمقاً والأكثر أهمية للمستقبل هي تلك الخاصة باختيار الأهداف النهائية، أي أنها مشكلة دينية(مشكلة الإيمان)، ذلك أن الأديان وحدها تبحث وتجيب عن الأسئلة النهائية للحياة. ثم يؤكد غارودي أن كلا النموذجين السابقين وُلدا في نفس التربة الثقافية الغربية، فقد اشترك النظامان في نفس اليقين الزائف الصادر عن غرور النهضة، وهو أن العلم التجريبي والرياضي يمكن أن يجيب عن كل المشكلات ويحلها، وأن

[1] ــ غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، مصدر سابق، ص89ــ108.

[2] ــ المصدر نفسه، ص109،130.

الوسائل الهائلة التي خلقها ستضمن السعادة. ليقرر غارودي بعدها أن العلم التجريبي والتكنولوجي فشل في هذه المهمة، مثلما فشل علم الاجتماع الوضعي في أن يَحِل محل الأخلاق. وأثبتا بأنهما لا يمكن لهما ولوحدهما قيادة الإنسانية بنجاح[1].

وبعد هذا الكلام الطويل عن الفلسفات التي تدير العالم يمكن أن نفهم جيداً ما قاله غارودي: "إن الفلسفة بالمعنى الصحيح، أي التفكير في الغايات وفي معنى الحياة، والمشاركة في الفعل لتحقيق هذه الغايات وهذا المعنى، قد خانت رسالتها في الغرب: شرقه وغربه على السواء. لقد كانت رسالة الفلسفة من قبل هي رسالة رجال اللاهوت الكبار الذين جاوزوا عصورهم(بالتنبئية)...لقد انفصل الفكر عن الحياة، وصنعت الفلسفة عالماً قائما بذاته: عالم الوجود، الذي يخلوا من كل حركة الوجود الواقع، ومن الوعي به، وهكذا صارت فلسفة الوجود فلسفة للسيطرة وليست فلسفة للتحرر"[2].

وهنا يخلص غارودي الى نتيجة مفادها انه منذ تموضع علم اللاهوت على صعيد العقلانية، حَكَم على نفسه بمصير مظلم. ومن على هذا الصعيد راح يخوض معاركه ضد فتوحات العلم(كما حدث مع علم الفلك لدى غاليليه، وعلم الأحياء لدى داروين، والتحليل النفسي لفرويد). ولما كان الفشل في هذه المعارك فاضح، فقد كان نقد أساتذة الشك(ماركس، نيتشه، وفرويد)جذريا، فأدوا بذلك في رأي غارودي أعظم خدمة للعقيدة المسيحية، بتخليصها من الإله الشرطي(إله قسطنطين) ومن اله الحلف المقدس(المتواطئ مع جميع أشكال السيطرة)وإله الفلاسفة البارد(إله المفاهيم، المُفرَغ). وقد فُتِحت مع هذا النقد فرصة لتجديد المسيحية[3].

وينبه غارودي الى البديل الحقيقي عن دين أفيون للشعب(الدين الذي يتدخل ومن خلال من يعتبرون أنفسهم ممثلي الإله في إرادت ومصير الجميع، وينوب عنهم في كل صغيرة وكبيرة)فالبديل ليس إلحاداً وضعي النزعة، لأن الوضعية كما يقول غارودي: "ليست هي العلم

[1] ــ غارودي، حفارو القبور، مصدر سابق، ص88ـــ89.

[2] ــ غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، مصدر سابق، ص232،234.

[3] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص54.

بدون الله فحسب، بل هي أيضا العالم بدون الإنسان"[1]. ويقسم غارودي الإلحاد الى شكلين، جاء الأول رافضاً للصورة التي كوَّنتها الديانات التقليدية عن الله، وقد سمَّت روما كفاراً في عهد الإمبراطورية الرومانية كل من أنكروا آلهتها. أما الشكل الثاني للإلحاد فهو الذي أنكر أن يكون لحياتنا معنًى(لحياتنا الشخصية ولتاريخنا المشترك). كما حدث مع كامو(1913—1960م صحفي ومؤلف روائي فرنسي)الذي قال: "الحياة عبث" وكذلك سارتر (1905—1980م فيلسوف وجودي فرنسي) والذي قال: "الإنسان هو الكائن الذي يريد أن يكون الله. لكن فكرة الله متناقضة. الحياة إذن هوى، عبث"[2].

وقد اعتبر البعض قبل ذلك الإلحاد هوس وخرافة وشر مستطير، ومنهم الفيلسوف الفرنسي فولتر(1694—1778م) والذي ذهب الى أن الإشكال ليس في التوحيد وإنما في عقائد الكنيسة المُبتكرة التي تستخف بالعقل، فالديانة الصحيحة يجب أن تؤمن بإله واحد وهو ما يتوافق والمنطق والفطرة التي ترفض التعدد، ويجب أن تتسم هذه الديانة بالتسامح والعدالة. ولذلك أحرقت الكنيسة رسائل فولتر الفلسفية سنة 1734م في ساحة عامة في باريس مما اضطره للهروب الى الريف. وكذلك فعل عالم الرياضيات والفيزياء الإنكليزي إسحاق نيوتن(1642—1727م)الذي بذل جهده لإنقاذ المسيحية من الخرافات، ومحاربة عقائد الكنيسة الغامضة واللامعقولة، كتأليه المسيح والتثليث، وقال بأن آريوس كان على حق في مجمع نيقية، وأنه بالإمكان التوصل للإيمان بإله واحد بمجرد التفكر في خلق الكون وما فيه من إعجاز، ودون الالتفات الى الكتاب المقدس، وأن المسيح نبي دعي للعودة الى الحق[3].

ومنذ النصف الثاني من القرن20وبالضبط بعد الحرب العالمية الثانية، يجد غارودي أن الاهتمام الأكبر للاهوت تحول نحو مشكلة الإنسان، فقد تصد للنزاعات الإنسانية المعاصرة وسعى لدمجها مع الإناسة(الأنتروبولوجيا)المسيحية. فغلب على المرحلة الأولى حتى سنة1965التوجه نحو خلق وجودية مسيحية والتي كان رائدها كيركغارد ثم هيدغر وجاسبر.

---

[1] ــ غارودي، بديل، مصدر سابق، ص112.

[2] ــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص101—102.

[3] ــ محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والإستشراق، مرجع سابق، ص127—128.

غبريال مارسيل وسارتر، ولاهوت كارل بارت. وأصبحت المشكلة المركزية هي المواجهة بين الذاتية والتعالي. وفي هذا الجيل يلاحظ غارودي ضم للوجودية في لاهوت رودولف بولتمان وبول تيليش(وهما لاهوتيان بروتستانتيان). فالأول نزع الطابع الأسطوري عن الإنجيل بتفسيره الوجودي. أما الثاني فقد سعى الى الرد بجواب إنجيلي عن الأسئلة الوجودية التي تعرض للإنسان(اللاهوت المنهجي). وقد أولا كارل بارت(الأنا)الحقيقية الى أنها الأنا في اللقاء(مع الآخر). وظهرت مع القس بونهوفر(الذي أعدمه النازيون سنة1945)المسيحية اللادينية والتي كان لها تأثير بالغ في اللاهوت، وينقل لنا غارودي عن هذا القس من كتابه المقاومة والخضوع قولة: (التجربة الوحيدة للتعالي أن يكون الإنسان للآخرين)وأن (التعالي ينحصر في الأنت الأقرب). فكانت هذه بعض الأمثلة التي ذكرها غارودي عن الاتجاه الحديث للاهوت نحو الإنسان في ذاتيته، هذا الاتجاه الذي استقل عن الشروط التاريخية والاجتماعية والسياسية التي يعيشها. في مقابل اللاهوت الذي يسيطر عليه الفكر اليوناني والمتمركز حتى مطلع القرن20على فلسفة مدرسية حديثة وعلى تنظيم كنسي مركزي. ويذكر غارودي كذلك ان هذا الانفتاح على الإنسان والعالم كان المقدم عند اللاهوتيين النموذجيين، عند الأب كارل راهنر في ألمانيا والأب شينو في فرنسا[1].

ومع جان دي لاكروا(من أصحاب الفلسفة الشخصية الإنسانية)يقف غارودي مع اللاهوت السلبي، فقد صرخ جان قائلا: (ليس هذا هو الإله، ليس هذا!..ليس هذا!..)وكما صرخ قبله لاوتسو بلغة أخرى لغة الابانيشاد وسانكارا(نيتي.. نيتي..). ومع جان دي لا... وكما جاء قبله في قصائد إبن عربي والرومي وفي الرامايانا وتولسيدا الهندي كان الكلام عن ... شعري، ويؤكد غارودي ان كل هؤلاء شهدوا على أن الفن هو لغة المقدس ثم قال: "أن البحث عن معنى حياتك (أسمي الله أم سمي باسم أخر)هو روح كل فن حقيقي وروح كل جماعة" وكذلك يتطابق اللاهوت السلبي لجان دي لاكروا مع باغافاد... جيتا الهندية وشأنها شأن ... تفكير شرقي، الذي يبدأ بتربية سلبية، يستحيل معها إدراك الله مباشرة، وان قدرته لا تعمل ... عندما نُقصي كل ما قد يشوب رؤيته. ويَعتبر غارودي أن هذه هي الدلالة الأساسية للنـ...

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص152ـــ153.

[2] ـــ المصدر نفسه، ص114،115،128.

الهندي: العمل بدون تعلق ودون انتظار للجزاء، وبالاقتصار على التطلع الى الكمال والى انسجام الكون[1].

ومع دعوة جان دي لاكروا(لإفراغ أنفسنا من الأنا حتى يتمكن الله أن يشغل المكان بأكمله)يجد غارودي أعظم سلطة ثورية لإنكار الأنا ويعتبر أن ضعف ما يسميه الفوضوية الغربية العضال هو في استنادها الى فردانية هي في جوهرها ذاته فردانية العالم البرجوازي منذ النهضة[2]. وفي المقابل يشير غارودي الى أن جان دي لاكروا قد أعاب على الماركسية تقليلها من قيمة الإنسان وتجاهلها له، وأعاب على وجودية سارتر تجاهلها لشيئين: الإحالة على تاريخ الإنسانية والإحالة الى الوجود المتعالي على ذاته. ووجد ان الديالكتيك الذي عرضه موريس بلونديل قد تجاوز هذا التناقض المزدوج ووضع يده على جميع أبعاد الإنسان الشامل، فلكي يتحقق مفهوم الشخص لا بد ان يجتاز هذا الإنسان الطبيعة، ولا بد أن يتم الاعتراف الموضوعي بكيان الإنسان وأننا نحمل بين جوانبنا تاريخ الإنسانية[3]. فغارودي كما يقول الطيب تيزيني وإن كان هذا قبل إسلامه: "يجد أقصى طموحه في توحيد الماركسية بالوجودية" وذلك عن طريق الفختوية(نسبة الى الفيلسوف الألماني فخته) فهو يعتقد بأن ذلك التوحيد جدير بتغطية اللحظة الذاتية المبدعة، التي على الماركسية أن تبحث عنها في الوجودية، إذا أرادت أن تُقبل عند الجميع[4].

ويعتبر غارودي أن المنعطف الهام في تاريخ المسيحية كان مع المجمع الفاتيكاني الثاني الذي انتهت أشغاله عام 1965، والمؤتمر العالمي للمجلس المسكوني للكنائس(حول موضوع كنيسة ومجتمع)عام1966، وكانت هذه بداية تحول الكنيسة واستصدامها على أرض الواقع بالماركسية كحركة ومنها بدأت حوارات المسيحيين مع الماركسيين(في باريس وفي ليون عام1964، ثم في سالزبورغ عام1965، ومبادرات مركز الدراسات والأبحاث الماركسية الذي كان يديره غارودي، ومبادرات أخرى)وعلى أثرها ظهر زعماء النظريات اللاهوتية الجديدة. فقد

[1] ـــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص122.

[2] ـــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص243.

[3] ـــ غارودي، نظرات حول الإنسان، مصدر سابق، ص206.

[4] ـــ طيب تيزيني، روجيه غارودي بعد الصمت، دار الخلدونية، بيروت، ط3،1983، ص36.

ظهرت مع جورجن مولتمان عام1964النظرية اللاهوتية (الأمل) والناشئة عن مجابهة مبدأ الأمل للماركسي إيرنست بلوخ، وظهرت كتابات غارودي في هذا الإطار وكتابات الأب كارل راهنر، وظهرت مع اللاهوتي ج ب ميتز الخيوط الأولى لنظرية(علم اللاهوت السياسي). وفي أمريكا اللاتينية نتج عن التأمل اللاهوتي في الماركسية والاتصال مع كفاحات الشعوب للتحرر، ميلاد نظرية علم لاهوت التحرر مع كل من الأب غوستاف غوتيريز، هوغو أسمان وليوناردو بوف وانريك دوسيل وكومبلاني وأخرين كثر[1].

وقد كتب سيرج بيروتينو عن هذا الميلاد للاهوت التحرير فقال عنها أنها: "حركة ثورية كنسية، لا تعتبر الإيمان عقيدة فحسب وإنما منهج عمل كذلك، تعالج المشكلات الناشئة في الواقع طبقا لمعطيات العصر، ومن خلال ما هو مطروح أمامها"، فرغم الدور المرجعي الذي تلعبه الكاثوليكية، اعتبر بيروتينوا هذا اللاهوت من التحولات العميقة التي ظهرت في ضمير عدد كبير من المسيحيين الذين بدءوا يعيشون إيمانهم على انه ثورة، لا خنوع. وراحوا يبحثون في الله عن مبادئ التحرر، لا عن مبادئ النظام المستتب. ومع تزايد عددهم يقف بيروتينو على اهتمام غارودي، والذي استمر معه حتى بعد إسلامه، اهتمام كبير بهذه الولادة والتطور حاله في ذلك ككل ماركسي يهتم لكل ما هو في طور الولادة ليبدأ منها التأمل والتفكير لبناء عمل ونشاط على أساس ذلك الواقع. وقد وقفنا مع غارودي على دور هذه الحركة اللاهوتية الجديدة في المجمع الفتكاني الثاني هذا المجمع الذي اعترف بالمأخذين الأساسيين للإنسانية الملحدة تجاه المسيحية، كونها أولاً تَعترض وتنال من استقلالية الإنسان وثانياً أن الإيمان باليوم الآخر في المسيحية كان كابح لتفتُّح الإنسان عبر التاريخ وتألقه. فقد اعترف المجمع باستقلالية القيم الأرضية (استقلالية العلم واستقلالية العمل) من أجل تحويل العالم وتطويره مع إضفاء النزعة الإنسانية عليه. فعمِد المسيحيين وكبار اللاهوتيين المعاصرين الى إبراز ما هو أساسي في عقيدتهم، بعيداً عن كل الأشكال التأسيسية والثقافية التي اتخذتها النصرانية عبر تاريخها الطويل[2].

[1] ــ غارودي، نداء الى الأحياء، مصدر سابق، ص57،58.

[2] ــ سيرج بيروتينو، غارودي، مرجع سابق، ص77ــ78.

ومع لاهوت التحرر أضاف غارودي إسهام أخر للعالم الثالث، والمتمثل في الحركة الثورية التي رفضت اعتبار الإيمان مجرد عقائدية بل جعلت منه طريقة عمل. ومع هذا اللاهوت اختار عدد متزايد من المسيحيين درب النضال اليومي ضد الاضطهاد والاستغلال والتبعية للأجانب، فكان هذا النضال تعبير عن إيمانهم. ذلك أن هذا اللاهوت الجديد لا يكتفي أن يكون حِكمة ومعرفة عقلية، بل تفكيراً في ضوء الإيمان، يتناول الممارسة التاريخية لرجال ونساء انخرطوا في هذا النضال. وبذلك انقلبت المسيرة التقليدية رأسا على عقب، فبدلا من الانطلاق من معطيات التتريل(المصادر المقدسة) وحسب، كما يفعل اللاهوت المدرسي غالبا، نجد هذا اللاهوت ينطلق من مشكلات واقعه وعالَم التاريخ(الحفريات والتطور البيولوجي)، ولهذا يجده غارودي يقبل صيغة ماركس الشهيرة عن الفلسفة، فهو لا يكتفي بتفسير العالم بل يسهم في تغييره. ويوافق غارودي الأب كوتيرز(من بيرو)لما اتخذ من رسالة العمل لموريس بونديل(1861_1949م)لسنة1893 المصدر الأول لهذه الحركة(الثورية السالفة الذكر)والتي ذهب فيها الى أن التعالي ينبثق من المحايثة، دون حاجة الى وجود خارجي عنها، بل إن المحايثة تدعوا هذا الوجود إنجازها. إضافة الى أن الأب تيار دي شاردان ساهم في تقليص أثر التراث الناشئ عن الثنائية الإغريقية، وهو تراث ضار بالفكر المسيحي، وذلك بتمجيده المشاركة في الجهد الإنساني، ويجد غارودي ان آثاره كلها تترع الى تبيان(تكوّن الفكر عبر المادة)وكان اهتمامه الأساسي هو(تجسيد تقدم العالم في منظورنا عن ملكوت الله)ويسجل غارودي تحفظ الأب كوتيرز على مفهوم الأب تيلار حول تقدم العالم المرتبط بالتعبير العلمي والتقني، الذي يقود الى النموذج الغربي عن التنمية والذي يُناقَش في العالم الثالث باسم التحرر الصحيح(بمستويات ثلاث: تحرر سياسي، تحرر تاريخي، تحرر من الخطيئة الجماعية التي هي الفساد في جميع المستويات والمجالات)[1].

ويعترف غارودي أنه مع هذا الحوار ولاهوتيي التحرر توصل الى أن التعالي(التطور والارتقاء والحركية الفكرية والإعتقادية)لا الحتمية(ربط التقدم أو النجاح بفكرة دون غيرها كشرط له)هي المسلمة الضرورية لكل فكرة وعمل ثوريين. وأنه بإمكان الماركسية أن تستفيد الكثير بانفتاحها على جميع أبعاد الإنسان. وتضح لدى غارودي أنه لا يمكن أن تكون الاشتراكية

[1] ـــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص236_240.

نهاية التاريخ، لأن الإنسان إذا تحرر من المطالب المادية، فإنه سيبقى أسير مطالب أبعاده الأخرى (الروحية خاصة). ومن ثم انتقل غارودي الى اعتبار الاشتراكية بداية لتاريخ لن يكون بعد ذلك غابة حيوانية للمزاحمات والسيطرة والحروب كما هو حاله في ضل الامبريالية. ويشير غارودي الى ثمرة أخرى لهذا الحوار هي من الأهمية بمكان، فقد سمح البحث المشترك عما هو جوهري في عدة نقاط من تجاوز الخلافات القديمة بين اللاهوتيين البروتستانت والكاثوليك. حتى أن عمل اللاهوتي البروتستانتي روبن الفيز تلاقى مع عمل نظرائه الكاثوليك، وفي أوروبا تابع لاهوتي الأمل الكبير القس جورغن مولتمان أبحاثه النقدية بالروح نفسها التي لدى الكاثوليكي ج ب ميتز في لاهوته السياسي. فلقد شعروا جميعاً منذئذٍ كما يقول غارودي بالمتطلبات الجديدة لكل لاهوت: "أن يكون عمليا وعموميا ونقديا"[1].

وفي موضع أخر أكد غارودي قائلا أن: "عقائد لاهوت التحرر انطلقت من اليقين بأن كل معركة للتحرير في حاجة الى التسامي أكثر من حاجتها الى الحتمية، وبهذا فتحت طريقا غير مسبوق، لا ينفصم فيه الإيمان عن التاريخ. وبحركة واحدة ذكّرت البعض بالبعد المتسامي في التاريخ، وذكرت البعض الآخر بالبعد التاريخي للتسامي. وبذلك تجاوزت تلك العقائد التحررية ثنائيتين متوازيتين ومتناقضتين، تُمثلان عقبة كئودا في طريق تحرر الإنسان تحرراً شاملا(فإما الإيمان بالتسامي كنوع من مظاهر القيامة والبعث والحساب مع التقليل من(النضالات)التاريخية للإنسان، وإما الالتزام بالتاريخ والواقع دون مرجعية الى المطلق)، وقد أدى هذا التحيز المضاعف في الغرب الى عجز بيّن لدى مسيحية لم تأخذ في حسابها التاريخي حركات تحرر الإنسان، أو إفلاس الذين يتحاربون في تاريخ منغلق. وتبذل عقائد لاهوت التحرر أقصى الجهد المعاصر لتنهي هذا الطلاق.. وكل أمل في تغيير انحرافاتنا الجديدة، لا بد أن يفترض معارضة الحتمية بالتسامي. ويعني ذلك التسامي إمكانية الإنسان في مقاطعة الغايات التي يفرضها النظام، وما أجدر أن توصف تلك الغايات بأنها على الأصح(لا غايات)! إن الإيمان بالتسامي رهان ومطلب ضروري. هذا الاختيار وحده هو الذي يؤدي الى أن يصبح لحياتنا معنى، حين يجعل الحياة هي مسئولية، للتغلب على الشطط القاتل في عصرنا. وهذا التسامي مطلب لكل عمل تحرري". ويذهب غارودي مع الأب جوستافو جوتيريز في بيرو الى أن خُلاصة الرسالة الإنجيلية، تتلخص في موعظة الحساب الخيرة عند

[1] ـــ غارودي، نحو حرب دينية؟، مصدر سابق، ص63، 64، 158، 159..

متىّ، ويقول انه لن نحاسب على حبنا للآخرين بقانون ولا بحكمة ولا حتى بعقيدة ما لم يصبح الحب عملاً يُعرفه يسوع بقوله: (بأن تُطعم الجائع، وتَستُر العاري، وتُرحب بالغريب)و(وإن ما تفعله لأقل الناس كأنك تفعله لي)[1].

ومع هذه المفاهيم الجديدة ظهرت إشكالية العلاقة بين الخلاص والكفاح التاريخي من أجل التحرر، والتي يجدها غارودي محسومة عند الأب كوتيرز التحرري الذي يعتبر أن هذه العلاقة تعرف بحسب مفهومين لاهوتيين أساسيين: (مفهوم الخلق ومفهوم الوعد الأخروي)، فالخلق هو أول فعل من أفعال الخلاص، والتاريخ هو تاريخ التحرر الذي يُخلق فيه الإنسان خلقاً متجدداً، فإله الخروج في العهد القديم هو إله التحرر السياسي من استعباد الفراعنة، وكان عمل المسيح للتغيير وتحويل العالم هو خلق جديد. أما الوعد الأخروي بملكوت الله يوجه التاريخ كله نحو المستقبل ويعمق جذوره في الواقع الراهن فرسالة الأنبياء لم تكن استطالة للوضع السابق، فالوعد الأُخروي يُرغِم التاريخ على الانفتاح على المستقبل "المستقبل المطلق" كما يقول الأب رانر، وهو مستقبل متحرر من الحتميات. ولذلك تصبح الرسالة النبوية للكنيسة كما يردد غارودي مع لاهوتيي التحرر رسالة بناء وانتقاد، وهي تجري في عالم متغير. وبهذا يمكن أن يحدث تفاعل خصب بين الإيمان والعمل السياسي لخلق مجتمع جديد وإنسان جديد يصنع قدَرَهُ الخاص من خلال عمله وممارسته واتخاذه للأسباب، ويصبح للأمل المسيحي وظيفة تعبئة وتحرير في التاريخ. وانطلاقا من هذه المفاهيم سيُعلن غارودي بدأ الحلف الثالث. فبعد أن كان الحلف الأول ميثاق يهوه مع الشعب اليهودي، فلما نقضوا العهد جاء الحلف الثاني مع يسوع الذي أظهر أن الذهاب الى الله يتطلب الإقلاع عن دعوى الانتماء الى الشعب المختار فلما عادت الكنيسة الى اعتبار المؤمنين بها هم الشعب المختار وانحرفت عن رسالة يسوع، أصبح غارودي(وهذا أيام حواره لتأليف بين الماركسية والمسيحية وقبل تعرفه على الإسلام)يترقب الساعة السانحة للإعلان الحلف الثالث الذي يريد أن يستأنف به مرحلة جديد لمسعى يسوع في تجاوز تخوم الشعب المختار ليذهب الى الجميع، ولا يذهب من أجل هديهم الى عقيدة، بل من أجل إيقاظهم على حياة أفضل. ويجد غارودي أن الشكل الأول التمهيدي لقيام هذا الحلف الثالث جاء مع جميع أولئك الذين عرفوا كيف يحيون ويموتون حياة المصلوب ويكونون بذلك شهداء البعث الأحياء ولذلك

[1] ـــ غارودي، أمريكا طليعة الإنحطاط،مصدر سابق، ص158ـــ162.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قال: "وقد كانت الشهادات غزيرة في أوقات التحولات التاريخية الكبرى بوجه خاص عندما كانت الكنيسة التقليدية تجد نفسها وجها لوجه أمام مشكلات اجتماعية جديدة (الانتقال الى البرابرة)في زمن(جوستنيان)في القرن الثاني، ثم إرادة الخروج من الأديرة لملاقاة البؤس في المدن كما فعل القديس (فرانسو داسيز)وفي القرن الثالث عشر تأكيد الأمل فيما وراء المؤسسات كما فعل(جواشيم دي فلور)ثم كفاح علني لمظالم الكنيسة كما فعل(جان هوس)في القرن الخامس عشر، ثم مقاومة لنظام العالم كما فعل(توما مونزر) في القرن السادس عشر، ثم رواد المطلق العظام من المتصوفة من أمثال(المعلم إيكارت)الى(يعقوب دي بويم) ومن (إنجيلا دي فولينو)الى (القديسة تيريزا دافيلا)ومن القديس(جان دي لاكروا)الى(كيركغارد). وفي وقت أقرب إلينا، وإذا اقتصرنا على ذكر المذبوحين(ديتريش بونوفر)و(كاميلو توريس)و(هارومادكا)و(مارتن لوثر كنغ)" [1].

[1] ــ غارودي، حوار الحضارات، مصدر سابق، ص241ــ269،243ــ271.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة :

لقد حاولنا في هذه الدراسة كما هو مسطر لها، تتبع رؤية غارودي للمسيحية في أصلها وحقيقتها والواقع الذي آلت إليه ونقده لها. والدور الذي يمكن أن تلعبه لبناء حضارة ذات وجه إنساني ووجه إلهي. وكان لزاماً علينا قبل ذلك التعرف على شخصية غارودي ومساره الفكري والديني والعلمي ومحطاته المختلفة. ويمكن أن نجمل نتائج هذه الدراسة في النقاط التالية:

1ــ تعد شخصية غارودي من الشخصيات القليلة التي أفلتت من حدود الإطار العام الذي يتم فيه صياغة فكر الفرد الغربي، هذا الإطار الذي تلتزم به المؤسسات المختلفة والتي لها علاقة بتوجيه الفكر في الغرب والتأسيس له سواء كانت دينية أو تربوية علمية أو اجتماعية أو ثقافية أو إعلامية أو ترفيهية وحتى مؤسسات اقتصادية؛ وهذا ما أكده غارودي في كثير من مؤلفاته، هذا الإطار الفكري الذي انحصرت المصادر فيه على ما هو يوناني روماني ويهودي مسيحي الشيء الذي يرفضه غارودي، وأدى ذلك إلى ما يسميه غارودي الجزرية المصطنعة وقطيعة مع الآخر (أي المجتمعات والحضارات الغير غربية)، وقد تعزز ذلك بما رُوّج داخل هذا الإطار من تفوق الغرب في كل شيء وأنه المركز لكل تطور وتقدم وإبداع في تاريخ الإنسانية، وهكذا جُبلت العقول الغربية على رفض واحتقار كل ما عند الغير واتهامه بالتخلف والبربرية والهمجية، ومن ثمّ فُرضت المفاهيم الغربية على أنها مسلمات لا يمكن التنازل عنها أو الاعتماد على غيرها أو بناء تقدم ونمو من دونها. ومنذ اتحاد الكنيسة المسيحية مع نظام الإمبراطورية الرومانية، حيث تم تعميم المسيحية كديانة للإمبراطورية مقابل ضمان تبرير ديني للنظام الروماني ودعوة الجماهير للخضوع له، وكي تحصل المسيحية على القبول العام، تم تفسير معتقداتها ورسالتها على أساس فلسفة اليونان وتقاليد الرومان حتى أن البابا أصبح يلقب بالحبر الأعظم واعتمدت الكنيسة نظام الإكليروس الروماني، وهكذا بدأ التأكيد على المركزية الغربية والتفوق والخيرية التي بَررت للحروب الصليبية والتي صاحبتها دراسات إستشراقية أخذ فيها الغرب العلوم التي وصل لها الشرق والمسلمون بالخصوص في القرون الوسطى، ولكن كانت منهجية هذه الدراسات تلفيقية ولا تَنسب العلوم والمعارف لأصحابها، بل لعبت دوراً مشبوه تولت فيه مهمة التبرير العلمي لمخططات الغرب وطموحاته الاستعمارية والتسلطية، واعتمدت معاييرها الذاتية في معرفة الآخر والنظر إليه لا كما هو عليه في الحقيقة، ولكن وفق رغبة الغرب وحاجاته، فالشرق عندهم هو ذلك الآخر الغير مرغوب فيه، بل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تم تصويره على أنه ذلك الشاذ المجنون والمنحرف، فأصبح الشرق والإسلام مشكلة تبحث عن الحل، لا موضوع دراسة تحتاج إلى الموضوعية. وبهذه الدراسات تم تسييج الإطار العام الذي يُصاغ خلال فكر الفرد الغربي، وهو ما يجعل كثير من أهل الغرب عندما يتحولون عن المسيحية لمخالفتها العقل والمنطق، يتبنون الفلسفات الوضعية والإلحاد دون البحث عن الحقيقة الدينية، والتي ستؤدي بهم لا محالة إلى الإسلام كما حدث مع غارودي، فالسبب في ذلك هو الخلفية المُظلمة التي لُقنت لهم عن الإسلام والمسلمين، وهو ما يفسر ظاهرة الإسلاموفوبيا(الخوف من الإسلام) في الغرب.

2ـــ وقد تميز المشروع الفلسفي لغارودي بكونه مشروع سياسي أخلاقي يجمع بين بُعدي التسامي والجماعة، ومن هنا يمكن أن نفهم إصرار غارودي على نفي اتهامه بالارتداد، بل هو يعتبر أنه لا توجد حقيقة مطلقة فيما يقوله الإنسان، وهو ما جعله لا يَخضع لمشروع أو لفكرة أو فلسفة ما على أنها الطوباوية التي لا يعتريها النقص أو الخطأ، وبهذه الروح كان يبحث عن المشروع الذي يريد أن يبنيه لبنة لبنة، وهو الذي امتلاء بفلسفة الفعل التي تجعله يعتقد بأن المستقبل هو في طور الإنجاز لا على أنه موجود كحتمية ليس لأحد التدخل أو التغيير في مجرياته، ولا إرادة له إلا التوجه نحوه. فقد كان هاجسه الأول هو البحث عن غاية تجعل للحياة معنى سامي يستحق أن يعيش له الإنسان ويُضحي لأجله ولذلك اختار الالتزام بالمسيحية في بداية حياته، ثم وجد أن حياة الإنسان واحتياجاته اليومية ومصالحه التي تتقاطع مع مصالح غيره لا بد لها من منهجية ونظام لتستقيم، فاختار غارودي الماركسية ومنهجية المبادرة التاريخية للجماهير والعمال، وقد طعّم هذا الاختيار بتعالي الوجودية المؤمنة لكير كغارد، ولما اصطدم بإشكالات الإنسان المعاصر، وخاصة الغربي الذي أصبح يعيش داخل حلقة النمو التقني لأجل النمو حيث يُعتبر الإنسان داخل هذه الحلقة وسيلة من الوسائل، وتحولت الحياة إلى سوق مفتوحة لا كلام فيها إلا عن الإنتاج والاستهلاك وليس هناك من معنى ولا قيم إلا لما له قيمة مادية، فأصبح الإنسان يعيش الاغتراب داخل هذا السوق. ولذلك فتح غارودي حوار للحضارات، أساسه مبدأ ثابت ومشترك عند الجميع وهو الذي سيؤدي إلى الانفتاح على الآخر لا التصادم معه، ألا وهو أن الإنسان واحد رغم تعدد أبعاده، وأن الإنسانية واحدة رغم الفوارق والحواجز والحدود، وأن الكون واحد رغم تعدد كائناته وظواهره، وأن الحقيقة واحدة رغم نسبية معارفنا واختلافها، وأن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدين واحد رغم تعدد الشرائع، وأن مصدر كل ما سبق هو الله الواحد رغم تعدد أسمائه وصفاته وتجلياته، وهذا ما يعتبره غارودي العقيدة الإبراهيمية. وبعد احتكاك غارودي بالإسلام وجد أن فيه كل ما اختاره لمشروعه، وبُهر بمنهج الإسلام في معالجة القضايا المختلفة، وأنه لم يترك مجال إلا ووضع له الإطار الذي ينبثق من التعالي والارتباط بالغايات والمقاصد السامية وضمان المصالح العامة والكلية، فاعتنق غارودي الإسلام، وقد وجد فيه ما كان يبحث عنه لاستدراك النقائص وحل لإشكالات الانسان المعاصر. وهو يعتبر أن هذا ما يحدث في تاريخ الإنسانية، فهو يرفض تماماً أن يكون أي جديد هو نقض أو ارتداد عن القديم، حتى أنه قال في كتابه جولتي وحيدا: "دخلت الإسلام وبإحدى يدي الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس ولست مستعدا للتخلي على أي أحد منهما".

3ـــ وقد درس غارودي المسيحية وكذلك الأديان والتجارب الروحية الأخرى انطلاقا من كونها الأساس لحوار الحضارات، وجاء ذلك في إطار بحثه كمفكر وفيلسوف ومناضل سياسي مهتم بقضايا وإشكالات الإنسان المعاصر، وهي إشكالات عالمية ولا يمكن إيجاد الحلول لها إلا بحوار مع الجميع من أصحاب الحضارات، وقد مكنته تلك الدراسات من الوقوف على الحقائق الدينية التي قالت بها الأديان والتي وصلت إليها فطرة البشرية عبر التاريخ واطمأنت لها، و لم تقتنع العقول إلا بها. وهذه الحقيقة هي التي يعتبرها غارودي العقيدة الإبراهيمية التي ذكرناها سابقا، والتي جعلها غارودي أساس لتقييم واقع الأديان والتجارب الروحية اليوم، وهذا ما فعله مع المسيحية، وقد تميزت دراسته للمسيحية عن غيرها من الدراسات، غربية كانت أو إسلامية أو شرقية، وذلك لإرتباط هذه الدراسة بالمشروع الذي يؤسس له غارودي والذي وجّه كل أعماله نحو الأهداف التي يصبوا إليها .

4ـــ ففي المصادر المسيحية يَعتبر غارودي أن أول من أسس للمسيحية المعروفة اليوم هو القديس بولس بعد أن كان من أشد اليهود اضطهاداً للمسيحيين، فقد كانت رسائله أول ما كُتِب في المسيحية، رغم أنه لم يرى و لم يسمع من رسل المسيح(الحواريين) الذين شهدوا حياة المسيح ورأوا أعماله وسمعوا أقواله، بل يفتخر بولس بذلك ويعتبر أنه أخذ مباشرة عن المسيح وليس من رسله عندما رآه بعد قيامته في السماء. ويؤكد غارودي على أن بولس هو أول من قال بأن في المسيحية عهد جديد بدأ مع المسيح على غرار العهد القديم الذي كان في اليهودية، ومن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هنا تبدأ الصلة التي بين اليهودية والمسيحية حتى أن العهد القديم كمصدر للمسيحية يمثل مجموعة المصادر اليهودية والأسفار التي ينسبونها لأنبيائهم والتي كان بولس على دراية معمقة بها حتى أن أثرها يظهر جلياً في رسائله، وهو يستشهد فيها بنصوصها حرفيا، وفي الوقت الذي يلمس غارودي الحقيقة الدينية للمسيحية هنا وهناك في الأناجيل فإنه يجد أن بولس يعتبرها امتداد وتصديق لنبوءات اليهودية، والتي بيّن المسيح أنها انحرفت عن حقيقتها(الحقيقة الدينية)فأصبحت مجرد طقوس وشكليات فقدت روح الأديان السماوية، ولذلك يُسمي غارودي هذه المسيحية بمسيحية بولس. وقد أكد غارودي عند تطرقه للمصادر المسيحية والحقائق الموجود فيها إلى أنه لا يوجد في المصادر لغير المسيحيين واليهود ما يؤكد على ما تقوله مصادرهم، بل يجد أن الحفريات وآثار التاريخ تفند بعض ما جاء في هذه المصادر.

5ــ ومن خلال تعرُض غارودي لرسائل بولس بيّنَ معالم مسيحيته التي جنى بها على الإنسانية، والأهم فيها نفحات لاهوت السيطرة التي تفوح في كل رسائله، ويعتبر أنها الأثر المباشر للأسفار اليهودية، التي لا همَّ لها إلا الجيوش وقادتها الملوك وحروب أبناء يهوه، وهم شعبه المختار مع غيرهم من الشعوب التي يتهمونها بالبربرية، وعلى أساس هذه الحروب يحدد اليهود مرضاة يهوه أو غضبه عليهم وعلى قادتهم وأنبيائهم، وعلى أساس الأنبياء الملوك عند اليهود وتصورهم للمسيح المخلص قائد الجيوش الذي ينتصر لأتباعه من أعدائهم، ووفقاً للثقافة الهيلينية لفق بولس تصوره ليسوع المسيح، الكريستوس في الهيلينية، مع ما يَعرفه عنه من عايشوه، وهكذا تحول المسيح ابن مريم إلى ابن للإله، وتحول الصلب من مكيدة دبرها اليهود للتخلص من المسيح الذي رفض وعارض كل ما يفعله اليهود ورجال دينهم، فأصبح الصلب فداء عن خطيئة ارتكبها أبو البشر آدم، وتأتي بعدها القيامة والتي تمت بها المسيحية. ويلاحظ غارودي أن بولس يبدأ تصوره للمسيحية من الصلب والقيامة، فبعد تأويله لهما بما يمكن أن يحقق هدفه لتعميم هذه الديانة لغير اليهود، يذهب بولس لوضع ما سبق من أحداث في حياة المسيح في هذا الصياغ.

6ــ وقد كثر أتباع المسيحية حتى ممن كانوا وثنيين للبراعة التي تميز بها بولس في استقطاب الجماهير وثقافته اليهودية واليونانية الواسعة، إضافة إلى أنه كان يلغي عن كل قوم ما يثقل عليهم تطبيقه، حتى أنه تخلى عن الختان لأجل الوثنيين اليونان لأنه لم يكن من أعرافهم، وطلب الخضوع التام للإمبراطور والقادة الرومان استرضاءً لهم وهكذا فعل مع غيرهم. ولما كانت هذه الجموع لا

تعرف عن المسيح شيء وكثر اللغط حوله جاء إنجيل مرقس وكان أول ما كتب من الأناجيل ولأن يوحنا مرقس رافق بولس بعض الوقت في رحلاته الدعوية فقد أخذ عنه مسيحيته وتأثر برسائله وأفكاره، ففي هذا الإنجيل توفيق بين مسيحية بولس وما وجده مرقس عن المسيح عند الرسول بطرس فقد كان مرقس من المقربين عند هذا الأخير. في حين ذهب لوقا في رسالته عن أعمال الرسل كما في إنجيله إلى إدراج واضح لروح التعاليم اليهودية حتى أنه جعل من يسوع ابن ليوسف النجار ليتمكن من ربط سلسلة نسبه بداود والأنبياء وصولاً إلى آدم. وقد كتب الرسول متى إنجيله في نفس ذلك السياق، مع إضافة لشهاداته مع يسوع. ولما تمايزت الكنيسة كجماعة ومؤسسة جاء إنجيل يوحنا لإتمام ما تحتاجه هذه المسيحية في اللاهوت والمعتقدات، ويكتفي غارودي هنا بإبراز الأدلة التي تفند دعوى تأليه يسوع بما قاله ونقله عنه يوحنا، وأنه يبشر بالحق الذي سيأتي بعده ليتم بيان ما لم يحن أوان بيانه ، كما أن غارودي يجد في هذا الإنجيل النفحات الروحية والأساس المحقيقة التي راح غارودي يتتبعها في كل ديانة.

7ـــ وبعد هذا الربط لرسائل بولس والأناجيل وتأكيدها على الاتصال الوثيق بين العهدين القديم والجديد، وجعلهما في سياق واحد وعلى نسق ثابت. وبعد تأسيس الكنيسة كمؤسسة وجماعة على أنها وارثة الاختيار الإلهي والتي قدمت الوعظ الديني بهذا المنطق وهذا الفكر، بدأ بعدها يظهر أثر ما كُتب في أسفار العهد القديم والعهد الجديد على المسيحيين وتوسع ذلك بعد تعميم الإصلاح الكنسي البروتستانتي لحق قراءة وتفسير الكتاب المقدس لكل مسيحي بعد أن كان محصوراً عند رجال الدين فقط، وغلبت تلك الآثار على الفكر الغربي، فمن فكرة الشعب المختار التي تكررت كثيراً في أسفار العهد القديم ظهرت نزعة التفوق الغربي وانتشرت فيه النزعة العرقية والتي ظهرت عبر مراحل تاريخه المتتالية في الحروب والإضطهادات والإستعمارات وحتى في علاقة الكنيسة الغربية مع غيرها من الكنائس الأخرى، والتأييد التام في الغرب اليوم للسياسات والممارسات الإرهابية للصهيونية الإسرائيلية.

8ـــ أما الإيمان فهو عند غارودي قوة خلاقة وفاعلة، تبعث في الفرد روح التعالي والبحث عن الأسمى والغايات وصولاً إلى الغاية الأخيرة(وهو الله)، ولأن هذا البحث يقوم به إنسان لطالما تراجع عن آراء وغير في التصورات والأفكار، فإن كل ذلك يؤكد نسبية كل ما يصدر عنه، وهكذا يكون حال الإيمان ومن خلال التعالي والنسبية باعث على التغيير والثورة، وكل هذا يجعل

غارودي يرفض كل إيمان يؤدي إلى الجمود على حقيقة ما على أنها مطلقة وأنه يجب التسليم بها ولا يمكن الخوض أو الاجتهاد معها، وكل هذه الإشكالات يعتبرها غارودي العائق الأول أمام حوار الأديان والحضارات، لأن كل طرف سيحاور بخلفية امتلاكه لحقيقة لا يمكن المساس بها، وأن هدفه هو فرضها بطريقة أو بأحرى على الطرف الأخر، وهو ما يجعل هذا الحوار حوار طرشان. في حين يعتبر غارودي أن الحوار فرصة لإغناء وإثراء التصورات، والنظر في تجارب الأخرين. ومُنطلق غارودي في كل هذا أن الغاية الأخيرة للجميع هي واحدة(وهي الإله الخالق المدبر)وإن اختلفت أقوال البشر عنها وتصوراتهم لها ومعتقداتهم فيها، وبهذا المنطلق يمكن تحقيق تعاون وإثراء في ضل الحوار بحثاً عن الحقيقة التي هي مهمة الإنسان.

9ـــ والمسيحيين بدورهم حسب غارودي كان لهم تصورهم ومعتقدهم في الإله، إلا أنه يؤكد أن هذا المُعتقد أُفقر لَما تم التعبير عنه بلغة اليونان وعلى أساس ثقافة وفلسفة هيلينية التي لم يبعث يسوع المسيح لها، هذه اللغة والثقافة والفلسفة التي تَعمد إلى التحديد والتشخيص جعلت من تجربة الثالوث التي يجتمع فيها كل من المحب والمحبوب وعلاقة المحبة، تتحول إلى ثلاثة أقانيم داخل جوهر واحد، وهنا كان الإفقار لتجربة هي أعمق بكثير من أن يتم تحديدها في هذه الأطر الضيقة. ويجد غارودي أن هذه التجربة للمحبة بهذه العناصر الثلاث موجودة في غير المسيحية وأن اختلفت الأسماء فالمسمى واحد فهي موجودة في ديانات الشرق القديمة كما أنها موجودة عند متصوفة الإسلام. وهكذا يقول غارودي أنه ليس بالإمكان وضع تصور لله أو تعيين حدود له، ومن الإفقار حصره في مفهوم، وانه ليس للإنسان إلا التطلع إليه والاتصال به عن طريق هذه التجربة الإيمانية. وقد أثرى غارودي فكرته عن الإله حتى لا تقول غيرها الشيء الذي يرفضه غارودي، فبعد أن كان يذهب إلى كون الإله محايث للإنسان ومعه وهو بداخله، متأثر في ذلك بالفكر الماركسي، أصبح يعتقد بأنه محايث ومتعالي في الوقت نفسه انطلاقاً مما تقوله الأديان السماوية.

10ـــ ويجد غارودي أن تجربة المحبة هذه وحتى لا تبقى خيالا في فكر البشر تجسدت في مختلف الأديان. وقد تجسدت في المسيحية مع يسوع المسيح، الذي يؤكد غارودي على أنه نبي مرسل تميز بمكانة خاصة وقداسة بين الرسل كما تميز عن غيره بمعجزة خلقه وطبيعة حياته وبعثته وموته، ويمكن فهم التجسد حسب غارودي انطلاقاً من كون الروح القدس قوة وعلاقة لا

كينونة وشخص كما صورته اللغة والثقافة اليونانية، وهو ما تسميه مسيحية الشرق بالنعمة وتسميه الديانات الأخرى بالرعاية أو العناية الإلهية أو التوفيق أو غيرها. وبهذه القوة الإلهية كانت معجزة مولد المسيح من غير أب، وكلامه في المهد وغيرها من معجزاته التي كانت بإذن الله. وهكذا يكرر غارودي مع آباء الكنيسة من الشرقيين مقولتهم أن يسوع المسيح جعل من الإله الغير منظور منظورا، ويعتبرهم يتكلمون على تجسيد للصفات والخصال التي يريدها الله بين خلقه، كما حدث مع باقي الأنبياء والمرسلين. هذه الصفات والخصال والعلاقات التي أرادها المسيح بين الجماهير هي التي ستؤدي حتما إلى إحلال مملكة الله على أرض الواقع، وهو ما جعل غارودي يتكلم بعد حواراته وكل مساعيه في ذلك عن اشتراكية البناء الذاتي، بداية من تغيير الفرد ثم المجتمع وبالانتقال من الفردانية الاجتماعية والطوباوية الفكرية والدينية ودعوى التفوق والمركزية الغربية في باقي المجالات والتحول إلى روح الوَحدة الاجتماعية والانفتاح والحوار.

11ـــ وعند التطرق لعقيدة الفداء عند المسيحيين لا بد من العودة إلى حادثة صلب المسيح، فإذا كان هؤلاء يعتبرونها وانطلاقاً مما يسميه غارودي بمسيحية بولس، الطريقة التي دبرها الأب للتكفير عن خطيئة أبو البشر آدم مع الله، فإن غارودي يعتبر أنها مكيدة دبرها رؤساء اليهود مع احد تلاميذ المسيح للكيد منه لأنه لم يكن المَلك قائد الجيوش الذي ينتظرونه لتخليصهم من ظلم الرومان وينتصر لهم، بل راح يكشف أباطيلهم وانحرافهم عن تعاليم موسى، وفي هذه الحادثة التي كانت بسبب ثورة المسيح ضد الفساد، يجد غارودي الدليل القاطع على أن المسيحية دعوى للتغير والنهوض من الجمود والتقاليد الفاسدة في المعتقدات والسلوكيات والمعاملات والنُظم، وكما فعل المسيح لا بد من ثورة ضدها. كما أن هذه الحادثة المعروفة تاريخياً بغض النظر عن مدى صحتها، يجد فيها غارودي رمزية التخلي عن الذات والفردية والأنانية من أجل الآخرين ليصبح موت الفرد لا قيمة له أمام حياة البقية في مجموعها، وهو ما تحتاجه المجتمعات لتستمر وتُأسس للمملكة الإلهية.

12ـــ أما عن البعث والدينونة(الحساب) فإن غارودي عموماً يعتبر أنه بعث مستمر للحياة وتجديد دائم في واقع الإنسان، وهو حِفاظ من غارودي على مفهوم البعث عند الماركسيين، فالحساب الإلهي حسب غارودي لا يحتاج إلى جرد وتقييم لحصلة العمل الدنيوي، وإنما هو حساب آني في حياة البشر، وقد يكون أساس تصور البعث والحساب هذا عند غارودي مرده إلى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كونه يعتبر أن الإنسانية وحدة واحدة لا يحتاج كل فرد فيها للبعث وأن الله متعال عن محاسبة الأفراد من خلقه، وإنما البعث هو تقدم للإنسانية وتطور نتيجة لتغيير كل خطأ وإخفاق لأحد أفرادها أو الجماعات. ويظهر أن غارودي إلى غاية مؤلفاته الأخيرة لم يغير مفهومه للبعث والحساب كما فعل مع مفهومه للألوهية وغيْرها والتي عدَّها إلى ما يجد من آراء تقترب مما عنده في التراث والفكر الإسلامي. وهو ما يُبقي على علامة استفهام وغموض حول إسلام الرجل في ميزان شريعة الإسلام، ولذلك تعارضت الآراء في إسلامه بين مرحب ومشكك أو مكفر. فغارودي رغم إعلان إسلامه وتأكيد على ذلك إلا أنه مصر على جوهر رؤيته للمسيحية، ولتحقيق توافق في ذلك أخذ بمنحى فلسفي صوفي في كل آرائه والمفاهيم التي يضعها للمسيحية وغيرها، والتي حاول بها التأسيس لفكر ديني جديد يسعى للتوفيق والتقريب بين الأديان.

13ـــ وبين المملكة والشريعة عند غارودي تجانس وتداخل في المفهوم، وكليهما في اعتباره تشكل النُظُم والأساس والقوانين الذي يقوم عليه المجتمع وتستمر به حياة الناس. ولان حاجات الناس واحدة وغايتهم الأخيرة واحدة فهذا الشريعة واحدة في خصائصها العامة وأهدافها ومقاصدها، لذلك أكد غارودي على أن المسيحية في تشريعها دعت إلى المحبة حتى أنها عرفت بشريعة المحبة التي تؤدي إلى أحكام بعيدة عن الفردانية والمصالح الخاصة للأفراد والجماعات تُهمل مصالح الآخرين، ومن خصائصها أنها تحررية تدفع للانفكاك من القيود والشكليات والتقاليد والنُظُم البالية والفاسدة ويلح على ضرورة استمرار النظر والإجهاد في الأحكام السابقة. ويرى غارودي أن من خصائص هذه الشريعة أو المملكة خاصية الشمولية، كونها أضافت معاني وقيم جديدة للرصيد الإنساني، لذلك ينبه إلى ضرورة إخراج المسيحية من ربقة التعبير اليوناني والفلسفة الهلينية والثقافة اليهودية. ويتحسس غارودي هذه الخصائص عند تطرقه لبعض الأحكام الواردة في المسيحية، ويلتمس ذلك في تعاليم موسى كشريعة أخذ بها المسيح، وهو يشير هنا إلى أن بعض الأحكام المسيحية أو اليهودية والتي تم التمسك بها من طرف المسيح أو فيما يطبقه المسيحيين اليوم في مجتمعاتهم، كل ذلك بحاجة إلى إعادة نظر وفتح باب الاجتهاد في ضل الواقع الذي يعيشه العالم اليوم والظروف التي تحيط به، وذلك ما أشار إليه المسيح بمجيء الحق الذي بشر به، وهو ما جعله يُصر على ضرورة الاستفادة مما في الأديان والتجارب الروحية المختلفة، وهو يرى ضرورة اعتماد خصائص الشريعة هذه عند الأخذ والاستفادة مما عند الغير من شرائع تفردوا بها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14ـ وحقيقة الكنيسة عند غارودي أنها شكل من أشكال التأثر بالتنظيم الروماني لضمان الولاء وحصر الأتباع في إطار يمكن من خلاله التحكم في أرائهم وتوجيهها، وهكذا أصبحت الكنيسة في بدايتها مؤسسة من مؤسسات الدولة الرومانية، فقد تمت مساومة المسيحيين الأوائل بشكل أو بآخر، فمقابل الأمن للمسيحية والمؤمنين بها وحريتهم في العيش والتبشير بها تم الرضوخ للهيمنة الرومانية والخضوع لنظامها وسيطرتها، فالكنيسة وعلى رأسها الغربية والتي كان يفترض بها أن تكون راعية لمصالح وانشغالات أفرادها كونها(أي الكنيسة)جماعة المسيحيين، تحولت إلى مضطهدة لأفرادها لصالح النظام الروماني ومصالح الإكليروس من رؤسائها، وقد تحول هذا الإكليروس سلطة مهيمنة على الأوضاع بعد أن تهاوت قوة الإمبراطورية وكثُرت الصراعات بين الملوك والأباطرة، حتى أن الكنيسة أصبحت تملك مساحات إقطاعية ولها خدم وأقنان وعمال بلا عدد. ونظراً لهذا الارتداد والانحراف ظهرت الانشقاقات والانقسامات داخل الكنيسة، ونتيجة للإضطهادات وسيطرة الكنيسة على الأفكار والمعتقدات والذمم وتدخلها في كل شيء تخلى المسيحيين عن الكنيسة وسقطت مكانتها في أعينهم للأخطاء الفادحة التي ارتكبتها ووقعت فيها دينية كانت أو عامية أو أخلاقية أو سياسية، وقد بيَّن غارودي فشل محاولات الكنيسة المعاصرة لتدارك هذا الانهيار كمحاولة تقسيم المهام التي أَلِفت الكنيسة التدخل فيها إلى مؤسسات متخصص (كالنقابات والأحزاب المسيحية التابعة لها)في محاولة منها للانفتاح على المجتمع وعلى جميع الشعوب وتجنب الحساسيات ولكن دون جدوى.

15ـ وفي المجامع كذلك يرى غارودي أنه تم فرض المسيحية والمعتقدات التي توافق توجهات النظام الروماني وسيطرته واستمر ذلك في كل المجامع التي أشرفت عليها الأنظمة الحاكمة في الغرب، فكانت هذه المجامع الإطار لإضفاء الشرعية على قرارات المسيطرين على المستويين السياسي والديني، وحرمان كل من يخالفهم أو يهدد مصالحهم. ففي المجامع العامة إلى غاية المجمع الفاتيكاني الأول1870م كان التوجه دائماً إلى فرض كل ما يَخدم السلطة الحاكمة والنظام الكنسي على المسيحيين وأتباع الكنيسة كأمر واقع دون النظر إلى آرائهم وحاجاتهم ومطالبهم. وهو نفس التوجه الذي يلاحظه غارودي مع اللاهوت المسيحي، الذي تحول إلى لاهوت سيطرة يأخذ بلاهوت بولس، وهو ما تم تثبيته مع اللاهوت المدرسي الذي رفع رايته الآباء الغربيين، فرغم العطاءات التي يعترف بها غارودي للآباء الشرقيين والتي حافظت للمسيحية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

على الروح التي جاء بها يسوع ورسالته، إلا أن هذه العطاءات تم تهميشها بل نُسب الكثير منها إلى أبناء الغرب في إطار التأكيد على التفوق الغربي ومركزيته في كل شيء. فقد أكد اللاهوت المدرسي حسب غارودي على اللغة اليونانية والفلسفة الهيلينية والتقليد اليهودي والتنظيم الروماني، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى تسفيه العقول واستغباء الناس الشيء الذي جعل الكثيرين يختارون الإلحاد في العصر الحديث بدل ذلك اللاهوت وتلك المعتقدات ويتوجهون إلى الحياة المادية بدل الخرافات والأساطير والسذاجات الكنسية.

16ـــ ويشير غارودي أنه على امتداد تاريخ المسيحية ورغم تيارات التحريف المتعددة إلا أنه كانت هناك عطاءات ذات نفحات صوفية حافظت للمسيحية على روحها، كما أكد غارودي ضمن اللاهوتيات المختلفة التي لعبت هذا الدور إلى ما يسميه باللاهوت النسائي ويميز ما له من دور لا يُعوض في المجتمع وفي الكنيسة، وفي ظل الواقع الذي آل إليه حال الكنيسة والمسيحية وتغيرات العصر الحديث يجد غارودي أنه برزت جماعات تريد العودة بالمسيحية إلى رسالة يسوع الناصري، وهم أصحاب لاهوت التحرر، الذين انطلقوا من أوضاع الناس وحاجاتهم وواقعهم لإيجاد الحلول في شريعة المحبة، وبُغيتهم تحرير المسيحيين من قبضة الكنيسة الظالمة وفك أسرهم من سيطرتها. هذه الجماعات هي التي يأمل غارودي في أن تساهم في بناء مستقبل أفضل للإنسانية وتوجيه المسيحيين إلى الغاية التي دعا إليها المسيح، ولذلك يُشجع غارودي المجامع التي يعقدونها بعد أن فقد الأمل في محاولة الانفتاح التي دعا إليها المجمع الفتكاني الثاني سنة1965م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر

والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع:

ـــ القرآن الكريم.

ـــ الكتاب المقدس، القاهرة.

1ـــ المصادر:

1. تفسير الجلالين.
2. الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب ج4، مطبعة صبيح، القاهرة.
3. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة.
4. غارودي، نداء الى الحياء، تر، ذوقان قرقوط، دار دمشق، سوريا، 1981م
5. غارودي، محاكمة الحرية، تر، محمد لعقاب، دار هومة، الجزائر.
6. غارودي، الإرهاب الغربي ج1، تر، داليا المنطوخي وناهد عبد الحميد وسامي مندور، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة، ط1،2004
7. غارودي، الإرهاب الغربي ج2، تر، عبد المسيح فلى، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004م
8. غارودي، النظرية المادية في المعرفة، تعريب، إبرهيم قرنيط ، دار دمشق
9. غارودي، البديل، تر، جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت، ط2،1988م
10. غارودي، هذه وصيتي للقرن21،إعداد، شاكر نوري،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1،2007
11. غارودي، حفارو القبور، تر، عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م

12. غارودي، وعود الإسلام، الدار العالمية

13. غارودي، الإسلام الحي، تلا، دلال بواب ضاهر ومحمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، ط1،1995م

14. غارودي،الإسلام في الغرب، تر، محمد مهدي الصدر، دار الهادي، ط2، 2001م

15. غارودي، الإسلام، تر، وجيه أسعد، دار عطية، ط1، 1996م،

16. غارودي، كيف نصنع المستقبل؟، تر،منى طلبة وأنورمغيث، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م،

17. روجيه غارودي، الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها، تر، خليل أحمد خليل، دار عام ألفين، باريس، ط1،1992م

18. غارودي، نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر، صياح الجهيّم، دار الفارابي، بيروت، ط3،2001م

19. غارودي، تّذكر الإتحاد السوفيتي، بين الأمس وما صار إليه..، تر، قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس، دمشق، 1995م

20. غارودي، نظرات حول الإنسان، ترجمة، يحي هويدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،1983م

21. غارودي، ماركسية القرن العشرين، تر، نزيه الحكيم، دار الآداب، بيروت،ط5،1983م

22. غارودي، حوار الحضارات، تر، عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت باريس،ط3، 1986م

23. غارودي، ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، تر، مصطفى كامل فوده، دار الشروق، بيروت، ط3، 1985م

24. غارودي، الخرافات المؤسسة لسياسة الإسرائيلية، تر، م ع الكيلاني، دار الكتاب، دمشق، ط1، 1996

25. غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، تر، جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1982م

26. غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002

27. غارودي، هذه وصيتي للقرن21، اعداد شاكر نوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،2007م

28. غارودي، كيف صنعنا القرن العشرين؟، تر، ليلى حافظ، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2001م

29. غارودي، أمريكا طليعة الإنحطاط، تر، عمرو زهيري، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2002م

30. غارودي، مشروع الأمل، دار الآداب، بيروت، ط1،1977م

31. غارودي، أصول الأصوليات والتعصبات السلفية، مكتبة الشروق، القاهرة،1996م

32. أبي حامد الغزالي، الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ،تحقيق،محمد عبد الشرقاوي، دار الهداية، ط2، 1982

2ــ المراجع:

1. ا.ج.جرانت وهارولد تمبولي، أوربا في القرن 19والقرن 20،تر، محمد علي أبو درة ولويس إسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ط6، 1978م، ج2،

2. الاب برنار سيسبويه، الانجيل الحي في الكنيسة، تر، الاب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3،1997.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3. الأب برنار سيسبويه، الإنجيل الحي في الكنيسة، تر، الأب جرجس المارديني، دار المشرق، بيروت، ط3، 1997 م.

4. الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل الى العقيدة المسيحية، تر، كميل خشيمة اليسوعي، دار الشروق، بيروت.

5. الأب جورج فلورفسكي، الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد، تر، الأب ميشال نجم، منشورات النور، 1984م.

6. الأب روبير كليمان اليسوعي، إيماننا بين العقيدة والعمل، ت، الأب صبحي حموي اليسوعي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2005م.

7. الأب فاضل سيداروس، الإنسان ذلك السر العظيم، دار المشرق، بيروت، ط1، 2004م.

8. الأب فاضل سيداروس، سر الله الثالوث الأحد، دار المشرق، بيروت، ط3، 2000.

9. الأب فاضل سيداروس، سر الله(الثالوث الاحد)، دار المشرق، بيروت، ط3، 2000م.

10. الأب فاضل سيداروس، من أنت أيتها الكنيسة؟، دار المشرق، بيروت، ط3، 2005م.

11. الأب فاضل سيداروس، يسوع المسيح في تقليد الكنيسة، دار المشرق، بيروت، ط3، 1999م.

12. الأب فكتور شلحت، مسألة الله في التاريخ، دار المشرق، بيروت، ط1، 1998م.

13. ألبير سوبل، تاريخ الثور الفرنسية، تر، جورج كوسي، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط3، 1982م.

14. أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، من التنافس والتصادم الى الحوار والتفاهم، تر، خلف محمد الجراد، دار الفكر، دمشق، ط2، 2000م.

15. أمينه الصاوي وعبد العزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة، جدة، ط2، 1985م.

16. بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ت نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق، ط1، 1980.

17. جاك جوميه ومارتن سبانخ، المسيح ابن مريم، دار الشروق، بيروت، ط2،1999.

18. جورجي كنعان، والمسيح هو المشكلة، دار بيسان، بيروت، ط1،2001م.

19. الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، صحيح الترغيب والترهيب ج4، مطبعة صبيح، القاهرة.

20. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي(أطواره ومذاهبه)، دار القلم، دمشق، ط4،1999م.

21. ذهبية كباهم، الحقيقة الدينية في فكر روجيه غارودي، مذكرة ماجستير،جامعة الحاج لخضر، باتنة،2006 م.

22. رامي الكلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق، ط2، 1994م

23. رامي كلاوي، روجيه غارودي من الإلحاد الى الإيمان، دار قتيبة، دمشق،ط 3،1994.

24. زينب عصمت راشد، تاريخ أوربا الحديث في القرن 19، دار الفكر العربي، القاهر،2000.

25. سارتر، الوجودية إنسانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

26. سعد رستم، التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، صفحات للدراسات والنشر، ط2، 2007.

27. سعد عبد المقصود ظلام، لا لجارودي ووثيقة أشبيلية.

28. سيرج بيروتينو، غارودي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981م.

29. شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، تر، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط3.

30. شوقي عطا الله الجمل وعبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1، 1993م.

31. طارق فوزي، تساؤلات في المسيحية، دار الحمدي للنشر، القاهرة، ط1، 2007.

32. طيب تيزيني، روجيه غارودي بعد الصمت، دار الخلدونية، بيروت، ط3، 1983م.

33. عادل التل، فكر غارودي بين المادية والإسلام، دار البينة، بيروت، ط2، 1997م.

34. عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التاريخ وكُشوف العصر الحديث، نهضة مصر، 2005.

35. عبد الحميد زوزو، تاريخ أوربا والولايات المتحدة الأمريكية(19141945م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، رقم النشر4074165،

36. عبد الرزاق الموحي، العبادات في الديانة المسيحية، دار صفحات، دمشق، ط2، 2007م.

37. عبد الرزاق رحيم صلاّل الموحى، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المنهاج، الأردن، ط1، 2002م.

38. علي حرب، الاستلاب والارتداد، الإسلام بين روجيه غارودي ونصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1،1997 .

39. فؤاد حنين علي، التوراة الهيروغليفية، دار الكاتب العربي، القاهرة.

40. فاروق عثمان أباظة، الفكر الفرنسي المعاصر، دار المعارف الجامعية، إسكندرية،1995م.

41. فرج الله عبد الباري، نقض دعوى العالمية النصرانية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004 .

42. فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1، 2004.

43. فرنسوا جورج ديفوس وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا العام ج3، منشورات عويدات، بيروت باريس.

44. القس بسام المدني، الكنيسة في التاريخ، مطبوعات ساعة إصلاح.

45. القس صموئيل حبيب، المسيحية والإنسان، دار الثقافة، القاهرة، ط1.

46. القمص تادرس يعقوب ملطي، القديس يوحنا الذهبي الفم، مكتبة مار مرقس، القاهرة، 1980 م.

47. كوستي بندلي، اله الإلحاد المعاصر، منشورات النور،بيروت.

48. لويس غراديه وج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج1، تر، صبحي الصالح والأب فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت،ط2، 1979.

49. مادان ساروب، دليل تمهيدي الي ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة. تر،خميسي بوغرارة،دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

50. مايكل جرين، إيماني بالروح القدس، تر، داليا وهيب، دار النشر الأسقفية، القاهرة، ط1، 2004م.

51. مجلة الأمة، حوار مع الفيلسوف العالمي رجاء غارودي، ع29، 1983، قطر.

52. مجلة المجلة، العدد (839) ، شوال 1416ه.

53. محسن الميلي، روجية غارودي والمشكلة الدينية، دار قتيبة، بيروت، ط1، 1993م،

54. محمد إبراهيم الفيومي، الوجودية، فلسفة الوهم الإنساني، المكتبة العصرية، القاهرة،1984.

55. محمد ابوزهر، محاضرات في النصرانية، شركة الشهاب.

56. محمد الراشد، نظرية الحب والإتحاد في التصوف الإسلامي، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط3، 2006م.

57. محمد بن علي بن محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، مطبوعات مجلة البيان،2003، ط1،2003.

58. محمد سعيد رمضان البوطي، شخصيات إستوقفتني ،دار الفكر،2001.

59. محمد عثمان الخشت، روجيه جارودي، لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة، مكتبة القرآن، القاهرة.

60. محمد عمارة، الفتكان والإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1،2007م.

61. محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والإستشراق، دار الفكر، دمشق، ط3، 2003م.

62. محمد كامل عبد الصمد، الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ج1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995.

63. مصطفى حلمي، إسلام جارودي بين الحقيقة والافتراء، دار الدعوة، القاهرة، ط1، 1996م.

64. موريس دو فرجيه، في الدكتاتوريات، تر، هاشم متولي، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 1977م.

65. ول ديورنت، قصة الحضارة، مكتبة الروايات، ج2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس

الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات:

المقدمة.. أ

الفصل الأول: ترجمة لعصر غارودي وحياته.

المبحث الأول: ترجمة لعصر روجيه غارودي ونشأته......... 01

المطلب الأول: الحياة السياسية في فرنسا......... 03

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية والاقتصادية......... 06

المطلب الثالث: الاسم و المولد 08

المطلب الرابع: دراسته......... 09

المطلب الخامس: نضالاته ومساره السياسي......... 10

المبحث الثاني: حياته الدينية......... 12

المطلب الأول: غارودي مسيحيا......... 12

المطلب الثاني: غارودي والإسلام......... 16

المطلب الثالث: غارودي والارتداد......... 19

المطلب الرابع: العقيدة الإبراهيمية (أو وحدة الأديان)......... 24

المبحث الثالث: الحياة الفكرية......... 34

المطلب الأول: تيارات الفكر الأوربي المعاصر......... 34

المطلب الثاني: مصادر فكر غارودي......... 44

المطلب الثالث: إنتاجه العلمي......... 50

المطلب الرابع: مشروعه الحضاري......... 56

الفصل الثاني: الكتاب المقدس(العهد القديم والعهد الجديد)في فكر غارودي. 64

المبحث الأول: العهد القديم......... 67

المطلب الأول: الأسفار الخمسة......... 70

المطلب الثاني: الأسفار التاريخية......... 93

المطلب الثالث:الاسفار الشعرية والاسفار التعليمية......... 98

المطلب الرابع:الاسفار النبوية......... 101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: العهد الجديد.. 105
المطلب الاول: الاناجيل... 106
المطلب الثاني: رسائل بولس.. 128
المطلب الثالث: باقي الرسائل.. 141

الفصل الثالث: الإيمان والشريعة في المسيحية.

المبحث الأول: الألوهية وفكرة المسيح................................. 149
المطلب الأول: فكرة الإله عند غارودي.................................. 150
المطلب الثاني: المسيح في فكر غارودي.................................. 164
المطلب الثالث: الروح القدس.. 176
المبحث الثاني: المعتقدات المسيحية.................................... 182
المطلب الأول: التثليث... 183
المطلب الثاني: التجسد.. 188
المطلب الثالث: عقيدة الفداء. 192
المطلب الرابع: البعث والدينونة... 197
المبحث الثالث: التشريع المسيحي. 199
المطلب الأول: خصائص الشريعة المسيحية................................ 200
المطلب الثاني : أحكام التشريع في المسيحية.............................. 210

الفصل الرابع: الكنيسة والمجامع واللاهوت المسيحي في فكر غارودي.

المبحث الأول: تاريخ الكنيسة(نشأتها: تطورها ودورها)...................... 221
المطلب الأول: الكنيسة في عهد المسيح والرسل(الحواريين)................... 222
المطلب الثاني: الكنيسة المسيطرة...................................... 224
المطلب الثالث: الكنيسة في العصر الحديث. 229
المبحث الثاني: المجامع المسيحية....................................... 233
المطلب الأول: المجامع العامة والتنظيمية................................. 235
المطلب الثاني: مجامع التجديد... 245
المبحث الثالث: اللاهوت المسيحي...................................... 251

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: لاهوت الآباء.. 253
المطلب الثاني: اللاهوت المدرسي..................................... 259
المطلب الثالث: اللاهوت الحديث والمعاصر........................... 270
الخاتمة.. 286
قائمة المصادر والمراجع... 299
فهرس الموضوعات 309

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية